

سلسلة تفسير القرآن الكريم



التفسير المنهجي

المجلدُ الثالثُ

مِنْ سورةِ المائدةِ ـ نهايةِ سورةِ الأعرافِ



تأليف
د.جمال أبو حسّان

لمزيد من الكتب وفي جميع المجالات

زوروا

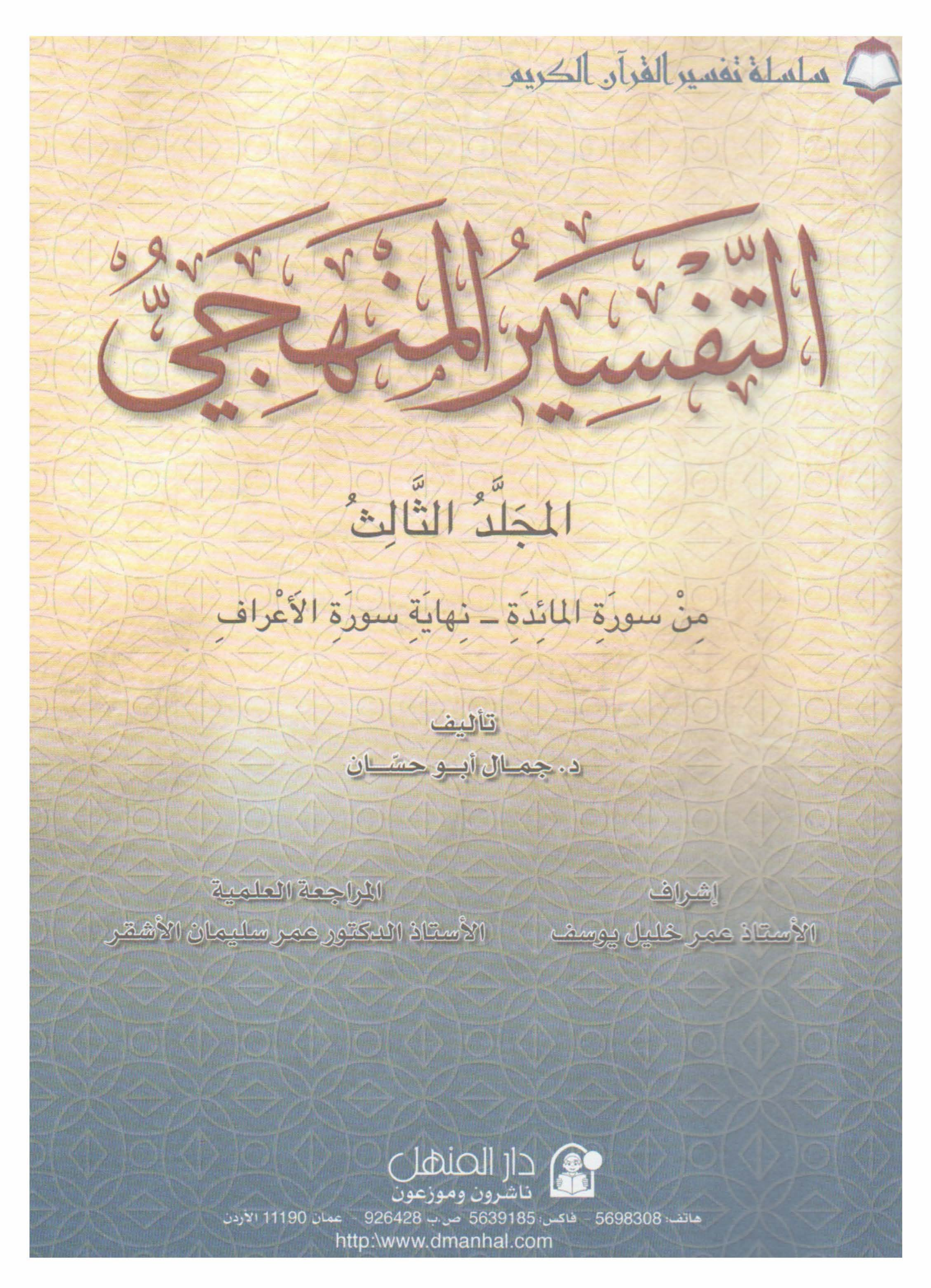
منتدى إقرأ الثقافي

الموقع: HTTP://IQRA.AHLAMONTADA.COM/

فيسبوك:

HTTPS://WWW.FACEBOOK.COM/IQRA.AHLAMONTADA/




سلسلة تفسير القرآن الكريم
التفسير المنهجي
المجلدُ الثَّالِثُ
مِنْ سورَةِ المائِدَةِ - نِهايَةِ سورَةِ الأَعْرافِ
تأليف
د. جمال أبو حسّان
إشراف
الأستاذ عمر خليل يوسف
المراجعة العلمية
الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر
دار المنهل
ناشرون وموزعون
هاتف: 5698308 - فاكس: 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الأردن
http:\www.dmanhal.com



المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة

المكتبة الوطنية

(١٧١١ / ٦ / ٢٠٠٦)

٢٢٢,٨

أبو حسان، جمال

التفسير المنهجي: من سورة المائدة إلى نهاية سورة الأعراف /

جمال محمود أبو حسان. عمان: دار المنهل، ٢٠٠٦

(٢١٣) ص (سلسلة القرآن الكريم)

ر. إ: (١٧١١/٦/٢٠٠٦).

الواصفات: / التفاسير// القرآن // سور القرآن/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الطبعة الأولى

2006

رقم الإجـــازة: 2006 / 6 / 1792

رقم الإيـــــداع: 2006 / 6 / 1711

التصنيف الدولي: 9957-08-541-7


التفسير المنهجي
الجُزْءُ الأَوَّلُ
منْ سورَة المائدَة ـ الآية ١٠٧ منْ سورَة الأَنْعام

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ، وَالصّلاةُ والسّلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ خاتمِ الأَنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وعلى آلهِ وصَحْبِهِ ومن سارَ على دربِهِ إلى يومِ الدينِ ، وبعدُ ،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ كلامُ اللهِ المُعجزُ ، أنزلَهُ على نبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ؛ ليُخْرِجَ به الناسَ من الظُّلُماتِ إلى النّور ، ويَهدِيَهُم به إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم : ١) ، وقالَ تعالى : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .

وقد وردَ في عَدَدٍ مِنَ الأَحاديثِ الحثُّ على تعلُّمِ القرآنِ ومُدارَسَتِهِ ، ومِنْ ذلِكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ :«خيرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ»[١] ، وَقولُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ وَيتدارَسُونَهُ بينَهَم إلاَّ نَزلتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ ، وغَشِيَتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم الملائكةُ ، وذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[٢] .

وقد بَذلَ المُسْلِمُونَ على مرِّ العُصور جُهوداً كثيرة مُتَوالِيَةً في خِدْمةِ هذا الكِتابِ العزيزِ ، ومِنْ بينِ هذه الجهودِ ما يتعَّلقُ بتبيينِ مَعاني الآياتِ وتَفْسِيرها ، وكان لكلِّ تفسيرٍ مِيزَتُهُ وخَصائِصُهُ .

ومِيزةُ هذا التفسير أنَّه أُعِدَّ لِيكونَ مِنْهاجاً للتَّدْريس في المَدارسِ التي تلتزمُ في مِنْهاجِها تدريسَ الطلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريمِ كاملاً ، والتزمَ مُؤَلِّفُوهُ السَّيْرَ على نَمَطٍ مُتقارَبٍ مُتدرِّجٍ ، وفيما يلي أَهمُّ النِّقاطِ التي تمَّ الالتزامُ بها :

* اختيارُ العبارةِ السَّهْلَةِ الواضِحَةِ بمايتناسبُ مَعَ أَعمارِ الطَّلَبَةِ ومستوياتِهم .
* بَدْءُ كلِّ درسٍ بتبيينِ مَعاني المفرداتِ والتراكيبِ التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفَتِها .
* التَّعْريفُ بالسُّورَةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث (٤٦٣٩) .

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم الحديث (٤٨٦٧) .

* تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

* الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ والتَّالِي .

* اختيارُ القولِ الرَّاجِحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعدِّدةِ أو الضعيفةِ .

* الالتزامُ بمنهَجِ السَّلَفِ في تَفسيرِ آياتِ الصِّفاتِ .

* إغْناءُ كُلِّ درسٍ بعدَدٍ مِنَ الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحَفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادَةِ المدرسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذه الأنشطةِ وعدمُ إهمالِها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أو طابورِ الصباحِ أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* إتْباعُ كلِّ دَرْسٍ بعدَدٍ من العِبَرِ والدروسِ المُستنْبَطَةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرِّسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبَرِ والرَّبْطُ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبِطَتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويمِ السُّلوكِ وتنميةِ التفكيرِ وترسيخِ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

* خَتْمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوِّعةِ التي تهدِفُ إلى تقويمِ الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابهِ للدَّرسِ وحَفزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأَسئلَةِ في مظانِّها .

* تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو رِوَايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدَفِ إِمْتاعِ القارىءِ وإفادتِهِ بهذه المَعْلومةِ .

* تخَريجُ الأحاديثِ النَّبَوِيَّةِ ورواياتِ أَسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديث .

واللهَ تعالى نَسأَلُ أن يَجْعلَ هذا العملَ خالصاً لِوَجْهِهِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفَعَ به ، وأَنْ يتقَّبلَهُ بقَبُولٍ حَسَنٍ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

* * *

الدَّرْسُ الأَوَّلُ

سورةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًاۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورةُ المائِدَةِ سورةٌ مدنيَّةٌ ، من أواخِرِ ما نزلَ على النَّبيِّ ﷺ منَ السُّوَرِ ، وَعَدَدُ آياتِها مائةٌ وعشرونَ آيةً . اشتملَتِ السّورَةُ على مَوْضوعاتٍ مُتعدِّدةٍ في المعاملاتِ والأخلاقِ ، وبعضِ الأحكامِ الشَّرْعيَّةِ ، والحديثِ عنْ بعضِ أحوالِ أَهْلِ الكتابِ ، وفَصَّلَتِ القولَ في عيسى ابنِ مريمَ عليهِ السَّلامُ .

والنّاظرُ في مَوْضوعاتِ السّورةِ الكريمةِ ، يستطيعُ أنْ يستخلِصَ مِنْها الحقائقَ التّاليةَ :

أولاً : إنَّ هذهِ السّورةَ الكريمةَ مليئةٌ بالأَحْكامِ الشّرعيةِ المتنوِّعةِ ، وهيَ أحكامٌ ثابتةٌ لا نَسْخَ فيها .

ثانياً : وَجَّهتِ السّورةُ الكريمةُ نداءاتٍ عِدّةً للمُؤْمنينَ ، كلُّ نداءٍ فيها يُعْتَبَرُ قانوناً مُنَظِّماً لناحيةٍ مِنْ نواحِي الحياةِ عندَ المُسلمينَ ، فيما يخصُّ أنفسَهُمْ ، أوْ فيما يَخُصُّ عَلاقاتِهِمْ بغيرِهِمْ .

ثالثاً : إنَّ السّورَةَ الكريمةَ حافلةٌ بالحديثِ عنْ أهلِ الكتابِ .

معاني المفردات :

أَوْفوا : هاتوا الشَّيءَ وافياً لا نَقْصَ فيهِ .
العُقودِ : العُهودِ الموثَّقةِ .
بهيمةُ الأَنْعامِ : الإِبِلُ والبَقَرُ والغَنَمُ .
مُحلِّي الصَّيدِ : جاعِليه حلالاً .
وأنتمْ حُرُمٌ : وأنتمُ في حالةِ الإِحْرامِ .
شعائرَ اللهِ : حدودَه وفرائِضَهُ .
الهَدْيَ : ما يُهدى إلى البيتِ الحرامِ مِنَ الأنعامِ تقرُّباً إلى الله تَعالى .
القلائدَ : ما يُقلَّدُ بِهِ الهَدْيُ ، ويوضَعُ في رقبتهِ ، ليُعْلَمَ أنَّهُ صائرٌ إلى البيتِ الحرامِ .
آمّينَ البيتَ : قاصِدينَ زيارتَهُ .
حَللتُمْ : أنهيتُمُ الإحرامَ .
لا يَجْرِمَنَّكُمْ : لا يَحْمِلَنَّكُمْ .
شنآنُ : بُغْضُ .

التَّفسيرُ :

ابتدأتِ السّورةُ الكريمةُ بأمرِ المُؤْمِنينَ بالوفاءِ بالعُقودِ ، والمواثيقِ الّتي ذكَّرتْهُمْ ببعضِ ما أحلَّ اللهُ تَعالى لَهُم ، وبعضِ ما حرَّمهُ عليهِم ، فقالَ تَعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ .

يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا كونوا أوفياءَ بِعُهودِكُمْ معَ اللهِ تَعالى ، ومَعَ أنفسِكُمْ ، ومَعَ غَيْرِكُمْ ، فقدْ أحلَّ اللهُ لكُمْ بهيمةَ الأنْعامِ لِتَنْتَفِعوا بها ، فَضْلاً وكَرَماً منهُ سُبْحانَهُ ، إلاّ أنَّه حرَّمَ عليكُمْ أشياءَ رحمةً بكُمْ فاجْتَنِبوها ، كما حرَّمَ عليكمُ الاصطيادَ أو الانتفاعَ بالمصيدِ وأنتُمْ مُحْرِمونَ بحجٍ أو عُمْرَةٍ ، سواءٌ أكنتمْ في الحِلِّ أمْ في الحَرَمِ ، ويدخلُ في حُكْمِ المُحرمِ مَنْ كانَ في الحرَمِ وليسَ مُحرِماً ، لأنَّ المُحرِمَ أو مَنْ كانَ على أرضِ الحَرَمِ يجبُ عليهِ أنْ يكونَ مُشتَغِلاً بما يُرضي اللهَ تَعالى ، وأنْ يحترِمَ

هذهِ الأماكنَ المقدّسةَ الّتي جعلَها اللهُ تَعالى أماكنَ أمانٍ ، واطْمِئنانٍ وعبادةٍ لله تَعالى .

ثمَّ بيّنَ لهمُ سُبْحانَهُ أنَّه يَحْكمُ وفقَ مشيئتِه وإرادتِه : ﴿إنَّ اللهَ يَحكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ أيْ أنَّ اللهَ تَعالى يحكمُ ما يُريدُ ويُشرِّعُ مِنَ الأَحْكام الّتي تتعلّقُ بالحلالِ والحرامِ وبغيرِهما ، بِمُقتَضى مَشيئتِه المَبْنيّةِ على الحِكَمِ البالغةِ دونَ أنْ يُنازِعَهُ مُنازعٌ أو يُعارِضَهُ مُعارِضٌ ، فاسْتَجيبوا أيُّها المُؤْمِنونَ لحُكْمِه ، تَنالوا السَّعادةَ في الدُّنيا والآخرةِ .

وبعدَ أنْ أشارَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى إلى ما أحَلَّ لعبادِه مِنَ الطَّيِّباتِ ، وما حظَرَهُ عليهِم مِنَ الأَفعالِ ، أتْبعَ ذلك بنداءٍ آخرَ نهاهُم فيهِ عَنِ اسْتِحلالِ أشياءَ مُعيَّنةٍ ، فقالَ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ .

يا أيُّها المؤمنونَ ، لا تَسْتَبيحوا حُرْمةَ شعائرِ اللهِ تَعالى كمناسِكِ الحجِّ وقتَ الإحْرامِ قبلَ التَّحلُّلِ منهُ ، وسائرِ أحكامِ الشّريعةِ ، ولا تَنْتَهِكوا حُرْمَةَ الأشْهُرِ الحُرُمِ بإثارةِ الحربِ فيها ، ولا تعترِضوا ما يُهدى مِنَ الأنْعامِ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ باغْتِصابِهِ ، أو مَنْعِهِ مِنْ بُلوغِ مَحلّهِ ، ولا تَنزِعوا القلائدَ مِنْ رِقابِ هذهِ الأنعامِ المُهداةِ إلى بيتِ اللهِ الحَرامِ ، ولا تَعْتَرِضوا لِقُصّادِ بيتِ اللهِ الحرامِ الّذينَ يَبْتَغونَ فَضْلَ اللهِ تَعالى ورِضوانَه ، وإذا تحلَّلْتُمْ مِنَ الإحرامِ وخرجْتُمْ مِنْ أرضِ الحَرَمِ فَلكمْ أنْ تَصْطادوا ، وَلا يحمِلنَّكُم بُغْضُكُمْ لقومٍ صدّوكُمْ عنِ المسجدِ الحرامِ على الاعتداءِ عليهِمْ ، ولْيتعاوَنْ بعضُكُمْ مع بعضٍ ، أيُّها المؤمنونَ ، على فِعْلِ الخَيْرِ وجميعِ الطّاعاتِ ، ولا تَتَعاوَنوا على المَعاصي ومُجاوَزةِ حدودِ اللهِ ـ تعالى ـ واخشَوْا عقابَ اللهِ وبَطْشَهُ ، فاللهُ تَعالى شديدُ العقابِ لِمنْ خالفَهُ وتَعدَّى حدودَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

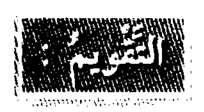
تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الأمرُ بالوَفاءِ بالعقودِ ، والنَّهْيُ عنِ اسْتِحلالِ ما حرَّمَ اللهُ تَعالى .

٢ـ النَّهْيُ عنِ الاعتداءِ على الآخَرينَ بِسَبَبِ بُغْضِنا لهُم .

٣ـ ضرورةُ التَّعاونِ على البرِّ والتَّقوى ، وعدمُ التَّعاوُنِ على الإثْمِ والعُدْوانِ .

٤ـ التَّقوى تَحْمِلُ الإنسانَ على فِعْلِ الطّاعاتِ ، وتجنُّبِ المُحَرَّماتِ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفُرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

أوْفوا بالعُقودِ ، أُحِلَّتْ لكُمْ بَهيمةُ الأنعْامِ ، غيرَ محلّي الصيّدِ وأنتُمْ حُرُم ، شعائرَ اللهِ ، الهَدْيَ ، القلائدَ ، آمّينَ البيتَ الحرامَ ، ولا يَجْرِمنَّكُمْ شَنَآنُ قومٍ .

٢ـ اشْتَملَتِ السّورةُ الكريمةُ على مجموعةٍ مِنَ الأَحْكامِ الشَّرعيَّةِ المُخْتلفةِ ، هاتِ خمسةً مِنْ هذهِ الأَحْكامِ .

٣ـ ما الحقائقُ الّتي نتبيَّنُها مِنْ هذهِ السّورةِ الكريمةِ ؟

٤ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكريمةُ حُرْمةَ بعضِ الأشياءِ ، اذكُرْها .

٥ـ لِماذا حُرِّمَ الصَّيدُ وسائرُ الاعْتِداءاتِ في بيتِ اللهِ الحرامِ ، أوْ حالَ الإحْرامِ ؟

٦ـ لِماذا أمرَ اللهُ تَعالى المسلمينَ بالتّقوى فِي هذهِ الآياتِ الكريمةِ ؟

٧ـ اذكُرْ ثلاثةَ أُمورٍ مِمّا تُرشِدُ إليهِ الآياتُ الكريمةُ .

نشاطٌ

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ أَمْرَيْنِ يَحْرُم فِعْلُهُما في الحَرَمِ لِلْمُحْرِمِ وغَيْرِهِ .

٢ـ اكتبْ في دَفْترِكَ الأَشْهُرَ الحُرُمَ مُرتَّبةً ، واذْكُرْ دليلَ حُرْمَتِها مِنَ السُّنَّةِ النَّبويّةِ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني

سورةُ المائدةِ ـ القِسْمُ الثّاني

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ما أُهِلَّ لغيرِ اللهِ بهِ : ما قُصِدَ بهِ غيرُ وجهِ اللهِ تَعالى وذُكِرَ عليهِ اسمٌ غيرُ اسمهِ تَعالى عندَ ذَبْحِهِ .

المُنْخَنِقَةُ : الَّتي ماتَتْ خَنْقاً .

المَوْقوذَةُ : الَّتي ماتَتْ بِسَبَبِ ضَرْبِها بشيءٍ ثقيلٍ .

المتردِّيةُ : الَّتي سَقَطَتْ مِنْ عُلوٍّ فماتَتْ .

النَّطيحةُ : الَّتي ماتَت بِسَبَبِ نَطْحِ دابّةٍ أُخرى لها .

النُّصُبِ : الحجارةِ المَنْصوبةِ حولَ الكعبةِ وهيَ الأصنامُ .

تستقسِموا بالأَزْلامِ : تَطلُبوا معرفةَ مُستقبلِكُمْ عنْ طريقِ قِداحِ الميْسرِ .

مَخمصةٍ	: الجوعِ الشّديدِ .
غيرَ مُتجانفٍ لإثمٍ	: غيرَ مائلٍ لارتكابِ الإثمِ .
مُكلّبينَ	: مُعلّمينَ لها على الصَّيْدِ .
المحْصَناتُ مِنَ الّذينَ أوتوا الكتابَ	: العَفيفاتُ الحرائرُ .
مُحصِنينَ غيرَ مُسافِحينَ	: مُتعفّفينَ بالزّواجِ غيرَ راغبينَ في السِّفاحِ : (الزِّنا) .
ولا مُتّخِذي أخدانٍ	: غيرِ مُتّخذي النِّساءِ خليلاتٍ وصديقاتٍ تُعاشِرونَهُنَّ بالحرامِ .
حَبِطَ عملُهُ	: خابَ سعيُهُ وفَسَدَ .



بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى للمُؤْمنينَ وجوبَ تعظيمِ شعائرِهِ ، وحُرْمَةَ الاعتداءِ عليْها ، وعلى القائمينَ بها ، شَرَعَ هُنا في بيانِ المحرَّماتِ مِنَ المطعوماتِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ .

حرَّمَ اللهُ تَعالى عليكُمْ أيّها المُؤْمِنونَ أكْلَ لحمِ الميتةِ ، وشُرْبَ الدَّمِ السائلِ مِنَ الذّبيحةِ ، وأكلَ لحمِ الخِنزيرِ ، وما ذُكرَ غيرُ اسمِ اللهِ تَعالى عندَ ذَبْحِه ، وما ماتَ خَنْقاً ، والّتي ضُرِبتْ حتّى ماتَتْ ، وما سقطَ من عُلوٍّ فماتَ ، وما ماتَ بسببِ نَطْحِ غيرِه لَهُ ، وما ماتَ بسببِ أكْلِ حيوانٍ مُفترسٍ منهُ ، وأمّا ما أدركتُموهُ وفيهِ حياةٌ ممّا يَحِلُّ لكُم أكْلُهُ وذبحتُموهُ فهوَ حلالٌ لكُم . وحرَّمَ الله تَعالى عليكُمْ أكْلَ ما ذُبحَ تقرُّباً للأصنامِ ، وحَرَّمَ عليكُمْ أنْ تَطلبوا معرفةَ ما كُتبَ في الغيبِ بواسطةِ القُرعةِ بالأقداحِ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى أنّ الكافرينَ قدِ انقطعَ رجاؤُهُمْ في القضاءِ على دينِ الإسلامِ ، فَلا ينبغِي للمُؤْمِنينَ أنْ يخافوا أنْ يتغلّبَ المشركونَ عليهِمْ ، وأنَّ عليهِمْ أنْ يتّقوا اللهَ تَعالى .

ثمَّ بيّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى أنّه أكمَلَ لَنا دينَهُ وهُوَ الإسْلامُ ، فَلا يُحتاجُ إلى دينٍ غَيْرِهِ ، وهُوَ النِّعْمَةُ الكُبْرى الّتي لا نِعْمَةَ فَوْقَها ، وقَدْ أخْبَرَنا تَعالى أنَّهُ رَضِيَ لَنا هَذا الدّينَ ، وفي ذَلِكَ دَعْوَةٌ لَنا أنْ

نَرْضاهُ لأَنْفُسِنا . ثمَّ بيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ مَنْ أَلجأتْهُ ضَرورةُ الجوعِ إلى تناولِ شيءٍ مِنَ المُحرَّماتِ السّابِقةِ ، فَفَعَلَ لِدَفْعِ الهلاكِ عنْ نفسِه غيرَ مُنْحَرِفٍ إلى المعصيةِ ، فإنَّ اللهَ تَعالى يغفرُ لهُ ما أكلَهُ على جهةِ الاضْطرارِ دَفْعاً للهلاكِ ، وهو سُبْحانَهُ غفورٌ يَغْفِرُ ذنوبَ عبادِهِ ، رحيمٌ بِهم ، فلا يُكلِّفُهُمْ ما لا يُطيقونَ .

وبعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى أنواعاً مِنَ المُحرَّماتِ ، شرَعَ في بيانِ ما أحَلَّهُ لِلْمُسْلِمينَ مِنَ المَطعوماتِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾ .

يسألُكَ المُؤْمِنونَ أيُّها النَّبيّ ﷺ ، ماذا أحلَّ لهُم مِنَ المَطاعمِ بعدَ أنْ عَرفوا ما حرَّمَ عليهم منْها ، فقلْ لهُمْ : أُحِلَّ لكُمُ الأطعمةُ الطَّيبةُ الّتي تَستلذُّها النّفوسُ المُستقيمةُ ، وتَستطيبُها وَلا تستقذِرُها ، والّتي لمْ يَرِدْ في الشَّرعِ ما يُحرِّمُها ويمنعُ تناوُلَها ، وأُحِلَّ لكُمْ ما تَصطادُهُ الجوارحُ الّتي علّمتُموها الصيَّدَ بالتَّدريبِ ، مستمدِّينَ ذلكَ ممّا علَّمكُمُ اللهُ تَعالى ، فكُلوا مِنْ صَيْدِها الّذي أرسلتُموها إليهِ فأَمْسَكَتْهُ عَلَيْكُم ، واذكروا اسمَ اللهِ تَعالى عندَ إرْسالِها للصَّيْدِ ، واتَّقوا اللهَ بالتزامِ ما شَرَعَ لكُم ، ولا تَتَجاوَزوهُ ، واحذَروا مخالفةَ اللهِ فيهِ ، فإنَّه سُبْحانَهُ سريعُ الحسابِ .

بعد ذلكَ بيّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى جانباً آخرَ منْ مظاهرِ نِعَمِهِ على عِبادِه ، ورَحْمتِهِ بِهِمْ ، وتَيسيرِهِ في أُمورِ دينهِمْ ودُنياهُم ، فقالَ تَعالى :

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ .

اليومَ ـ ومنذُ نُزولِ هذه الآيةِ ـ أَحلَّ اللهُ تَعالى لكُمْ كُلَّ طيِّبٍ تَستطيبُه النّفوسُ السَّليمةُ ، وأَحلَّ لكُمْ أنْ تأكُلوا مِنْ طعامِ أَهْلِ الكِتابِ ، وأَحلَّ لكم أَكْلَ ذبائِحهمْ ، إلاّ ما وَرَدَ النَّصُّ بتَحْريمهِ منها ، كأَنْ يَأْكُلَ أهلُ الكتابِ المَيْتَةَ مثلاً ، فلا يَحِلُّ لنا أكلُها ، أو يأكُلوا الخِنزيرَ فإنّا لا نأْكُلهُ مُتابَعةً لهُم ، كما أنَّ اللهَ تَعالى أَحلَّ لهُمْ طعامَكُمْ ، وكذلكَ أَحلَّ لكُمْ زواجَ الحرائرِ العَفيفاتِ مِنَ المُؤْمناتِ ، ومِنْ نساءِ أَهْلِ الكِتابِ ، إذا أَدَّيتُمْ إليْهِنَّ مُهورَهُنَّ قاصِدينَ الزَّواجَ ، غيرَ مُسْتَبيحينَ العَلاقاتِ غيرَ الشَّرعيَّةِ عَلانيةً ، أوْ بِطَريقِ اتِّخاذِ الخَليلاتِ والعَشيقاتِ . ثمَّ حذَّرَ اللهُ تَعالى منَ الكُفْرِ ، وبيَّنَ أنَّ مَنْ يَجْحَدْ ويَكْفُرْ بتعاليمهِ فقدْ ضاعَ ثوابُ عَمَلِهِ ، وهو في الآخِرَةِ مِنَ الهالِكينَ الخاسِرينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تحريمُ الأنواعِ الّتي ذكرَها اللهُ تَعالى في هذِه الآياتِ يوجبُ على كلِّ مسلمٍ الابتعادَ عنْها .

٢ـ حِلُّ المُنْخَنِقَةِ والمَوْقوذةِ والمُتردِّيةِ والنَّطيحَةِ وأكيلةِ السَّبْعِ متى ذُبِحَتْ ذَبْحاً شرعيّاً قَبْلَ مَوْتِها .

٣ـ إباحةُ أَكْلِ المُحرَّماتِ عندَ الضَّرورةِ بِشرطَينِ : دَفْعِ الضّررِ ، وَعدمِ تجاوزِ سدِّ الحاجةِ .

٤ـ حُرْمَةُ الاستِقْسامِ بالأزلامِ ، وكُلِّ ما يُشبهُهُ مِنَ القِمارِ والتَّنجيمِ والضَّرْبِ في الرَّملِ وقِراءةِ الفِنْجانِ .

٥ـ بِشارةُ المسلمينَ بانْقطاعِ رَجاءِ الكافرينَ في إبطالِ أَمْرِ الإسلامِ .

٦ـ إباحةُ التَّمتُّعِ بالطَّيباتِ الّتي أحلَّها اللهُ تَعالى دونَ إسرافٍ أو خُيَلاءَ .

٧ـ إباحةُ الصّيدِ بالجوارحِ المعلَّمةِ ، ووجوبُ التَّسميةِ عندَ إرْسالِها للصَّيدِ .

٨ـ إباحةُ الأَكْلِ مِنْ لُحومِ أَهْلِ الكِتابِ وذَبائِحِهِمْ ما لمْ تكُنْ مُحَرَّمةً في شَرْعِنا ، وإباحةُ الزَّواجِ مِنْ نسائِهِمْ .

التَّقويمُ

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

ما أُهِلَّ لغيرِ اللهِ بهِ ، المُنْخَنِقَةُ ، المَوْقوذَةُ ، المُتَردّيةُ ، النَّطيحةُ ، النُّصُبِ ، الأزلامِ ، مَخمصةٍ ، غيرَ مُتجانفٍ لإثمٍ ، مُحصِنينَ غيرَ مُسافِحينَ ، أَخْدانٍ ، حَبِطَ عَمَلُهُ .

٢ـ ذكرتِ الآياتُ الكريمةُ بعضاً ممّا حرَّمَ اللهُ تَعالى على عبادِهِ ، اذكُرْ خمسةً منْ هذهِ المُحَرَّماتِ .

٣ـ ذكرتِ الآياتُ الكريمةُ بعضَ ما أَحلَّ اللهُ تَعالى لعبادِهِ ، اذكُرْ ثلاثةَ أشياءَ مُباحَةً منْ خِلالِ هذهِ الآياتِ .

٤ـ ذكرتِ الآياتُ بِشارةً لِلْمُؤْمِنينَ ، بيِّنْ هذه البِشارةَ .

٥ـ يجوزُ أكْلُ المُحَرَّماتِ المذكورةِ في هذهِ الآياتِ بشروطٍ ، بيّنْ هذهِ الشّروطَ .

٦ـ رتّبِ المُحَرَّماتِ التّاليةَ حَسَبَ وُرودِها في الآيةِ الثّالثةِ :

المُتَردِّيةُ ، ما ذُبِحَ على النُّصُبِ ، الدَّمُ ، الموقوذَةُ ، لحمُ الخِنزيرِ ، المَيْتَةُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ دَمَيْنِ ومَيْتَتَيْنِ أحَلَّهما اللهُ لِلْمُسْلِمينَ .

٢ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ اسْمَ حَيَوانٍ ، واسْمَ طائرٍ يُسْتَخْدَمانِ للصَّيْدِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

سورةُ المائدَةِ - القِسْمُ الثّالِثُ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

معاني المفردات :

إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلاةِ : إذا أردْتُمْ أداءَ الصّلاةِ .

المَرافِقِ : جَمْعُ مِرْفَقٍ ، وهو العَظْمُ الرّابطُ بين الذِّراعِ والعَضُدِ .

الكَعبينِ : العَظمينِ الناتِئَيْنِ بينَ أعلى القَدَمِ والسّاقِ .

لامَسْتُمُ النِّساءَ : كِنايةٌ عن الجِماعِ .

صَعيداً : هو التُّرابُ على وَجْهِ الأرضِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تعالى بعضَ نِعَمِهِ على عبادِهِ فيما يتعلَّقُ بالطَّعامِ والزَّواجِ ، أَتْبَعَ ذلكَ ببيانِ فَضْلِهِ عَليهِم فيما يتعلَّقُ بعبادتِهِمُ الّتي مِنْ أهمِّها : الوُضوءُ والغُسْلُ والصَّلاةُ ، وأمرَهُمْ بالمحافظةِ على ما شَرَعَهُ لهُم مِنْ شرائعَ وأحكامٍ ، فقال سُبْحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ ﴾

هذا شروعٌ في بيانِ أحكام الاستعدادِ والتَّهيُّؤ للصَّلاةِ ، والمُرادُ : يا أيُّها الَّذينَ آمنوا إذا أردْتُمُ الدُّخولَ في الصَّلاةِ ، فعليكُمْ أنْ تَتَوَضّأوا قبلَ دُخولِكُمْ فيها ، بأنْ تغسِلوا وُجوهَكُمْ ، وتغسِلوا أيدِيَكُمْ إلى المرافقِ ، وتَمْسحوا برُؤوسِكُمْ ، وتغسِلوا أَرْجُلَكُمْ إلى الكَعبَيْنِ ، إذا كنتُمْ مُحْدِثينَ حَدَثاً أصْغَرَ وأردْتُمُ الصَّلاةَ ، أمّا إذا كنتُم مُحْدِثينَ حَدَثاً أكْبَرَ بأنْ كنتُم جُنُباً وأردْتُمُ الدُّخولَ إلى الصَّلاةِ ، فعليْكُمْ في هذهِ الحالةِ أنْ تَغْسِلوا جميعَ بدنِكُم بالماءِ ، وتتأكَّدوا مِنْ وُصولِ الماءِ إلى جميعِ أَجْزاءِ الجسدِ .

والطَّهارةُ في الإسلامِ لها مَعْنيانِ : أَحَدُهما : طَهارَةُ القَلْبِ بالإيمانِ وإخْلاصِ الدّينِ للهِ ، وعَقْدِ العزم على الوقوفِ أمامَه سُبْحانَهُ طاهرَ النَّفسِ ، وثانيهما : النَّظافةُ الحِسِّيَّةُ بالوُضوءِ ، ومِنْ ذلكَ غَسْلُ الأعضاءِ الظّاهرةِ المُعَرَّضةِ للأوساخِ . والوُضوءُ يتكرَّرُ وقدْ يصلُ تَكرارُهُ إلى خَمْسِ مرّاتٍ في اليومِ إذا وُجِدَ مِنَ المسلمِ ما يوجِبُهُ .

وقَدْ تكونُ الطَّهارَةُ الحِسِّيَّةُ بالاغْتِسالِ مِنَ الجَنابةِ والحَيْضِ والنُّفاسِ . وفي الوضوءِ والغُسْلِ وِقايةٌ مِنَ الأَمْراضِ ، وتَنْشيطٌ لأَعْضاءِ الإنْسانِ ، وتخفيفُ حِدَّةِ توتُّرِ الأعصابِ ، فقدْ جاءَ عنِ النَّبي ﷺ : « إذا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فلْيَتَوَضّأْ »[1] .

والتَّيمُّمُ فيهِ المعنى الأوّلُ وهوَ التّوجُّهُ القَلبيُّ إلى اللهِ تَعالى بالاستعدادِ لذلكَ ، وعَقْدِ العَزْمِ على الوُقوفِ أمامَه طاهرَ النّفسِ مُخلِصاً وخالِصاً لهُ سُبْحانَهُ .

ثمَّ شَرَعَ اللهُ تَعالى في بيانِ الأعذارِ الّتي تُبيحُ التَّيمُّمَ مِنْ أجلِ الطَّهارةِ عندَ العَجْزِ عنِ استعمالِ الماءِ ، فقالَ سُبْحانَهُ : ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ ﴾ .

---

(١) رواه أحمد في مسنده٤/ ٢٢٦ حديث رقم(١٨٠١٤) .

وإنْ كنتُم أيُّها المُؤْمِنونَ في حالةِ مَرَضٍ ، يحولُ بَينكُمْ وبينَ استعمالِ الماءِ أوْ كنتُمْ مُسافِرينَ ولا ماءَ عِنْدَكُمْ ، وأَحْدَثْتُمْ حَدَثاً أصْغَرَ أوْ أكْبرَ ، فعليكُمْ في هذهِ الأحوالِ أنْ تقصُدوا إلى التُّرابِ الطّاهرِ فتستعملوهُ بَدلاً مِنَ الماءِ ، وهَذا هُوَ التَّيَمُّمُ الَّذي يَضْرِبُ فيهِ صاحِبُهُ بِكَفَّيْهِ التُّرابَ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِما وجْهَهُ ويَدَيْهِ ، وهُوَ بِذلكَ يَرْفَعُ الحَرَجَ عَنْ عِبادِهِ الّذينَ لا يَقْدِرونَ عَلى اسْتِعمالِ الماءِ ، وهُوَ في الدّينِ مِنَ المُطَهِّراتِ . وهَذا الحُكْمُ مِنَ الأحْكامِ الّتي تَمَّ بها الدِّينُ . فإنَّ اللهَ تَعالى لم يجعلْ عليْكُمْ في الدّينِ مِنْ حَرَجٍ ، فامْسَحوا بوجوهِكُمْ وأيديكُمْ منهُ . وقريبٌ مِنْ معنى هذه الآية قولُه تَعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وقولُهُ تَعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] .

وقولُهُ تَعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النّساء : ٢٨] .

وبعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعضَ ما تَفَضَّلَ على عبادِهِ ، وَرحْمتهِ بِهِمْ ، أَتْبعَ ذلكَ بِأَمْرِهِمْ بمُداومَةِ ذِكْرِ نِعَمهِ وميثاقِهِ الَّذي واثَقَهُمْ بهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ .

اذْكُروا أيُّها المُؤْمِنونَ نِعْمَةَ اللهَ تَعالى عليكُمْ بهدايَتِكُمْ إلى الإسلام ، وحافِظوا على تَنفيذِ عهدِهِ الّذي عاهدَكُمْ عليهِ حينَ بايعتُمْ رسولَهُ ﷺ على السَّمْعِ والطّاعةِ لهُ في المَنْشَطِ والمَكْرَهِ ، والعُسْرِ واليُسْرِ وقلْتُم : سَمِعْنا ما قلتَ لنا وأخذْتَ علينا مِنَ المواثيقِ ، وأطعْناكَ فيما أَمَرْتَنا بهِ ونهيتَنا عنْهُ ، فأوفوا أيُّها المُؤْمِنونَ ، بميثاقِهِ الّذي واثقكُم بهِ ونعمتِهِ الّتي أنعمَ بها عليكُمْ بما ضَمِنَ لكُمُ الوفاءَ بِهِ من إتمامِ نِعْمَتهِ عليكُمْ ، وبإدْخالِكُمْ جنَّتَهُ ، وبإنعامِكُمْ بالخلودِ في دارِ كرامتِهِ ، وإنقاذِكُمْ مِنْ عقابِهِ .

ثمَّ ختَم اللهُ تَعالى هذهِ الآيَةَ الكريمةَ بالأمرِ بخشيَتِهِ سُبْحانَهُ والخَوْفِ منهُ ، فقالَ : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ .

اشكُروا اللهَ تَعالى أيُّها المُؤْمِنونَ على نِعْمَتِهِ وكونوا أَوْفياءَ بِعُهودِكُمْ ، واتّقوا اللهَ وراقبوهُ في كلِّ ما تأتونَ وما تذَرونَ مِنْ أعمالٍ ، وصونوا أنْفُسَكُمْ عَنْ كلِّ ما يَكرَهُهُ لكُم ، فإنَّه سُبْحانَهُ عليمٌ عِلْماً تامّاً بالأُمورِ الكامنةِ في الصُّدورِ ، وبكلِّ ما يُظهِرُهُ الإنْسانُ ويُبْطِنُهُ ، وسَيُحاسِبُكُمْ يومَ القيامةِ على أعمالِكُمْ ، فيُجازي المُحْسِنَ بإحْسانِهِ والمُسيءَ بإساءَتِهِ .

دروس وعبر :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الوقوفُ بينَ يدي اللهِ تَعالى في الصَّلاةْ لهُ مُسْتَلْزَماتٌ لابدَّ مِنْ إتمامِها .

٢ـ يَجبُ الاغْتِسالُ مِنَ الجَنابَةِ والحَيْضِ والنُّفاسِ ، فَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلى اسْتِعْمالِ الماءِ ، أوْ لَمْ يَجِدْهُ ، فَيَجبُ عَليْهِ التَّيَمُّمُ .

٣ـ التَّيَمُّمُ بالتُّرابِ مَقْصودٌ بهِ تعميقُ معنى الطَّهارةِ في نَفْسِ الإنسانِ ، بحيثُ تبقى مُلازمةً لهُ .

٤ـ مُراعاةُ أحْوالِ الإنسانِ المخْتَلِفَةِ في تَشريعاتِ الدّينِ دليلٌ على يُسْرِ الشَّريعةِ وإيجابياتِها .

٥ـ ضَرورةُ شُكْرِ اللهِ تَعالى على ما تكرَّمَ بهِ علَيْنا مِنَ الشَّرائعِ المُيَسَّرةِ السَّهْلةِ ، وبالشُّكْرِ تَدومُ النِّعمُ .

٦ـ ضَرورةُ الوفاءِ للهِ تَعالى بما الْتَزَمَهُ العبادُ مَعَهُ مِنَ عُهودٍ ومواثيقَ .

التَّقويم :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

إذا قُمتُمْ إلى الصَّلاةِ ، المرافقِ ، الكَعبيْنِ ، لامَسْتُمُ النِّساءَ .

٢ـ يَظهرُ مِنْ هاتينِ الآيتينِ يُسْرُ الشَّريعةِ الإسلاميةِ ومُرونتُها ، وضِّحْ ذلكَ .

٣ـ الطَّهارةُ لها معنيانِ ، اذكُرْهُما .

٤ـ ما سِرُّ تَشريعِ التَّيمُّمِ ؟

٥ـ اذْكُرْ ثلاثةَ أُمورٍ ممّا تُرشدُ إليهِ الآياتُ الكريمةُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْترِكَ الفَرْقَ بَيْنَ الحَدَثِ الأصْغَرِ والحَدَثِ الأكْبَرِ .

٢ـ اكتبْ حَديثاً شَريفاً يُبَيِّنُ فيهِ الرَّسول ﷺ كَيفيّةَ التَيمُّمِ .

٣ـ اكتبْ على لوحةٍ كرتونيَّةٍ كيفيَّةَ التَّيمُّمِ ، وموجباتِهِ ، وعلِّقِ اللّوْحةَ في غرفةِ الصَّفِّ .

الدَّرسُ الرَّابِعُ

سورةُ المائدَةِ - القِسْمُ الرّابعُ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

قوّامينَ : جَمْعُ قائمٍ ، والمُرادُ بهِ مَنْ يَأْتي بالشَّيءِ على أتمِّ وَجْهٍ وأحْسَنِهِ .

القِسْطِ : العَدْلِ .

لا يَجْرِمَنَّكُمْ : لا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُ قومٍ وكَراهتُكمْ إيّاهُمْ .

يَبْسُطوا إليكُمْ أيديَهُمْ : كنايةٌ عنِ البَطْشِ ، ومعناها : يَبْطِشوا بِكُمْ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ أمَرَ اللهُ تَعالى عِبادَهُ المُؤْمِنينَ بالوَفاءِ بالعُهودِ والمواثيقِ ، أَتبعَ ذلكَ بِأَمْرِهِمْ بالتزامِ الحقِّ في كلِّ أقوالِهِمْ وأعمالِهِمْ ، وذكَّرهُمْ بما أفاءَ عليهِمْ مِنْ نِعَمٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

يا أيُّها الّذين آمنوا إيماناً صادِقاً ، لِيَكُنْ مِنْ أخلاقِكُمْ وصِفاتِكُمْ أنْ تَقوموا للهِ تَعالى وحدَهُ بالحقِّ

في كلِّ ما يَلزمُكُمُ القيامُ بهِ مِنَ العملِ بطاعتِهِ واجْتِنابِ نواهيهِ ، وليكنْ مِنْ دأبِكُم وشأنِكُمْ أيضاً أنْ تَلْتَزموا العَدْلَ في شَهادَتِكُمْ ، وَلا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُكُمُ الشَّديدُ لقومٍ على عَدَمِ العَدْلِ معَهُمْ ، فإنَّ عَدَمَ العَدْلِ في الأقوالِ والأفعالِ والأحكامِ يَتنافى معَ تعاليمِ دينِ الإسلامِ الّذي آمنتُمْ بِهِ ورَضيَهُ اللهُ تَعالى لكُمْ .

ثمَّ أمرَهُمُ اللهُ تَعالى بالعَدْلِ في كلِّ أحوالِهِمْ ، فإنّ العَدْلَ معَ الأعداءِ ومعَ غيرِهِمْ أقربُ إلى اتِّقاءِ المعاصي ، وأدْعى إلى صيانَةِ النَّفسِ عنِ المَهالِكِ والوُقوعِ فيها ، قال سُبْحانَهُ : ﴿ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ . والعدلُ دليلُ التَّقوى وأساسُها ، لأنَّ المُؤْمِنَ في حالِ حربِهِ وتَعامُلِهِ مَعَ العدوِّ قدْ يَرى أنَّ مِنَ التَّقوى أنْ يَسْتَبيحَ مالَهُ ، وأنْ يأخذَ منْهُ ما يُمْكِنُ أخْذُهُ ، فبيَّنَ لهمُ القرآنُ الكريمُ أنَّ الأقربَ إلى التَّقوى أنْ يُحْسِنَ المسلمُ مُعاملةَ عَدوِّهِ ، وَألاّ يعتدِيَ على حقٍّ مِنْ حُقوقِهِ .

ثم خَتَمَ اللهُ تَعالى الآيَةَ بالحَضِّ على تَقواهُ قائِلاً للمُؤْمِنينَ (واتَّقوا اللهَ) ، أي : اتّقوا اللهَ تَعالى أيُّها المُؤْمِنونَ في كلِّ ما تأتونَ بهِ وما تذرونَ مِنْ أعمالٍ وأقوالٍ ، وصونوا أنْفُسَكُمْ عمّا لا يُرضي اللهَ تَعالى ، وافْعَلوا ما أمرَكُمُ اللهُ بِهِ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ لا تَخفى عليهِ خافيةٌ مِنْ أعمالِكم ، وسيُجازيكُم يومَ القيامةِ بما تَستحقّونَ على حَسَبِ أعمالِكُمْ .

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

تفضَّلَ اللهُ تَعالى فَوَعَدَ الّذينَ آمنوا بهِ وصدَّقوا بدينِهِ ، وعَمِلوا الأعْمالَ الصّالحةَ أنْ يعفوَ عنْ ذنوبِهِمْ ، فَيَغفِرَ لهُم ، ويُجْزِلَ لهُمُ الثَّوابَ ، ويُعْطِيَهُمْ على أعمالِهِمُ الأَجْرَ العظيمَ .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾

أعلمَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ بما توعَّدَ بهِ الكافِرينَ الّذينَ جَحدوا دينَهُ ، وكذَّبوا بآياتِه الدّالَّةِ على وَحدانيّتِهِ ، وصِدْقِ رِسالتِه ، فأُولئكَ همْ أهلُ جهنَّمَ المُخلَّدونَ فيها بسببِ إيثارِهِمُ الكُفْرَ على الإيمانِ ، والتَّكذيبَ على التَّصديقِ .

ثمَّ ذَكَر اللهُ تَعالى عبادَه المؤمنينَ بنعمةٍ أُخْرى مِنْ نِعَمِهِ الجزيلةِ ، حتّى يَزْدادوا شُكْراً لهُ ووفاءً بعهدِهِ والتزاماً بطاعتِه ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

يا أيُّها الّذينَ آمنوا تنبَّهوا إلى نِعَمِ اللهِ تَعالى عليكُمْ ، وقابِلوها بدوامِ الشُّكْرِ والطّاعةِ للهِ سُبْحانَهُ . وتتمثَّلُ هذهِ النِّعمُ في أنَّ مِنْ أعدائِكُمْ مَنْ أرادوا أنْ يَبْطِشوا بِكُمْ بالقَتْلِ والإهْلاكِ ، ولكنَّه سُبْحانَهُ

رحمةً بِكُمْ ودفاعاً عنكُمْ ، حالَ بينَكمْ وبينَ ما يُريدونَهُ مِنْ سوءٍ ، فالزَموا أيَّها المُؤمِنونَ تَقوى اللهِ تَعالى واعتمِدوا عليهِ وَحْدَهُ في أُمورِكُمْ فهوَ كافيكُمْ ، وشأْنُ المُؤْمِنِ أنْ يكونَ اعْتِمادُهُ على اللهِ تَعالى وحْدَهُ دائماً .

والآيةُ الكريمةُ لَيْسَتْ حديثاً عنْ أمْرٍ خاصٍّ فَعَلَهُ المُشرِكونَ ، وإنَّما هي تذكيرٌ بنعمةِ اللهِ تَعالى إذْ حمى المُؤْمِنينَ منْ مكائدِ أعدائِهِمُ الكَثيرةِ الّتي كانتْ غايتُها إهلاكَ المُؤْمِنينَ ونبيِّهِمْ ﷺ ، وقدْ تعدَّدتْ صورُ هذهِ الغايةِ ، ولكنَّ اللهَ تَعالى أبطَلَها كُلَّها ، ولمْ يُحقِّقْ لهُمْ منها شيئاً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ ضَرورةُ المُداومَةِ على الطّاعاتِ في جميعِ الأوقاتِ والأحوالِ .

٢ـ ضَرورةُ أداءِ الشَّهادةِ على وَجْهِها مِنْ دونِ محاباةٍ أو ظُلْمٍ .

٣ـ وجوبُ العَدْلِ في مُعاملةِ الأعداءِ والأصْدِقاءِ .

٤ـ ضَرورةُ مُراقبةِ اللهِ تَعالى وخَشيتِهِ في السرِّ والعَلَنِ .

٥ـ نِعَمُ اللهِ تَعالى كثيرةٌ ومُتعدِّدةٌ ، والواجبُ على الإنسانِ إدامةُ شُكْرِ النِّعمِ .

٦ـ مكائدُ الأعداءِ كثيرةٌ ومتنوِّعةٌ والحَذَرُ منها ضَروريٌّ .

٧ـ تَقوى اللهِ تَعالى رأسُ كلِّ خَيْرٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

قوّامينَ ، القِسْطِ ، لا يجرِمنَّكُم شَنآنُ قومٍ على أنْ لا تعدِلوا ، يَبْسُطوا إليكُم أيديَهُمْ .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ مِنَ الآياتِ الكريمةِ على كلٍّ مِمّا يَلي :

أ ـ ضَرورةُ أداءِ الشَّهادةِ على وَجْهِها .

ب ـ العَدْلُ معَ العدوِّ والصَّديقِ .

ج ـ مكائدُ الأعداءِ مُتعدِّدةٌ .

٣ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ مَصيرَ كُلٍّ مِنَ المؤمنينَ والكافِرينَ ، اذْكُرْ ما يدلُّ على ذلكَ .

٤ـ الشّهادةُ بالقِسْطِ وتحرّي العَدْلَ هي الدَّعامةُ الأولى لسعادةِ الأُمَمِ وبناءِ المُجْتَمعاتِ . وَضِّحْ ذلكَ .

نَشاطٌ :

ـ اكتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ النِّساءِ الّتي تأْمُرُ بأداءِ الأمانةِ ، والعَدْلِ في الحُكْمِ .

* * *

الدرس الخامس

سورةُ المائدَةِ - القِسْمُ الخامسُ

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (١٢) فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣) ﴾

معاني المفرداتِ :

ميثاقَ	: عهْداً مَوْثوقاً ومُؤَكَّداً .
نَقيباً	: النُقَباءُ : العُرفاءُ الّذينَ يَتولَّوْنَ أَمْرَ قَبائِلِهِمْ ومَنْ كانَ تَحْتَ يَدِهِمْ
إِنِّي مَعَكُمْ	: حافِظُكُمْ وناصِرُكُمْ وراعيكُمْ .
عزَّرتُموهُمْ	: نصرتُموهُمْ وأعنتُموهُمْ .
قاسيةً	: صُلْبةً مُتحجِّرةً لا تَسْتقبلُ الحقَّ .
يُحرِّفونَ الكَلِمَ عنْ مواضعِهِ	: يُبْعِدونَ كلامَ الله تَعالى عمّا جاءَ لأجلِهِ ، ويَضعونَهُ في غيرِ مَوْضِعِهِ .
حظّاً	: نصيباً .
خائنةٍ	: مصدرٌ على وزنِ الفاعلِ ، يُقصَدُ بهِ الخيانةُ وعدمُ الوفاءِ .

بعدَ النِّداءاتِ الخمسةِ الّتي وُجِّهَتْ إلى المُؤْمِنينَ في هذهِ السّورةِ الكريمةِ ، شَرَعَتِ السّورةُ في الحديثِ عَنْ أحوالِ أهْلِ الكتابِ مِنَ اليهودِ ، فذكرَتْ ما أخذَهُ اللهُ تَعالى عليهم منْ عُهودٍ ومواثيقَ ، ومَوْقِفَهُمْ مِنْ هذهِ العهودِ ، وعُقوبَتَهُمْ على نَقْضِهِمْ لَها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝ ﴾ .

ولقد أخذَ اللهُ تَعالى العُهودَ المُوَثَّقةَ المؤكَّدَةَ على بني إسْرائيلَ لكَيْ يَعملوا بما كلَّفَهمْ بهِ مِنَ التّكاليفِ ، وأمَرَ نبيَّهُ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ أن يختارَ منهُمُ اثني عَشَرَ نَقيباً ، مِنْ كلِّ سِبْطٍ مِنْ أَسْباطِهِمْ يَتوَّلى أَمْرَهُمْ ويُمثِّلُهُمْ وَيَنوبُ عنهُمْ . والظّاهرُ أنّ عَمَلَ النُّقباءِ كانَ لأمْرَيْنِ :

الأوّلُ : أرسلَهُمْ موسى ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ إلى الأرضِ المُقَدّسةِ لِكَيْ يَطَّلِعوا على أحوالِ ساكِنيها ، ثمَّ يُخبِروا موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، بعدَ ذلكَ بما شاهدوهُ مِنْ أحوالِهِمْ .

الثّاني : أنَّ نبيَّ اللهِ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ أقامَهُمْ لِتنفيذِ العَهْدِ المُؤَكَّدِ معَ اللهِ تَعالى .

ثمّ إنَّ اللهَ سُبْحانَهُ وتَعالى وعدَهُمْ وَعْداً مُؤَكَّداً بأنْ يكونَ مَعَهُمْ بالعَوْنِ والنَّصرِ إنْ أَدّوا الصَّلاةَ على وَجْهِها ، وآتوا الزّكاةَ المَفروضةَ عَليهِمْ ، وصَدَّقوا بِرُسلِهِ جميعاً ونَصروهُمْ ، وأنفَقوا في سبيلِ الخَيْرِ ، فإنْ فَعلوا ذلكَ تجاوزَ اللهُ تَعالى عنْ ذُنوبِهِمْ وأدخلَهُمْ جَنّاتِهِ الّتي تَجْري مِنْ تحتِها الأنهارُ ، ومَنْ كفرَ ونقضَ العَهْدَ منهُم بعدَ ذلكَ ، فقدْ حادَ عنِ الطَّريقِ السَّويِّ المُستقيمِ ، وسارَ في متاهاتِ الضَّلالِ الّتي لا هدايةَ فيها ولا خيرَ معَها .

وهكذا بيَّنتْ هذهِ الآيةُ الكريمةُ أنَّ اللهَ تَعالى قدْ أخذَ الميثاقَ على بني إسْرائيلَ بأنْ يَقوموا بالتّكاليفِ الّتي كلَّفَهُمْ بها ، وحذَّرَهُمْ مِنَ النَّقضِ والخيانَةِ والكُفْرِ ، وَرَغَّبَهُمْ في الطَّاعةِ والإيمانِ ، ولكنْ كانَ موقفُ هؤلاءِ سلبيّاً ، إذْ غيَّروا وبدَّلوا وحرَّفوا وانْحَرفوا عَنِ الجادَّةِ .

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

اشتملتْ هذهِ الآيةُ الكريمةُ على بيانِ فسادِ اليهودِ وقَبائِحِهِمْ ، وبيانِ الجزاءِ الّذي جعلَهُ اللهُ تَعالى عَليهِمْ ، فقدْ أخبرَ اللهُ تَعالى عنهُمْ بما يلي :

أولاً : نَقَضوا ميثاقَهُمْ مَعَ اللهِ تَعالى ، وهذا هوَ ديدنُ كَثيرٍ مِنْ بني إسرائيلَ معَ اللهِ تَعالى ومَعَ أنبيائِه ومعَ أوليائِه ، وتَأكّدَ هَذا بَعْدَ نَسْخِ شَريعَتِهِمْ بالقُرآنِ ورَفْضِهِمُ اتِّباعَ الرَّسولِ ﷺ .

ثانياً : تحريفُهُمْ لكلامِ اللهِ تَعالى ، فقد بلغتْ بِهمُ الجُرأةُ لِقَسْوةِ قُلوبِهِمْ وعدم تأثُّرِها بوعيدِ اللهِ تَعالى أنَّهم يُحرِّفونَ كلامَ اللهِ سُبْحانَهُ ويُبعِدونَه عنِ الهَدَفِ الّذي نزلَ فيهِ ولأجْلِهِ ، عنْ طريقِ التّأويلِ الفاسِدِ أو التَّفسيرِ الباطِلِ أو التَّبديلِ للألفاظِ بالزِّيادةِ أو النُّقصانِ ، على حَسَبِ ما تُمليهِ عليْهِمْ أهواؤُهُمْ وشَهَواتُهُمُ المَمْقوتَةُ . فكانَ جَزاؤُهمُ الحِرْمانَ والطّرْدَ مِنْ رحمةِ اللهِ .

ثالثاً : نِسيانُهُمْ كثيراً منْ أوامرِ شَريعَتِهِمْ . أيْ أنَّهم تَركوا جانباً ممّا أمَرَتْهُمْ بهِ شريعتُهُمْ ، ومِنْ ذَلِكَ ما أوْجَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الإيمانِ بمحمّدٍ ﷺ عندَ ظُهورِه وبعثتِه .

رابعاً : خيانَتُهُم المُستمِرَّةُ ، وهذا ما توارثَهُ اليهودُ الّذينَ كانوا في عَهْدِ النّبي ﷺ منْ آبائِهم ، فقدْ رأى النَّبيُّ ﷺ في مُعاصِريهِ منهُم صورةَ السّابقينَ منهُم في الغَدْرِ والخِيانَةِ .

وبسببِ هذه المعاصي والآثامِ عاقبَهم اللهُ تَعالى بعقوبَتَيْنِ هُما :

أولاً : طرَدَهُمُ اللهُ تَعالى منْ رحمتِهِ ومنْ فضلِهِ ، فهُم المَلعونونَ على لسانِ الأنبياءِ عليهِمُ السَّلامُ .

ثانياً : جعلَ اللهُ تَعالى قلوبَهُمْ قاسيةً لا تَلينُ للحقِّ ، ولا ترغبُ فيهِ .

غيرَ أنَّ اللهَ تَعالى وإنْ ذكَّرَ اليهودَ بهذِهِ المفاسِدِ ، إلاّ أنّه كانَ عادلاً معَهُمْ ، إذْ بيّنَ لرسولِه ﷺ أنَّ قليلاً مِنَ اليهودِ لمْ يكونوا على مِنهاجِ أسلافِهِمْ في الغَدْرِ والخِيانةِ والفسادِ ، وهؤلاءِ هُمُ الّذينَ دَخَلوا في الإسلامِ ، واتَّبعوا النَّبيَّ ﷺ .

وقد أُمِرَ النَّبيُّ ﷺ ، بالعَفْوِ عنِ اليهودِ والصَّفْحِ عنهُمْ ، ومُسالَمتِهِمْ ومُساكَنَتِهِمْ ، ومجادَلَتِهِمْ بالّتي هِيَ أحسنُ ما داموا لمْ يَغْدُروا ، ولمْ يَنقُضوا عهودَهمْ .

هذا هو الشَّأْنُ في معاملةِ المُسْلمينَ ، غيرَ أنَّ اليهودَ إذا نَقَضوا عُهودَهُمْ ، وخانوا اللهَ تَعالى ورسولَهُ ﷺ والمؤمنينَ ، وأصبحَ العَفْوُ عنهُم فيهِ مضرَّةٌ بالمُسْلِمينَ ، ففي هذهِ الحالةِ يجبُ مُعاملَتُهُمْ بالطَّريقةِ الّتي تقي المُسْلِمينَ شُرورَهُم .

إنّ اللهَ تَعالى يقولُ لنبيّهِ ﷺ : اعفُ عَنْ هؤلاءِ اليهودِ الّذينَ ورثوا الخيانَةَ عنْ آبائِهِمْ ، واصْفَحْ عن زَلاّتِهِمُ الّتي لا تُؤَثِّرُ في سَيْرِ الدّعوةِ الإسلاميةِ إلى الوقتِ المناسبِ لِمحاسَبَتِهِمْ ، فإنَّ اللهَ تَعالى يُحبُّ المُحسِنينَ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ على مَنْ عاهَدَ اللهَ تَعالى أنْ يوفِيَ بعهدِهِ وَلا يَنْقُضَهُ ، لأنَّ في ذلكَ النَّقضِ خيانةً للهِ ولرسولِهِ ﷺ .

٢ـ بنو إسرائيلَ لم يُراعوا حقَّ اللهِ تَعالى فيما افترَضَهُ عليهِمْ ، فلا يَليقُ بالمسلمينَ أنْ يَفْعلوا ما فَعلوهُ .

٣ـ اليهودُ مَلعونونَ على لسانِ الأنبياءِ ـ عَليهْمُ السَّلامُ ـ لأنّهمُ اتَّصفوا بالغَدْرِ والخِيانةِ .

٤ـ قسوةُ القلوبِ دليلٌ على سيطرةِ المعصيةِ على النُّفوسِ ، وهيَ تمنعُ صاحبَها مِنَ استقبالِ الحقِّ وتمثُّلِهِ .

٥ـ تحريفُ كلامِ اللهِ تَعالى وتفسيرُهُ تَفْسيراً باطِلاً ، جريمةٌ تَستحقُّ عُقوبةَ اللهِ تَعالى .

٦ـ اليهودُ همُ اليهودُ لمْ يتغيَّروا ، وعلى المسلمينَ أنْ يحذَروهُمْ ؛ لِئلاّ يَقعوا في مكائِدِهِمْ وشُرورِهِمْ .

التّقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

ميثاقَ ، نَقيباً ، إنِّي معكُمْ ، عزَّرتُموهُمْ ، قاسيةً ، يُحرِّفونَ الكَلِمَ عنْ مواضعِهِ ، حظّاً ، خائنةٍ .

٢ـ بيَّنتِ الآياتُ الكريمةُ شروطَ معيّةِ اللهِ تَعالى الّتي أعطاها لبني إسرائيلَ ، وضِّحْ ذلكَ .

٣ـ بيِّنِ الجزاءَ الّذي أعدَّه اللهُ تَعالى لِمَنْ يُحقِّقُ شرائطَ مَعيّتِهِ سُبْحانَهُ .

٤ـ بيَّنتِ الآياتُ الكريمةُ أَرْبَعَ جرائمَ منْ جرائمِ اليهودِ ، اذْكُرْ هذهِ الجرائمَ .

٥ـ ماذا رتَّبَ اللهُ تَعالى على تلكَ الجرائمِ الأربعِ ؟
٦ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ توجيهاتٍ للنّبي ﷺ ، اذْكُرْ هذهِ التوجيهاتِ ، وما دليلُها ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سورةِ البقرةِ الّتي بمعنى الآيةِ (١٣) من هذهِ السّورَةِ .
٢ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ أسماءَ بعضِ مَنْ آمنَ مِنَ اليهودِ ، واتَّبَعوا رسولَ اللهِ ﷺ .

* * *

الدرس السادس

سورةُ المائدَةِ ـ القِسمُ السّادِسُ

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الّذينَ قالوا إنّا نصارَى	: الّذينَ ادَّعوا نُصْرَةَ اللهِ تَعالى بقولِهم : نحنُ أنصارُ اللهِ .
أغرَيْنا بَيْنَهُمُ العداوةَ	: ألْقَينا وألْصَقْنا بهِمُ العداوةَ والبَغْضاءَ ، كما يُلْصَقُ الشَّيئانِ بالغِراءِ وجعلْناها دائمةً بينَهُم .
نورٌ	: هو محمدٌ ﷺ ، الّذي أنارَ اللهُ تَعالى بهِ الأبصارَ والبصائِرَ .
سُبلَ السَّلامِ	: طُرُقَ السَّلامةِ والنَّجاةِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى جانباً مِنْ قبائحِ اليهودِ ، ونقضِهِمْ مواثيقَهُمْ ، أعْقَبَ ذلكَ ببيانِ حالِ النَّصارى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾

وكما أَخَذْنا على بني إِسرائيلَ الميثاقَ بأنْ يَعْبُدوا اللهَ وحدَهُ ويُطيعوا أنبياءَهُ ، ويَسْتَجيبوا لِرَسولِ اللهِ ﷺ ، الّذي بشَّرتْ بهِ الكُتبُ السَّماويَّةُ ، فقدْ أَخَذْنا أيضاً مِنَ الّذينَ قالوا إنّا نصارى الميثاقَ بذلكَ ، ولكنَّهُمْ كانَ شأنُهمْ في الكُفرِ ونَقْضِ العُهودِ كشأنِ اليهودِ ؛ إذْ تركَ هؤلاءِ الّذينَ قالوا : إنّا نصارى ، قَدْراً كبيراً ونَصيباً عظيماً ممّا ذُكِّروا بهِ على لسانِ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ فقدْ أمرَهُمْ بتوحيدِ اللهِ تَعالى ، وَبَشَّرَهُمْ بظهورِ رسولٍ مِنْ بعدِهِ هو سيدُنا محمدٌ ﷺ ، ودعاهُمْ إلى الإيمانِ ، ولكنَّهُمُ استحبّوا الكُفْرَ على الإيمانِ ، فكانتْ عادتُهُمْ مثلَ عادةِ بني إسرائيلَ في العِنادِ والضَّلالِ .

ولقد حاسبَهُمُ اللهُ تَعالى في الدُّنيا جزاءَ ما صَنَعوا ، بأنْ جعلَ العداءَ مُسْتَحْكِماً بينَ أُممِ النَّصرانيَّةِ اسْتِحْكاماً شديداً ، بحيث صارَ العداءُ فيهِمْ وبينَ طوائِفِهم ظاهرةً مميَّزةً ، بسَبَبِ ما خالَفوا أمْرَ اللهِ تَعالى ، ونَسُوا ما جاءَهُمْ بهِ أنبياؤهُمْ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ .

ووقعَ في الآيةِ الكريمةِ التعبيرُ بقولِهِ تَعالى : ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا نصارى﴾ ولَمْ يقلْ (ومِنَ النَّصارَى) إشارةً إلى أنَّ قولَهم : (إنّا نصارَى) هوَ مجرَّدُ قولٍ يقولونَهُ بأفواهِهِمْ دونَ أنْ يُتبِعوهُ بقلوبِهِمْ وأعمالِهِمْ ، ولَوْ صَدّقَتْ قلوبُهُمْ ما قالَتْهُ ألسنتُهِمْ ، لكانَ الحالُ غيرَ الحالِ ، ولذلكَ جاءَ التعبيرُ في الآيةِ الكريمةِ في غايةِ البلاغةِ . ﴿ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ .

لقدْ أَلْقَيْنا العداوةَ بينَ هذهِ الطّوائفِ الضّالّةِ ، وسوفَ يُخْبِرُهُمُ اللهُ تَعالى في الآخِرَةِ بما كانوا يصنعونَهُ في الدُّنيا مِنْ كِتمانِ الحقِّ ، ومُخالفتِهِمْ للرُّسلِ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ وانغماسِهِمْ في الباطِلِ ، وسَيُجازيهِمْ في الآخِرةِ على ضَلالاتِهِمْ وانحرافاتِهِمْ بما يَستحقّونَ مِنْ عذابٍ شديدٍ .

وبعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعضَ الرَّذائلِ الّتي انْغَمَسَ فيها النَّصارَى تَبَعاً لليهودِ ، وجَّه اللهُ تَعالى إلى أهلِ الكتابِ نداءً ، دعاهُم فيهِ إلى الدُّخولِ في الدِّينِ الحقِّ الّذي جاءَهُم مِنَ اللهِ تَعالى على يدِ سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾

يا أهلَ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنَّصارَى ، قدْ جاءَكُمْ رسولُنا محمدٌ ﷺ يُظهِرُ لكُم كثيراً مِنَ الأحكامِ

والمسائلِ الّتي ذكرَتْها كُتُبكُمْ وكَتمتُموها عنِ النّاسِ ، كإخفائِكُمْ صِفَةَ النّبيِّ ﷺ الّتي تجدونَها في التَّوراةِ والإنجيلِ ، وكِتمانِكُمْ ما جاءَ فيهما منْ بِشاراتٍ تُبشِّرُ بهذا النَّبيِّ ﷺ ، وغيرِ ذلكَ مِنَ الأحكامِ الّتي أخفاها عُلماؤُكُمْ عنِ العامَّةِ ، وتولّى الرَّسولُ ﷺ إعلانَها ، إظهاراً للحقِّ ، ووَضْعاً للأُمورِ في نِصابِها .

ومعَ إظهارِ النَّبيِّ ﷺ ، لكثيرٍ ممّا كَتموهُ وأَخْفَوْهُ ، إلاّ أنَّه ﷺ يُعْرِضُ عَنْ كثيرٍ آخرَ ممّا كانوا يُخفونَهُ فلا يُظهِرهُ ، لأنَّهُ لا ضَرورةَ تدعو إلى بيانِهِ ، ولا فائدةَ تعودُ على النّاسِ مِنْ إظهارِهِ ، ففي السُّكوتِ عنهُ رحمةٌ بِكُمْ ، وصيانةٌ لكُمْ عنِ المُؤاخذةِ والافْتِضاحِ .

هذا الرَّسولُ الكريمُ هوَ نورٌ أنارَ اللهُ تَعالى بهِ الكونَ ، وأظهرَ بهِ الإسلامَ ، ومَحَقَ بهِ الشِّرْكَ والكُفْرَ ، ومعهُ كتابٌ فيهِ بيانُ عقيدةِ التَّوحيدِ ، والحلالِ والحرامِ ، وسائرِ شرائِعِ اللهِ تَعالى الّتي أرادَها سُبْحانَهُ لعبادِهِ ، وفيهِ بيانٌ لاختلافِ أُممِ أَهْلِ الكتابِ .

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

قدْ جاءَكُمْ يا معشرَ أهلِ الكتابِ نورٌ منَ اللهِ تَعالى هوَ رسولُهُ محمَّدٌ ﷺ ، ومعَهُ كتابٌ واضحٌ لهدايةِ مَنْ عَلِمَ اللهُ تَعالى منهُ أنَّهُ يريدُ اتِّباعَ ما يُرضيهِ بأنْ يُخْلِصَ لهُ العبادةَ ، ويستجيبَ للحقِّ الّذي أَرسلَ بهِ أنبياءَهُ ، فإنَّهُ متى كانَ الأمرُ كذلكَ ، فإنَّ اللهَ تَعالى يوصِلُ صاحبَ هذهِ الحالِ إلى طُرقِ السّلامةِ والنَّجاةِ مِنْ كلِّ خوفٍ وشقاءٍ ، بأنْ يُثَبِّتَهُ على طريقِ الحقِّ في الدُّنيا ، ويُكرِمَهُ بمثوبتِهِ وجَنّتهِ في الآخرةِ .

وهذه ثمرةٌ مِنْ ثمارِ جهادِ النَّبيِّ ﷺ المباركةِ ، وأمّا الثّمرةُ الثانيةُ : فهيَ إخراجُهُمْ مِنْ ظُلُماتِ الكُفْرِ إلى نورِ الهدايةِ والحقّ والإيمانِ ، وأمّا الثمرةُ الثالثةُ : فهيَ هدايتُهُمْ إلى الطَّريقِ المستقيمِ الّذي لا اعْوِجاجَ فيهِ ولا اضْطرابَ ، وهو طريقُ الإسلامِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ شمولُ ميثاقِ اللهِ تَعالى لليهودِ والنَّصارَى على حدٍّ سواءٍ .

٢ـ العداءُ مُستحكِمٌ بينَ طوائفِ النَّصرانيَّةِ بسببِ بُعدِهِمْ عنْ منهجِ اللهِ تَعالى واتِّباعِهِم لليهودِ .

٣ـ تحذيرُ مَنْ خالفَ أمْرَ اللهِ تَعالى مِنْ عقابِهِ سُبْحانَهُ .

٤ـ بعثةُ رسولِنا محمَّدٍ ﷺ إلى النّاسِ أجمعينَ لِيُخرِجَهُمْ منَ الظُّلماتِ إلى النّورِ .

٥ـ تسامحُ النَّبيِّ الكريمِ ﷺ معَ أهلِ الكتابِ وغيرِهِمْ ، صِفةٌ اتَّصفَ بِها ﷺ .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

الّذينَ قالوا إنّا نَصارى ، جاءكُم منَ اللهِ نورٌ ، أغرَيْنا بينهُم العداوةَ ، سُبلَ السَّلامِ .

٢ـ هاتِ الدليلَ على كلٍّ ممّا يلي :

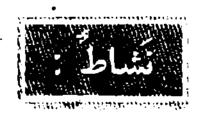
أـ ميثاقُ اللهِ تَعالى شملَ أَهْلَ الكتابِ جميعاً .

ب ـ استحكامُ العَداءِ بينَ طوائفِ أهلِ النّصارى .

ج ـ تسامحُ النَّبي ﷺ معَ أهلِ الكتابِ .

٣ـ بعثُ النَّبيِّ ﷺ كانَ له ثمراتٌ عِدّةٌ ، ذكرتِ الآياتُ ثلاثاً مِنْها ، اذْكُرْ هذهِ الثَّمراتِ مُرتَّبةً كما جاءَتْ في الآياتِ .

٤ـ اذكُرْ ثلاثةَ أُمورٍ ممّا تُرشدُ إليهِ الآياتُ الكريمةُ .



١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سورةِ الصَّفِّ الّتي تتحدّثُ عن بِشارةِ المسيحِ عليهِ السلامُ بسيّدنا محمدٍ ﷺ .

٢ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ أسماءَ أربعٍ من الطّوائفِ النّصرانيّةِ .

٣ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ ما قالَهُ رِبْعِيُّ بْنُ عامرٍ لِمَلِكِ الفُرْسِ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ

سورةُ المائدةِ ـ القِسْمُ السّابعُ

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فترةٍ مِنَ الرُّسُلِ : انقطاعِ الوَحْيِ والرُّسُلِ .

يَمْلِكُ : يَدْفَعُ ويَمنعُ .

يُهْلِكَ : يُميتَ ويُعْدِمَ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ أرشَدَ اللهُ تَعالى أهلَ الكتابِ إلى الطَّريقِ القويمِ الّذي يجبُ عليهِمْ أنْ يسلُكوهُ ، أعقَبَ ذلكَ ببيانِ ما عليهِ النَّصارَى مِنْ ضلالٍ وانحرافٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

فهذه الآيةُ الكريمةُ تَحْكي أقوالَ النَّصارى الباطِلةَ في شأنِ عيسى عليهِ السَّلامُ ، وتردُّ عليهم بما يُزهِقُ باطلَهُمْ ويُثبتُ أنَّ عيسى ـ عليه السَّلامُ ـ إنَّما هوَ عبدٌ منْ عبادِ اللهِ ، وأنَّ العبادةَ إنَّما تكونُ للهِ وحدَهُ .

لقدْ كفرَ أُولئكَ النَّصارى الّذينَ قالوا كَذِباً وزوراً : إنّ اللهَ تعالى المُستحِقُّ للعبادةِ والخُضوعِ هو المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ عليهِ السَّلامُ ، تَعالى اللهُ عنْ ذلكَ علوّاً كَبيراً .

ثمَّ أمرَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ أنْ يَرُدَّ عليهمْ قولَتَهُمُ المُنكَرَةَ ، وأنْ يقولَ لَهمُ : أيُّها النَّصارى الّذينَ قالوا ذلكَ القَوْلَ الباطِلَ ، مَنِ الّذي يَملِكُ منْ أمْرِ اللهِ تَعالى وإرادتِه شيئاً يدفعُ بِهِ الهلاكَ عنِ المسيحِ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وعنْ أُمِّه عَليْها السَّلامُ وعنْ سائِرِ أهلِ الأرضِ إنْ أرادَ اللهُ تَعالى أنْ يُهلِكَهُمْ ويُبيدَهُمْ ؟ . لا شكَّ في أنَّ أحداً لنْ يستطيعَ أنْ يمنعَ اللهَ تَعالى لأنَّهُ سُبْحانَهُ هوُ المالكُ لأمْرِ الوُجودِ كُلِّهِ ، ولا يملكُ أحدٌ منْ أمْرِه شيئاً يستطيعُ بِهِ أنْ يَصْرِفَهُ عنْ عملٍ يُريدُهُ ، أوْ يحملَهُ سُبْحانَهُ على أمْرٍ لا يُريدُهُ ، أو يَستقلَّ بعَمَلٍ دونَهُ . وما دامَ الأمرُ كذلكَ ، فدعوى أنَّ اللهَ ـ تَعالى ـ هو المسيحُ ابنُ مريمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ دعوى مُنْكَرَةٌ ، وظاهِرةُ البُطلانِ ، لأنّ المسيحَ وأُمَّهُ ـ عليهما السَّلامُ ـ من مخلوقاتِ اللهِ تَعالى القابلَةِ لأنْ تهلِكَ وتَفْنى ، وحاشا لِلمَخْلوقِ أنْ يكونَ إلهاً ، وإنَّما الأُلوهيَّةُ للهِ تَعالى الخالقِ الباقي : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

فاللهُ وحدَه مالِكُ المُلْكِ ، لهُ ما في السماواتِ والأرضِ وما بينَهُما وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

والنَّصارَى اليومَ تَبَعاً لِمَنْ سبقَهم مِنْ أهلِ مِلَّتِهِمْ ـ الّذينَ كانوا وما زالوا يُغيِّرونَ ويبدِّلونَ ـ يُصرِّحونَ بأنَّ الأقانيمَ ثلاثةٌ ، وأنَّها شيءٌ واحدٌ ، ويَنتهونَ إلى أنَّ المسيحَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ هوَ اللهُ تَعالى ، واللهُ هوَ روحُ القُدُسِ ! ! تَعالى اللهُ عمّا يقولونَ عُلوّاً كبيراً .

ثمَّ ذكَر اللهُ تَعالى بعضَ دعاوى أهلِ الكتابِ الباطلةِ ، وأَمَرَ نبيَّهُ ﷺ أنْ يَرُدَّ عَليْهِمْ بما يُخْرِسُ ألسنتَهُمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ .

لَقَدْ زعَمتْ طائفةُ اليهودِ أنَّها شعبُ اللهِ المختارُ ، وزعَمتْ طائفةُ النَّصارى أنَّها على الحقِّ

وحدَها ، فقالَتْ كلُّ طائفةٍ : نحنُ في القُرْبِ منَ اللهِ تَعالى بمنزلةِ الأبناءِ المُدلَّلينَ والأحبّاءِ المُختارينَ ، فلنا مِنَ الفضلِ والمنزلةِ والتّكريمِ ما ليسَ لغيرِنا منَ البَشَرِ .

والّذي حملَهُمْ على هذا القولِ الفاسدِ جَهْلُهُم بما اشتملَتْ عليهِ كتبُهُمْ ، وتخبُّطُهُمْ في الكُفْرِ والضَّلالِ ، وفهمُهُمُ السَّقيمُ لِمَعاني الألفاظِ .

وقدْ أمرَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ ، أنْ يردَّ عليهِمْ بما يَكْتِبُهُمْ قائلاً : ليسَ الأمرُ كَما زعمتُمْ يا معشرَ اليَهودِ والنّصارى مِنْ أنّكمُ أبناءُ اللهِ تَعالى ، وإنْ بقيتُم على كُفْرِكُم وغُرورِكُم حقَّ عليكُمُ العقابُ ، وليسَ لأحدٍ فضلٌ على أحدٍ إلاّ بالإيمانِ والعملِ الصّالحِ .

واللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى يَغفِرُ لمنْ يشاءُ منْ خَلْقِهِ ، وهمُ المُؤْمِنونَ بهِ وبرُسلِهِ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ وهوَ سُبْحانَهُ وتَعالى يُعذِّبُ مَنْ يشاءُ منهُمْ ، وهمُ المُنحرِفونَ عنْ طريقِ الحقِّ والهُدَى ، ولا رادَّ لقضائِهِ سُبْحانَهُ ولا مُعقِّبَ لِحُكْمِهِ ، فلَهُ وحدَهُ مُلكُ جميعِ الموجوداتِ ، وهوَ صاحبُ التَّصرُّفِ المُطلَقِ فيها ، إيجاداً وإعداماً ، وإحياءً وإماتةً ، وإليهِ وحدَهُ مصيرُ الخَلْقِ يومَ القيامةِ ، فيُجازيهِمْ على ما عمِلوا منْ خيرٍ أوْ شَرٍّ .

ويُبيِّنُ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى فسادَ أقوالِ أهلِ الكتابِ ، وبُطلانَ عقائِدِهِمْ ، ويردُّ عليهِم بما لا يدَعُ مجالاً لعاقلٍ أنْ يتمسَّكَ بهِ مِنْ تلكَ الضَّلالاتِ ، فيقولُ سُبْحانَهُ :

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ﴾

ويُوجِّهُ اللهُ نداءً آخرَ إلى أهلِ الكتابِ ، فيهِ موعظَةٌ لهمْ ، وفيهِ تَحريضٌ لَهُمْ على اتّباعِ الحقِّ ، فيقولُ لَهُمْ : يا أهلَ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنّصارى ، يا مَنْ أنزلَ اللهُ تَعالى الكُتُبَ السَّماويَّةَ على أنبيائِكُمْ لهدايتِكُمْ وسعادَتِكُمْ ، ها هوَ ذا رسولُنا محمّدٌ ﷺ قدْ جاءَكمْ يُبيِّنُ لكُمْ شرائعَ الدّينِ والطَّريقَ الحقَّ الّذي يوصِلُكُمْ إلى السَّعادةِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ ، وذلكَ بعدَ انقطاعِ الرُّسلِ ، وضلالٍ في العَقائدِ ، وفسادٍ في الأفكارِ والمُعاملاتِ ، حتّى لا تَعتذِروا عنْ كُفْرِكُمْ بأنَّ اللهَ تَعالى لمْ يَبْعثْ إليكُمْ مُبشِّراً ولا مُنذِراً ، فها هو ذا قدْ أتاكُمْ بشيرٌ ونذيرٌ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ وتَعالى ـ هوَ القادرُ على كلِّ أمْرٍ ، ومنهُ إنزالُ الرِّسالاتِ وبَعْثُ الرُّسُلِ ، ومُحاسَبتُكُمْ على ما كانَ منكُمْ .

دروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ كُفْرُ الّذينَ قالوا إنَّ اللهَ تَعالى هوَ المسيحُ ابنُ مريمَ .

٢ـ تَنْزيهُ اللهِ تَعالى عنْ أنْ يكونَ لهُ ولدٌ أو شريكٌ .

٣ـ حبُّ اللهِ تَعالى ليس مجرّدَ دعاوى يدّعيها الإنسانُ ، بل لابُدَّ مِنْ العَمَلِ بما جاءَ عنِ اللهِ تَعالى .

٤ـ الرَّسولُ ﷺ مُرْسَلٌ للنّاسِ جميعاً ومنْ ضمنِهِمُ اليهودُ والنّصارى .

٥ـ الرُّسلُ والأنبياءُ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ حُجَّةُ اللهِ تَعالى على خَلْقِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ بيِّنْ سببَ كُفْرِ النَّصارى .

٢ـ ما الدّعوى الّتي ادّعاها اليهودُ والنّصارى ؟ وكيفَ رَدَّها اللهُ تَعالى عليْهِمْ ؟

٣ـ كيفَ يكونُ الإنسانُ مُحِبّاً للهِ تَعالى ؟

٤ـ ما معنى : فترةٍ مِنَ الرُّسلِ ؟

٥ـ ما الدّليلُ على أَنَّ سيّدَنا محمداً ﷺ مَبْعوثٌ لأهلِ الكتابِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ مريمَ ، الّتي يُبيِّنُ اللهُ فيها ما قالهُ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ للنّاسِ وهو في المَهْدِ .

٢ـ استعنْ بالمُعجمِ المُفهرِسِ لألفاظِ القرآنِ الكريمِ ، لاسْتخراجِ آيةٍ قُرآنيةٍ صريحةٍ في نَفي أنْ يتّخذَ اللهُ تَعالى ولَداً .

٣ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ حديثاً نبويّاً شَريفاً ، يدلُّ على أنَّ الرَّسولَ بُعِثَ للنّاسِ ومنهمُ اليهودُ والنّصارى .

الدرس الثامن

سورةُ المائدةِ ـ القسمُ الثامنُ

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾

معاني المفردات :

الأرْضَ المقدَّسةَ	بيتَ المَقدسِ وما حولَهُ .
ولا ترتدّوا على أدبارِكُمْ	لا تتقَهقروا مُنهزمينَ .
يَتيهونَ في الأرضِ	يَضلّونَ فيها ولا يهتدونَ .
فلا تأْسَ	فلا تحزَنْ .

التفسير :

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتعالى قبائحَ أهلِ الكتابِ ، وأمَرَهُمْ بالاسْتِجابةِ لِرسولِ اللهِ ﷺ ذكرَ جانباً ممّا حَدَثَ بينَ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ وقومِهِ بني إسرائيلَ . قالَ اللهُ تَعالى قاصّاً علينا هذه القِصَّةَ :

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾

اذْكُرْ يا محمَّدُ ﷺ لهؤلاءِ اليهودِ المُعاصِرينَ لكَ قولَ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ لآبائِهِمْ على سبيلِ النُّصْحِ والإرشادِ : يا قومِ تذكَّروا إنعامَ اللهِ عليكُمْ بالشُّكرِ والطَّاعةِ .

وقد ذَكَرَ اللهُ تَعالى لنبيِّه منْ قولِ موسى عليهِ السَّلامُ ، أنَّ بني إسرائيلَ قدْ حصلَ لهُم ثلاثٌ مِنَ النِّعمِ العظيمَةِ وهيَ :

الأولى : جعلَ كثيراً مِنَ الأنبياءِ فيهِم ، مثلِ : موسى ، وهارونَ وزكريّا ويحيى وعيسى وداودَ وسليمانَ وغيرِهِمْ ـ عليهِمْ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ ـ وجعلَ مِنَ هؤلاءِ الأنبياءِ مُلوكاً ، سخَّرَ لهُم ما لَمْ يكُنْ لغيرِهِمْ .

الثّانيةُ : أنّ اللهَ تَعالى جعلَهُمْ أحراراً يَمْلِكونَ أمْرَ أنفُسِهِمْ ، بعدَ أنْ كانوا عبيداً لِفرعونَ وقومِهِ ، وجعلَهُمْ يَملِكونَ المساكنَ والخدمَ والحَشَمَ بعدَ أنْ لمْ يكُنْ لهُم شيءٌ من ذلكَ .

الثّالثةُ : أنَّ اللهَ تَعالى آتاهُمْ منْ ألوانِ الإكرامِ والعطايا ما لَمْ يُؤْتِهِ أحداً مِنَ العالَمينَ في زمانِهِمْ ، فقدْ فَلَقَ لهُمُ البحرَ فَساروا في طريقٍ يابسٍ حتّى نَجَوْا ، وغرِقَ فِرعونُ وقومُهُ ، وأنزلَ عليهِمُ المَنَّ والسَّلوى ليأكُلوا مِنَ الطّيباتِ ، وفجَّرَ لهمْ مِنَ الحَجَرِ اثنتَيْ عَشْرَةَ عيناً ، حتَّى يعلمَ كلُّ أناسٍ مَشربَهُم ، إلى غيرِ ذلكَ منْ ألوانِ النِّعمِ الّتي أكرمَهُمُ اللهُ تَعالى بها ، ولكنَّهمْ لا يشكُرونَ .

وبعدَ أنْ ذكَّرهُمْ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ بهذهِ النِّعمِ طلبَ مِنْهُمْ أنْ يدخُلوا الأرضَ المقدَّسةَ ، فقالَ لَهُمْ :

يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ

امضوا أيُّها القومُ لأمْرِ اللهِ تَعالى وسيروا خَلْفي لِقتالِ الأعداءِ ، ودُخولِ الأرضِ المُقدَّسةِ الّتي أمرَكُمُ اللهُ تَعالى بدُخولِها ، ولا ترجعوا القَهْقرى مُنصَرفينَ عنِ القتالِ خوفاً مِنْ أعدائِكُمْ ، ومُبتَعِدينَ عنْ طاعتي وأمري ، فإنَّ ذلكَ يؤدِّي بكُمْ إلى الخُسْرانِ في الدُّنيا والآخرةِ ، وإلى الحرمانِ مِنْ خيراتِ الأرضِ الّتي أوجبَ عليكُمْ دخولَها .

ومَعَ كَثْرَةِ تَرْغيبِ مُوسى وتَرْهيبِهِ لَهُمْ ، فإنَّ هِمَمَهُمْ بَقِيَتْ ساقِطةً ، وعَزائِمَهُمْ خائِرَةً ، ولَمْ تَتْرُكْهُمْ طبيعَتُهُمُ المُنْتَكِسَةُ ، فقدْ قالوا لنبيِّهِمْ ـ عليهِ السَّلامُ ـ مُتَذرِّعينَ بالمَعاذيرِ الكاذبةِ :

قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ

قالَ بنو إسرائيلَ لنبيِّهِمْ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ : إنَّ الأرضَ الّتي وعدتَنا بِدُخولِها ، فيها قومٌ

أقوياءُ جبابرةٌ يتغلّبونَ على كلِّ منْ يُقاتِلُهُمْ ، ولا قُدرةَ لنا على لقائِهمْ ، وإنّا لنْ نَدْخُلَ هذهِ الأرضَ المُقدَّسَةَ الّتي أمَرْتَنا بدخولِها ما دامَ هؤلاءِ الجبّارونَ مَوْجودينَ فيها ، فإنْ يَخرجوا مِنها لأيِّ سببٍ مِنَ الأسبابِ التي لا شأْنَ لنا بِها ، فنحنُ على استعدادٍ لِدُخولِها في راحةٍ ويُسْرٍ ، وبلا أدنى تعبٍ أو جُهدٍ .

ولا شكَّ في أنَّ قولَهم هذا يدلُّ على مُنتهى الجُبْنِ والضَّعْفِ ، لأنَّهمْ لا يُريدونَ أنْ ينالوا نَصْراً باستخدام حواسِّهِمُ البدنيَّةِ أوِ العقليَّةِ ، وإنَّما يُريدونَ أنْ ينالوا ما يَبغونَ بقوى الخوارقِ والآياتِ . وأُمَّةٌ هذاَ شأنُها لا تَستحقُّ الحياةَ الكريمةَ ، لأنَّها لم تُقَدِّم العملَ الّذي يؤهِّلُها لتلكَ الحياةِ . وفي ندائِهِمْ لنبيِّهمْ ـ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ باسمهِ مجرداً (يا موسى) دليلٌ على سوءِ أدبِهمْ ووقاحتِهِمْ ، واستهانَتِهمْ بمقامِ النُّبوَّةِ .

ثمَّ بيَّنَ القرآنُ الكريمُ أنَّ رَجُليْنِ مُؤْمِنيْنِ منْ بني إسرائيلَ قَدِ استنكروا إحجامَ قومِهِمْ عنِ الجهادِ ، وحَرّضاهُمْ على طاعةِ نبيِّهِمْ ، فقالَ اللهُ تَعالى مُبيِّناً ذلكَ :

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

قالَ رجلانِ يَخْشَيانِ اللهَ تَعالى وقدْ أنعمَ اللهُ تَعالى عليهما بالإيمانِ والطَّاعةِ : ادخلوا أيُّها القومُ على الجبّارينَ بابَ المدينةِ مفاجئينَ ، فإذا فعلتُمْ ذلكَ فإنّكمْ مُنتصِرونَ علَيهمْ ، وتوكّلوا على اللهِ تَعالى وحدَهُ في كلِّ أُمورِكُم إنْ كُنتمْ صادقِي الإيمانِ ، ذلكَ أنَّ النَّصْرَ يحتاجُ إلى تأييدٍ منَ الله تَعالى لعبادِهِ ، وإلى توكُّلٍ عليهِ وحدَهُ ، وإلى عزيمةٍ صادقةٍ ومُباشَرةٍ للأسبابِ الّتي توصِلُ إليهِ .

وهذهِ النّصيحةُ الحكيمةُ مِن هذينِ الرَّجلينِ المُؤْمنيْنِ لم تُصادِفْ مِن بني إسرائيلَ قلوباً واعيةً ، ولا آذاناً صاغيةً بلْ قابلوها بالتّمرُّدِ والعِنادِ ، وكرَّروا لِنبيّهِمْ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ نفيَهُمُ القاطعَ للإقدامِ على دخولِ الأرضِ المُقدَّسةِ ما دامَ الجبّارونَ فيها ، فقالوا كما حكى اللهُ تَعالى عنهُم :

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ .

قالوا : لنْ نَدْخُلَها بأيِّ حالٍ مِنَ الأحوالِ ما دامَ الجبّارونَ يُسَيْطِرونَ عَلَيْها ، ويسكنونَ فيها . ثمَّ أضافوا إلى هذا القولِ الَّذي يدلُّ على جُبْنِهِمْ وخَوَرِهمْ سلاطةً في اللِّسانِ ، وسوءَ أدبٍ في التَّعبيرِ ، وتطاولاً على نبيِّهِمْ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قائلينَ : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ .

إذا كانَ دُخولُ هذه الأرضِ يَهمُّكَ أمْرُهُ فاذهبْ أنتَ وربُّكَ لقتالِ سُكّانِها الجبابرةِ وأخرجاهُم منْها . وهكذا يَزعمونَ أنَّ اللهَ تَعالى ليسَ ربّاً لهُمْ إنْ كانتْ ربوبيَّتُهُ تُكلِّفُهُمْ قتالَ سُكّانِ تلكَ الأرضِ .

ثمَّ قصَّتِ السّورةُ الكريمةُ علينا أنَّ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بعدَ أنْ رَأى مِنْهُم ما رأى ، لَجأ إلى ربّهِ يَشْكوهُمْ إليهِ ، ويلتمسُ مِنهُ أنْ يُفرّقَ بينَهُ وبينَهُمْ ، فقالَ فيما حكَى القرآنُ الكريمُ عنهُ :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ .

قال موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ باثّاً شَكْواهُ وحُزنَهُ إلى اللهِ تَعالى ومُعتذِراً إليهِ منْ فسوقِ قومِه ، وسَفاهتِهم وجُبْنِهِمْ : ربِّ إنَّكَ تعلمُ أنّي لا أملكُ لِنُصْرَةِ دينِكَ أمْرَ أحدٍ أُلزمُهُ بطاعتِكَ سوى أمْرِ نَفْسي وأمْرِ أخي هارونَ ، ولا ثقةَ لي في غيرِنا أنْ يطيعَكَ في العُسْرِ واليُسْرِ ، والمَنْشطِ والمَكْرَه ، أمّا قومي فقدْ خرجوا عنْ طاعتي ، وفسَقوا عنِ أمْرِكَ ، وما دامَ هذا شَأْنَهُمْ فافْصِلِ اللّهُمَّ بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ بقضائِكَ العادلِ . وقَدْ أجابَ اللهُ تعالى دعاءَ نبيِّهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بأنْ أضلَّهُمْ ظاهراً كما ضَلّوا باطناً ، وجاءَ الحُكْمُ الفاصِلُ منَ اللهِ تَعالى بقولِهِ سُبْحانَهُ :

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ .

قالَ اللهُ لِنبيِّهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مُجيباً دعواهُ : يا موسى ، إنَّ الأرضَ المُقدَّسَةَ مُحرَّمةٌ على هؤلاءِ الجُبناءِ العُصاةِ مُدّةَ أربعينَ سنةً ، يسيرونَ خلالَها في الصَّحراءِ تائِهينَ حَيارى لا يستقيمُ لهُم أمرٌ ، ولا يستقرُّ لهم قرارٌ ، فلا تحزَنْ عليهِمْ بسببِ هذهِ العُقوبةِ ، فإنّا ما عاقبناهُمْ بها إلاّ بِسَببِ خُروجِهِمْ عنْ طاعتِنا وتمرُّدِهمْ على أوامِرِنا ، وجُبْنِهِمْ عنْ قتالِ أعدائِنا ، وسوءِ أدبِهِمْ معَ أنبيائِنا .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ بيانُ فَضْلِ اللهِ تَعالى ونِعَمِهُ على بني إسرائيلَ ، ومِنْ هذهِ النِّعمِ كثرةُ أَنْبيائِهِمْ .

٢ـ أنعَمَ اللهُ تَعالى على بني إسرائيلَ بسببِ إيمانِهِم ، فلمّا تكبَّروا وتجبَّروا سُلِبَتْ عنهُمُ النِّعمُ وغَشِيَتْهُمُ الغواشي .

٣ـ إنَّ بني إسرائيلَ كانوا سيِّئِي الأدبِ معَ اللهِ تَعالى ومعَ أنبيائِهِمْ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ .

٤ـ كانَ نبيُّ اللهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مثالَ الدّاعيةِ القُدوةِ .

٥ـ ضرورةُ تَذَكُّرِ مَجْدِ الآباءِ لِغَرْسِ الشّعورِ بالعِزَّةِ .

٦ـ الرَّجُلانِ اللّذانِ أمَرا بَني إسْرائيلَ بِدُخولِ القَرْيَةِ ، فإنْ دَخلوها فإنَّهُمْ غالِبونَ هُما موسى وهارونَ ، لِقولِ موسى بَعْدَ ذَلِكَ لِرَبِّهِ : إنّي لا أمْلِكُ إلاّ نَفْسي وأخي .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

الأرضَ المُقدَّسةَ ، ولا ترتدّوا على أدبارِكُم ، يَتيهونَ في الأرضِ ، فلا تأْسَ .

٢ـ ذكرتِ الآياتُ الكريمةُ نِعَمَ اللهِ تَعالى على بني إسرائيلَ ، بيّنْ هذهِ النِّعَمَ .

٣ـ لماذا رفضَ بنو إسرائيلَ دخولَ الأرضِ المُقدَّسةِ ؟

٤ـ ماذا كانَ جوابُ الرّجلينِ المُؤْمِنَيْنِ على ما قالَهُ قومُهُمْ ؟

٥ـ بيّنَتْ هذهِ الآياتُ طبائعَ بني إسرائيلَ المُختلِفَةَ ، حدّدْ أربعاً منْ هذهِ الطّبائِعِ ، واذكرِ الدَّليلَ عليْها مِنَ الآياتِ الكَريمةِ .

اقرأْ وتدبَّرْ :

قالَ تَعالى : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ عبارةُ : « كتبَ اللهُ لكُم » ، معناها أَحَدُ أمْرَيْنِ :

الأوّلُ : أمرَكُمْ بِدُخولِها وفَرَضَه عليكُم كما فرضَ عليكُمُ الصَّلاةَ .

الثّاني : قدَّرَها لكمُ وقضى أنْ تكونَ مساكنَ لكُم دونَ الجبابرَةِ ، بشرطِ توفُّرِ الإيمانِ ، وطاعةِ الأنبياءِ ، والجهادِ في سبيلِ الحقِّ .

والحاصِلُ أنَّ الكتابةَ إمّا أنْ تكونَ تكليفيَّةً بمعنى : فرضَ عليكُم أنْ تَدْخُلوها مُجاهِدينَ مُطيعينَ أنبياءَكُمْ ، أوْ قدريَّةً بمعنى : قدَّر لكُم ذلكَ متى آمنتُمْ وأطعتُمُ ، واللهُ تَعالى أعلَمُ .

نَشاطٌ :

ـ قارِنْ بين مَوْقفِ اليهودِ الواردِ في الآية (٢٢) مِنْ هذهِ السّورةِ ، وموقفِ المُسلِمينَ يومَ بدرٍ ، واكْتُبْ ذلكَ في دفترِكَ .

* * *

الدرس التاسع

سورةُ المائدةِ - القِسْمُ التّاسِعُ

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

معاني المفردات

قُرباناً : اسمٌ لما يُتقرَّبُ بهِ إلى اللهِ تَعالى منْ صَدَقةٍ أوْ نُسُكٍ .

بَسطْتَ إليَّ يدَكَ : مَددْتَها لِقتلي ظُلْماً وعُدواناً .

تَبوْءَ بإثمي : ترجعَ حاملاً وِزْري .

طوَّعتْ لهُ نفسُهُ : سهَّلَتْ لهُ نفسُه وزيَّنتْ لَهُ وشجَّعتْهُ .

يبحثُ في الأرضِ : يحفرُها بمنقاره .

سَوْءةَ أخيهِ : عَوْرَةَ أخيهِ ، والمُرادُ الجُثّةُ .

يا وَيْلتى : يا هَلاكي .

أواريَ سَوْءَةَ أخي : أدفنَ جَسَدَهُ في التُّرابِ .

بعدَ أنْ قصَّ اللهُ تَعالى علينا مِنْ أحوالِ بني إسرائيلَ وعصيانِهِمْ لنبيِّهِمْ عليْهِ السَّلامُ أتبعَ ذلكَ بِذِكْرِ خبرِ ابنيْ آدمَ عليْهِ السّلامُ . ويسوقُ اللهُ هذه القصَّةَ لِيُبيِّنَ طبائعَ النّفوسِ الموروثةَ ، وما يفعُلهُ الحسَدُ ، الّذي يقضي على أمْتنِ رابطةٍ وهي الأُخوّةُ ، وكيفَ كانَ السَّببُ في أوّلِ قَتْلٍ وَقَعَ في الأرضِ ، قالَ تَعالى :

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾

اتلُ يا محمَّدُ على هؤلاءِ البُغاةِ الحَسَدةِ مِنَ اليهودِ ، وعلى النّاسِ جميعاً قراءةً مُقترِنةً بالحقِّ ذلكَ النبأَ العظيمَ ، نبأَ ابنيْ آدمَ ، وقتَ أنْ قرّبا قُرباناً للهِ ـ تَعالى ـ فتقبَّلَ اللهُ ـ عزَّ وجلّ ـ قربانَ أحدِهِما لِصِدْقِهِ وإخْلاصِهِ ، ولَمْ يتقبّلْ مِنَ الآخرِ لِسوءِ نيَّتِهِ وعدمِ تقْواهُ .

فحسدَ الّذي لم يُتَقبَّلْ منهُ أخاهُ ، وتوعَّدَهُ بالقتلِ حِقْداً عليهِ ، فردَّ عليهِ أخوهُ مُبيِّناً أنَّ اللهَ تَعالى لا يقبلُ العملَ إلاّ مِمَّنْ كانَ تقيّاً مُخلِصاً .

ثمَّ انتقلَ الأخُ التقيُّ مِنْ وَعْظِ أخيهِ بِتَطْهيرِ قلبِهِ إلى تذكِيرِهِ بحقوقِ الأُخوَّةِ ، وما تَقتضيهِ مِنْ برٍّ وتَسامُحٍ ، فقالَ كما حكَى لنا القرآنُ الكريمُ عنْه :

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .

لئنْ مَددْتَ يا أخي إليَّ يدَكَ لِتَقْتُلَني ظُلماً وحَسَداً ، فإنِّي لنْ أفعلَ ذلكَ معكَ ، وأُقابلَكَ بما تريُدُه منّي ، إنِّي أخافُ اللهَ ربَّ العالمينَ أنْ يراني باسِطاً إليكَ يديَ لأقتُلَكَ .

وفي هذه الجملةِ يُرشِدُ الأخُ أخاهُ إلى خَشْيةِ اللهِ تَعالى على أتمِّ وجهٍ ، ويُبيّنُ لَهُ بأنَّ القاتلَ لا يخافُ اللهَ تَعالى :

﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

إنِّي أريدُ بامْتِناعي عنِ التعرُّضِ لكَ ببسطِ يديَ أنْ ترجِعَ إلى اللهِ تَعالى بإثمِ قَتْلِكَ إيّايَ ، وبإثمِكَ الّذي كانَ منْكَ قبلَ قَتْلي ، والّذي بِسَببِهِ لم يَتقبلِ اللهُ تَعالى قُرْبانَكَ ، فتكونَ بسببِ هذينِ الإثمَيْنِ منْ أصحابِ النّارِ في الآخرةِ ، وهذا هوَ جزاءُ الظّالمينَ ، الّذينَ ظَلموا أنفسَهُمْ وظَلموا غيرَهُمْ .

وإلى هُنا نرى أنَّ الأخَ قدْ سَلَكَ في صَرْفِ أخيهِ عنْ جريمتهِ وسائلَ عدّةً مِنَ الإرشاداتِ ، وهيَ على النّحوِ التّالي :

أولاً : أرشدَه إلى أنَّ اللهَ تَعالى لا يتقبّلُ الأعمالَ إلاّ مِنَ المتَّقينَ المُخلِصينَ .

ثانياً : أرشدَهُ إلى حقوقِ الأُخوَّةِ وما تقتضيهِ منْ محبَّةٍ وتسامُحٍ .

ثانياً : أرشدَه إلى أنَّ امتناعَهُ مِنْ قتلِه إنّما هوَ بسببِ خَوْفِه مِنَ اللهِ تَعالى .

رابعاً : أرشدَهُ إلى أنَّ ارتكابَهُ هذهِ الجريمةَ سيؤدِّي بهِ إلى النّارِ والعياذُ باللهِ .

خامساً : أرشدَه إلى أنَّ القاتلَ ظالمٌ .

ومعَ كلِّ هذهِ النصائحِ والإرشاداتِ الّتي تحولُ بينَ الإنسانِ وهذهِ الجريمةِ ، إلاّ أنَّ نفسَ ذلكَ الأخِ الظالِمِ سَهَّلَتْ لهُ أمرَ القَتْلِ ، فكانَ ما كانَ . قالَ تَعالى :

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

لَقَدْ سَهَّلَتْ لهُ نفسُهُ أنْ يخالِفَ الفِطْرةَ ، وأنْ يَقْتُلَ أخاهُ ، فَقتلَهُ ، فصارَ في حكمِ اللهِ تَعالى مِنَ الخاسِرينَ . وخسرانُهُ هذا في الدّنيا والآخرةِ ، أمّا في الدَّنيا فلأنَّه قتلَ أخاهُ ، والأخُ سندٌ لأخيهِ وعَوْنٌ لهُ لما بينَهُمْ مِن رَحِمٍ ورابطةٍ قويَّةٍ ، وأمَّا في الآخرةِ فلأنَّهُ ارتكَبَ جريمةً مِنْ أكبرِ الجرائمِ وأشنَعِها ، وقدْ توَّعدَ اللهُ تَعالى مرتكبَها بالغَضَبِ واللَّعنةِ والعذابِ العظيمِ .

وقدْ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ في هذا الخُصوصِ : « لا تُقْتَلُ نفسٌ ظُلْماً إلاّ كانَ على ابنِ آدمَ كِفْلٌ من دمِها ، لأنَّه أوّلُ منْ سَنَّ القَتلَ »[1] .

فأيُّ مصيرٍ أسوأُ مِنْ هذا المصيرِ ، الّذي فيهِ أنَّ هذا القاتلَ يُشارِكُ القاتِلينَ آثامَهُمْ يومَ القيامةِ ؟ نعوذُ باللهِ مِنْ هذهِ الجريمةِ النَّكراءِ .

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

بعدَ أنْ قتلَهُ أصابَتْهُ حسرةٌ وحَيْرةٌ ، ولمْ يدرِ ما يصنعُ بجثَّتِه ، فأرسلَ اللهُ تَعالى غُراباً يَنْبُشُ تُرابَ الأرضِ ليدفنَ غُراباً ميّتاً ، حتّى يَعلمَ ذلكَ القاتلُ كيفَ يسترُ جُثَّةَ أخيهِ ، فلمّا رأى القاتلُ ذلكَ قالَ مُتحسِّراً على جريمتِهِ : يا ويلَتا! أَعَجَزْتُ أنْ أكونَ مثلَ هذا الغرابِ فأَسْتُرَ جُثّةَ أخي ؟ فصارَ مِنَ النَّادِمينَ على جريمتِه ومُخالفتِهِ دواعي فِطْرَتِهِ .

---

(١) رواه البخاري ٣/ ١٢١٣ حديث رقم (١٣٥٧) ورواه مسلم ٣/ ١٣٠٣ حديث رقم (١٦٧٧) .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ لا يَقبلُ اللهُ تَعالى مِنَ العملِ إلاّ ما كانَ خالِصاً لِوَجهِهِ .

٢ـ الحَسَدُ منْ دواعي الشّرِ وإيقاعِ القَتْلِ بينَ النّاسِ .

٣ـ النفّسُ الأمّارةُ بالسّوءِ تقودُ صاحبَها إلى أسْوأ مصيرٍ .

٤ـ قَدْ يَتعلَّمُ الإنْسانُ مِنَ الحيوانِ ما لا يَعْرِفُهُ ولا يَعْلَمُهُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

قرباناً ، بَسطْتَ إليَّ يدَكَ ، تَبوءَ بإثمي ، طوّعتْ لهُ نفسُهُ ، يبحثُ في الأرضِ ، كيف يواري سَوْءَةَ أخيهِ .

١ـ بيّنِ الفائدةَ منْ ذِكْرِ قَصَصِ الأوّلينَ .

٢ـ ما الدافعُ الّذي كانَ وراءَ هذهِ الجريمةِ الّتي حدّثتْنا عنها الآياتُ الكريمةُ ؟

٣ـ لقدْ كانَ الأخُ المقتولُ واعِظاً ومُرشِداً لأخيهِ ، بيِّنْ كيفَ كانَ ذلكَ .

٤ـ ماذا نستفيدُ منْ بَعْثِ الغرابِ ؟ ومِنْ بحثهِ في التُّرابِ ؟

٥ـ اذْكُرْ ثلاثةَ أُمورٍ ممّا ترشِدُ إليهِ الآياتُ الكريمةُ .

نَشاطٌ :

ـ بيِّنِ الفَرْقَ بينَ وَسْوسَةِ الشَّيطانِ وحديثِ النَّفْسِ ، واكتبْ ذلكَ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرْسُ العاشِرُ

سورةُ المائدَةِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢) إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٤)﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَحْيَاها : تسبَّبَ في إحيائِها ، وصيانَتِها منَ القَتْلِ .

مِنْ خلافٍ : يعني اليدَ اليمينَ معَ الرِّجْلِ اليُسْرى أو العكسَ .

يُنفَوْا مِنَ الأرضِ : يُطْرَدوا مِنْها .

خِزيٌ : ذلٌّ وفَضيحةٌ .

التَّفْسيرُ :

بَعدَ هذهِ المَوْعظةِ مِنْ قصَّةِ ابنيْ آدمَ ، ذكَرَ اللهُ تَعالى مِنَ الشَّرائعِ ما يَردعُ المُعتَدي عَنِ اعتدائِه ، ويُبشِّرُ المُتَّقي على تقواهُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

من أجلِ ذلكَ الطُّغيانِ ، وحُبِّ الاعتداءِ في بَعضِ النُّفوسِ ، أوجبْنا على بني إسرائيلَ في التَّوراةِ ما يردعُ المُعتدي ويُبشِّرُ المتّقي . وخَصَّ بني إسرائيل بالذّكرِ هُنا ، لأنّهُم أوّلُ أُمّةٍ نزلَ عليهمُ الوعيدُ في قَتْلِ الأنفُسِ مَكتوباً ، وكانَ قبلَ ذلكَ قولاً مُطلقاً ، ولأنّهم أكثرُ النّاسِ سَفْكاً للدماءِ ، وقَتْلاً للمُصْلِحينَ ، وقدْ قَتَلوا كثيراً منَ الأنبياءِ ، ولأنَّ الحَسَدَ مِنْ أخصِّ الأسبابِ الّتي أدّتْ إلى قتلِ ابنِ آدمَ لأخيهِ ، والحسَدُ رذيلةٌ معروفةٌ في بني إسرائيلَ .

والّذي كتبَهُ اللهُ تَعالى عَليهِمْ أنّه مَنْ قَتَلَ نَفْساً ظُلماً وعُدواناً دونَ أنْ يَصدُرَ مِنَ المقتولِ ما يوجبُ قَتْلَهُ ، كالقتلِ والفسادِ في الأرضِ ، فكأنّما قتلَ النّاس جميعاً ، لأنَّ الّذي يَقتلُ نَفْساً بغيرِ حقٍّ يكونُ قد استباحَ دماً مَصوناً قدْ حماهُ الإسلامُ بشرائِعهِ وأحكامِهِ ، ومَنِ استباحَ هذا الدَّمَ في نَفْسٍ واحدةٍ ، فكأنَّما قدِ استباحَهُ في نفوسِ النّاسِ جميعاً ، لأنَّ النّفسَ الواحدةَ تُمثّلُ النّوعَ الإنسانيَّ كلَّهُ . ومَنْ أحياها فكأنَّما أحيا النّاسَ جميعاً ، لصيانتِهِ دماءَ البشرِ ، فيستحقُّ عظيمَ الثّوابِ من ربِّهِ ، وهَذا لَيْسَ خاصّاً بِبَني إسْرائيلَ ، بَلْ هُوَ عامٌّ في البَشَرِ كُلِّهِمْ .

ولقدْ جاءتْ رسلُنا بني إسرائيلَ بالآياتِ البيّناتِ والمُعجزاتِ الباهراتِ ، إلاّ أنَّ كثيراً منهُم ، بعدَ الّذي كَتَبْناهُ عَليهِمْ منْ شرائعَ ، وبعدَ مجيءِ الرُّسلِ إليهِمْ ، قدْ تجاوَزوا الحدَّ في ارتكابِ المعاصي والآثام ، وفي هذا ما يدلُّ على أنَّ الخيرَ في بني إسرائيل قليلٌ .

وبعدَ أنْ ذكرَ اللهُ تَعالى تغليظَ الإثمِ في قتلِ النّفسِ بغيرِ حقٍّ ، وتعظيمَ الأَجْرِ لِمَنْ عَمِلَ على إحيائِها ، أتبعَ ذلكَ ببيانِ حدِّ الحَرابةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ :

نَزَلتْ هذهِ الآيةُ في قومٍ منْ قَبيلةِ عرينةَ أتوْا رسولَ اللهِ ﷺ بعدَ الإسلام ، وقالوا : يا رسولَ الله ، إنّا قدْ اسْتَوْخَمْنا المدينةَ ـ يعني وَجَدْناها رديئةَ المناخِ ـ فأمرَ لهُمُ النبيُّ ﷺ بعددٍ مِنَ الإبلِ ومعها

راع ، وأمرَهُمْ أنْ يَخرُجوا خارجَ المدينةِ فيشرَبوا مِنْ ألبانِ الإبلِ وأبوالِها ، فخَرَجوا ، وقتلوا الرّاعي واسْتاقوا الإبلَ ، وكفروا بعدَ إسلامِهِمْ ، فجيءَ بهم إلى النّبيِّ ﷺ فقطَع أيديَهُمْ وأرجُلَهُمْ ، وسَمَلَ أعْيُنَهُمْ ، وتركَهُمْ في الحرَّةِ حتّى ماتوا ، فنزلت الآيةُ[1] .

وهيَ على أيِّ حالٍ عامَّةٌ فيهم وفي غيرِهِمْ مِمَّنْ يقطَعونَ الطَّريقَ ويُحارِبونَ نِظامَ الأمّةَ ، ويَرْتكبونَ جرائمَ السَّلبِ والنَّهْبِ والقَتْلِ .

فبيّنَ اللهُ أَنَّ عقابَ الّذينَ يُحارِبونَ الله تَعالى ورسولَه بخُروجِهِمْ على نظامِ الحُكْمِ وأحكامِ الشَّرعِ ، ويُفْسِدونَ في الأرضِ بِقَطْعِ الطَّريقِ أو انتهابِ الأموالِ ، فإنّما عقابُهم أنْ يُقتَلوا بمنْ قَتلوا ، وأنْ يُصلَبوا إذا قَتَلوا وغَصَبوا المالَ ، وأنْ تُقطَّعَ أيديهِمْ وأرجُلُهُمْ مِن خلافٍ إذا قطعوا الطّريقَ وغَصَبوا المالَ ولمَ يَقتلوا ، وأنْ يُنفَوْا منْ بلدٍ إلى بلدٍ ، أوْ أنْ يُحبَسوا إذا أخافوا فقط ، ولم يأخذوا مالاً ولم يَقْتلوا . ذلكَ العقابُ ذُلٌّ لهمُ وإهانةٌ في الدُّنيا ، ولَهمْ في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ ، وهوَ عذابُ النّارِ .

ثمَّ بيَّنَ ـ سُبْحانَهُ وتَعالى ـ أن هذهِ العُقوباتِ تَسْقُطُ عنِ التّائِبينَ قبلَ تَقديمِهمْ للعدالةِ ، فقال سُبْحانَهُ :

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

نفِّذوا أيّها المسلمونَ هذهِ العقوباتِ على هؤلاءِ المُحارِبينَ لأولياءِ اللهِ تَعالى وأولياءِ رسولهِ ﷺ والسّاعينَ في الأرضِ بالفسادِ ، ما داموا مُسْتَمرّينَ في غَيّهِمْ وعُدوانِهِمْ ، لكنِ الّذينَ يتوبونَ منهُم عمّا فَعلوا ، قبلَ أنْ تتمكَّنوا منهُم وتُقدِّموهُم للعدالةِ ، فإنَّ عُقوبةَ اللهِ تَعالى تسقطُ عنهُم ، ويبقى عليهِمْ ما اقترفوهُ منْ حقوقِ العبادِ ، فإنَّها لا تسقطُ بالتَّوبةِ ، واعْلَموا أيُّها المُؤْمِنونَ أنّ اللهَ تَعالى واسعُ المغفرةِ والرَّحمةِ لمنْ تابَ وأنابَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اختصاصُ بني إسرائيلَ بالكلامِ عنْ حدِّ القَتْلِ لِما عندَهُم منَ الشَّنائعِ والجرائِمِ .

٢ـ قتلُ النَّفسِ البريئةِ اعتداءٌ على البَشَريَّةِ بأكْمَلِها لأنَّه اعتداءٌ على النَّوْعِ الإنسانيِّ .

٣ـ كَثرةُ الرُّسلِ وآياتُهم لمْ يَحُلْ بينَ بني إسرائيلَ والفسادِ لإيغالِهم فيهِ .

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٢٨٨ .

٤ـ المُحارِبونَ يُعاقَبونَ في الدُّنيا والآخرةِ ، ولا يكونُ العقابُ الدُّنيويُّ طُهْرةً لهمُ ولو كانوا مُسلمِينَ .

٥ـ توبةُ المُحارِبينَ قبلَ التَّمكُّنِ منهُم تُسْقِطُ عنهُم عُقوباتِ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

منْ أحياها ، مِنْ خلافٍ ، يُنفَوْا مِنَ الأرضِ ، خِزيٌ .

٢ـ بيّنْ لماذا خُصَّ بنو إسرائيل بقولِه تَعالى : « ومِنْ أجلِ ذلك . . . . لمُسْرِفونَ » .

٣ـ بيّن كيفَ يكونُ قتلُ نفسٍ واحدةٍ أو إحْياؤها قتلاً للبشريَّة أو إحياءً لها .

٤ـ لماذا لم يَرتدعْ بنو إسرائيل معَ كثرةِ الأنبياءِ فيهم ؟

٥ـ ما سببُ نزولِ آية الحِرابةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ حادثتينِ تَدلاّنِ على حَسَدِ اليهودِ للرَّسولِ ﷺ ، واكْتُبْهما في دفترِكَ .

٢ـ قارنْ بينَ قاطعِ الطّريقِ والسّارقِ ، من حيثُ : الجريمةُ والعقوبةُ ، واكتبْ ذلكَ في دفترِكَ .

٣ـ اكتبْ موضوعاً عنْ حُرْمةِ الدّماءِ في الإسلامِ ، ومتى يَحِلُّ قَتْلُ النَّفسِ ، مؤيّداً ما كَتَبتَهُ بالأدلّةِ الشّرعيّةِ ، واقرأ الموضوعَ على الطّلبةِ في طابورِ الصّباحِ .

* * *

الدرس الحادي عشر

سورةُ المائدةِ ـ القسمُ الحادي عشَرَ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

معاني المفردات

الوسيلةَ : ما يُتَوَصَّلُ بهِ إلى اللهِ تَعالى .

عذابٌ مقيمٌ : دائمٌ ثابتٌ لا يَنقطِعُ .

نَكالاً مِنَ اللهِ : عقوبةٌ رادِعةٌ منَ اللهِ تَعالى .

عزيزٌ : لا يغلِبُهُ غالبٌ ، ولا يفوتُهُ هاربٌ .

حكيمٌ : أتقنَ كلَّ شيءٍ خَلقَهُ تمامَ الإتقانِ .

التفسيرُ :

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى سوءَ عاقبةِ المُحاربينَ لَهُ تَعالى ولرسولهِ ﷺ ، وجّهَ سُبْحانَهُ نِداءَهُ للمُؤْمِنينَ ، وأمرَهم فيهِ بتقوى اللهِ ، والتقرُّبِ إليهِ بالعملِ الصّالحِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

يا أيُّها الّذِينَ آمنوا خافوا اللهَ تَعالى بإطاعةِ أوامرِهِ ، واجتنابِ نواهيهِ ، واطْلُبوا ما يُقَرِّبُكمْ إلى ثوابِهِ منْ فعلِ الطّاعاتِ والخَيْراتِ ، وجاهِدوا في سبيلِهِ بإعلاءِ كلمةِ دينِهِ ، ومحاربةِ أعدائهِ ، لعلّكُمْ تفوزونَ بكرامتِهِ وثوابِهِ .

وهذه الآيةُ بيَّنتْ للمؤمنينَ وأرشَدتهُمْ إلى ما يُسعدُهُمْ ، بأنْ ذكرَتْ لهم ثلاثَ وسائلَ لتحصيلِ الفلاحِ . وهذهِ الوسائلُ هيَ : تقوى اللهِ والتقرّبُ إليهِ بما يرضيهِ سُبْحانَهُ ، والجهادُ في سبيلِهِ . وأما الغايةُ والنتيجةُ لكلّ ذلكَ فهي الفوزُ والفلاحُ والنَّجاحُ .

بعدَ ذلكَ بيّن اللهُ تَعالى ما أعدّهُ للكافرينَ من عذابٍ أليمٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

إنَّ الّذينَ كَفَروا لو كانَ عندَهُمْ ما في الأرضِ وضِعْفُهُ معَه مِنْ صنوفِ الأموالِ وغيرِها منْ مظاهِرِ الحياةِ ، وأرادوا أنْ يَجعلوهُ فِديةً لأنفسِهِمْ منْ عذابِ اللهِ تَعالى يومَ القيامةِ على كُفْرِهِمْ ما نفعَهُمْ هذا كلُّهُ ، ولا قَبِلَ اللهُ منهُم ذلكَ ، لأنَّ سُنّتَهُ سُبْحانَهُ اقتضَتْ أنْ تكونَ نجاةُ الإنسانِ مِنَ العذابِ يومَ القيامةِ متوقِّفَةً على الإيمانِ ، والعملِ الصّالحِ ، لا على الأموالِ وما يُشْبِهُها منْ حطامِ الدّنيا مَهْما عَظُمَ شأنُها وكَثُرَ عددُها ، وهؤلاءِ لا سبيلَ لهُم إلى الخلاصِ منْ عقابِ اللهِ تَعالى ولهمُ عذابٌ مؤلمٌ شديدٌ .

روى البخاريُّ عن أنسِ بنِ مالكٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : (يُؤتى بالرجلِ مِنْ أهْلِ النّارِ ، فيُقالُ لهُ : يا ابنَ آدمَ ، كيفَ وجدت مَضْجعَكَ ؟ فيقولُ : شرَّ مَضْجعٍ ، فيُقالُ لهُ : أرأيتَ لو كان لك مِلءُ الأرضِ ذهباً أكنتَ تَفتدي به ؟ فيقولُ : نَعَمْ ، فيقالُ لَه : قدْ كنتَ سُئلتَ ما هوَ أيسرُ مِنْ ذلك ، أنْ لا تشركَ باللهِ شيئاً ، فيُؤْمَرُ بِهِ إلى النّارِ)[1] .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾

يريدُ هؤلاءِ الكافرونَ أنْ يَخْرُجوا منَ النّارِ بعدَ أنْ ذاقوا عذابَها وآلامَها وليسوا بخارجينَ منها أبداً ، بِسَببِ ما ارتَكبوهُ من قبائحَ ومُنْكَراتٍ في الدُّنيا ، ولهمُ عذابٌ دائمٌ ثابتٌ لا ينقطعُ . ففي هذه الآيةِ الكريمةِ قَطْعٌ لآمالِ الكافرينَ قَطْعاً لا التئامَ مَعَهُ ، وتيئيسٌ لهمُ مِنْ مثلِ هذا الرَّجاءِ غيرِ النّافعِ . وبعدَ

---

(١) رواه البخاري في باب من نوقش الحساب عذّب .

أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى في الدَّرسِ السّابقِ عُقوبةَ الحِرابةِ ، وقَطْعِ الطريقِ ، بيّنَ لنا ربُّنا تَعالى عقوبةَ السَّرقةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

وإنّما شُرِعَ بيانُ هذا الحدِّ هُنا لأنَّ الحِرابةَ سَرِقةٌ كُبرى ، فناسبَ أنْ يُبيِّنَ بعدَها أحكامَ السَّرقاتِ الصُّغرى . فالّذي يَسْرقُ والّتي تَسْرِقُ ، اقْطَعوا أيْدِيَهُما جزاءً بما ارْتَكَبا ، عقوبةً لهُما ورَدْعاً لِغيرِهما ، وذلك الحُكْمُ منَ اللهِ تَعالى ، واللهُ تَعالى غالبٌ على أمرِه حكيمٌ في تَشريعِهِ ، فقدْ وضعَ للجرائمِ عقوباتٍ رادعةً مانعةً من شيوعِها وانتشارِها بينَ أفرادِ المُجْتَمَعِ .

والمخاطَبُ بقطعِ اليدِ همْ ولاةُ الأُمورِ الّذينَ يَرجِعُ تنفيذُ الحدودِ إليهِمْ .

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

فمَنْ تابَ إلى اللهِ تَعالى توبةً صادقةً مِنْ بعدِ ظُلْمِهِ لنفسه بسببِ إيقاعِها في المعاصي الّتي منْ أكبرِها السَّرِقةُ ، وأصلحَ عَمَلَهَ بالطّاعاتِ الّتي تمحو السيئاتِ ، فإنَّ الله تَعالى يقبلُ توبتَهُ ، إنّ اللهُ تَعالى واسِعُ المغفرةِ والرَّحمةِ ، ومِنْ مظاهِرِ ذلكَ أنَّهُ فتحَ لعبادِه بابَ التَّوْبةِ والرُّجوعِ إليهِ سُبْحانَهُ .

ثمّ ساقَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ وتَعالى ـ ما يدلُّ على شُمولِ قُدْرتِهِ ، ونفاذِ إرادتِه بصيغةِ الاستفهامِ التقريريِّ ، فقالَ تَعالى :

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

ألَمْ تعلمْ أيُّها العاقلُ ، أنّ اللهَ تَعالى لهُ مُلْكُ السّمواتِ والأرضِ ، يتصرَّفُ فيهما وفي غيرِهما منْ خَلْقِهِ تَصرُّفَ المالكِ في مُلْكِهِ مِنْ دونِ مُدافِعٍ أو مُنازِعٍ ، فإذا علمْتَ ذلكَ أيُّها العاقلُ علماً يقينيّاً فاعْمَلْ بِمُقْتضى هذا العِلْمِ ، بأنْ تكونَ مُطيعاً لِخالِقِكَ في كُلِّ ما أمرَ به ونهى عنهُ ، وبأنْ تدعوَ غيرَكَ إلى هذهِ الطّاعةِ ، فإنَّ اللهَ تَعالى صاحبُ السّلطانِ في التَّعذيبِ والعفوِ ، وهوَ سُبْحانَهُ القويُّ القادِرُ على كلِّ شيءٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِد الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تقوى اللهِ تَعالى رأسُ كُلِّ أمْرٍ خَيِّرٍ .

٢ـ الجهادُ في سبيلِ اللهِ تَعالى منَ الوسائلِ العاليةِ إلى مرضاتِهِ سُبْحانَهُ .

٣ـ الجرائمُ بمختلفِ أنواعِها لها في الشَّرْعِ ما يَرْدَعُ عنها ، ويحولُ دونَ انتشارِها .

٤ـ العقوباتُ الشَّرعيَّةُ زَجْرٌ للمُجْرِمينَ ، وعِبْرةٌ للنّاظرينَ .

٥ـ مِنْ رحمةِ اللهِ بالمسلِمينَ أنْ فتحَ لهُم بابَ التَّوبةِ ، ورغَّبَهُم فيها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

الوسيلةَ ، عذابٌ مقيمٌ ، نَكالاً منَ اللهِ ، عزيزٌ حكيمٌ .

٢ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ الوسائلَ الموصِلَةَ إلى مَرضاةِ الله بيّنْ هذهِ الوسائِلَ .

٣ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ أنَّ آمالَ الكفّارِ مُنقطِعةٌ لا خيرَ فيها ، اذكُرِ الدَّليلَ على ذلكَ .

٤ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ رغبةً مِنْ رَغَباتِ الكافرينَ ، اذكُرْ هذه الرَّغبةَ .

٥ـ أ ـ ما قيمةُ العقوباتِ الشَّرعيَّةِ ؟

ب ـ ما عقوبةُ السَّرقةِ ؟

ج ـ ما حُكْمُ مَنْ تابَ وأصْلَحَ ؟

٦ـ ماذا يترتَّبُ على العِلْمِ اليَقينيِّ النافعِ ؟

نَشاطٌ :

ـ قدّمتِ الآية (٣٩) من هذهِ السّورةِ ، السّارقَ على السّارقةِ ، وآيةُ حدِّ الزِّنا في سورةِ النّور قدّمتِ الزّانيةَ على الزّاني ، ما الحِكْمَةُ في ذلك ؟ اكتبِ الإجابةَ في دَفْتَرِكَ .

الدَّرْسُ الثَّاني عَشَرَ

سورةُ المائدةِ ـ القِسْمُ الثّاني عَشَرَ

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔاۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لا يَحْزُنْكَ : لا يُؤلِمْكَ

يُسارعونَ في الكُفْرِ : يَقعونَ فيهِ بسرعةٍ ، ويرضَوْنَ بهِ ويقبلونَهُ .

فِتْنَتَهُ : اختبارَهُ حتّى يُظْهِرَ ما تنطوي عليهِ نفسُهُ .

سمّاعونَ للكذبِ : كَثيرو السَّماعِ لَهُ .

السُّحْتِ : كلُّ ما خَبُثَ كسبُهُ وقَبُحَ مَصدرُهُ .

بالقِسْطِ : بالعَدْلِ .

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى بعضَ التّكاليفِ الشّرعيةِ ، تحدّثتْ هذهِ الآياتُ عنِ اليهودِ ، ووسائِلِهِمُ الخبيثةِ في مُعارضةِ الدّعوةِ الإسلاميّةِ ، قال تَعالى :

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ .

يا أيُّها الرّسولُ ﷺ لا يَحزُنْكَ صُنْعُ الكافرينَ الّذينَ ينتقلونَ في مَراتبِ الكُفْرِ مِنْ أدناها إلى أَعْلاها ، مُسارِعينَ فيها ، مِنْ هؤلاءِ المخادعينَ الّذينَ قالوا بألسنتِهْم آمنّا ، ولمْ يَصِلِ الإيمانُ إلى قلوبِهِمْ ، ولمْ يُذعِنوا للحقِّ ، ولا يَحْزُنْكَ كذلكَ اليهودُ الّذينَ يُبالِغونَ ويُكثِرونَ الاستماعَ إلى مُفْتَرياتِ أحبارِهِمْ ، ويَستجيبونَ لهمُ ، ويُكثِرونَ الاستماعَ والاستجابةَ لطائفةٍ منهُمْ ، ولمْ يَحْضُروا مَجْلِسَكَ تكبُّراً وبُغْضاً ، وهؤلاءِ تجدُهُمْ يُبدِّلونَ ويُحرِّفونَ ما جاءَ في التَّوراةِ منْ بعدِ أنْ أقامَهُ اللهُ تَعالى وأحْكَمَهُ في مواضِعهِ ، ويقولونَ لأتْباعِهِمْ : إنْ أوتيتُمْ هذا الكلامَ المحرَّفَ المُبدَّلَ وأمَرَكُمْ محمَّدٌ به فاقبلوهُ وأطيعوهُ ، وإنْ لمْ يأتِكُمْ فاحْذَروا أنْ تَقْبلوا غيرَهُ .

ثمَّ يُبيِّنُ اللهُ تَعالى لنبيِّهِ ﷺ أمْراً مُطَمْئِناً وحقيقةً لا تتغيَّرُ ولا تتبدَّلُ ، وهي أنَّ مَنْ أرادَ اللهُ إضْلالَهُ فلنْ تستطيعَ أنْ تهديَهُ أوْ أنْ تنفعَهُ بشيءٍ لمْ يُرِدْهُ اللهُ تَعالى لَهُ .

وأولئكَ همُ الّذينَ أسرَفوا في الضّلالِ والعِنادِ ، لمْ يُرِدِ اللهُ تَعالى أنْ يُطَهِّرَ قلوبَهم مِنْ دَنَسِ الحِقْدِ والعِنادِ والكُفْرِ ، ولهُمْ في الدُّنيا ذُلُّ الفَضيحةِ والهزيمةِ ، ولهُم في الآخرةِ عذابٌ شديدٌ عظيمٌ .

وهذِه الآيةُ الكريمةُ تُبيِّنُ أنَّ هؤلاءِ المُسارِعينَ في الكُفْرِ فريقانِ : الأوَّلُ : فريقُ المنافقينَ ، والثّاني : فريقُ اليهودِ ، والآيةُ تَدعو النّبيَّ ﷺ إلى ألاّ يَحْفِلَ بِهِمْ وَلا يألَمَ لباطِلِهِمْ .

﴿ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

إنَّ هؤلاءِ المُنافقينَ واليهودَ منْ صفاتِهِمْ أنَّهم كَثيرو السَّماعِ للكذبِ ، وكثيرو الأكْلِ للمالِ

الحرامِ بجميعِ صورِهِ وألوانِهِ ، ومنَ كانَ هذا شأنُهُ فلا تَنتظِرْ منْهُ خيراً ولا تَأمَلْ فيهِ رُشْداً .

وقدِ اشتهرَ اليهودُ بصفةٍ خاصّةٍ في كلِّ زمانٍ بِتَقبُّلِ السُّحتِ وأكْلِ الحرامِ ، وقدْ أرشدَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ إلى ما يجبُ عليهِ نحوَهُم إذا ما تحاكَموا إليهِ قائلاً لَهُ : فإنْ جاءكَ هؤلاءِ اليهودُ مُتَحاكِمينَ إليكَ يا محمَّدُ في قضاياهُمْ ، فأنتَ مُخيَّرٌ بينَ أنْ تَحكُمَ بما أراكَ اللهُ تَعالى وأنْ تتركَهُمْ وتُهْمِلَهُم وتُعْرِضَ عنهُم ، وإنْ تُعْرِضْ عنهُم فيما احتكَموا فيهِ إليكَ فلَنْ يَضرّوكَ شيئاً ، فلا تُبالِ بما يَكيدونَه لكَ ، فإنَّ اللهَ تَعالى حافِظُكَ وناصِرُكَ عليهِمْ ، وإنِ اخترتَ الحُكْمَ في قضاياهُم فليكنْ حُكمُكَ بالعدلِ الّذي أمَرَكَ اللهُ بِهِ ، لأنّهُ يحبُّ العادِلينَ في أحكامِهِم .

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

عجباً لهمُ! كيفَ يَطلبونَ حُكْمَكَ ، معَ أنَّ حُكْمَ اللهِ تَعالى مَنصوصٌ عليهِ عندَهُمْ في التَّوراةِ ، والعَجَبُ مِنْ أمرِهِمْ أنّهم يُعرِضونَ عنْ حُكْمِكَ إذا لم يوافِقْ هَواهُمْ ، معَ أنَّهُ المُوافقُ لِما في كِتابِهِمْ ، وليسَ هؤلاءِ الّذينَ جاءوا يَتحاكمونَ إليكَ بالمُؤْمِنينَ لا بكتابِهِمُ التَّوراةِ ، لأنَّهم لوْ كانوا مؤمنينَ بهِ لَنفَّذوا حُكْمَهُ ، ولا بكَ يا محمَّدُ ، لأنَّهم لوْ كانوا مُؤْمِنينَ بكَ لاستجابوا لكَ فيما تأمرُهُم بهِ وتَنْهاهُم عنْهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ يَنبغي للدّاعيةِ ألاّ يَحزَنَ منْ سوءِ سُلوكِ الكافرينَ ، فاللهُ لهُمْ بالمِرْصادِ .

٢ـ الإيمانُ اعْتقادٌ بالقَلْبِ ، وإعْلانٌ باللّسانِ ، وعَمَلٌ بالجَوارِحِ ، فَدعوى الإيمانِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقادٍ وعَمَلٍ لا يَنْفَعُ .

٣ـ طبائعُ اليهودِ وأخلاقُهُمُ الذَّميمَةُ كثيرةٌ ومتعدِّدةٌ ، فالواجبُ الحَذَرُ منهُم .

٤ـ اليهودُ لا يأخذونَ منْ دينِهِمْ إلاّ ما يُحقِّقُ أهواءَهُمْ ومَصالِحَهُمْ ، ويَرفضونَ ما سوى ذلكَ .

٥ـ لابدَّ منَ العدلِ معَ المُحْتَكِمينَ إلينا ، حتّى لَوْ كانوا خصومَنا .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يُسارعونَ في الكُفْرِ ، سَمَّاعونَ للكذبِ ، السُّحْتِ ، بالقِسْطِ .

٢ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّ المُسارِعينَ في الكُفْرِ فريقانِ ، مَنْ هُما ؟

٣ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ رذائلَ اليهودِ ومَنْ على شاكِلَتِهِمْ ، بيّنْ هذهِ الرَّذائلَ .

٤ـ بماذا طَمْأَنَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ إنْ هوَ أعرضَ عنِ المُحْتَكِمينَ إليهِ مِنَ اليهودِ ؟

٥ـ بيَّنَ اللهُ تَعالى أنَّ أولئكَ المُحْتَكِمينَ للنَّبيِّ ﷺ ليسوا بالمُؤْمِنينَ ، وَضّحْ ذلك .

٦ـ هاتِ الدَّليلَ مِنَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أـ لا يَكْفي دَعوى الإيمانِ باللِّسانِ ، إذا لَمْ يَحُلَّ الإيمانُ في القَلْبِ .

ب ـ تحريفُ شرعِ اللهِ تَعالى منْ طبائعِ اليهودِ .

ج ـ حُضورُ مجالسِ الكَذِبِ حرامٌ .

د ـ العدلَ ضرورةٌ في الحُكْمِ بينَ النّاسِ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالثَ عَشَرَ

سورةُ المائدةِ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

معاني المُفْرَداتِ :

هُدىً : ما يَهدي النّاسَ إلى طريقِ السَّعادةِ .

نورٌ : العقائدُ السَّماويَّةُ والمواعظُ الحكيمةُ الّتي تُنيرُ للإنسانِ حياتَه .

الرَّبّانيونَ : العُلماءُ والحُكماءُ والبُصَراءُ بسياسةِ النّاسِ وتدبيرِ أُمورِهِمْ .

الأحبارُ : علماءُ الّدينِ مِنْ أهلِ الكتابِ ، وبخاصةٍ مِنَ اليهودِ .

استُحفِظوا : طُلِبَ منهُم أنْ يَحفظوا .

شُهداءَ : يَشهدونَ أنَّ التَّوراةَ حقٌّ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ حدّثَنا اللهُ تَعالى عن اليهودِ وصِفاتِهِم القَبيحةِ ، حدَّثنا عنِ التَّوراةِ ومَنزلَتِها ، وبعضِ ما اشْتَمَلَتْ عليهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

إنّا أَنزَلْنا التَّوراةَ على موسى عليهِ السَّلامُ ، مُشتمِلَةً على ما يَهدي النّاسَ إلى الحقِّ مِنْ أحكامٍ وتكاليفَ ، وعلى ما يُضيءُ لهُم حياتَهُمْ مِنْ عقائدَ ومَواعظَ وأخلاقٍ فاضلةٍ ، وهذهِ التَّوراةُ يَحكُمُ بها بينَ اليهودِ أنبياؤُهُمُ الّذينَ أخْلَصوا دينَهم للهِ تَعالى ، وأخْلَصوا لهُ العبادةَ والطّاعةَ ، ويَحْكُمُ بها أيضاً العُلماءُ والحُكَماءُ السّالِكونَ طريقَ الأنبياءِ ، والّذينَ عُهِدَ إليهم أنْ يَحْفظوا كتابَهم مِنَ التَّبديلِ ؛ إذْ قدْ كانوا شُهداءَ على هذا الكتابِ الّذي أنزلَهُ اللهُ بأنَّهُ حقٌّ ، وكانوا رُقَباءَ على تَنفيذِ حُدودِه ، وتَطبيقِ أحكامِه ، حتّى لا يُهْمَلَ شيءٌ منها .

وإذا كانَ اللهُ تَعالى أَنْزَلَ التَّوراةَ لتنفيذِ أحكامِها ، وتَطبيقِ تَعاليمِها ، فمِنَ الواجبِ عليكُم أيُّها اليهودُ ، أنْ تَقْتَدوا بأنبيائِكُمْ وصُلَحائِكُمْ في ذلكَ ، وأنْ تَستجيبوا للحقِّ الّذي جاءَ بهِ محمَّدٌ ﷺ ، وأنْ تجعَلوا خَشيتَكُمْ مِنّي وَحْدي ، لا منْ أحدٍ منَ النّاسِ ، فأنا الَّذي بيدي نَفْعُ العبادِ ، وأُحذِّرُهُم وإيّاكُم أنْ تَستبدِلوا بآياتي الّتي اشتملَتْ عليها التَّوراةُ أَحْكاماً أُخْرى ، تُغايِرُها وتخالِفُها ، لكي تَأْخذوا في مُقابلِ هذه الآياتِ ثَمَناً قليلاً مِنْ حُظوظِ الدُّنيا ، وشَهَواتِها ، كالمالِ والجاهِ ونحوِ ذلكَ ، فإنَّ مَنْ فعلَ ذلكَ ، ولمْ يحكُمْ بما أنزلَ اللهُ تَعالى رغبةً منهُ عنْ حُكْمِ اللهِ تَعالى أوْ استهانةً بهِ ، فهوَ مِنَ الكافِرينَ ، لأنَّه كتَم الحقَّ الّذي كانَ مِنَ الواجبِ عليه إظهارُهُ والعملُ بهِ .

وهذا الحكمُ الأخيرُ « ومنَ لمْ يحكُم بما أنزلَ اللهُ » عامٌّ في كلِّ منِ انطبقَ عليهِ هذا الوَصْفُ في جميعِ الأزمانِ ، وليسَ خاصّاً باليهودِ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعدَ ذلكَ بعضَ ما اشتملَتْ عليهِ التَّوارةُ منْ أحكامٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

إنّا أَنْزَلْنا التّوراةَ ، وفَرَضنا عَليْهِم فيها أنَّ النَّفْسَ تُقْتَلُ بالنّفْسِ ، والعينَ بالعينِ ، والسِّنَّ بالسِّنِّ ، وهكذا بقيةُ الأعضاءِ بالقياسِ ، وكذا الجروحُ ـ على تفصيلٍ فيها وبيانٍ لِحَدّها بالضَّبْطِ ـ فيها القِصاصُ . وهذا الحُكْمُ في القتلِ أو التَّعدّي العَمْدِ ، أمّا الخطأُ ففيهِ الدِّيَةُ . فَمَنْ تَصدّقَ مِنْ جَسَدهِ بشيءٍ كَفَّرَ اللهُ عنهُ بقَدَرِه مِنْ ذنوبهِ . ومَنْ يُعْرِضْ عمّا شَرَعهُ اللهُ مِنَ القِصاصِ والعَدْلِ والتَّساوي بينَ الأفرادِ ، فهو مِنَ الظّالمينَ الّذين يَغْمِطونَ النّاسَ حُقوقَهُم المشروعَةَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ كُتُبُ اللهِ تَعالى أنزلَها نوراً وهِدايةً ، لتُنيرَ للنّاسِ حياتَهُمْ ، وتَهديَهُمْ سُبُلَهُمْ .

٢ـ النَّهيُ عنِ اسْتِبدالِ آياتِ اللهِ تَعالى بثمنٍ بَخْسٍ هوَ عَرَضٌ مِنْ أعراضِ الدُّنيا .

٣ـ عدمُ الحُكْمِ بما أنزلَ اللهُ تَعالى كُفْرٌ وظُلْمٌ ، لأنَّ في ذلكَ مُخالفةً لِشَرْعِ اللهِ .

٤ـ النَّعيُ على بني إسرائيلَ إهمالَهُمْ لأحكامِ اللهِ تَعالى ، وتَهافُتَهُمْ على ما يَتَّفقُ معَ أهوائِهِمْ .

٥ـ القِصاصُ كما يَجْري في النُّفوسِ والأبدانِ يجري في الأعضاءِ والأطرافِ عِندَ تَمَكُّنِ المُماثَلةِ .

٦ـ التّرغيبُ في العفَوِ والحضُّ عليهِ ، لأنَّ الإسلامَ دينُ العفوِ والرَّحمةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

هُدىً ونورٌ ، الرَّبّانيّونَ ، الأحبارُ ، استُحفِظوا ، شُهداءَ .

٢ـ بينَّتِ الآياتُ عِظَمَ منزلةِ التَّوراةِ ، وضِّحْ ذلكَ .

٣ـ هاتِ منَ الآياتِ الدَّليلَ على ما يلي :

أـ جريانُ القِصاصِ في النُّفوسِ وغيرِها .

ب ـ الحُكْمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ تَعالى كُفْرٌ وظُلْمٌ .

ج ـ الرَّجلُ والمرأةُ في القِصاصِ سواءٌ .

دـ رغَّبَ الإسلامُ في العَفْوِ عنِ الجُناةِ ، وجعلَ ذلكَ منْ مُضاعِفاتِ الأُجورِ .

٤ـ قولُه تَعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ هلْ هو خاصٌّ أمْ عامٌّ ؟ بيّنْ ذلكَ منْ خلالِ الدَّرسِ .



اقرأ وتدبَّرْ :

روى ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ في تفسيرِه قالَ :

دقَّ رجلٌ منْ قريشٍ سِنَّ رجلٍ منَ الأنصارِ ، فاسْتَعدى عليهِ معاويةَ ، فلمّا ألحَّ الرَّجلُ قالَ معاويةُ : « شأنُكَ وصاحِبُكَ ، قالَ : وأبو الدَّرداءِ عندَ معاويةَ ، فقالَ أبو الدَّرداءِ : سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « ما منْ مسلمٍ يُصابُ بشيءٍ منْ جسدِه فيهبُهُ إلاّ رفعَهَ اللهُ بهِ درجةً وحَطَّ عنهُ بهِ خطيئةً » ، فقالَ الأنصاريُّ : « أنتَ سمعتَهُ منْ رسولِ اللهِ ؟» فقال أبو الدَّرداءِ : « سمعَتْهُ أذنايَ ووعاه قلبِيَ » ، فخلَّى الأنصاريُّ سبيلَ القُرَشيِّ ، فقالَ مُعاويةَ : « مُروا لَهُ بمالٍ »[١] .

نَشاطٌ :

ـ ذَكَرَ اللهُ تَعالى أنَّه اسْتَحْفَظَ أهلَ الكتابِ على كِتابِهِمْ ، فمنِ الَّذي تكفَّلَ بحفظِ القُرآنِ ؟ اكْتُبِ الإجابةَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

(١) تفسير الطبري ٦/ ٢٦٠ ، والحديث رواه الترمذي ٤/ ١٤ حديث رقم (١٣٩٣) .

الدَّرسُ الرَّابِعَ عشَرَ

سورَةُ المائِدَةِ - القِسْمُ الرّابعَ عشَرَ

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وقفَّينا على آثارِهِمْ	: بَعثْنا مِنْ بَعدِهِمْ .
وأَنْزَلْنا إليكَ الكتابَ	: القُرآنَ الكريمَ .
مُهيمِناً عليهِ	: رقيباً على ما سبقَهُ مِنَ الكتبِ ، وأميناً وحاكماً عليْها .
شِرْعةً ومِنهاجاً	: ديناً وطريقاً .
فاسْتَبِقوا الخيراتِ	: تَسابقوا في فِعْلِ الطّاعاتِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى مَنزلةَ التَّوراةِ وما اشتملَتْ عليهِ مِنْ هداياتٍ وتشريعاتٍ ، أتبعَ ذلكَ بِبَيانِ منزلةِ الإنجيلِ ، وما اشتملَ عليهِ مِنْ مواعظَ وأحكامٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

وأتبَعْنا أُولئكَ الّذينَ أسلَموا وُجوهَهُمْ للهِ تَعالى ، وأخلَصوا لهُ العبادةَ ، والّذينَ كانوا يَحكُمونَ بالتَّوراةِ كموسى وهارونَ عليهِما السَّلامُ وغيرِهم مِمَّنْ جاءَ بعدَهم ، وأرسَلْنا بعدَهُمْ عيسى ابنَ مريمَ ، وجعلناهُ مُتَّبِعاً طريقتَهُمْ ، وناهِجاً نَهْجَهُمْ في الخُضوعِ والطّاعةِ والإخلاصِ للهِ تَعالى ، مُصدِّقاً للتَّوراةِ الّتي سبقتْهُ ، وأَنْزَلْنا عليهِ الإنْجيلَ فيهِ هدايةٌ إلى الحَقِّ وبيانٌ للأحكامِ ، وفيهِ الهدايةُ والمَوْعظةُ لمنْ سَلَكَ سبيلَ المُتَّقينَ مِنَ المُؤْمنينَ بهِ .

وقدْ وصفَ اللهُ تَعالى الإنجيلَ في هذهِ الآيةِ بخمسِ صفاتٍ هي :

أولاً : فيهِ هدىً .

ثانياً : فيهِ نورٌ .

ثالثاً : مُصَدِّقٌ لما بينَ يَدَيْهِ منَ التَّوراةِ .

رابعاً : كونُهُ هدىً .

خامساً : مَوعظةٌ للمُتَّقينَ .

ثمَّ إنَّ اللهَ تَعالى أمرَ أتباعَ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ بالحُكْمِ بما جاءَ في الإنجيلِ ، فقالَ لأولئِكَ الّذينَ آمنوا بنُبوَّةِ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ ووُجِدوا قبلَ بعثةِ النَّبيِّ ﷺ :

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

على هؤلاءِ أنْ يَحْكُموا فيما بينَهُمْ بِمُقتضى أحكامِ الإنجيلِ مِنْ دونِ تحريفٍ أو تَبديلٍ . أمّا الّذينَ وُجدوا مِنهمْ بعدَ بِعثةِ النَّبيِّ ﷺ فَمِنَ الواجبِ عليهِمْ أَنْ يُصدِّقوا رسولَ اللهِ ﷺ ويتّبعوا شريعتَه ، لأنَّ فِعْلَهُمْ هذا يعني تصديقَهم بالإنجيلِ ، واتِّباعاً منهُمْ لنبيِّهِمْ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ فإنّ شريعةَ الإسلام قدْ نسخَتْ جميعَ الشّرائعِ الّتي قَبْلَها . ومَنْ لمْ يَفعلْ ذلكَ منهُمْ ، فهُمُ المُتمرِّدونَ الخارجونَ عنْ جادَّةِ الحقِّ ، وعنِ السَّنَنِ القويمِ والصِّراطِ المُستقيمِ .

وبعدَ أنْ تحدَّثَ اللهُ تَعالى عنِ التّوراةِ والإنجيلِ وأثْنى عليهِما ، وأمرَ باتِّباعِ تعاليمِها ، عقبَ ذلكَ بالحديثِ عنِ القرآنِ الكريمِ الّذي أنزلَهُ سُبْحانَهُ على رسولِهِ محمَّدٍ ﷺ فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

وأَنْزَلْنا إليكَ أيُّها النَّبيُّ الكتابَ الكامِلَ ، وهوَ القرآنُ الكريمُ ، مُلازِماً الحقَّ في كلِّ أحكامِهِ ، وأنبائِهِ ، مُوافِقاً ومُصدِّقاً لما سبقَهُ منْ كُتبنا ، وشاهداً عليها بالصِّحةِ ، ورقيباً عليْها بسببِ حِفْظهِ مِنَ التَّغييرِ ، فاحْكُمْ بينَ أهلِ الكتابِ إذا تحاكَموا إليكَ بما أنزلَ اللهُ تَعالى عليكَ في القرآنِ ، ولا تتَّبعْ في حُكْمِكَ شَهَواتِهِمْ ورَغَباتِهِمْ ، فَتَنحرِفَ عمّا جاءَكَ مِنَ الحقِّ ، فلكُلِّ أُمَّةٍ منكُمْ أيُّها الناسُ جعلْنا مِنهاجاً لبيانِ الحقِّ وطريقاً واضحاً في الدِّينِ يُمْشى عليْهِ ، ولوْ شاءَ اللهُ تَعالى لجعلَكُمْ جماعةً واحدةً ذاتَ مَشاربَ مُتَّفقةٍ ، لا تَختلفُ مناهجُ إرشادِهِمْ في جميعِ العُصورِ ، وإنَّما جَعلَكُمْ هكذا لِيَخْتبِرَكُمْ فيما آتاكُمْ مِنَ الشَّرائعِ ، ولِيتبيَّنَ المُطيعُ منْ العاصي ، فانْتَهِزوا ـ أيُّها النّاسُ ـ الفُرَصَ ، وسارِعوا إلى عَمَلِ الخيراتِ ، فإنَّ رُجوعَكُمْ جميعاً سيكونُ إلى اللهِ تَعالى وحدَهُ ، فيخبِرُكُمْ بحقيقةِ ما كنتمْ تَختلفونَ فيهِ ويُجازي كُلاًّ منكُمْ بِعَمَلِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الأنبياءُ جميعاً على مِلَّةٍ واحدةٍ ، والكتبُ السّماويَّةُ مصدرُها واحدٌ .

٢ـ النَّصارى مُلزَمونَ باتِّباعِ مِلَّةِ نَبيِّنا محمّدٍ ﷺ ، وإلاّ عُدّوا مُكذِّبينَ بعيسى عليهِ السَّلامُ .

٣ـ اختلافُ شرائعِ النّاسِ منْ سُننِ اللهِ تَعالى في الكَوْنِ .

٤ـ على الإنسانِ العاقلِ أنْ يُسارِعَ في الخَيْراتِ قبلَ أنْ يُدْرِكَهُ الموتُ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

وقفَّينا على آثارِهِمْ ، الكتابَ ، مُهيمناً عليهِ ، شِرْعةً ومِنهاجاً ، فاسْتَبِقوا الخيراتِ .

٢ـ هاتِ منَ الآياتِ الدّليلَ على ما يلي :

أـ الأنبياءُ جميعاً على مِلَّةٍ واحدةٍ .

ب ـ الكتبُ السَّماويةُ يُصدِّقُ بعضُها بَعْضاً .

ج ـ القرآنُ كلُّهُ حقٌّ .

د ـ اختلافُ الشَّرائعِ منْ سُنَنِ اللهِ تَعالى .

٣ـ ذَكَرَ اللهُ تَعالى في هذهِ الآياتِ خمسةَ أوصافٍ للإنجيلِ ، بيِّنها واذْكُرِ الدَّليلَ على ذلكَ .

٤ـ اذكُرْ ثلاثةَ أُمورٍ ممّا ترشدُ إليهِ الآياتُ الكَريمةُ .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسَ عَشَرَ

سورةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ

وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَفتنوكَ	: يَصرفوكَ ويَصُدّوكَ بكيدهِم عنِ الحقِّ .
مَرَضٌ	: شكٌّ ونفاقٌ
تُصيبَنا دائرةٌ	: يَدورَ علينا الدَّهرُ بنوائِبهِ .
يُسارِعونَ فيهِمْ	: يُسارعونَ في تَوَلّيهِمْ .
بالفتح	: بالنَّصرِ لرسولِهِ ﷺ .
جَهْدَ أَيمانِهِم	: مُجتهِدينَ في الحَلْفِ بأغلظِ الأيْمانِ وأوْكدِها .
حَبِطَتْ أعمالُهم	: بَطلَتْ وضاعَتْ ، فلا يُؤْجَرونَ عليْها .

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى مَكانةَ التَّوراةِ والإنجيلِ ، تتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عنِ القرآنِ الكريمِ ، وتُحَذِّرُ مِنْ مُوالاةِ الكافِرينَ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ (٤٩) ﴾

لقدْ أَنْزَلْنا إليكَ الكِتابَ الكاملَ يا محمَّدُ ﷺ فيهِ حُكْمُ اللهِ تَعالى وأَمَرْناكَ بأنْ تَحكُمَ بينَ أهلِ الكتابِ بما أنزلَ اللهُ تَعالى ، ولا تَتّبِعْ رغباتِ وأهواءَ الّذينَ اتَّخذوا دينَهم لَهْواً ولَعِباً منَ اليهودِ والنَّصارَى ، واحْذرْ أنْ يَصرِفوكَ عنْ بعضِ ما أنزلَ اللهُ تَعالى إليْكَ ، فإنْ أعْرَضوا عنْ حُكْمِ اللهِ تعالى وأرادوا غَيْرَهُ ، فاعْلَمْ أنّ اللهَ تَعالى إنّما يُريدُ أن يصيبَهُمْ بعذابٍ مِنْ عندهِ بِسَبَبِ ذنوبِهِمُ الّتي ارتكَبوها ، ومِنْها مُخالفةُ أحكامِهِ وشَريعتِهِ ، ثمَّ يُجازيهِمْ على كلِّ أعمالِهِمْ في الآخرةِ ، فكثيرٌ مِنَ النّاسِ مُتمرِّدونَ على أحكامِ الشَّريعةِ خارجونَ عن منهجِها .

وتُبيِّنُ الآيةُ الكريمةُ أنَّ الحُكْمَ إنَّما هوَ للهِ تَعالى ، وهوَ ما جاءَ في كتابِهِ الأخيرِ وهوَ القرآنُ الكريمُ ، وفيها كذلكَ تيئيسٌ لأهلِ الكتابِ منْ محاولةِ إغراءِ النَّبي ﷺ باتّباعِ أهوائِهم وشَهَواتِهِمْ ، فالرَّسولُ ﷺ لا يَتّبعُ إلاّ ما أوحاهُ إليهِ ربُّهُ .

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) ﴾ .

أيريدُ هؤلاءِ الخارجونَ عنْ أمرِ اللهِ تَعالى ونَهْيِهِ ، والرّافضونَ لِحُكْمهِ أنْ يحكُموا بأحكامِ الجاهليةِ الّتي لا عَدْلَ فيها ، بأنْ يَجْعلوا أساسَ الحُكْمِ المَيْلَ والمُداهنةَ ؟ وهذهِ هيَ طريقةُ أهْلِ الجاهليّةِ ، وهلْ هناكَ مِنَ الأحكامِ ما هوَ أحسنُ مِنْ أحكامِ اللهِ تَعالى لقومٍ يوقِنونَ بالشَّرْعِ ويُذْعِنونَ للحقِّ ؟ وهؤلاءِ فَقَط الّذينَ يُدرِكونَ حُسْنَ أحكامِ اللهِ تَعالى وما فيها منْ صِدْقٍ وعَدْلٍ .

وبعدَ هذا التَّوبيخِ لأولئكَ المُنحرِفينَ ، وجَّهَ اللهُ تَعالى نداءً للمُؤْمِنينَ حذَّرهُم فيهِ مِنْ مُوالاةِ أعدائِهِمْ فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥١) ﴾

يا أيُّها الَّذينَ آمنوا باللهِ تَعالى وبِرسولهِ ﷺ لا يَتَّخِذْ أَحدٌ منكُمْ أَحَداً منَ اليهودِ والنَّصارَى وليّاً ولا نصيراً ، فلا تُصافوهُمْ مُصافاةَ الأحبابِ ، ولا تَستنصِروا بِهِمْ ، فإنَّهمْ جميعاً يدٌ واحدةٌ عليكُمْ

يَتربّصونَ بكمُ الدَّوائرَ ، ولا يُحبّونَ لكُمُ الخَيْرَ ، فيكفَ تَتوهَّمونَ أنْ تكونَ بينَكُم وبينَهم مُوالاةٌ ، والواقعُ أنَّ بعضَهُمْ أولياءُ بعضٍ .

ومنْ يتولَّهُمْ منكُمْ أيُّها المُؤْمِنونَ فإنَّهُ حُكْمُهُ حُكْمُهُمْ ، لأنَّه إمّا أنْ يكونَ والاهُمْ لِضَعفٍ في دِينِهِمْ ، وهذا يُبعدُه منْ دينِ الإسلامِ ، ويقرِّبُه منْ أهلِ الكتابِ ، وإمّا أنْ يكونَ والاهُمْ لأنَّه يحبُّ دينَهُمْ ويُحبُّهمْ ، فهو كافرٌ باللهِ تَعالى وبرسولهِ ﷺ . وفي هذا تشديدٌ على المنافقينَ الّذينَ يَرتَبطونَ بصداقاتٍ مع اليهودِ والنّصارى ، فهوَ مِنهُمْ . واللهُ لا يهدي هؤلاءِ الظّالمينَ الَّذينَ فَعلوا هذا الفِعْلَ القبيحَ ، بلْ يتركُهُم في غيِّهِم وضَلالتِهِمْ حتّى يأتيَ عَليْهِمْ أمرُ اللهِ تَعالى .

وبعدَ هذا بيّنَ اللهُ تَعالى صورةَ المُنافِقينَ الّذينَ رَغِبوا في مُوالاةِ أعداءِ اللهِ تَعالى وصاروا في صُفوفِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

فترى يا محمَّدُ ﷺ أولئكَ المنافقينَ الَّذينَ ضَعُفَ إيمانُهُمْ وذهبَ يَقينُهمْ ، يُسارعونَ في مُناصرةِ أعداءِ الإسلامِ مُسارعةَ الدَّاخلِ في الشَّيءِ ، قائِلينَ في أنفسِهِمْ أوْ للنَّاصِحينَ لهُمْ بالثَّباتِ على الحقِّ : اترُكونا وشأنَنا ، فإنَّنا نَخشى أنْ تَنْزِلَ بنا مُصيبةٌ مِنَ المصائبِ الّتي يدورُ بها الزمانُ كأنْ تمَسَّنا أزمةٌ أوْ ضائِقةٌ اقتصاديةٌ ، أوْ أنْ يكونَ النَّصرُ في النِّهايةِ لهؤلاءِ الَّذينَ نُواليهِمْ ، فنحنُ نُصادقُهُمْ ونُصافيهِمْ لنتّقيَ شرَّهُمْ ، ولِننالَ عَوْنَهُمْ عندَ المُلِمّاتِ والشّدائدِ ، فإذا كانَ الأمرُ كذلكَ فلا تهتمّوا أيُّها المؤمنونَ بمُسارعةِ هؤلاءِ الّذينَ في قلوبِهم مرضٌ إلى صفوفِ أعدائِكُمْ ، وارتمائِهِمْ في أحضانِهِمْ خَشيةَ أنْ تُصيبَهُمْ دائرةٌ ، فلعلَّ اللهَ تَعالى بِفَضْلهِ وصِدْقِ وَعْدِهِ أنْ يأتيَ بالخَيْرِ العميمِ والنَّصْرِ المؤزَّرِ الّذي يُظهِرُ دينَهُ ، ويجعلُ كَلِمتَهُ هِيَ العُليا ، أوْ يأتيَ بأمرٍ منْ عندِه فيُزَلزِلَ قُلوبَ أعدائِكمْ ، وينصرَكُمْ عليهِمْ ، فيصبحَ المنافقونَ نادِمينَ على ما أسرّوا في أنفِسهِمْ منْ بُغضِهم لكُمْ ، ومُصافاتِهِمْ لأعدائِكُمْ ، وشَكِّهِمْ في أنْ تكونَ العاقبةُ للإسلامِ والمسلمينَ .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

وحينئذٍ يقولُ المؤمنونُ الصّادقونَ مُتعجّبينَ مِنَ المُنافِقينَ : أهؤلاءِ الّذينَ أقْسَموا وبالَغوا في القسَمِ باللهِ تَعالى على أنّهم مَعكُمْ في الدِّين مُؤْمِنونَ مِثْلَكُمْ ؟ كَذَبوا وبَطَلَتْ أعمالُهُمْ ، فصاروا خاسِرينَ في الدُّنيا والآخرةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

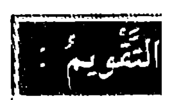
١ـ مَنْ رَغِبَ عنْ حُكْمِ اللهِ تَعالى فهوَ مِنَ الفاسِقينَ ، لأنَّهُ لا حُكْمَ أحسنُ مِنْ حُكْمِ اللهِ تَعالى .

٢ـ لا يجوزُ لمؤمنٍ أنْ يواليَ غيرَ المؤمنينَ ، لأنّهم يوالي بعضُهُمْ بَعْضاً .

٣ـ مَنْ سَلَكَ سبيلَ غيرِ المؤمنينَ ووالاهُمْ فهوَ منْهُم .

٤ـ النِّفاقُ مَرَضٌ خبيثٌ يَظهَرُ أثرُهُ في المُنافقِ .

٥ـ مَنْ والى غيرَ المُؤْمنينَ خَسِرَ في الدُّنيا والآخرةِ .



التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

أنْ يَفتنوكَ ، تُصيبَنا دائرةٌ ، يُسارِعونَ ، الفتحِ ، جَهْدَ أَيْمانِهِم ، حَبِطَتْ أعمالُهُمْ .

٢ـ هاتِ منَ الآياتِ الدَّليلَ على ما يلي :

أـ الحكمُ للهِ تَعالى .

ب ـ الاحتكامُ لغيرِ شَرْعِ اللهِ تَعالى اتِّباعٌ للجاهليَّةِ .

ج ـ أعداءُ اللهِ تَعالى يوالي بعضُهُمْ بعضاً .

د ـ مَنْ والى يَهوديّاً فهوَ مثلُهُ .

هـ ـ الّذين يُوالونَ اليهودَ والنَّصارَى مُنافقونَ .

٣ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكريمةُ السّببَ في مُوالاةِ المُنافقينَ لأهْلِ الكِتابِ ، بيِّنْ ذلكَ .

٤ـ فسِّر كلاً منَ الآياتِ التّاليةِ :

أـ واحْذرهُم أنْ يَفْتِنوكَ عنْ بعضِ ما أنزلَ اللهُ إليكَ .

ب ـ أفَحُكْمَ الجاهليَّةِ يَبْغونَ .

ج ـ فترى الّذينَ في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعونَ فيهِمْ .

د ـ حَبِطَتْ أعمالُهم فأصْبَحوا خاسِرينَ .

٥ـ اذكُرْ ثلاثةَ أُمورٍ ممّا تُرشِدُ إليهِ الآياتُ الكريمةُ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ حادثةً تُبيِّنُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ حَكَمَ فيها على اليهودِ بالحُكْمِ الَّذي جاءَ في القرآنِ الكريمِ .

* * *

الدرس السادس عشر

سورة المائدة ـ القسم السادس عشر

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

معاني المُفْرداتِ :

أَذلّةٍ على المُؤْمنينَ	: عاطِفينَ عليهِم رُحماءَ بِهِمْ .
أعزّةٍ على الكافرينَ	: أشدّاءَ عليهِمْ غُلَظاءَ .
لَوْمةَ لائمٍ	: اعتراضَ مُعْتَرِضٍ .
واسِعٌ	: كبيرُ الفضلِ والجودِ .
هُزُواً ولَعِباً	: سُخرِيةً ، وهَزْلاً ومُجوناً .

التّفسيرُ :

بعدَ أنْ حذّرَ اللهُ تَعالى المؤمنينَ مِنْ موالاةِ اليهودِ والنّصارى ، وجّهَ نداءً آخرَ لعبادِهِ المُؤْمنينَ ، بيّنَ لهمُ فيهِ خُطورةَ مُوالاةِ أعداءِ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

يا أيُّها الّذين آمنوا لا يَتّخذْ أحدٌ منكُم أحَداً مِنْ أعداءِ اللهِ تَعالى وليّا ونصيراً ، لأنّ وِلايتَهُمْ تقودُ إلى مَضرَّتِكُمْ وخُسرانِكُمْ ، بلْ وإلى رِدَّتِكُمْ عنِ الحقِّ الّذي آمنتُم بهِ ، ورجوعِكُمْ عنهُ ، ومَنْ يَرْجعْ منكُم عنِ الإيمانِ إلى الكُفْرِ فلنْ يَضُرَّ اللهَ تَعالى بأيّ قَدْرٍ منَ الضَّررِ ، وإنْ فعلتُمْ ذلكَ فإنَّ اللهَ تَعالى سوفَ يأتي بقومٍ خَيْرٍ منكُمْ ، يُحبُّهمْ ، فيوفِّقُهمْ للهُدَى والطّاعةِ ، ويُحبّونَ اللهَ تَعالى فيُطيعونَهُ ، ولا يوالونَ أعداءَهُ ، وفيهِمْ تَواضعٌ ورحمةٌ بإخوانهمُ المُؤْمنينَ ، وفيهم شِدَّةٌ وغِلْظةٌ على أعدائِهِمُ الكافرينَ ، وهؤلاءِ يُجاهِدونَ في سبيلِ اللهِ تَعالى ولا يَخافونَ في سبيلِهِ لومةَ لائمٍ ولا اعتراضَ مُعترِضٍ ، وهذا مِنْ فضلِ اللهِ ـ تَعالى ـ ، يمنحُه لِمنْ يشاءُ ممَّنْ يُوفِّقُهمْ للخيرِ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ كثيرُ الفضلِ عليمٌ بمَنْ يَستحقّونَهُ منْ عبادِهِ .

وفي هذهِ الآيةِ دليلٌ على أنَّ مَحبَّةَ اللهِ للمُؤْمنينَ منْ أغلى الغاياتِ الّتي يَتَطلَّعونَ إليها . ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعدَ ذلكَ الّذينَ تَجبُ مُوالاتُهُمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

إنَّما وليُّكُمُ اللهُ تَعالى الّذي بيدِهِ كلُّ خيرٍ والمَرجوُّ وحدَهُ في الشّدائِد والكُروبِ ، ورسولُهُ ﷺ الّذي أخرجَكُمْ بإذنِ اللهِ تَعالى مِنَ الظُّلماتِ إلى النّورِ ، والّذينَ آمنوا هُم منكُمْ وأنتُم منهُمْ ، فهُمُ الّذينَ يُقيمونَ الصّلاةَ في مَواقيتِها بِخُشوعٍ وإخلاصٍ ، ويُؤْتونَ الزَّكاةَ لِمُسْتَحِقّيها بسماحةٍ وطيبِ نَفْسٍ ، وهمْ خاشعونَ مُتواضعونَ للهِ تَعالى وليسوا مُرائينَ أوْ مَنّانينَ .

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

ومنْ يتولَّ اللهُ تَعالى بأنْ يُطيعَهُ ويتوكَّلْ عليهِ ويتولّى رسولَهُ ﷺ بأنْ يتَّبعَهُ ويتأسَّى بهِ ، ويتولّى الّذينَ آمنوا بأنْ يُناصِرَهُمْ ويَشُدَّ أزْرَهُمْ ويتعاونَ معَهُم على البرِّ والتَّقوى ؛ مَنْ يفعلُ ذلكَ فَهُوَ مَنْ حِزْبِ اللهِ تَعالى ، الغالبونَ لغيرِهم منَ الأحزابِ الأخرى الّتي استحوذَ عَليْها الشيطانُ ، وأيُّ فضلٍ ونعمةٍ أحسنُ مِنْ أنْ يكونَ الإنسانُ في حزبِ اللهِ تَعالى .

ثمَّ نهى اللهُ تَعالى المُؤْمنينَ مُجدَّداً عنْ مُوالاةِ أعدائِهِمْ وأعداءِ دينِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

يا أيُّها الّذينَ آمنوا لا تَتّخِذوا أعداءَ الإسلامِ الّذينَ اتَّخذوا دينَكُمْ سُخْرِيةً ولَهْواً ، وهُمُ اليهودُ والنَّصارى والمُشْرِكونَ ، لا تتَّخِذوهُمْ نُصراءَ ، ولا تَجْعلوا ولايَتَكُمْ لهمْ ، واتَّقوا اللهَ تعالى في سائِرِ ما أمَرَكُمْ بهِ وما نهاكُمْ عنهُ ، فلا تُوالوا مَنْ نهاكُمْ عنْ مُوالاتِهِمْ ولا تخالِفوا للهِ تَعالى أمْراً إنْ كُنتمْ مُؤْمِنينَ حقّاً ، مُمْتَثِلينَ صِدْقاً ، فإنَّ وصْفَكُمْ بالإيمانِ يُحتِّمُ عَلَيْكُمُ الطّاعةَ التّامَّةَ للهِ ربِّ العالمينَ .

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

وإذا ناديتُمْ أيُّها المُؤْمِنونَ بَعْضَكُمْ بعضاً إلى الصَّلاةِ عنْ طريقِ الأذانِ ، اتّخذَ هؤلاءِ المُضِلُّونَ ، الصَّلاةَ والأذانَ مَوْضوعاً لِسُخريَتِهِمْ ، وعَبَثِهِمْ وتَهَكُّمِهِمْ ، وتَضاحَكوا عليها وعليكُمْ ، وهذا الصّادرُ منهُم مِنَ استهزاءٍ وعَبَثٍ سببُهُ أنَّهمْ قومٌ سُفهاءُ ، جُهَلاءُ لا يُدْرِكونَ الأُمورَ على وجهِها الصَّحيحِ ، ولا يُدْرِكونَ الفَرْقَ بينَ الضَّلالِ والهُدى ، ولا يَستجيبونَ لِلحَقِّ الَّذي ظهرَ لهم بسببِ عِنادِهِمْ وأحقادِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ وِلايةُ غيرِ المُؤْمنينَ رِدّةٌ عنْ دينِ اللهِ تَعالى .

٢ـ لا يَنبغي للمؤمنِ أنْ يخافَ في اللهِ تَعالى لومةَ لائِمٍ .

٣ـ وِلايةُ المؤمنِ إنَّما هيَ للهِ تَعالى ورسولِهِ والمؤمنينَ .

٤ـ مَنْ والى اللهَ والاهُ اللهُ .

٥ـ مِنْ عادةِ المُشرِكينَ السُّخريةُ مِنَ المؤمنينِ ودينِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

أذلّةٍ على المُؤْمنينَ ، أعزّةٍ على الكافِرينَ ، لومةَ لائمٍ ، واللهُ واسعٌ عليمٌ ، هُزُواً ولَعِباً .

٢ـ بينَّتِ الآياتُ الكريمةُ أوصافَ المُؤْمِنينَ الّذينَ يُحبُّهُمُ اللهُ تَعالى ويُحبّونَه ، وَضِّحْ هذهِ الصِّفاتِ .

٣ـ ما حُدودُ وِلايةِ المؤمنِ ؟ وما نَتيجةُ هذهِ الوِلايةِ ؟ اذْكُرِ الدَّليلَ على قولِكَ .

٤ـ لماذا نَهى اللهُ تَعالى عنْ مُوالاةِ أهلِ الكتابِ والمُشْرِكينَ ؟

نَشاطٌ

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ آخِرَ آيةٍ منْ سورةِ المُجادَلةِ ، وبيِّنْ وَجْهَ الشَّبهِ بينَها وبينَ آياتِ الدَّرسِ .

٢ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ أواخِرَ سورةِ المُطفِّفينَ الَّتي تُبيِّنُ سُخريةَ المُجرِمينَ مِنَ المسلِمينَ .

* * *

الدرسُ السابعَ عشرَ

سورةُ المائدةِ ـ القِسمُ السابعَ عشرَ

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾

معاني المفرداتِ :

تنقِمونَ : تَكْرَهونَ أو تَعيبونَ وتُنكِرونَ .

مَثوبةً : جزاءً وعقوبةً .

عَبَدَ الطّاغوتَ : الطّاغوتُ : كُلُّ ما عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ .

سواءِ السَّبيلِ : الطريقِ المُعْتَدلِ وهوَ الإسلامُ .

السُّحْتَ : المالَ الحرامَ .

الرَّبّانيّونَ : عُبّادُ اليهودِ .

الأحبارُ : علماءُ اليهودِ .

التفسيرُ :

بعدَ أنْ حذّرَ اللهُ تَعالى المؤمنينَ تحذيراً شديداً مِنْ موالاةِ أعدائِهِ ، شَرَعَ في توبيخِ أهلِ الكتابِ

على عنادِهِمْ وحَسدِهِمْ ، وَوَصَفهُمْ بِجُمْلَةٍ منَ الصفاتِ القبيحةِ الّتي ينأى عنها العقلاءُ وأصحابُ المروءةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ .

قُلْ يا محمَّدُ ﷺ على سبيلِ التَّوبيخِ لأهلِ الكتابِ والتعَّجُبِ منْ أحوالِهِمْ ، قُلْ لهم : يا معشرَ اليهودِ والنَّصارَى هلْ تَعيبونَ علينا وتُنْكِرونَ وتكْرَهونَ منّا إلاّ أنَّنا آمنّا باللهِ تَعالى الّذي يَجبُ الإيمانُ بهِ والخُضوعُ لهُ ، لأنَّه سُبْحانَهُ الخالِقُ لكلِّ شيءٍ حقّ ، آمنّا بما أُنزِلَ إلينا منَ القرآنِ الكريمِ ، وآمنّا بما أُنْزلَ مِنْ قبلُ مِنْ كتبٍ سماويّةٍ كالتوّراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ وغيرِها مِنَ الكتبِ الّتي أنزلَها اللهُ تَعالى على أنبيائِه ـ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ لا شكَّ في أنَّ إيمانَنا بذلكَ لا يُعابُ ولا يُنكَرُ بلْ يُشْكَرُ ، ولكنْ لأنَّ أكثرَكُمْ خارِجونَ عنْ دائرةِ الإيمانِ الحَقِّ كَرِهْتُمْ منّا ذلكَ ، وأنكرتُموهُ علينا ، وحسدتُمونا على توفيقِ اللهِ إيّانا لِما يحبُّه ويرضاهُ . ومِنْ إنصافِ القرآنِ أنْ قال : (وإنَّ أكْثَرَكُمْ فاسِقونَ) ولمْ يُعمِّمِ الحُكْمَ ، لأنَّ منهُم فِئةً قليلةً مُؤْمِنةً ، وهُمُ الَّذينَ أَسْلَموا .

ثمَّ تابعَ سُبْحانَهُ التَّهكُّمَ بِهم وتَعجيبَ النّاسِ بِهمْ وبفسادِ رأْيِهِمْ ، معَ تذكيرِهمْ بسوءِ مصيرِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ .

قلْ يا محمَّدُ ﷺ لهؤلاءِ اليهودِ الّذينَ عابوا على المُؤْمِنين إيمانَهُمْ باللهِ تَعالى وبما أنزلَهُ منْ كُتبٍ سماويّةٍ ، والذّينَ قالوا لكُم : ما نعلَمُ أهلَ دينٍ أقلَّ حظّاً في الدُّنيا والآخرةِ منكُم ولا ديناً شرّاً مِنْ دينِكُمْ ، قلْ لهُم على سبيلِ التبكيتِ والتّنبيهِ على ضَلالِهِمْ : هلْ أُخبِرُكُمْ بشرِّ النّاسِ عُقوبةً عندَ اللهِ تَعالى يومَ القيامةِ ؟ إنّه دينُ مَنْ لعنَهُ اللهُ تَعالى وطَردَهُ منْ رحمتِه ، وغَضِبَ عليهِ ، ومَسَخَ بعضَهُمْ قِردةً وبعضَهُمْ خنازيرَ ، وجعلَ منهُم مَنْ عَبَدَ الطّاغوتَ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى ، إنّ أولئكَ شَرٌّ مكاناً مِنْ غيرِهِمْ وأكثرُ ضَلالاً عنْ طريقِ الحقِّ المستقيمِ مِنْ سواهُم ، فهمُ في الدُّنيا يُشرِكونَ باللهِ تَعالى ، ويَنتهِكونَ مَحارِمَه ، وفي الآخرةِ مأواهُم النّارُ وبئسَ القرارُ .

﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴾ .

وإذا جاءَ إليكُمْ أيُّها المؤمنونَ ، هذا الصِّنْفُ مِنَ النّاسِ أظهروا الإسلامَ ، وقالوا لكُمْ : آمنّا بأنَّكُمْ على حقٍّ ، وحالُهُمْ وحقيقتُهُمْ أنّهمْ قدْ دَخلوا إليكُمْ وهُمْ مُتَلبِّسونَ بالكُفْرِ ، وخَرجوا مِنْ عندِكُمْ وهمْ مُتَلبِّسونَ بهِ أيضاً ، فهُم يَدخلونَ عليكُمْ ويَخرجونَ مِنْ عندِكُمْ وقُلوبُهُمْ كما هِيَ ،

لا تتأثَّرُ بالمَواعظِ الّتي يُلقيها الرَّسولُ ﷺ ، لأنَّهمْ قدْ قسَتْ قلوبُهُمْ وفَسدَتْ نفوسُهُمْ ، واللهُ تَعالى أعلمُ بما كانوا يُخفونَهُ مِنْ نِفاقٍ وخِداعٍ وحَسَدٍ وبَغْضاءَ لَكُمْ عندَ دُخولِهِمْ وعندَ خروجِهِمْ ، فاللهُ سُبْحانَهُ لا تخفى عليهِ خافيةٌ مِنْ أحوالِهِمْ ، فاحْذَروهُمْ ولا توالوهُمْ .

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

وترى أيُّها الرَّسولُ الكريمُ ﷺ ، وأيُّها السامعُ ، كثيراً مِنْ هؤلاءِ اليهودِ يُسارِعونَ في ارتكابِ الآثامِ والمَعاصي ، وفي التَّعدِّي والظُّلْمِ ، وأكْلِ المالِ الحرام كالرَّشوةِ والرِّبا مِنْ دونِ تردّدٍ ، لَبِئسَ ما يفعلونَهُ مِنْ هذهِ القبائحِ الدّالةِ على فسادِ أخلاقِهِمْ وسوءِ مُعامَلتِهِمْ .

ثمَّ وبَّخَ اللهُ تَعالى عُلَماءَ اليهودِ على سُكوتِهِمْ على هذا المُنْكَرِ الَّذي فعلَهُ اليهودُ أعينُهُمْ دونَ نكيرٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

إنَّ هؤلاءِ اليهودَ دَأَبُهُمُ المُسارَعةُ إلى اقْتِرافِ الآثامِ ، وإلى أكْلِ المالِ الحرام ، أما كانَ ينبغي أنْ يَنْهاهُمْ نُسّاكُهُمْ وعُلَماؤُهُمْ وأحبارُهُمْ عنْ هذهِ الأقوالِ الكاذبةِ الباطِلَةِ ، وعنْ تلكَ المآكلِ الخبيثةِ ، لَبئسَ ما كانَ يصنعُ هؤلاءِ الأحبارُ مِنْ تَرْكِ النَّصيحةِ والنَّهي عنِ المَعصيةِ ، ولَبِئْسَ ما كانوا يَصنعونَ مِنْ أكلِ الحرامِ ، وارْتِكابِ المعاصي والآثامِ .

التَّفسيرُ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ يَحْسُدونَ المؤمِنينَ عَلى ما آتاهُمُ اللهُ مِنَ الإيمانِ الحَقِّ .

٢ـ بيانُ سوءِ طباعِ اليهودِ وأخلاقِهِمُ الفاسدةِ ، كالمُخادعةِ والحِقْدِ والحَسَدِ .

٣ـ خُطورةُ سُكوتِ أهْلِ العِلْمِ عنِ الفسادِ وارتكابِ المعاصي والآثامِ .

التقويم :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

تَنْقِمونَ ، مَثوبةً ، عَبَدَ الطّاغوتَ ، سواءِ السَّبيلِ ، أكْلِهِمُ السُّحْتَ ، الرَّبّانيّونَ ، الأحبارُ .

٢ـ لماذا نقَمَ أهلُ الكتابِ مِنَ المُؤْمِنينَ ؟

٣ـ ما الأوصافُ والرَّذائلُ الّتي ذكرَها اللهُ تَعالى عنِ اليهودِ في هذهِ الآياتِ ؟

٤ـ بيّنْ مَنْزِلةَ اليهودِ عندَ الله تَعالى كما ذكرَتْها هذهِ الآياتُ .

٥ـ بيّنتِ الآياتُ مُخادَعةَ اليهودِ للمُؤْمِنينَ ، وضّحْ ذلكَ .

٦ـ ما الحالاتُ الّتي ذكرتْها الآيةُ (٦٣) عنْ علماءِ اليهودِ ؟



اكتبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ الّتي تُبيّنُ سببَ إيمانِ اليهودِ أوَّلَ النَّهارِ وكُفْرِهِمْ آخِرَهُ .

* * *

الدَّرسُ الثَّامِنَ عَشَرَ

سورةُ المائدةِ ـ القِسْمُ الثّامِنَ عَشَرَ

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَغْلولةٌ : مَقْبوضةٌ عنِ العطاءِ بُخْلاً .

أُمَّةٌ مقتصدَةٌ : مُعتدلةٌ ، مَنْ أسلمَ وتَبِعَ رسولَ ﷺ .

أقاموا التَّوراةَ والإنجيلَ : عَمِلوا بما فيها مِنَ الأحكامِ على أتمِّ وَجْهٍ .

يَعْصِمُكَ مِنَ الناسِ : يَحميكَ ويَحرُسُكَ مِنْ أنْ يَقْتلوكَ .

التَّفسيرُ :

بيّنتِ الآياتُ السّابقةُ جانباً منْ أحوالِ اليهودِ وطبائِعِهِمُ الفاسدةِ ، وبيَّنَ اللهُ تَعالى في هذهِ الآياتِ مَزيداً منْ طبائِعِهم وسوءِ مُعتَقدِهِمْ وخُبْثِ قلوبِهِمْ وسوءِ أدبِهِمْ معَ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ .

وقالتِ اليهودُ : يدُ اللهِ تَعالى مقبوضةٌ لا تنبسطُ بالعطاءِ ، يُريدونَ وصْفَهُ تَعالى بالبُخْلِ ، وواقعُ الأَمْرِ أَنَّهُمُ المُتَّصِفونَ بنَقيصَةِ البُخْلِ ، فَهُمُ المَغْلولَةُ أيْديهِمْ ، وهُمُ المَلْعونونَ بما نَسَبوهُ إلى رَبِّ العِزَّةِ مِنَ النَّقائِصِ واللهُ تَعالى غنيٌّ كريمٌ يُنفِقُ كما يشاءُ ، وإنّ كثيراً منْ هؤلاءِ لإمعانِهِمْ في الضَّلالِ لَيزيدُهُمْ ما أُنزلَ إليكَ مِنْ ربِّكَ تباركَ وتَعالى ظُلْماً وكُفْراً ، لِما جُبلوا عليهِ منْ حِقْدٍ وحَسَدٍ ، وجعلَ اللهُ تَعالى بَينهُمُ العَداوةَ والبَغضاءَ إلى يوم القيامةِ ، كُلَّما أشعلوا ناراً لِحَرْبِ رسولِ الله ﷺ والمؤمنينَ أطْفَأَها اللهُ تَعالى بِهَزيمتِهِمْ وانتصارِ نبيِّهِ ﷺ وأتباعِهِ ، وإنَّ هؤلاءِ اليهودَ يَجتَهِدونَ في نَشْرِ الفسادِ في الأرضِ بالكَيْدِ والفِتَنِ وإثارةِ الحربِ ، واللهُ تَعالى لا يُحبُّ المُفسِدينَ .

وبعدَ أنْ حكَى اللهُ تَعالى عنهُمْ هذا المُعْتَقَدَ الفاسِدَ ، بيَّنَ فتْحَ بابِ الخَيْرِ لهُمْ مَتى آمنوا واتَّقَوْا ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ .

ولَوْ أنَّ أهلَ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنَّصارى آمنوا برسولِ اللهِ ﷺ وبما جاءَ بهِ مِنْ حقٍّ ونورٍ ، واتَّقوا اللهَ تَعالى بأنْ صانوا أنْفُسَهُمْ عنْ كُلِّ ما لا يَرضاهُ ، لَو أَنَّهُمْ فَعلوا ذلكَ لكفَّرَ اللهُ تَعالى عنهُمْ سيِّئاتِهِمْ ، ورَفَعَ عنهُمُ العِقابَ ، وسَتَرَ عليهِمْ مَعاصيَهُمْ ، فلمْ يُحاسِبْهُمْ علَيْها ، ولأَدخلَهُمْ جنّاتِ النَّعيمِ في الآخرةِ .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ .

ولَو أنَّهمْ حَفِظوا التَّوراةَ والإنْجيلَ كما نَزلا ، وعمِلوا بما فيهما وآمنوا بما أُنْزلَ إليهِمْ وهوَ القرآنُ الكريمُ ، لوسَّعَ اللهُ تَعالى الرِّزْقَ ، وجَعَلَهُ يأتيهِمْ منْ كُلِّ جِهةٍ يَلتمسونَهُ منْها ، وأفاضَ عليهِم بركاتِ السَّماءِ ، وأخرجَ لهُمْ بركاتِ الأرضِ . ومِنْ عَدْلِ اللهِ تَعالى أَنَّهُ أنْصَفَهُمْ وبيَّنَ أَنَّهمْ ليسوا سواءً ، فمنهُمْ جماعةٌ عادلِةٌ عاقلةٌ ، وهُمُ الّذينَ آمنوا بمحمدٍ ﷺ وبالقرآنِ الكريمِ ، وكثيرٌ مِنْ أهْلِ الكتابِ لَبئسَ ما يَعملونَ ويَقولونَ وهُم عنِ الحقِّ مُعرِضونَ .

وبعدَ أنْ حكَى اللهُ تَعالى في الآياتِ السّابقةِ ما كانَ عليهِ أعداءُ الإسلام وخُصوصاً اليهودُ مِنَ محاولاتٍ لِفتنةِ الرَّسولِ ﷺ ومنْ دسائسَ حاكوها لِعرْقَلَةِ سَيْرِ الدَّعوةِ الإِسلاميَّةِ ، ومِنَ استهزاءِ

بتعاليمِ الدّينِ ، ومِنْ حِقْدِ على المُؤْمِنينَ لإيمانِهِمْ بِرُسلِ اللهِ تَعالى وكُتبهِ ومِنْ سوءِ أدبٍ معَ خالِقِهِمْ ورازِقِهِمْ ، بعدَ أنْ حكى اللهُ تَعالى كلَّ ذلكَ ، أتبعَهُ بتوجيهِ نداءٍ إلى الرَّسولِ ﷺ وأمَرَهُ بتبليغِ الدّينِ دونَ أنْ يلتفتَ إلى مَكْرِ الماكِرينَ أوْ حِقْدِ الحاقِدِينَ ، فإنَّه سُبْحانَهُ قدْ حماهُ وعَصَمَهُ منهُم ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

يا أيُّها المُرْسَلُ مِنَ اللهِ تَعالى أخْبرِ النّاسَ بكلِّ ما أوحِيَ إليكَ مِنْ ربّكَ ، وادعُهمْ إليهِ ولا تَخْشَ إلاّ اللهَ تَعالى ، فقدْ كلَّفَكَ بِتَبليغِ جميعِ ما أُرْسِلْتَ بهِ ، وهو يَحفظُكُ منْ كَيْدِ أعدائِكَ ، ويمنعُكَ مِنْ أنْ تَعْلَقَ نفسُكَ بشيءٍ منْ شُبُهاتِهِمْ واعْتِراضاتِهِمْ ، ويَصونُ حياتَكَ عنْ أنْ يعتدِيَ عليها أحدٌ بالقتلِ أوِ الإهلاكِ . وقدْ قامَ النَّبيُّ ﷺ بما أمرَهُ اللهُ تَعالى بهِ دونَ زيادةٍ أوْ نَقْصٍ ، وَحَفِظَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ المؤامَراتِ الَّتي حيكَتْ ضِدَّهُ .

وقدْ تَضمَّنَتْ هذِه الآيةُ الكريمةُ مُعجِزَةً كبْرى للنَّبيِّ ﷺ ، فقدْ عَصَمَ حياةَ رسولِهِ ﷺ عنْ أنْ يُصيبَها قَتْلٌ أوْ إهْلاكٌ على أيدي الكافِرينَ والحاقِدينَ ، مهما دبَّروا لهُ منْ كَيْدٍ ومَكْرٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ فسادُ مُعْتَقَدِ اليهودِ في ذاتِ الله تَعالى وتطاولُهُمْ عليهِ عزَّ وجلَّ .

٢ـ اللهُ عزَّ وجلَّ جوادٌ كريمٌ لا يَبْخَلُ بعطائِه عنْ أحدٍ .

٣ـ حَسَدُ اليهودِ للنَّبيِّ ﷺ جعلَهُمْ يَزدادونَ كُفْراً وطُغْياناً .

٤ـ كُلَّما أوقدَ اليهودُ ناراً لحربِ المسلمينَ هزَمهُم اللهُ تَعالى ونَصَرَ المسلمينَ عليهِم وأطفأَها لهُمْ .

٥ـ الإيمانُ برسولِ اللهِ ﷺ وتحكيمُ شَرْعِ اللهِ يَفْتَحُ بابَ الرِّزْقِ ، ويكونُ مَدعاةً لِخَيْرِ الدُّنيا والآخرةِ .

٦ـ بابُ التَّوبةِ والأملِ مفتوحٌ لكلِّ النّاسِ ، بشرطِ الإيمانِ والعملِ الصّالحِ .

٧ـ عصمةُ الرّسولِ ﷺ مِنَ الهلاكِ والقَتْلِ .

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

مَغْلولةٌ ، أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ، يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ منَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أـ فسادُ مُعْتَقَدِ اليهودِ .

ب ـ لا يُحقِّقُ اليهودُ أملَهُمْ مِنْ إشعالِ الحربِ معَ المسلمينَ .

ج ـ سعيُ اليهودِ الدَّؤوبُ للإفسادِ في الأرضِ .

د ـ الرسولُ ﷺ مَعصومٌ منَ القَتْلِ .

٣ـ ما وعْدُ اللهِ تَعالى لأهلِ الكتابِ إذا تحقَّقَ منهُم ما يلي :

أـ إذا آمنوا واتَّقَوْا .

ب ـ إذا أقاموا التَّوراةَ والإنْجيلَ ، والتزموا بما أَنزلَ اللهُ تَعالى إليْهِمْ .

٤ـ ذكرتِ الآياتُ الكريمةُ مُعجزَةً للنَّبيِّ ﷺ ، بيِّنْ هذهِ المُعْجِزَةَ .

٥ـ بيّنتِ الآياتُ مُخادعةَ اليهودِ للمُؤْمنينَ ، وضّحْ ذلك .

٦ـ ما الحالاتُ الّتي ذكرتْها الآيةُ عنْ عُلماءِ اليهودِ ؟

نشاط :

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ الحشرِ الّتي تُبيّنُ تفرُّقَ اليهودِ وتَشتُّتَهُمْ .

٢ـ ارجِعْ إلى كتابِ سيرةِ ابنِ هشامٍ ، واستخرِجْ منهُ حادثَتَيْنِ تَدلاّنِ على عِصْمةِ اللهِ تَعالى لرسولهِ ﷺ ، وحمايَتِهِ لهُ مِنْ تآمُرِ اليهودِ والمشركينَ عَلَيْهِ .

* * *

الدَّرسُ التّاسِعَ عَشَرَ

سورَةُ المائِدَةِ ـ القِسْمُ التّاسِعَ عَشَرَ

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

بيانُ المُفرداتِ

لَسْتُمْ على شيءٍ : لا اعتدادَ بما تَفعلونَ فكلُّهُ باطِلٌ .

فلا تَأْسَ : فلا تَحْزَنْ .

الصابئونَ : قيلَ : هُمْ عَبَدةُ الكواكبِ ، أوْ عبدةُ الملائكةِ .

فِتْنَةٌ : بلاءٌ وعذابٌ .

عَموا وصَمّوا : عطّلوا أعيُنَهُمْ وآذانَهُمْ عنْ رُؤيةِ الحقِّ وسَماعِهِ .

التَّفسيرُ

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى قبائحَ مُعْتَقَدِ اليهودِ ، وعِصْمَتَهُ لِرَسولِهِ ﷺ ، أمَرَهُ اللهُ بأنْ يُصارِحَ أهلَ الكتابِ ، بما هُمْ عليهِ منْ باطِلٍ ، وأنْ يَدْعُوَهُمْ إلى اتّباعِ الحقِّ الّذي جاءَ بهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

يَأْمُرُ اللهُ الرَّسولَ ﷺ ليقولَ لأهلِ الكتابِ مِنَ اليهودِ والنَّصارى الّذينَ امتدَّتْ أيديهم إلى كُتبهِمْ بالتَّغييرِ والتَّبديلِ : إنَّكُم لستُمْ على شيءٍ يُعْتَدُّ بهِ مِنَ الدِّينِ أو العلمِ أو المُروءَةِ ، ولنْ تكونوا على دينٍ صحيحٍ إلاّ إذا أَعْلنتُمْ جميعَ الأحكامِ الّتي أُنزلَتْ في التَّوراةِ والإنْجيلِ ، وعَمِلْتُمْ بها ، وآمنْتُم بالقرآنِ الموحى بهِ منَ اللهِ تَعالى إلى رسولِهِ ﷺ لهدايةِ النّاسِ ، لأنّ ذلكَ مما يُصدِّقُهُ الإنجيلُ والتَّوراةُ . ولْتَتَيقَّنْ أيُّها الرَّسولُ الكريمُ ﷺ أنّ مُعظَمَ أهلِ الكتابِ سَيزدادونَ بالقرآنِ الموحى إليكَ ظُلْماً وكُفْراً ، وسَبَبُ ذَلِكَ أنَّهُمْ كُلَّما عَلِموا مِنْهُ شَيئاً كَفَروا بهِ وكَذَّبوهُ ، ولأنَّ نفوسَهُمْ لا تميلُ إلى الخَيْرِ ، إنَّما تَنْحَدِرُ نحوَ القومِ الكافِرينَ ، فإنَّهمْ همُ الّذينَ استحبّوا العَمى على الهُدى ، وفي المؤمنينَ غنىً لكَ عنْهُمْ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعدَ ذلكَ أنَّ النّاسَ أمامَهُ سواءٌ ، وأنَّهُ لا تفاضُلَ بينَهم إلاّ بالإيمانِ والعَمَلِ الصّالحِ ، وأنَّ الإيمانَ الحقَّ يَقطعُ ما قبلَهُ مِنْ عقائدَ زائفةٍ وأفعالٍ سَيئَةٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

يُبيِّنُ اللهُ في هذهِ الآياتِ أنَّ أصْحابَ المِلَلِ مِنَ المُؤْمِنينَ مِنْ هَذهِ الأُمَّةِ واليَهودَ والصابئَةَ والنَّصارى ، كلُّ أولئكِ إذا أخلَصوا في الإيمانِ باللهِ تَعالى وصَدَّقوا بالبَعْثِ والجزاءِ ، وأتوْا بالأعمالِ الصّالحةِ الّتي جاءَ بها الإسلامُ ، فهُمْ في مَأْمَنٍ مِنَ العَذابِ وفي سُرورٍ بالنَّعيمِ يومَ القيامةِ .

وهذهِ الآيةُ الكريمةُ مَسوقةٌ للتَّرغيبِ في الإيمانِ والعملِ الصّالحِ ، ببيانِ أنَّ كلَّ مَنْ آمنَ باللهِ تَعالى واليومِ الآخرِ ، واتّبعَ ما جاءَ بهِ النَّبيُّ ﷺ واستمرَّ على هذا الإيمانِ وهذا الاتّباعِ إلى أنْ فارقَ الحياةَ ، فإن اللهَ تَعالى يَرضى عنهُ ويُثيبُهُ ثواباً حَسناً ، ويتجاوزُ عمّا فَرَطَ منهُ منْ ذنوبٍ ، لأنَّ الإيمانَ الصّادِقَ يَجُبُّ ما قبلَه مِنْ عقائدَ وأعمالٍ زائفةٍ باطلةٍ وأقوالٍ فاسدةٍ .

وتستمرُّ آياتُ السّورةِ في فَضْحِ اليهودِ وبيانِ رذائِلهِمْ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

لقدْ أخَذْنا العَهْدَ الموثَّقَ المؤكَّدَ على بني إسرائيلَ في التَّوراةِ بأنْ يَتّبعوا أحكامَها ولا يَكْتُموها ، وأرسلْنا إليهِمْ رُسُلاً كثيرينَ لِيُبيِّنوا لهُم أحكامَ اللهِ تَعالى ، ويُؤَكِّدوا عَهْدَ اللهِ تَعالى عليْهِمْ ، ولكنَّهُمْ نَقَضوا الميثاقَ وعَصَوا الرُّسلَ ، فكانوا كلَّما جاءَهُمْ رسولٌ بما لا تَشتهيهِ نفوسُهُمُ الشَّقيةُ ، وبما

لا تميلُ إليهِ قلوبُهُمُ الرّديَّةُ ، ناصَبوهُ العَداءَ ، فكذَّبوا بعضَ الرُّسلِ ، ولمْ يَكْتفوا معَ الآخرينَ بالتَّكذيبِ ، بلْ أضافوا إلى ذلكَ أنْ قَتلوا بعضَهُمْ .

ومِمَّنْ حاوَلوا قَتْلَهُ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ كما حاولوا قتلَ رسولِ الله ﷺ غيرَ أنّ اللهَ تَعالى نجّاهُما منهُمْ .

وبنو إسرائيلَ لا يُكَذِّبونَ الرُّسُلَ ويَقتلونَهُم إلاّ لأنَّهم جاؤوهُمْ بما يخالِفُ هواهُمْ ، ويَتعارضُ معَ أنانيَّتِهِمْ وشرِّهم ومطامعِهم الباطلةِ . وهكذا الأُممُ عندما تفسدُ عقولُها ، وتُسيْطِرُ عليها الأطماعُ والشَّهَواتُ ، تَرى الحَسَنَ قبيحاً وتُحاربُ مَنْ يَهديها إلى الرَّشادِ حتّى لكأنَّهُ عدوٌّ لها .

﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ .

وظنَّ بنو إسرائيلَ أنَّه لا تَنْزِلُ بهمُ شدائدُ تُبيِّنَ التَّائبينَ مِنْ غيرِ التّائبينَ ، ولذلكَ لمْ يَصْبروا على المِحَنِ والابتلاءاتِ ، وضلَّ كثيرٌ منهُمْ وصاروا كالعُمْيانِ الصُمِّ وأعرضوا عنِ الحقِّ ، فسلَّطَ اللهُ تَعالى عليهِم مَنْ أذاقَهُمُ الهوانَ والذُلَّ ، وبعدَ حينٍ رَجعوا إلى اللهِ تَعالى تائبينَ فتقبّلَ توبَتَهُمْ ، وأعادَ إليهِم عِزَّهُمْ ، ولكنّهمْ مِنْ بعدِ ذلكَ ضَلّوا مرَّةً أُخرى وصاروا كالعُمْيِ الصُمِّ ، واللهُ تَعالى مُطَّلِعٌ عليهِمْ مُشاهِدٌ لأعمالِهِمْ ومُجازيهِمْ عليْها .

وهكذا شأنُ الأُممِ إذا ما اسْتحوذَ عليهِمُ الشَّيطانُ ، وتغلَّبَ عليهم حُبُّ الشَّهَواتِ ، وضَعُفَ الوازِعُ الدّينيُّ في نفوسِهِمْ ، إنَّهم في هذهِ الحالةِ يصيرُ همُّهُمْ مَقصوراً على تدبيرِ شؤونِ دُنياهُم ، فإذا ما وجدوا فيها مأكلَهُمْ ومشربَهُمْ وملذّاتِهِمْ أَغْمَضوا أعيُنَهُمْ عنْ آخرتِهِمْ ، بلْ ربَّما اسْتَهانوا وتهكَّموا بِمنْ يُذكِّرُهُمْ بِها ، فتكونُ نتيجةُ إيثارِهِمُ الدّنيا على الآخرةِ الشَّقاءَ والتَّعاسةَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الانحرافُ عنِ الدّينِ باطلٌ لا ثمرةَ لهُ .

٢ـ حَسَدُ أهلِ الكتابِ للنَّبيِّ ﷺ زادَهُم طُغياناً وكُفْراً .

٣ـ النّاسُ أمامَ اللهِ تَعالى سواءٌ ، وإنَّما يتفاضَلونَ بما يُقَدِّمونَ منْ عملٍ صالحٍ .

٤ـ كانَ جزاءُ رُسُلِ اللهِ تَعالى عندَ بني إسرائيلَ أنْ كذَّبوا بعضَهُمْ ، وقتلوا بعضَهمُ الآخَرَ .

٥ـ الأُممُ عندَما تَنْجَرِفُ يصيرُ الباطلُ عندَها حقّاً والصّديقُ عدوّاً .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

ـ لستُمْ على شيءٍ ، فلا تأسَ ، الصّابئونَ ، فتنةٌ ، عَموا وصَمُّوا .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ منَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أ ـ لا ثمرةَ إلاّ للدِّينِ الحقِّ .

ب ـ الناسُ أمامَ اللهِ تَعالى سواءٌ .

ج ـ جاءَ بني إسرائيلَ رسلٌ كثيرونَ .

د ـ بنو إسرائيلَ قَتلوا الأنبياءَ والمُرْسَلينَ .

٣ـ بيِّنِ السَّببَ الّذي مِنْ أجلِه كَفَرَ بنو إسرائيلَ بالأنبياءِ وقَتلوا بعضاً منهُمْ .

٤ـ ما أثرُ الذُّنوبِ والمعاصي في الأُممِ منْ خلالِ هذهِ الآياتِ الكَريمةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ آيةَ سورةِ البقرةِ الّتي تدلُّ على المعنى الواردِ في الآيةِ (٦٩) .

٢ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ اسمَ نبيٍّ قتلَهُ اليهودُ .

٣ـ ارجِعْ إلى القرآنِ الكريمِ ، ودوِّنْ في دفترِكَ بعضَ الآياتِ الّتي تحدَّثَتْ عنْ هلاكِ الأُممِ بسببِ ذنوبِها ، وتكذيبِها للرُّسلِ الكرامِ ـ عليهمُ الصّلاةُ والسَّلامُ ـ .

* * *

الدَّرسُ العِشرونَ

سورةُ المائدةِ ـ القِسمُ العِشرونَ

لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

معاني المفردات :

خَلَتْ : مَضَتْ .

صِدِّيقةٌ : كثيرةُ الصِّدقِ معَ الله تَعالى .

أَنَّى يُؤفَكونَ : كَيفَ يُصْرَفونَ عنْ تدبُّرِ الدَّلائلِ البيِّنةِ وقبولِها .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أنماطاً منْ قبائحِ اليهودِ ، وصِفاتِهِمُ الذَّميمةِ ، شَرَعَ في بيانِ قبائحِ النَّصارى وضَلالاتِهم ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) ﴾ .

أقسمَ اللهُ تَعالى بأنَّه لمْ يُؤْمِنْ باللهِ ـ سُبْحانَهُ ـ منْ يَزْعُمْ أنَّ اللهَ حلّ في عيسى ابنِ مريمَ حتّى صارَ إلهاً كما يقولُ كَثيرٌ مِنَ النَّصارَى ، معَ أنَّ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ براءٌ منْ هذهِ الدَّعوى ، فإنَّه ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أمَرَ بني إسرائيلَ أنْ يُخْلِصوا الدينَ للهِ وحدَهُ قائلاً لهمْ : أفْرِدوا اللهَ وحْدَهُ بالعِبادَةِ ، فَهُوَ المُسْتَحِقُّ لَها دونَ غَيْرِه ، فإنّهُ ربّي وربُّكُمْ ، ومالكُ أمْرِنا جميعاً ، وإنَّ كلَّ مَنْ يدَّعي أنّ للهِ تَعالى شريكاً ، فإنَّ جزاءَهُ ألاّ يَدْخُلَ الجنَّةَ أبَداً وأنْ تكونَ النّارُ مصيرَهُ ، ولَنْ تَجِدَ لَهُ نَصيراً يَمْنَعُهُ ويَحْميهِ مِنْ ذلكَ العَذابِ .

وهذا القولُ في عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قولُ طائفةٍ مِنَ النَّصارَى ، وقدْ بيَّنَ اللهُ تَعالى قولاً لِطائفةٍ أو طوائفَ أُخرى منهُم ، فإنَّ النَّصارَى طوائفُ مُتَفرِّقةٌ في العقائِدِ والنِّحَلِ ، إلاّ أنَّهُمْ يَجتمِعونَ على الكُفْرِ والضَّلالِ ، فهُم شِيَعٌ شتّى وفِرَقٌ مُتكاذِبةٌ ، كلُّ شيعةٍ تُكفِّرُ الأُخرى ، وتُعارِضُها في مُعتَقداتِها .

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾ .

لقدْ كفرَ أولئكَ الّذينَ قالوا إنَّ اللهَ تَعالى ثالثُ ثلاثةٍ كُفْراً شديداً ، ويَعنونَ بذلكَ اللهَ الّذي يَدْعونَهُ أباً ، وعيسى الّذي يَدْعونَهُ ابْناً ، وجِبْريلُ الّذي يَدْعونَهُ الرّوحَ القُدُسَ .

والحقُّ الثّابتُ أنَّه ليسَ هناكَ إلاّ إلهٌ واحدٌ مُسْتَحِقٌ للعبادةِ والإلهيّةِ ، وإنْ لمْ يرجِعْ هؤلاءِ الّذينَ قالوا بالتّثليثِ عنَ عقائدِهِمُ الزّائفةِ وأقوالِهُمُ الفاسدةِ ، ويَعتصموا بِعُرْوةِ التَّوحيدِ ، لَيُصيبَنَّ الّذينَ استمرّوا على الكفرِ منهُم عذابٌ شديدٌ موجِعٌ .

وبعدَ هذا التَّرهيبِ الشّديدِ للكافرينَ مِنَ العذابِ الأليمِ ، فتحَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ بابَ رحمتِهِ للتّائبينَ ، فرغَّبَهُمْ في الإيمانِ ، وأنْكَرَ عليهِمْ تَقاعُسَهُمْ عنهُ بعدَ أنْ ثبتَ بُطلانُ ما همْ عليهِ مِنْ عقائدَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) ﴾ .

ألا يَنتهي هؤلاءِ عنْ تلكَ العقائدِ الزّائفةِ ، ويَرجعوا إلى الإيمانِ باللهِ تَعالى ، ويَطلبوا منه التَّجاوزَ عمّا وقَع منهُم مِنَ الذّنوبِ ، إنّ اللهَ تَعالى واسعُ المغفرةِ عظيمُ الرَّحمةِ .

﴿ مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ بيَّنَ اخْتِلافَ النَّصارى في عيسى ، فَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أنَّهُ اللهُ ، ومِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أنَّهُ ثالِثُ ثَلاثَةٍ ، بيَّنَ القَوْلَ الحَقَّ في عيسى ، فَهُوَ رسولٌ كَبقيَّةِ الرُّسُلِ ، أنْعَمَ اللهُ تَعالى عليهِ بالرِّسالةِ كما أنعمَ على كثيرٍ مِمَّنْ سبَقه مثلِ : نوحٍ وإبراهيمَ وموسى ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ وغيرِهم ، وأُمّ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ما هيَ إلاّ إحدى النِّساءِ طُبِعَتْ على الصّدقِ في قَوْلِها بربّها ، وكانتْ هِيَ وابنُها عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يأكُلانِ الطّعامَ والشَّرابَ ، وفي ذلكَ علامةٌ على البَشَريّةِ ، فالإِلهُ لَيْسَ بِحاجَةٍ إلى الأَكْلِ والشُّرْبِ ، والَّذي يَأْكُلُ ويَشْرَبُ ، يَتبوَّلُ ويَتَغوَّطُ كَما يَفْعَلُ البَشَرُ ، واللهُ تَنَزَّهَ عَنِ القاذوراتِ والأَوْساخِ . فتأَمَّلْ أيُّها السامعُ حالَ هؤلاءِ الّذينَ عَمُوا عنْ دَلالَةِ الآياتِ الواضحةِ الّتي بيَّنها اللهُ تَعالى لهم ، ثمَّ تأَمَّلْ كيفَ يَنْصَرِفونَ عنِ الحقِّ معَ وُضوحِه . ثمَّ أمَرَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ أنْ يُوَبِّخَ هؤلاءِ النَّصارى الّذينَ ضلّوا معَ وضوحِ الدَّلائلِ القائدةِ إلى الحقِّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

قلْ يا محمَّدُ ﷺ لهؤلاءِ النّصارى : أَتعبدونَ منْ دونِ اللهِ تَعالى عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وأُمَّهُ ؟ وهما لا يَستطيعانِ أنْ يَضُرّاكُمْ بشيءٍ مِنَ الضَّررِ في الأنْفُسِ والأموالِ ، ولا أنْ يَنْفعاكُمْ بشيءٍ مِنَ النَّفعِ كإيجادِ الصِّحةِ والخِصْبِ والسَّعةِ ؟ . والضَّرَرُ والنفعُ مِنَ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ ، واللهُ تَعالى وَحْدَهُ هوَ السَّميعُ لما تَنْطِقونَ ، العليمُ بجميعِ أحوالِكمْ وأعمالِكُمْ ، وسَيُحاسبُكُمْ على ذلكَ ، وسَيُجازيكُمْ على أقوالِكُمُ الباطلةِ وعقائدكُمُ الزّائفةِ بما تَستحقّونَ مِنْ عذابٍ أليمٍ ؟

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ مَنْ قالَ إنَّ المسيحَ ابنَ مريمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ إلهٌ ، فهوَ كافرٌ ، ومَنْ قالَ إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ فهوَ كافرٌ .

٢ـ بابُ التَّوبةِ مفتوحٌ لمنْ رَجَعَ إلى اللهِ تَعالى وأنابَ إليهِ وتخلّى عنِ الكفرِ والفُجورِ .

٣ـ عيسى ابنُ مريمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وأُمُّه ليسا إلاّ بَشَراً كالبشرِ ، لكنَّ اللهَ تَعالى اختارَ لهُما الفضلَ .

٤ـ النَّفعُ والضَّرُّ بيدِ اللهِ تَعالى وَحْدهُ ، حيثُ لا ضارَّ ولا نافعَ إلاّ هو ـ سُبْحانَهُ ـ .

التَّقْوِيمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

خَلَتْ ، صِدِّيقةٌ ، أنَّى يُؤفَكونَ .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ منَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أـ مدّعي أُلوهيةِ المسيحِ كافرٌ .

ب ـ منْ زعمَ أنّ للهِ تَعالى شَريكاً فهوَ كافرٌ .

ج ـ لا يستحقُّ الألوهيَّةَ والعبادةَ إلاّ إلهٌ واحدٌ .

د ـ منْ تابَ ، تابَ اللهُ تَعالى عليهِ .

٣ـ للنّصارى أقوالٌ متعدِّدةٌ في اللهِ تَعالى بيّنتْها الآياتُ الكريمةُ ، وضّحْ ذلكَ .

٤ـ بيّنْ أثرَ كونِ الضّرِّ والنَّفعِ بيدَ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ .



ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ أسماءَ ثلاثِ طوائفَ منْ طوائفِ النَّصارى .

* * *

الدرسُ الحادي والعشرون

سورةُ المائدَةِ ـ القِسْمُ الحادي والعِشْرونَ

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لاتَغْلوا : لا تتجاوَزوا الحدَّ ، ولا تُفرِّطوا .

أهواءَ : آراءَ قوم دعَتْ إليها الشَّهوةُ دونَ حُجَّةٍ ولا بُرهانٍ . وكلُّ رَأْيٍ اتَّبَعَهُ صاحِبُهُ في مُقابِلِ الشَّرْعِ فَهُو اتّباعٌ لِلْهَوى .

لُعِنَ : طُرِدَ منْ رحمةِ اللهِ تَعالى .

لا يتَناهوْنَ عنْ مُنْكَرٍ : لا ينهى بعضُهُمْ بعضاً عنْ مُنْكَرٍ .

سَخِطَ اللهُ عَليهِمْ : غَضِبَ الله تَعالى عليهِمْ بما فَعَلوهُ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى فسادَ مُعتَقدِ النَّصارَى في ذاتِ اللهِ ، أرشدَهُمْ إلى طريقِ الحقِّ ، ونهاهُم عنِ الغُلوِّ الباطلِ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

قلْ يا أيُّها الرَّسولُ ﷺ لأهلِ الكتابِ منَ اليهودِ والنَّصارَى : إنّ اللهَ تَعالى ينهاكُمْ أنْ تتجاوَزوا في مُعتَقداتِكُمْ حدودَ الحقِّ ، وتَميلوا إلى الباطلِ ، فتجعَلوا بعضَ خَلْقِهِ آلهةً أوْ تُنكِروا رسالةَ بعضِ الرُّسلِ ، وَينْهاكُمْ أنْ تَسيروا وراءَ شَهواتِ أُناسٍ سَبَقوكُمْ قدْ تجنَّبوا طريقَ الهُدى ، ومنَعوا كثيراً منَ النَّاسِ أنْ يَسْلكوها ، واستمرُّوا على مُجافاتِهم طَريقَ الحقِّ الواضح .

وفي هذهِ الآيةِ الكريمةِ وصفٌ للنَّصارَى بثلاثةِ أوصافٍ هي : أنَّهم كانوا ضالّينَ منْ قبلُ ، وأنَّهم كانوا مُضلِّينَ لغيرِهِمْ ، وأنَّهم استمرُّوا على تلكِ الحالِ منَ الضَّلالِ .

وممّا يُستفادُ منْ هذهِ الآيةِ أنّ الغُلُوَّ في الدّينِ ، بمعنى مجاوزةِ الحقِّ إلى الباطِلِ أمرٌ مُنكَرٌ وباطلٌ . جاءَ عنِ النَّبيِّ ﷺ :(إياكُم والغلوَّ في الدّينِ ، فإنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قبلَكم بالغُلوِّ في الدِّينِ)[1] .

ثمَّ حَكى اللهُ تَعالى بعدَ ذلكَ بعضَ الرّذائلِ الّتي شاعَتْ في بني إسرائيلَ ، وبسببِها اسْتَحقّوا اللّعنَ والطَّرْدَ منْ رحمةِ اللهِ تَعالى ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

هذا إخْبارٌ مِنْ رَبِّ العِزَّةِ عَنْ لَعْنِهِ لِلْكُفّارِ مِنْ بني إسْرائيلَ فيما أنْزَلَهُ في الزَّبورِ على نبيِّهِ داودَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وفي الإنجيلِ على نبيِّهِ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وذلكَ بسببِ تمرُّدِهِمْ على طاعةِ اللهِ تَعالى وتماديهِمْ في الظُّلمِ والإفسادِ .

﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

مِنْ مَظاهرِ عِصيانِ هؤلاءِ الكافرينَ مِنْ بني إسرائيلَ وتعدِّيهم ، الّذي أدَّى إلى لَعْنِهِمْ وطَرْدِهِمْ مِنْ رحمةِ اللهِ ، أنَّهم كانُوا لا ينهى بعضُهُمْ بَعْضاً عنِ اقترافِ المُنكَراتِ واجتِراحِ السَّيئاتِ ، بلْ كانوا يَروْنَ المُنكَراتِ تُرتكَبُ فَيَسْكُتونَ عنها من دونِ استنكارٍ لها ، معَ قدرتِهِمْ على مَنْعِها قبلَ وُقوعِها ، وهو منْ أقبحِ ما كانوا يَفعلونَهُ .

وأسْوأُ ما تُصابُ به الأُممُ في حاضرِها ومُستقبلِها أنْ تَفْشوَ فيها المُنكَراتُ والسَّيئاتُ والرَّذائلُ فلا تَجِدُ مَنْ يَسْعى لِتغييرِها وإزالتِها ، وقدْ جاءتْ أحاديثُ كثيرةٌ تَحُثُّ عَلى الأمْرِ بالمعروفِ والنَّهي عنِ

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ، ص ٢٥ رقم ٣٢٥ ، طبعة الحلبي .

المُنكَرِ ، منها الحديثُ المشهورُ : (مَنْ رأى مِنكمْ مُنكَراً فليغيِّرْهُ بيدِه ، فإنْ لمْ يستطعْ فبلسانِه ، فإنْ لمْ يستطعْ فبقلبِهِ ، وذلك أضعفُ الإيمانِ)[1] .

ثُمَّ ذَمَّ اللهُ اليهودَ في العهدِ النَّبويِّ المُباركِ في تَحالُفِهِمْ معَ المُشركينَ ضدَّ المسلمينَ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

ترى يا محمَّدُ ﷺ كثيراً من بني إسرائيلَ يَتولَّوْنَ المشركينَ ، ويَنْصُرونَهُمْ على حربِ الإسلامِ . وقَدْ ذَمَّ اللهُ هَذا الفِعْلَ ، وأخْبَرَ أنَّهُ أسْخَطَ اللهَ وأغْضَبَه عَلَيْهِمْ ، وتوعَّدَهُمْ بالخُلودِ في النَّارِ جَزاءَ تَوليّهِمُ الكُفَّارَ ومَحارَبَتِهِمُ المسلمينَ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى الدَّوافعَ الّتي حَمَلتِ الفاسِقينَ منْ أهلِ الكتابِ على وِلايةِ الكافرينَ ، ومُصادَقَتِهِمْ ومُعاوَنتِهِمْ على حربِ الإسلامِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

ولو صحَّتْ عقيدةُ هؤلاءِ في الإيمانِ باللهِ تَعالى ورسولِهِ محمّدٍ ﷺ وما أُنزلَ إليهِ مِنَ القرآنِ ، لَمَنعَهمْ ذلكَ الإيمانُ عنْ مُوالاتِهِمُ الكُفّارَ ضِدَّ المؤمنينَ ، ولكنَّ كثيراً منْ بني إسرائيلَ عاصونَ خارِجونَ عنِ الدّينِ الحَقِّ .

وبهذا نَرى أنَّ هذِهِ الآياتِ الكريمةَ قدْ بيَّنتْ ما عليهِ الكافرونَ مِنْ بني إسرائيلَ منْ صفاتٍ ذَميمةٍ قادتْهُمْ إلى أنْ يلعنَهُمُ اللهُ تَعالى ويطرِدَهُمْ منْ رحمتِه ، حتّى يَحْذرَهُمُ المسلمونَ ، ويَجتنِبوا سُلوكَهُمُ السَّيِّءَ وخُلقَهُمُ القبيحَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الغُلوُّ في الدّينِ بتركِ الحقِّ إلى الباطلِ أمرٌ مذمومٌ .

٢ـ اتِّباعُ الضّالّينَ والمُفسدينَ ضلالٌ وفسادٌ .

---

(١) رواه الإمام مسلم ١/ ٦٩ حديث رقم (٤٩) .

٣ـ الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عنِ المُنكَرِ منَ الواجباتِ الشَّرعيَّةِ المهمَّةِ .

٤ـ وِلايةُ الكافرِينَ أمرٌ مَذمومٌ ، لأنَّها تقودُ إلى سَخَطِ اللهِ تَعالى .

التَّقويمُ

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

لا تَغلُوا ، أهواءَ ، لُعِنَ ، لا يتَناهوْنَ عنْ منكرٍ ، سَخِطَ اللهُ عليهِمْ .

٢ـ لماذا كانَ الغُلوُّ في الدّينِ أمراً مَذْموماً ؟ .

٣ـ الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عنِ المُنكَرِ واجبٌ شرعيٌّ ، وضّحْ ذلكَ منْ آياتِ الدَّرسِ .

٤ـ هاتِ دليلاً منَ السُّنَّةِ على وجوبِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عنِ المُنكَرِ .

نشاط

١ـ اكتبْ في دفترِكَ كيفَ يكونُ تغييرُ المنكرِ بالقَلْبِ .

٢ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ اسمَ الزّعيمِ اليهّودِيِّ الذّي حرَّضَ المشرِكينَ في مَكَّةَ على حربِ رسولِ اللهِ ﷺ .

٣ـ ارجعْ إلى أحدِ كتبِ السيرةِ ، واكتبْ موضوعاً عنْ دورِ اليهودِ في غزوةِ الأحزابِ (الخندق) وضَعْهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* * *

الدَّرْسُ الثاني والعِشْرونَ

سورةُ المائدَةِ ـ القِسْمُ الثّاني والعِشْرونَ

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

قِسّيسينَ : رُؤساءَ النَّصارى وعُلماؤهُمْ .

تَفيضُ مِنَ الدّمْعِ : تمتلىءُ أعينُهُمْ بالدَّمعِ فتصبُّهُ .

أَثابَهُمْ : جازاهُم وكافأَهُم .

التَّفسيرُ :

بعدَ بيانِ سوءِ اعتقادِ اليَهودِ والنّصارى ، وفسادِ ما يَعملونَ ، أخذَ سبحانَهُ وتَعالى في بيانِ العلاقةِ بينَ هذهِ الطّوائفِ والمُؤْمنينَ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

تاللهِ لَتجدَنَّ أشدَ النّاسِ عداوةً لِلمؤمنينَ اليَهودَ ، لأنَّهم أهلُ عنادٍ وجُحودٍ وغَمْطٍ للحُقوقِ ، يَحسُدونَ النَّاسَ على ما آتاهُمُ اللهُ تَعالى منْ فضلِهِ ، بخاصّةٍ أهلُ العلمِ والدّينِ ، ولذلكَ تراهُم قَتَلوا الأنبياءَ بغيرِ حقّ وقتلوا الّذينَ يَأمرونَ بالقِسْطِ منَ النَّاسِ ، ومواقِفُهُمْ في مُناوأةِ النبيّ ﷺ وتآمُرُهُمْ عليهِ مشهورةٌ ، فقدْ همُّوا بقتلِه وحاوَلوا ذلكَ مِراراً ، فسحروهُ وسمُّوهُ وألَّبوا عليهِ القبائلَ ، وكانوا مصدرَ النِّفاقِ والشَّغَبِ . هذا شأنُهُمْ دائماً ، فهُم أهلُ مَكْرٍ وخِيانةٍ غَلَبَتْ عليهِمُ الأنانيّةُ وحبُّ المادَّةِ ولؤمُ الطَّبْعِ وسوءُ الصُّنْعِ ، ويَقْرُبُهُمْ في هذا أهلُ الشِّركِ وعُبّادُ الأوثانِ ، فهُم مشتركونَ معَهُم في أخسِّ الصِّفاتِ وإنْ فاقَهُم اليهودُ . وأشدُّ ما لاقى النَّبيُّ ﷺ والمُؤْمِنونَ مِنَ العداوةِ والإيذاءِ كانَ منْ يهودِ الحجازِ في المدينةِ وما حولَها ومنْ مشرِكي العربِ ، ولا سيَّما أهلَ مكّةَ وما حولَها ، والتاريخُ قديماً وحديثاً مليءٌ بالشواهِد على ذلكَ .

ثُمَّ تَحدَّثَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى عَنْ طائفةٍ مِنَ النَّصارى ، مِنْهُمْ بعضُ نصارى الحَبَشَةِ عِنْدَما قُرِئَ عَلَيْهِمُ القُرآنُ عَرَفوا أنَّهُ حَقٌّ ، فآمَنوا واهْتَدوْا ودَخَلوا في زُمْرَةِ المُؤْمِنينَ . وقالَ اللهُ في هذهِ الزُّمْرَةِ المُؤْمِنَةِ مِنَ النَّصارى ومَنْ كانَ عَلى شاكِلَتِهِمْ : ولَتجدَنَّ أيُّها الرَّسولُ ﷺ أقْرَبَ النّاسِ مودَّةً وأكثَرَهُمْ محبَّةً للَّذينَ آمنوا بكَ وصدَّقوكَ هَؤلاءِ الَّذينَ قالوا إنّا نصارى ، ذلكَ بأنَّ مِنهُمْ قِسِّيسينَ ورُهْباناً لا يَسْتَكْبِرونَ عَنِ اتِّباعِ الحَقِّ إذا عَرَفوهُ ، ولِذلِكَ قالَ فيهِمْ :

﴿ ۞وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

أيْ: ودَليلُ عَدمِ اسْتِكْبارِهِمْ أنَّهُمْ عِنْدَما سَمِعوا ما أُنزلَ على رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ قرآنٍ ، تأثَّرتْ قلوبُهُمْ وخَشعَتْ نفوسُهُمْ وسالَتْ دُموعُهُمْ منْ أعينِهم بغزارةٍ وكثرةٍ ، منْ أجلِ ما عرفُوهُ مِنَ الحقِّ الّذي بيّنهُ لهُمُ القرآنُ الكريمُ بعدَ أنْ كانوا غافلينَ عنْه ، فإذا كانَ ذلك منهُمُ انطلقَتْ ألسنتُهُمْ بالدُّعاءِ قائِلينَ : ربَّنا آمنَّا بكَ وبرسُلِكَ ، وبالحقِّ الّذي نزَّلتَهُ عليهِم ، فاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدينَ ، الّذينَ شَهِدوا بأنَّ رسولَكَ حَقٌّ ، وأنَّ ما جاءَ بِهِ حَقٌّ .

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

وقالوا أيضاً : وأيُّ مانعٍ يمنعُنا منَ الإيمانِ باللهِ تَعالى ، وبما جاءَنا مِنَ الحَقِّ المُنْزَلِ على رسولِه وهو القرآنُ والهادي إلى الرُّشْدِ ، ونحنُ نطمعُ أنْ يُدْخِلَنا ربُّنا بِسَبَبِ إيمانِنا معَ القومِ الَّذينَ صَلَحَتْ

أنفسُهُمْ بالعقيدةِ الصَّحيحةِ ، وبالعِباداتِ الصّحيحةِ وبالأخلاقِ الفاضلةِ ، وهُمْ أتباعُ محَمّدٍ ﷺ .

ولقدْ صَدَّقَ هؤلاءِ اللهَ تَعالى فيما قالوه بإخْبارِهِ عمّا أعَدَّهُ لَهُمْ مِنَ الثَّوابِ في قولِهِ :

﴿ فَأَثَبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

فكافأَهُم اللهُ تَعالى بسببِ أقوالِهِمُ الطَّيبةِ الدَّالَّةِ على إيمانِهِمْ وإخْلاصِهِمْ جنّاتٍ تجري منْ تحتِ بَساتينِها وأشجارِها الأنهارُ ، وهُمْ باقونَ في تلكَ الجَنَّاتِ بقاءً لا موتَ معَهُ ، وذلكَ العطاءُ الجزيلُ الّذي منحَهُمُ اللهُ تَعالى إيّاهُ إنَّما هوَ جزاءُ المُحسنينَ المؤمنينَ المُخلِصينَ في أقوالِهِمْ وأعمالِهِمْ .

هذا جزاءُ النَّصارى الَّذينَ سَمِعوا ما أُنزِلَ إلى الرَّسولِ ﷺ فآمنوا بهِ ، وقالوا ما يَشهدُ بصفاءِ نُفوسِهِمْ . أمَّا النَّصارى الّذينَ سَمِعوا فأعرَضوا ، وجَحدوا ، فقدْ بيّنَ اللهُ تَعالى مصيرَهُمُ السَّيِّءَ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

والّذينَ كفروا وجَحدوا الحقَّ الّذي جاءَهُمْ مِنَ النَّصارى الّذينَ بَقوا عَلى كُفْرِهِمْ ، ومِنْهُمُ الّذينَ حَدَّثَنا اللهُ عَنْهُم في آياتٍ سابِقَةٍ ، كالَّذينَ زَعَموا أنَّ اللهَ هُوَ المَسيحُ ، أو الّذينَ قالوا إنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثةٍ ، فَهؤلاءِ مُكَذِّبونَ بآياتِ اللّهِ ووحَدانيتِهِ ، ومُكَذِّبونَ للرُّسُلِ ، وهَؤلاءِ أصْحابُ النّارِ هُمْ فيها خالِدونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ عَداءُ اليهودِ مُستحكِمٌ للمؤمِنينَ ، وهُمْ والمشركونَ في هذا سواءٌ .

٢ـ النَّصارى أقربُ للمسلِمينَ مِنَ اليهودِ بما عِنْدَهُم منْ زواجرَ عنِ العداءِ .

٣ـ النَّصارى الّذينَ أثْنى عَلَيْهِمْ هُمْ طائِفَةٌ آمَنوا باللهِ وصَدَّقوا رَسولَهُ ، أمّا الّذينَ يَكْفُرونَ بِهذا الدّينِ مِنَ النَّصارى ، فَمَصيرهُمُ النّارُ خالِدينَ فيها .

٤ـ المؤمنونَ بالنَّبيّ ﷺ همُ القومُ الصّالِحونَ .

٥ـ مَنْ أطاعَ الله تَعالى كافأهُ بالحُسنى ، ومَنْ عصى اللهُ فالنَّارُ مأواهُ .

التَّقْويمُ

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

قِسِّيسينَ ، تَفيضُ مِنَ الدّمْعِ ، أَثَابَهُم .

٢ـ بيِّنْ السِّرَّ في عداوةِ اليهودِ الشَّديدةِ للمؤمنينَ .

٣ـ لماذا كانَ النَّصارى أقربَ إلى المؤمنينَ مِنَ اليهودِ ؟

٤ـ بيّنِ الأثرَ الحاصلَ لبعضِ النّصارى عندَ سماعِهِمْ للقرآنِ الكريمِ .

٥ـ هاتِ الدّليلَ منَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أ ـ المؤمنونَ همُ القومُ الصَّالحونَ .

ب ـ منَ أطاعَ اللهَ تَعالى كافأَهُ بالحُسنى .

ج ـ منْ عصى اللهَ تَعالى عذّبَهُ في جهنّمَ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والعِشْرونَ

سورةُ المائدَةِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ والعِشْرونَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

معاني المفرداتِ :

طَيبَاتِ	: مُستلذّاتٍ وحلالاً .
لا تعتَدوا	: لا تتجاوَزوا حدودَ اللهِ تَعالى .
طَيِّباً	: غيرَ مُسْتَقْذَرٍ .
اللّغوِ	: ما يجري على اللّسانِ منْ غيرِ قصدٍ .
عقَّدتُمْ الأَيمانَ	: وثّقتمُوها بالقَصْدِ والنِّيةِ .
كَفَّارتُهُ	: هيَ الأعمالُ الّتي تُزيلَ أوزارَ الذُّنوبِ والأيْمانِ .
مِنْ أوسطِ ما تُطعِمونَ أهليكُم	: الوسطُ في الطّعام يُقَدَّرُ بِما لا يَبْلُغُ حَدَّهُ الأعْلى ولا حدَّهُ الأَدْنى ، فَهُوَ بَيْنَ أَجْوَدِ الطَّعامِ وأَرْدَئِهِ .
تحريرُ رقبةٍ	: عِتْقُها مِنَ الرِّقِّ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ حَدَّثَنا اللهُ تَعالى عنْ أهلِ الكتابِ منَ اليهودِ والنَّصارَى ، وجّهَ ـ سبحانَهُ وتَعالى ـ نداءَه للمؤمِنينَ ، وبيَّنَ لهُم بَعْضَ ما شَرَعَ لهُم في المَأْكَلِ والمَشْرَبِ وكَفَّارَةِ الأيْمانِ ، ، فقالَ تَعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

يا أيُّها الّذينَ آمنُوا باللهِ إيماناً حقّاً ، لا تُحَرِّموا على أنفسِكُمْ شيئاً مِنَ الطَّيباتِ الّتي أحلَّها اللهُ لكُم ، فإنّهُ سبحانَهُ ما أحلَّها لكُمْ إلاّ لِما فيها منْ منافعَ وفوائدَ تُعينُكُمْ على شؤونِ دينكُمْ ودُنياكُمْ ، ولا تتجاوَزوا الحدودَ الّتي شرَعَها اللهُ تَعالى لكُم مِنَ التَّوسُّطِ في أُمورِكُمْ ، فاللهُ تَعالى لا يُحبُّ المُتَجاوزِينَ لحدودِهِ .

ثمَّ أمرَهُم سبحانَهُ بالتّمتُّعِ بالرِّزقِ الحلالِ ، فقالَ سبحانَه :

﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

وكُلوا أيّها المُؤْمِنونَ مِنَ الرِّزقِ الحلالِ الطّيبِ الّذي رزَقَكُمُ اللهُ تَعالى إيّاهُ وتفضَّلَ عليكُمْ بهِ ، واتَّقوا اللهَ تَعالى الَّذي أنتُمْ بهِ مُؤمنونَ ، بأنْ تَصونوا أنفسَكُمْ عنْ كلِّ ما يُغْضِبُهُ ، وَتَلْتزموا في كلِّ مَأْكلِكُمْ ومشرَبِكُمْ وملبسِكُمْ ، وسائرِ شؤونِكُمْ حدودَ اللهِ تَعالى وتوجيهاتِ رسولِه ﷺ .

والمُرادُ بالأكْلِ والشُّرْبِ هُنا مُطلَقُ التَّمَتُّعِ الحلالِ بما أحَلَّ اللهُ تَعالى .

وهاتانِ الآيتانِ تَنْهَيانِ المؤمنينَ عنْ تحريمِ الطّيباتِ الّتي أحلَّها اللهُ تَعالى لَهُمْ ، وتأمُرُهُمْ بالتَّمتُّعِ بها دونَ إسرافٍ أوْ تقتيرٍ ، معَ خَشْيتِهِمْ للهِ تَعالى وشُكْرِهِ على ما وهبَهُمْ منْ نِعَمٍ ، لأنَّ تَرْكَ هذهِ الطّيباتِ يُؤدّي إلى ضَعْفِ العقولِ والأجسامِ ، والإسلامُ يُريدُ منْ أتباعهِ أنْ يكونوا أَقْوياءَ في عُقولِهم وفي أجسامِهِمْ وفي سائرِ شُؤونِهِمْ ، لأنّ المؤمنَ القويَّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ تَعالى منَ المؤمنِ الضَّعيفِ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى كَفّارةَ اليمينِ ، وأمرَ المؤمنينَ بِحِفْظِ أيْمانِهِمْ ، فقالَ سُبحانَهُ :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

لا يُعاقبُكُمُ اللهُ تَعالى بسببِ ما لمْ تقصُدوهُ منْ أيمانِكُم ، وإنَّما يعاقبُكُمْ بسببِ الحِنْثِ فيما قَصدتُموهُ ووثَّقتُموهُ مِنَ الإيْمانِ ، فإنْ حَنَثْتُم فيما حَلفتُمْ عليهِ ، فعليكُمْ أنْ تُكَفِّروا وتَفْعلوا ما يَغْفِرُ الذَّنبَ بنقْضِ اليَمينِ ، وكفَّارةُ اليمينِ أنْ تُطعِموا عَشْرَةَ فُقراءَ ، ممَّا جرتِ العادةُ أن تَأْكلوا منهُ أنتُم وأقاربُكُمُ الَّذينَ همْ في رِعايتِكُمْ ، مِنْ أوْسَط ما تأْكُلوهُ وتُطْعِموهُ أهْلَكُمْ ، أي : لا أفْضَلَهُ ، ولا أرْدَأَهُ . أوْ بأنْ تكسوا عَشَرةً مِنَ الفقراءِ كِسوةً مُعتادةً ، أوْ بأنْ تُحَرِّروا رقبةً ، أيْ : تُحرّروا إنساناً منَ الرِّقِّ ، فإذا لمْ يتمكّنِ الحالِفُ منْ أحدِ هذهِ الأُمورِ فعليهِ أنْ يصومَ ثلاثةَ أيامٍ ، وكلُّ واحدٍ منْ هذهِ الأُمورِ يُغفَرُ به ذَنْبُ الحَلْفِ المُوثَّقِ بالنّيةِ إذا نقضَهُ الحالِفُ ، وصونوا أيْمانَكُمْ ، فلا تَضعوها في غيرِ مَوْضِعِها ، ولا تَتْركوا فِعْلَ ما يَغفِرُ ذنبَكُمْ إذا نَقَضْتُموها . على هذا النسقِ مِنَ البيانِ يُبيّنُ اللهُ تَعالى لكُم أحكامَهُ ، لِتَشكروا نِعمَهُ بِمَعرفَتِها والقيامِ بحقِّها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تحريمُ ما أَحلّ اللهُ تَعالى اعتداءٌ على شريعتِه وحدودِهِ .

٢ـ التّمتُّعُ بالطّيباتِ لا يُنافي التّقوى .

٣ـ اليَمينُ اللّغوُ ـ وهي الّتي لا يَقْصُدُ المَرْءُ الحَلْفَ فيها ، كَقَوْلِ : لا واللهِ وبَلى واللهِ ـ لا مُؤاخذةَ فيها .

٤ـ اليمينُ المقصودةُ إذا كانتْ كَذِباً استحقَّ صاحبُها العذابَ الشَّديدَ وهِيَ اليَمينُ الغَموسُ ، لأنَّها تَغْمِسُ صاحِبَها في النّارِ .

٥ـ اليَمينُ المَقصودَةُ الّتي يَحْنِثُ صاحِبُها فيها الكَفَّارَةُ المَحدَّدةُ في الآياتِ .

٦ـ إنَّ الواجبَ على المؤمنِ أنْ يَحْفَظَ يَمينَهُ ، بأنْ يُكفِّرَ عَنْها إذا حَنَثَ بِها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

طيبّاتِ ، لا تعتَدوا ، طَيِّباً ، اللَّغوِ ، عقَّدتُم الأَيْمانَ ، كَفَّارتُهُ ، تحريرُ رقبةٍ .

٢ـ هاتِ الدّليلَ منَ الآياتِ الكَريمةِ على ما يلي :

أـ لا مؤاخذةَ إلاّ باليَمينِ المُنْعَقِدَةِ .

ب ـ الواجبُ على المُؤْمنِ تقليلُ الحَلْفِ إلاّ للضرورةِ .

٣ـ ما كَفّارةُ اليَمينِ إذا حَنَثَ فيها صاحِبُها؟

* * *

الدَّرسُ الرَّابعُ والعِشرونَ

سورةُ المائدةِ - القِسْمُ الرَّابِعُ والعِشْرونَ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ (٩٢) لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٩٣)﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

المَيْسِرُ : القِمارُ .

الأنصابُ : حِجارةٌ كانَ أَهْلُ الجاهليّةِ ينصِبونها ويَعْبُدونَها مِنْ دونِ اللهِ .

الأزلامُ : قِداحٌ كانَ أهلُ الجاهليّةِ يَسْتَقْسِمون بِها .

رِجْسٌ : خُبْثٌ وقَذَرٌ .

فاجتنِبوهُ : فابتعِدوا عنْهُ .

جُناحٌ : إثمٌ وحرجٌ .

طَعِموا : شَرِبوا أو أَكلوا .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ نَهى اللهُ تَعالى عنْ تَحريمِ ما أحلَّه لهُمْ ، وإباحةِ ما حرَّمَ اللهُ عَليْهِمْ ، وبيَّنَ كفّارةَ اليمينِ ، وجَّهَ الله تَعالى نداءً ثانياً للمؤمنينَ بيّنَ لهُم فيهِ مضارَّ المُحرَّماتِ ، وأمرَهُمْ باجتنابِها ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

سبب النزول :

روى مسلمٌ عنْ سعدِ بن أبي وقّاصٍ أنَّه قالَ : فيَّ نزلتْ هذهِ الآياتُ مِنَ القرآنِ ، وقالَ : أتيتُ على نَفَرٍ منَ الأَنْصارِ فقالوا : تعالَ نُطعمُكَ ونَسقيكَ خمراً ، وذلكَ قبل أنْ تُحرَّمُ الخَمْرُ ، قال : فأتيتُهُمْ في حِشٍّ ـ يعني بُستانٍ ـ فإذا رأسُ جَزورٍ مَشويٌّ عندَهُمْ وزِقٌّ منْ الخمرِ ـ إناءٌ فيهِ خمرٌ ـ قالَ : فأكلْتُ وشربْتُ معَهم ، قالَ : فذكرْتُ الأَنْصارَ والمُهاجِرينَ عندَهمْ ، فقلتُ : المُهاجرونَ خَيْرٌ مِنَ الأَنْصارِ . قالَ : فأخذَ رجلٌ منَ الأنْصارِ لِحْيَ جَمَلٍ فَضَرَبَني بهِ فجرحَ أنفي ، فأتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فأخبرتَه فأنزلَ اللهُ تَعالى : ﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أَمَنُوا إِنَّمَا ٱلخَمرُ وَٱلْمَيسِرُ. . . .﴾[1] .

يدعو اللهُ تَعالى عبادَهُ المُؤْمنينَ إلى التزام أوامرِهِ بالانتهاءِ عنْ أُمورٍ عِدّةٍ فيقولُ : يا أيُّها الّذينَ آمنُوا إيماناً حقّاً إنَّما تعاطِي الخمرِ ، أي : الشّرابُ الّذي يُخامرُ العقلَ ويُغطّيهِ ويُذهِبُهُ ويَمنعُهُ مِنَ التَّفكيرِ السّليمِ ، وكذا القمارُ الّذي عنْ طريقِهِ يكونُ اكْتِسابُ المالِ بالحظِّ المَبنيِّ على المُصادفةِ ، دونَ جهدٍ أو فائدةٍ تعودُ على المسلمينَ ، وكذا الحجارةُ والأصنامُ الّتي كانَ الجاهليُّونَ يَنْصِبونَها عندَ الكعبةِ ويَتقرّبونَ لها بالذّبائحِ ، وتلكَ السّهامُ التي كانوا يَسْتَقْسِمونَ بها ، ويَعتمِدونَ عَلَيْها في مَعْرِفةِ الغَيْبِ ، كلُّ هذا خَبَثٌ مُسْتَقْذَرٌ تعافُهُ النُّفوسُ السليمةُ ، وهو منْ تَزيينِ الشَّيطانِ الّذي هوَ عدوٌّ للإنسانِ ، لذا أمرَ اللهُ تَعالى عبادَهُ المُؤْمنينَ أنْ يَبْتعِدوا عنْ هذهِ الأشياءِ لِكي يَفوزوا في الدُّنيا بحياةٍ فاضلةٍ ، وفي الآخرةِ بنعيمِ الجنَّةِ .

ثمَّ أكدَّ اللهُ تَعالى تحريمَ هذهِ الأشياءِ ، وَبخاصةٍ الخمرُ والميسرُ ببيانِ مفاسِدِها الدُّنيويَّةِ والدينيّةِ ، فقال تَعالى :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

إنّما يريدُ الشيطانُ بِتَزيينهِ المُنْكَراتِ لكُمْ أنْ يُوقِعَ بينكُم العداوةَ والبَغضاءَ ، بأنْ يقطعَ ما بينَكُم منْ صِلاتٍ ، ويُثيرَ في نُفوسِكُمُ الأحقادَ والضَّغائنَ بسببِ تعاطيكُمْ للخمرِ والمَيْسرِ ، لأنَّ شاربَ الخمرِ إذا ما استولتِ الخمرُ على عَقْلهِ أزالَتْ رُشْدَهُ وَأَفْقَدَتْهُ وعْيَهُ ، وجعلَتْهُ يُسيءُ إلى مَنْ أحسنَ

---

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث رقم ١٧٤٨/ ٤٣ .

إليهِ ، ويَتعدَّى على أقربِ النَّاسِ إليهِ ، وهذا يورِثُ أشدَّ ألوانِ العداوةِ والبَغْضاءِ بينَ النَّاسِ .
ومُتعاطي المَيْسرِ كثيراً ما يخسَرُ مالَهُ على مائدةِ القِمارِ ، والمالُ شقيقُ الرُّوحِ كما يقولونَ ، فإذا ما خَسِرَهُ هذا المُقامِرُ صارَ عدوّاً لِمنْ سَلَبَ مالَهُ منْهُ ، وأصبحَ يُضْمِرُ لَهُ السُّوءَ ، وقدْ يؤدِّي بِهِ الحالُ إلى قَتْلِه حتّى يُشفِيَ غَيْظَهُ منْهُ ، لأنَّهُ قدْ جعلَهُ فقيراً بائساً مُجرَّداً منْ أموالِه بعدَ أنْ كانَ مالِكَها ، وفي ذلكَ ما فيهِ مِنْ تَولُّدِ العداوةِ والبَغضاءِ ، وإيقادِ نارِ الفِتَنِ والشُّرورِ بينَ النَّاسِ .

هذهِ هِي مفاسدُ الخَمْرِ والمَيْسرِ في الدُّنيا ، أما مَفاسِدُهما الدّينيَّةُ ، فإنّ الشَّيْطانَ يَستخدِمُ هَذهِ المَفاسدَ الخبيثةَ لِيَصُدَّ النّاسَ ويُشْغِلَهم عنْ ذِكْرِ اللهِ تَعالى وعنِ الصّلاةِ ، فيحولُ بذلكَ بينَهُمْ وبينَ طاعةِ اللهِ تَعالى ومُراقبتهِ والتَّقربِ إليهِ ، لأنَّ شاربَ الخمرِ يمنعُه ما حَلَّ بهِ منْ نشوةٍ كاذبةٍ ، ومنْ فُقدانِ لِرُشدِه عنْ طاعةِ اللهِ تَعالى وأداءِ ما أوجبَهُ سبحانَهُ عليهِ منْ صلاةٍ وغيرِها ، ولأنَّ مُتَعاطِيَ المَيْسرِ بسببِ استحلالِه لِكَسْبِ المالِ عنْ هذا الطريقِ الخبيثِ ، وبسببِ فُقدانِهِ للعاطفةِ الدّينيَّةِ السَّليمةِ ، صارَ لا يُفكِّرُ في القيامِ بما أوجبَهُ اللهُ تَعالى مِنْ عباداتٍ .

فبعدَ أنْ عَلِمْتُمْ ضَررَ هذه المَفاسدِ ابْتَعِدوا عمّا نَهيتُكُمْ عنهُ لِتُفَوِّتوا على إبليسَ غرَضَهُ . وقدِ امتثلَ الصّحابةُ لأمرِ الله تَعالى وقالوا : انتَهَيْنا يا ربُّ ، انتهينا يا ربُّ ، وأراقوا ما كانَ عندَهم مِنَ الخمرِ في طُرقاتِ المدينةِ .

ثمَّ أكّدَ سبحانَه وجوبَ الانتهاءِ عَمّا نَهاهُمْ عَنْهُ بأنْ أمرَ بطاعتِه وطاعةِ رسولِه ﷺ فقالَ تَعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

أَمَرَ اللهُ المُؤْمِنينَ أنْ يَمْتَثِلوا أمْرَهُ وأَمْرَ رسولِهِ ﷺ فيما يُبلِّغُهُمْ بهِ عنْ ربِّهِ ، وقالَ لَهُمْ : (احْذَروا) أي : ابتعِدوا عمَّا يُعَرِّضُكُمْ للعذابِ إنْ خالفتُمْ ، لأنَّكُمْ إنْ أعرضْتُمْ عن الاستجابةِ لِما أمَرَكُمْ بهِ ، فَتَيقَّنوا أنَّهُ مُعاقِبُكُمْ ، وليسَ لكُم عُذْرٌ بعدَ أنْ بيَّنَ لكُمُ الرَّسولُ ﷺ عاقبةَ المُخالِفينَ ، وأنَّهُ ليسَ على رسولِنا ﷺ إلاّ إخبارُكُمْ بأحكامِنا ، وتَوْضيحُها تَوْضيحاً كامِلاً .

وقدْ أتبعَ اللهُ تَعالى هذا البيانَ الخاصَّ في تحريمِ الخمرِ والميسرِ ، ببيانِ حُكْمِ مَنْ شَرِبَ الخمرَ وماتَ قبلَ أنْ ينزلَ تحريمُها فقالَ سبحانَهُ :

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

ليسَ على الّذينَ آمنوا باللهِ تَعالى ، وصدّقوا رسولَه ﷺ ، وأتَوْا بصالحِ الأعمالِ ، إثمٌ فيما يَطعَمونَ منْ حلالٍ طيّبٍ ، ولا فيما سبقَ أنْ طَعِموهُ مِنَ المُحرَّماتِ قبلَ تحريمِها ، إذا خافوا اللهَ تَعالى ، وابتَعدوا عمَّا حرَّمَ اللهُ عليهم ، ثمَّ دأبوا على خَوْفِهم منَ اللهِ تَعالى في كلِّ حالٍ ، وأخلَصوا

في أعمالِهِمْ ، وأدَّوْها على وجهِ الكَمالِ ، فإنّ اللهَ تَعالى يُثبِّتُ المُخْلِصينَ في أعمالِهِمْ على قَدْرِ إخلاصِهِمْ وَعَمَلِهِمْ ، واللهُ يُحبُّ مَنْ أحسنَ في عَمَلِهِ وصَدَقَ في إيمانِه .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ حُرْمَةُ الخَمْرِ والمَيْسرِ والأنصابِ والأزلامِ ، ووجوبُ اجتنابِها كيْ يفوزَ مُجْتَنِبُها بالفلاحِ والرِّضوانِ .

٢ـ مَساربُ الشيطانِ وطُرقُ إغوائِهِ كثيرةٌ ، لأنَّه لا يُريدُ للإنسانِ الخيرَ ، وعلى العاقلِ أنْ يَجْتَنِبَ الوُقوعَ فيها .

٣ـ وُجوبُ طاعةِ اللهِ تَعالى وطاعةِ رسولهِ ﷺ في ما جاءَ بهِ .

٤ـ الواجِبُ عَلى الرَّسولِ ﷺ تَبليغُ النَّاسِ ما أنْزَلَهُ اللهُ إليهِ ، وإقامَةُ الحُجَّةِ عَلى العِبادِ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

الميَسرُ ، الأنصابُ ، الأزلامُ ، رِجْسٌ ، جُناحٌ ، طَعِموا .

٢ـ هاتِ الدّليلَ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ على ما يلي :

أـ حُرْمةُ الخَمْرِ .

ب ـ الشيطانُ يتربّصُ بالمؤمنينَ شرّاً .

ج ـ وُجوبُ طاعةِ اللهِ تَعالى وطاعةِ رسولِهِ ﷺ .

٣ـ بيّنْ موقفَ الصَّحابةِ رضِيَ اللهُ تَعالى عنهُم منْ آياتِ تحريمِ الخمرِ .

٤ـ ما السّببُ الّذي منْ أجلِه نزلَ تحريمُ الخمرِ ؟

٥ـ مَا عِلَلُ التَّحريمِ التي ذَكَرَها اللهُ تَعالى في الخَمْرِ والمَيْسرِ ؟

تَعَلَّمْ :

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ ـ رضِيَ اللهُ عنهُما ـ : لمّا نزلَ تحريمُ الخمرِ قالَ قومٌ : كيفَ بمِنْ ماتَ منّا وهوَ يَشْربُها ويأكلُ المَيْسرَ ؟ فنزلَ قولُ اللهِ تَعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ موضوعاً في حدودِ صفحتَينِ عنْ أضرارِ كلٍّ منَ الخَمْرِ والمَيْسرِ ، مؤيّداً ما تقولُهُ بالآياتِ القرآنيةِ والأحاديثِ النَّبويَّةِ ، وضَعِ المَوْضوعَ على مجلةِ الحائطِ في المدرسةِ .

* * *

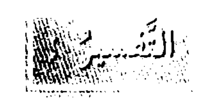
الدرس الخامس والعشرون

سورةُ المائدةِ ـ القِسْمُ الخامِسُ والعِشْرونَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لَيبلُوَنَّكُمْ	لِيَختبرَنَّكُمْ ويَمْتَحِنَنَّكُمْ .
تنالُهُ أيديكُمْ	يكونُ في مُتناوَلِ اليدِ .
وأنتُمْ حُرُمٌ	مُحْرِمونَ بحجٍّ أو عُمْرةٍ .
النَّعَمِ	الإبلِ والبقرِ والضأنِ والمَعِزِ .
بالغَ الكعبةِ	واصلَ الحرمِ فيُذْبَحُ فيهِ .
عَدْلُ ذلكَ	مُعادِلُ الطّعامِ ومقابِلُهُ .
وبالَ أمرِهِ	سوءَ عاقبةِ ذنبه .
السَّيارةِ	المسافِرينَ .



بعدَ أنْ بيّن اللهُ تَعالى حُرْمةَ الخَمْرِ وما يُشْبِهُها مِنَ المُنْكَراتِ ، وحَذَّرَ اللهُ تَعالى المُؤْمِنينَ مِنَ الاقترابِ منْها ، وبيَّنَ لهُم حُكْمَ منْ ماتَ قبلَ تحريمِ هذهِ الأشياءِ ، أخذَ سبحانَهُ في بيانٍ مُفَصَّلٍ لبعضِ الأحكامِ الّتي تتعلَّقُ بالصَّيدِ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

نزَلَتْ هذهِ الآيةُ الكريمةُ في عُمْرَةِ الحُديبيةِ ، حيث ابتلَى اللهُ تَعالى عبادَه بالصَّيْدِ وهُمْ مُحْرِمونَ ، فكانتِ الوحوشُ تَغشاهُمْ في رِحالِهِمْ ، وكانوا مُتَمكِّنينَ مِنْ صَيْدِها ، والإمساكِ بها بأيديهِم ، وطَعْنِها برماحِهِمْ ، وفيها يُخاطبُ اللهُ تعالى عِبادَهُ فيَقولُ لهم :

يا أيُّها الّذين آمنوا ، إنّ الله تَعالى يختبرُكُمْ في الإحرام بتحريمِ صَيْدِ الحيوانِ والطيورِ ، ويَخْتَبِرُكُمْ بأنْ يُسهِّلَ عليكُم اصطيادَها بأيديكُم ورماحِكُمْ ، ليظهَرَ الّذينَ يُراقبونَهُ ويخشَونَهُ ويَلتزمُونَ بتطبيقِ أحكامهِ في السِّرِّ والعَلَنِ ، وقدْ توعَّدَ اللهُ مَنْ تجاوزوا حُدودَهُ تَعالى بعدَ بيانِها بعذابٍ شديدٍ مُؤلمِ عظيمِ الإهانةِ ، لأنَّ التَّعدّي بعدَ الإنذارِ دليلٌ على عدمِ المُبالاةِ بأوامرِ اللهِ تَعالى ، ومَنْ لمْ يُبالِ بأوامرِ اللهِ ساءتْ عاقبتُه وقَبُحَ مصيرُه .

وقدْ نجحتِ الأمةُ الإسلاميّةُ وخصوصاً السَّلفُ الصَّالحُ في هذا الاختبارِ ، فقدْ تَجنَّبوا وهُمْ مُحْرِمونَ أوْ في الحَرَمِ صَيْدَ البرِّ مهما أغراهُمْ قُرْبُهُ منهُم ، بينمَا أخفقَ بنو إسرائيلَ فيما يُشبه هذا الاختبارَ ، فقدْ نهاهُم اللهُ تَعالى عنِ الصّيدِ في يومِ السَّبتِ ، فكانتِ الأسماكُ تَظهرُ لهُم في هذا اليوم امتحاناً مِنَ اللهِ تَعالى لَهُمْ ، فما كانَ منهُم إلاّ أنْ تَحايَلوا على صَيْدِها في يومِ السَّبتِ ، بأنْ حَبَسوها في هذا اليومِ لِيَصيدوها في غيرِه ، فاسْتَحقُّوا مِنَ اللهِ تَعالى اللّعنةَ والمَسْخَ ، واستحقَّتِ الأُمّةُ الإسلاميّةُ أنْ تكونَ خيرَ أُمَّةٍ أخرِجَتْ للنَّاسِ .

ثُمَّ إنّ اللهَ تَعالى حذَّرَ المؤمنينَ مِنَ التّعرُّضِ للصّيدِ في حالةِ الإحرام وبيَّنَ الجزاءَ المُترتِّبَ على مَنْ يَفعلُ ذلكَ ، وهدّدتِ الآيةُ مَنْ يَستهينُ بحدودِ اللهِ تَعالى بالعذابِ الشّديدِ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

يا أيُّها الّذينَ آمنوا ، لا تقتُلوا الصَّيْدَ حالَ كونِكُمْ مُحرِمينَ بالحجِّ والعُمْرةِ ، وأدائِكُمْ

لأعمالِهما ، ومَنْ قتلَهُ منكُم قاصِداً فَعَلَيْهِ أنْ يؤدّيَ نظيرَ الصَّيْدِ الّذي قتلَهُ مِمّا يُشبِهُهُ مِنَ الإبلِ والبَقرِ والغَنَمِ . ويُعْرَفُ النظيرُ بتقديرِ رَجُلَيْنِ عادِلَينِ منكُم يَحكُمانِ بهِ ، فَيذبحُهُ ويهديهُ إلى الفقراءِ عندَ الكعبةِ أو يدفعُ بدلَهُ إليهِمْ ، أوْ يُخرِجُ قيمةَ المِثْلِ طعاماً للفقراءِ ، لكلِّ فقيرٍ ما يكفيه يومَهُ ، ليكونَ ذلكَ مُسْقِطاً لِذَنْبِ تعدّيهِ على أمرِ اللهِ تَعالى بالصَّيدِ الّذي نُهِيَ عنْه ، أوْ يصومُ أيّاماً بعدَدِ الفقراءِ الّذينَ كانوا يستحقُّونَ الطَّعامَ لو أخرجَهُ ، وقدْ شَرعَ ذلكَ لِيَحُسَّ المُعْتدي بنتائجِ جُرْمِه وسوءِ عاقبتِه . وقدْ عفا اللهُ تَعالى عمَّا سبقَ لكُم مِنَ المُخالَفَةِ قبلَ تحريمِها ، ومنْ رَجَعَ إلى التّعدّي بعدَ العِلْمِ بتحريمِهِ فإنّ اللهَ تَعالى يُعاقِبُهُ بما ارتكبَهُ ، وهو سبحانَه غالِبٌ لا يُغْلَبُ ، شديدُ العقابِ لمنْ يُصِرُّ على الذَّنبِ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ بعدَ هذا ما أحلَّه اللهُ للمُحْرِمِ وما حرَّمَهُ عليهِ ممّا يتعلَّقُ بالصَّيْدِ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

أحلَّ اللهُ لكُم أنْ تَصيدوا حيوانَ البحارِ ، وأنْ تَأْكلوا منه ، ويَنتفعَ بهِ المُقيمونَ مِنْكُم والمُسافِرونَ ، وحرَّمَ عَليكُمْ أنْ تَصيدوا حيوانَ البرِّ غيرَ المستأنَسِ ممّا جرتِ العادةُ بصيدِهِ ، وعدمِ تَربيتِهِ في المَنازلِ والبيوتِ ، ما دُمتم مُحْرِمينَ بالحجِّ أو العمرةِ ، وراقِبوا اللهَ تَعالى وخافوا عِقابَه ، فلا تُخالِفوهُ ، فإنّكم إليهِ تُرْجَعونَ يومَ القيامةِ فيجازيكُمْ على ما تعملونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ يَبْتلي اللهُ عزَّ وجلَ عبادَه بما شاءَ ، امْتِحاناً واختباراً مِنْهُ سُبحانَهُ .

٢ـ صيدُ البحرِ حلالٌ على المُحْرِمينَ وعلى غيرِهِمْ ، وصَيْدُ البرِّ حرامٌ على المُحْرِمِ لحجٍّ أو لِعُمْرَةٍ .

٣ـ أحكامُ الشَّرْعِ بيِّنةٌ واضِحةٌ ، كي لا يكونَ للنّاسِ على اللهِ حُجّةٌ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

لَيَبْلُوَنَّكُم ، وأنْتُمْ حُرُمٌ ، النَّعَمِ ، بالغَ الكعبةِ ، عَدْلُ ذلكَ ، وبالَ أمرِهِ ، السَّيارةِ .

٢ـ هاتِ الدّليلَ منَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أـ حُرْمةُ صيدِ البرِّ على المُحْرِمينَ .

ب ـ حلُّ صيدِ البحرِ للمُحْرِمينَ .

ج ـ عدمُ الالتزامِ بأوامرِ اللهِ تَعالى بابٌ عظيمٌ للشَّرِّ .

٣ـ رجلٌ مُحْرِمٌ صادَ غزالاً ثمَّ تذكَّرَ أنَّهُ حَرامٌ ، ماذا يفعلُ ؟

٤ـ رجلٌ مُحْرِمٌ بِعُمْرَةٍ ذهبَ للسّباحةِ فصادَ سَمَكاً ، ماذا يفعلُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ الّتي تتحدَّثُ عنْ قصّةِ بني إسرائيلَ وتعدِّيهِم حدودَ اللهِ تَعالى يومَ السَّبتِ .

٢ـ اكْتُبْ في دفترِكَ أربعةً مِنْ مَحظوراتِ الإحْرامِ .

* * *

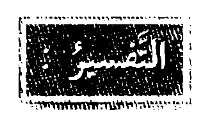
الدَّرسُ السّادسُ والعشرونَ

سورَةُ المائدَةِ ـ القِسْمُ السّادِسُ والعِشْرونَ

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

قِياماً للنّاسِ	: ما يُقيمُ مصالحَهُم ، ويُصْلِحُها لهُم .
الشهرَ الحرامَ	: الأشْهُرَ الحُرُمَ الأربعةَ الّتي حرَّمَ اللهُ فيها القِتالَ .
الهَدْيَ	: ما يُهدى مِنَ الأنعامِ لِيذبَحَهُ المُسلِمُ في الحَرَمِ .
القَلائدَ	: ما يُقلَّدُ بهِ الحيوانُ المُرادُ ذبحُهُ في الحَرَمِ .



التَّفسيرُ :

بعدَ النَّهْيِ الشديدِ للمُحْرِمينَ عَنْ صَيْدِ البرِّ ، بيَّنَ اللهُ تَعالى المَنزِلةَ السّاميةَ للكعبةِ المُشرَّفةِ ، وبيَّنَ مكانةَ الأشهرِ الحُرُمِ وما يُقَدَّمُ فيها مِنْ خيراتٍ لِسُكّانِ الحَرَمِ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

جعلَ اللهُ تَعالى الكعبةَ ، وهي البيتُ الّذي عظَّمَهُ وحرَّمَ فيهِ وفيما حولَهُ الاعتداءَ على الإنسانِ والحيوانِ غيرِ المُسْتَأْنَسِ ، هذا البيتُ جعلَهُ اللهُ مُقيماً لِمصالِحِ النّاسِ الدُّنيويَّةِ والأُخْرَويَّةِ ، فإليهِ

يَتَّجهونَ في صلاتِهم ، ويَحجُّونَ إليهِ ليكونوا في ضِيافةِ اللهِ تَعالى ، ولِيَعمَلوا على جَمْعِ شَمْلِهِمْ ، كما عظَّم شَهْرَ الحجِّ وما يُهدى إلى الكعبةِ منَ الأنعامِ ، وبخاصةٍ تلكَ التي يوضَعُ في عُنقِها القلائدُ لإشعارِ النَّاظرينَ بأنَّها تُهدَى إلى البيتِ الحرامِ . وكلُّ هذِهِ الأمورِ إنّما هي لِحِكَمٍ يَعلَمُها اللهُ ، فَعِلْمُ اللهِ تَعالى مُحيطٌ بما في السَّماواتِ الّتي يَنزلُ منها الوحيُ بالتَّشريعِ ، ومحيطٌ بما في الأرضِ فَيُشرِّعُ لِمَنْ فيها ما يُصْلِحُ معايشَهُمْ ، وأنَّ عِلْمَهُ سُبحانَهُ مُحيطٌ بكلِّ شيءٍ ، فلا تَخْفى عليهِ خافيةٌ .

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

اعْلَموا أيّها النَّاسُ أنّ عذابَ اللهِ تَعالى شديدٌ ، يَنزِلُ بمَنْ يَستبيحُ حُرماتِهِ ، وأنَّهُ سبحانَهُ كثيرُ المَغفرةِ لِذُنوبِ مَنْ يتوبُ ويُحافظُ على طاعاتِهِ ، واسِعُ الرّحمةِ بهِمْ ، يَغْفِرُ لَهُمْ ما وقعَ منْهُم .

وجَمَعَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ بينَ التَّرهيبِ والتَّرغيبِ ، حتّى يكونَ المؤمنُ بينَ الرَّجاءِ والخوفِ ، فلا يَقْنَطُ مِنْ رحمةِ اللهِ تَعالى ، ولا يجتريءُ على ارتكابِ ما يُغْضِبُهُ .

وبعدَ هذا التَّرغيبِ والتَّرهيبِ بيّنَ اللهُ تَعالى المُهمَّاتِ الّتي وكَلَها إلى رسولِهِ ﷺ ، فقالَ تَعالى :

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

ليسَ على رسولِنا أيُّها النَّاسُ ، إلاّ تبليغُ ما أمَرْناهُ بتبليغِه إليكُم ، وتوصيلُ ما كلّفناهُ بتوصيلِهِ لكُم ، وهوَ لم يُقَصِّرْ في ذلكَ ولمْ يألُ جُهداً في نُصْحِكُمْ وإرشادِكُمْ ، فأطيعوهُ لِتَسْعَدوا ، واعْلَموا أنَّ اللهَ تَعالى يعلمُ ما تُظهِرونَ وما تُخفونَ منْ خَيْرٍ أو شرٍّ ، وسَيُجازيكُمْ بما تَستحقُّونَ يومَ القيامةِ .

وعلى هذا فليسَ على الرَّسولِ ﷺ إدْخالُ الإيمانِ والهُدى في قُلوبِ العِبادِ ، فَهذا للهِ تَعالى وَحْدَهُ هو الّذي بيدِه ذلكَ ، وهوَ الّذي بيدِه حسابُهُمْ ومجازاتُهُم على أعمالِهِمْ ، وأمّا مُهمَّةُ الرّسولِ فهِيَ التبليغُ .

﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

لا يَسْتوي في ميزانِ اللهِ تَعالى ولا في ميزانِ العُقَلاءِ ، الخبيثُ والطَّيبُ حتى ولو كانَ الخبيثُ كثيرَ المَظْهَرِ ، برّاقَ الشكلِ تُعْجِبُ النّاظِرينَ هيئتُهُ ، فلا تَغترَّ أيُّها العاقلُ بهِ ولا تؤثِّرْ في نفسِك كثرتُهُ وسطوتُهُ ، فإنَّه مهما كثُرَ وظهَرَ وفشا فإنَّه سيِّء العاقبةِ ، سريعُ الزَّوالِ ، لذّتُهُ تعقُبها الحَسْرَةُ ، وشَهواتُه تَتلوها النّدامةُ ، وسَطوتُه تَتبعُها الخَسارةُ والكراهيةُ ، وطريقُهُ المليئةُ بالقذَرِ والدَّنَسِ يجبُ أن يَغْلِقَ أبوابَها الأخيارُ والشُّرفاءُ .

أما الطَّيِّبُ فهوَ محمودُ العاقبةِ ، لذّتُهُ الحلالُ يُباركُها الله تَعالى وثمارُهُ الحَسَنةُ تؤيِّدُها شَريعتُه ، وتَستريحُ لها العقولُ السَّليمةُ ، والقلوبُ النَّقيةُ منْ كلِّ دنسٍ وباطلٍ ، وطريقُهُ المستقيمُ ـ مهما قلَّ سالِكوها ـ هيَ الطريقُ الّتي توصِلُ إلى كُلِّ خيرٍ وفلاحٍ .

ولا شَكَّ في أنَّ العقلَ عندما يتخلَّصُ مِنَ الهوى سَيختارُ الطَّيِّبَ على الخَبيثِ ، لأنَّ في الطَّيِّبِ سعادةَ الدّنيا والآخرةِ .

ويظهرُ كذلكَ عدمُ تساوي الخَبيثِ والطَّيِّبِ في أنَّ أهلَ الخبيثِ سيُعاقَبونَ ويَندَمونَ مهما كَثُروا ، وأهلَ الطَّيِّبِ سَيُثابونَ ويَفرحونَ ، فاتّقوا اللهَ تَعالى يا أصحابَ العُقولِ السَّليمةِ ؛ بأنْ تجتنِبوا كلَّ ما هو خبيثٌ ، وتُقبلوا على كلِّ ما هَو طيِّبٌ ، لعلَّكم بسببِ هذهِ التّقوى والخشيةِ منَ اللهِ تَعالى تَنالونَ الفلاحَ والنَّجاحَ في دُنياكُم وآخِرَتِكُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اللهُ تَعالى يُحرِّمُ ما شاءَ منَ الأماكنِ والأوقاتِ حَسَب عِلْمِه وحِكْمَتِهِ .

٢ـ ما يُهدى إلى الحَرَمِ لأجلِ اللهِ تَعالى شيءٌ مُعَظَّمٌ عندَه سبحانَهُ .

٣ـ هدايةُ النَّاسِ وضلالُهُمْ هيَ للهِ تَعالى وحْدَهُ ، وما على الرَّسولِ إلاّ البلاغُ .

٤ـ الخبيثُ مَهْما كثُرَ فعاقبتُهُ مَذمومةٌ ، والطَّيِّبُ مهمَا قلَّ فعاقِبَتُهُ محمودةٌ .

٥ـ أصحابُ العقولِ السّليمةِ همُ أهلُ التَّقوى الّذينَ يتذكّرونَ ويتدبَّرونَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

قِياماً للنّاسِ ، الشهرَ الحرامَ ، الهَدْيَ ، القلائدَ .

٢ـ بيِّنْ منزلةَ الكعبةِ عندَ اللهِ تَعالى .

٣ـ بيَّنتِ الآياتُ الكريمةُ وظيفةَ الرّسولِ ﷺ . بيِّنْ ذلكَ .

٤ـ مَا موقفُ العاقلِ أمامَ الخبيثِ والطّيِّبِ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ الآيةَ الدَّالَّةَ على أنَّ الكعبةَ المُشرَّفةَ هيَ أوَّلُ بيتٍ وُضِعَ في الأرضِ لعبادةِ اللهِ .

الدَّرسُ السَّابِعُ والعِشرونَ

سورةُ المائدَةِ ـ القِسْمُ السّابعُ والعِشْرونَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

مَعاني المُفْرَدات

إنْ تُبْدَ لكُم	إنْ تَظْهَرْ وتَتَّضِحْ .
بَحيرةٍ	النّاقةِ تُشَقُّ أُذُنُها ، وتُخلَى للطواغيتِ إذا ولدَتْ خمسةً آخرُها ذَكَرٌ .
سائِبةٍ	الناقةِ يُسيِّبها صاحبُها للأَصْنامِ إذا شفِيَ مِنْ مرضٍ أو نجا منْ مَكْروهٍ .
وَصيلةٍ	النّاقةِ تُتْرَكُ للأصنام إذا بكّرتْ بذكرٍ ثم ثنَّتْ بأُنثى ، وقالوا وصَلَتْ أخاها .
حامٍ	الفَحْلِ لا يُرْكَبُ ولا يُحْمَلُ عليهِ إذا لَقَحَ وأنتجَ مِنْ صُلبهِ عشرةً .
حَسْبُنا	كافينا .
عَليكُمْ أنفسَكُمْ	الزَموها واحفَظوها مِنَ المَعاصي .

التَّفسيرُ :

بعدَ الحديثِ المستفيضِ عنِ الحلالِ والحرامِ في شريعةِ الإسلامِ ، اتّجهَتْ آياتُ السّورةِ الكريمةِ إلى تربيةِ المسلمينَ وإرشادِهِم إلى الآدابِ التي يَجِبُ أن يَتمسَّكوا بِها ،

ونَهيهِم عنِ الأسئلةِ الّتي لا خَيْرَ يُرجى من وراءِ إثارتِها ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ :

الظّاهرُ منْ وقائعِ السّيرةِ النّبويّةِ أنَّ بعضَ الصّحابةِ كانَ يسألُ النّبيَّ ﷺ أسئلةً لا فائدةَ فيها ، أوْ أنَّ الجوابَ عليهَا يُحدِثُ مَساءةً للسّائلِ ، وأنّ النّبيَّ ﷺ قدْ كرِهَ هذهِ المسائلَ ، ومِمّا وردَ في شأنِ هذهِ الأسئلةِ الّتي كانتْ على ما يبدو سَبباً لِنزولِ هذا النّهْيِ ، ما أخرجَهُ البخاريُّ ، قالَ : قالَ رجلٌ للنّبيِّ ﷺ : يا رسولَ اللهِ مَنْ أبي ؟ قالَ : أبوكَ فلانٌ[1] .

ومثلُه أنَّ النّبيَّ ﷺ قالَ : فواللهِ لا تسألُوني عنْ شيءٍ إلاّ أخبرتُكُمْ بهِ ما دمتُ في مَقامي هذا . فقامَ إليهِ رجلٌ ، فقالَ : أينَ مَدْخلي يَا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : النّارُ ، فقامَ عبدُ الله بنُ حُذافةَ ، فقالَ : مَنْ أبي يا رسولَ اللهِ ؟ فقالَ : أبوكَ حُذافةُ[2] .

وفي هذه الآيةِ يُوَجّهُ اللهُ تَعالى عبادَهُ المؤمنينَ إلى أدبِ التعامُلِ مع أُمورِ الدّينِ ودقائقِهِ ، فيخاطبُهُمْ إشفاقاً عليهم ورَحْمةً بهمْ : يا أيّها الذين آمنوا باللهِ تَعالى حقَّ الإيمانِ ، لا تسألُوا نَبيّكُمْ محمَّداً ﷺ عنْ أشياءَ إنْ تَظهرْ لكُم تَغمُّكُمْ وتُحزِنْكُمْ وتَندَموا على السُّؤالِ عنها ، لِما يَترتَّبُ عليها مِنْ إحراجِكُمْ .

ومِنَ المشقَّةِ عليْكُمْ ومِنَ الفضيحةِ لبعضِكُمْ أنْ تسألوا عنها النَّبيَّ ﷺ في حياتِهِ ، فإنَّ اللهَ يُنزِّلُ عليهِ القرآنَ يُبيِّنُها لكُم ، وقدْ عفا اللهُ تعالى عنكُم في هذه الأشياءِ فلا يعاقبُكُمْ عليْها ، واللهُ تَعالى كثيرُ المغفرةِ واسعُ الحِلْمِ ، فلا يُعجِّلُ بالعقوبةِ ، فهوَ غفورٌ يَغفِرُ ذُنوبَ عبادِهِ ، حليمٌ بِهِمْ .

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير حديث ٤٦٢٢ .

(٢) رواه البخاري ٦/ ٢٦٦٠ حديث رقم (٦٨٦٤) وانظر ٤/ ١٨٣٢ حديث رقم (٢٣٥٩) .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعضَ مظاهرِ العِبَرِ والعِظاتِ والحِكَمِ منْ وراءِ نَهْيِهِمْ عَنِ الأسئلةِ التي لا خيرَ يُرجَى منْ ورائِها ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾

قدْ سألَ عنْ أمثالِ هذهِ الأُمورِ الشّاقَّةِ ، الّتي لا نَفْعَ منْ ورائِها جماعةٌ ممَّن سَبَقوكُمْ ، ثمَّ بعدَ أنْ كُلِّفوها على ألسنةِ أنبيائِهم ثَقُلَ عليهِمْ تنفيذُها ، فأَعْرَضوا عنها وكانوا لها مُنكِرينَ ، واللهُ تَعالى يُريدُ اليُسْرَ ولا يريدُ العُسْرَ ويُكلِّفُ النَّاسَ ما يُطيقونَ ، فلا يَصحُّ أنْ يُكَلِّفَ الإنسانُ نفسَه ما لا يُطيقُ .

وبعد ذلكَ حكى اللهُ تَعالى عنْ بعضِ التَّشْريعاتِ الّتي كانَ أهلُ الجاهليّةِ يتمسّكونَ بها ، ويعتبُرونَها مِنَ الأحكامِ اللازمةِ معَ أنَّها لا أَصْلَ لها ، وإنّما همُ الّذينَ ابتدَعوها ونَسَبوها إلى دينِ اللهِ تَعالى مِنَ دونِ دليلٍ أوْ بُرْهانٍ ، فقالَ سبحانَهُ :

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

ما شَرَعَ اللهُ تَعالى شيئاً ممَّا حرَّمهُ أهلُ الجاهليّةِ على أنفسِهِمْ مِنَ البحيرةِ والوَصيلةِ والسَّائبةِ والحامي ، وهذهِ الحيواناتُ إنَّما حرَّمَ أهلُ الجاهليَّةِ الانتفاعَ بها منْ عندِ أنفسِهِمْ مِنْ دونِ علمٍ أو بُرْهانٍ ، وهُمْ في هذا التَّحريمِ إنّما يَفترونَ على اللهِ تَعالى الكَذِبَ الصّريحَ القاطِعَ بسببِ كُفْرِهِمْ وضَلالِهِمْ ، وأكثرُهُمْ لا يفقَهونَ الحقَّ ، ولا يَستجيبونَ لهُ ، انقياداً لأهوائِهِمْ وأهْواءِ رُؤسائِهِمْ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

وإذا قالَ قائلٌ ـ على سبيلِ النُّصْحِ والإرشادِ إلى الخيرِ ـ لهؤلاءِ المُقلِّدينَ ، المُنْقادينَ انقياداً أعمى لِما كانَ عَليْهِ الآباءُ والأَجْدادُ مِنْ ضَلالٍ ، اسْتَجيبوا لِما أنزلَ اللهُ تَعالى في كتابهِ ، ولِما أنزلَهُ على رسولِهِ ﷺ منَ الهُدى والنّورِ لِتَسْعَدوا وتَفوزوا ، قالوا بعنادٍ وغباءٍ : كافينا في هذا الشأنِ ما وجَدْنا عليه آباءَنا مِنْ عقائدَ وتقاليدَ وعاداتٍ ، فلا نَلْتَفِتُ إلى ما سِواهُ .

وهذهِ حُجّةُ كلِّ ضالٍّ مُقلّدٍ لِمنْ سبقُوهُ بغيرِ تَعقُّلٍ ولا تَدَبُّرٍ ، إنّه يَتْرُكُ معانِيَ العزّةِ والكَرامةِ ، وإعمالَ الفِكْرِ ليعيشَ أسيراً للأوهامِ الّتي شبَّ عليها وسارَ خَلْفَها ، مُقلِّداً غيرَهُ ومُنقاداً له انقيادَ الخائفينَ الأذِلاّءِ .

ثمَّ أظهرتْ هذهِ الآيةُ التعجُّبَ منْ هؤلاءِ بقولِه تَعالى : ﴿أَوَلَوْ كَانَ أَبَآؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾

أيقولُونَ حسبُنا ما وجدْنا عليهِ آباءَنا ، ويُغْلِقونَ على أنفسِهِمْ بابَ الهِدايةِ مَعَ أنَّ الآباءَ قَدْ يَكونونَ جَهَلَةً لا يعلمونَ شيئاً مِنَ الحقِّ ولا يَهتدونَ إليهِ لانْطِماسِ بَصيرتِهِمْ .

وبعدَ هذا البيانِ لهذهِ الأحكامِ وذمِّ المُقلِّدينَ لآبائِهِمْ تقليداً أعمى ، وجَّهُ سبحانَه نِداءً إلى المُؤْمِنينَ ، أمرَهُمْ فيه بأنْ يُلْزِموا أنفسَهم طاعةَ اللهِ تَعالى ، وأنَّه ليسَ عليْهم شيءٌ مِنْ آثامِ غيرِهِمْ ، ما داموا قدْ نصحوهُمْ وأرشدوهُمْ إلى الخيرِ ، فقال سبحانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

يا أيُّها الذينَ آمنوا باللهِ تَعالى إيماناً حقيقياً ، الزموا العملَ بطاعةِ اللهِ تَعالى بأنْ تُؤَدُّوا ما أمرَكُم به ، وتنتَهوا عمّا نهاكُم عنْه ، وأنتُم بعدَ ذلكَ لا يُضيرُكُمْ ضلالُ مَنْ ضلَّ وَغَوى ، ما دمتُم قدْ أدّيتُمْ حقَّ أنفسِكُمْ عليكُم بصيانتِها عمّا يُغْضِبُ الله تَعالى ، وأدَّيتُم حقَّ غيرِكُمْ عليكُم ، بإرشادِه ونُصْحِهِ وأمرِه بالمعروفِ ونهْيِهِ عن المُنْكَرِ ، فإنْ أبى الاستجابةَ لكُمْ بعدَ النُّصْحِ والإرشادِ والأخْذِ على يدِهِ مِنَ الوقوعِ في الظّلمِ ، فلا ضَيْرَ عليكُمْ في تماديهِ في غَيِّهِ وضَلالِه ، فإنَّ مصيرَكُم ومَرْجعَكُمْ إلى اللهِ تَعالى وحْدَهُ فينبِّئُكُمْ يومَ القيامةِ بما كُنتمْ تعملونَ في الدُّنيا مِنْ خيرٍ أوْ شرٍّ ، ويُجازي أهْلَ الخيرِ بما يستحقُّونَهُ مِنْ ثوابٍ ، ويُجازي أهلَ الشَّرِ بما يَستحقُّونَهُ مِنْ عِقابٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

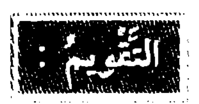
١ـ يَنبغي على المؤمنِ الاشتغالُ بما هوَ مُفيدٌ .

٢ـ ضَلَّ الجاهليُّونَ بِتحريمِهم ما أحلَّ اللهُ تَعالى لَهُمْ .

٣ـ ضَرورةُ الاستجابةِ لأمرِ اللهِ تَعالى وأمْرِ رسولهِ ﷺ .

٤ـ مَنْ أدّى حقَّ اللهِ تَعالى في نفسِه وفي غيرِه لا يضُرهُ فسادُ النَّاسِ .

٥ـ لا يُؤاخَذُ الإنسانُ بجريرةِ غيرِه ما دامَ قَدْ أدَّى الّذي عليهِ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

إنْ تُبْدَ لكُم ، بَحيرةٍ ، سَائِبةٍ ، وَصيلةٍ ، حامٍ ، عَليكُمْ أنفسَكُمْ .

٢ـ اصطلح أهلُ الجاهليَّةِ على تسميةِ بعضِ الحيواناتِ وحرَّمُوها على أنفسِهم ، اذكُرْ هذهِ المسمَّياتِ وسببَ تحريمِهِمْ لها .

٣ـ اذْكُرِ الدّليلَ على حُرْمةِ التَّقليدِ الأعمى .

٤ـ ماذا يَترتَّبُ على المؤمنِ إذا كانَ مُؤَدِّياً حقوقَ الله تَعالى في نفسِه وفي مُجتمَعِهِ ؟

٥ـ لماذا نهى اللهُ تَعالى عنِ السّؤالِ في هذهِ الآياتِ الكريمةِ ؟

تَعلّمْ :

ـ قالَ أبو السُّعودِ : لا يَتوهمَنَّ أحدٌ في قولِ اللهِ تَعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ رخصةً في تركِ الأَمْرِ بالمَعروفِ والنّهي عَنِ المُنْكَرِ ، فإنَّ مِنْ جُملةِ الاهْتِداءِ أنْ يُنْكِرَ ، وقدْ رُوِيَ أنْ أبا بكرٍ الصّديقَ قالَ يوماً على المنبرِ : إنَّ النّاسَ إذا رأَوا المُنْكرَ فلمْ يُغيّروهُ عمَّهمُ اللهُ بعقابِهِ .

ـ أخرجَ الحاكمُ أنَّ رسولَ ﷺ قالَ : ائتمِروا بالمَعْروفِ ، وتَناهوْا عنِ المُنْكَرِ حتّى إذا رأيْتَ شُحّاً مُطاعاً وهوىً مُتَّبعاً ، ودنيا مُؤْثَرَةً ، وإعجابَ كلِّ ذِي رأيٍ برأيِه ، فعليْكَ بخاصَّةِ نَفْسِكَ[١] .

* * *

---

(١) رواه أبو داود ١٢٣/٤ حديث رقم (٤٣٤١) والترمذي ٢٥٧/٥ حديث رقم(٣٠٥٨) وابن ماجه ١٣٣٠/٢ حديث رقم (٤٠١٤) .

الدرس الثامن والعشرون

سورةُ المائدَةِ ـ القِسْمُ الثّامِنُ والعِشْرونَ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ (١٠٦) فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٠٨)﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ضربتُمْ في الأَرْضِ	سافَرْتُم فيها .
تَحْبسونَهما	تُمْسِكونَهُما .
لا نَشتري بهِ ثمناً	لا نأخذُ بِقَسَمِنا عَرَضاً دُنْيويّاً .
عُثِرَ	ظَهَرَ ، وُجِدَ أنّهما استحقّا إثماً .
الأَوْلَيانِ	الأَقْرَبانِ إلى المَيِّتِ ، الوارثانِ لهُ .

التَّفسيرُ :

تستمرُّ آياتُ السّورةِ الكَريمةِ في بيانِ بعضِ الأحكامِ الشَّرعيَّةِ ، ومنها الوصيَّةُ ، قالَ تَعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

سَبَبُ النُّزُولِ

هذهِ الآيةُ والآيتانِ بعدَها نزلَتْ في حادثةٍ مُعيَّنةٍ كمَا ذكرَ المُفسّرونَ ، وهذهِ الحادثةُ فحواها ما يلي : أنَّ تميمَ الدَّاريَّ ، وعديَّ بنَ بداءٍ وكانا نَصْرانِيينِ كانا يختلِفانِ إلى مكَّةَ لأجلِ التّجارةِ ، فصحِبَهُما رجلٌ منْ بني سَهْمٍ ، فماتَ بأرضٍ ليسَ بِها أحدٌ مِنَ المُسْلِمينَ ، فأوصى إليهما بِتَرِكَتِهِ لِيوصِلوها إلى أهْلِهِ ، فلمَّا قَدِما دَفَعاها إلى أهْلِهِ ، وكتما جاماً ـ إناءً ـ كانَ معَهُ منْ فضَّةٍ كانَ مَخوصاً بالذّهبِ ـ عليهِ صفائحُ ذهبيَّةٌ ـ فقالا : لم نرَهُ فيما دَفَعَهُ إلينا ، فَأُتِيَ بِهما إلى النَّبيِّ ﷺ فاستحلفَهُما باللهِ ما كَتَما ولا اطَّلعا ، وخلَّى سبيلَهُما ، فَنزلتِ الآياتُ . ثمّ إنّ الجامَ وُجِدَ عندَ قومٍ منْ أهلِ مكَّةَ ، فقالوا : ابتعَناهُ منْ تميمِ الدّاريِّ وعديّ بنِ بداءٍ ، فقامَ أولياءُ السَّهْمِيِّ فأخذوا الجامَ وحلَفَ رجلانِ منهُم باللهِ أنّ هذا الجامَ جامُ صاحبِنا : وشهادتُنا أحقُّ منْ شهادتِهما وما اعتدَينا ،[1] ، فنزلتِ الآياتُ .

وقَدْ شرَعَ اللهُ تَعالى للمؤمنينَ الوصيَّةَ في السَّفرِ ، فعلى مَنْ كانَ مسافِراً وأحسَّ بِدُنُوِّ أجلِه وأرادَ أنْ يوصِيَ بشيءٍ أنْ يُحضِرَ رَجُليْنِ عَدْلَيْنِ منَ المُسْلِمينَ ، أوْ منْ غيرِ المُسْلِمينَ إنْ لمَ يجدْ غَيْرَهُما ، فَيُعطِيهِما المالَ الّذي مَعَهُ ، فإذا أوْصَلا ما أَخَذاهُ إلى ورثةِ الميتِ وارتابَ الوَرَثةُ في أمانةِ هَذيْنِ الرَّجليْنِ ، فعليهِمْ أنْ يَرفَعوا الأمْرَ للحاكمِ ، وعلى الحاكِمِ أنْ يَستحلِفَ الرّجلينِ باللهِ تَعالى بعدَ الصَّلاةِ بأنَّهما ما كَتَما شَيْئاً مِنْ وصيَّةِ الميِّتِ وما خانا .

﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

فإذا ظهَرَ أنَّ اللّذيْنِ حَمَلا ما أوْصى بِهِ المَيِّتُ قدْ كَذبا في شَهادتِهِما أوْ أخفيا شَيْئاً ، فإنَّ اثنَيْنِ منْ أقربِ المُستحِقّينَ لِتَرِكةِ الميتِ هُما أحقُّ أنْ يَقِفا مكانَ الشّاهِديْنِ بعدَ الصَّلاةِ ، فَيَحْلِفانِ باللهِ تَعالى أنّ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا حديث رقم (٢٧٨٠) .

الأَخْذَ بِقَوْلِهما أحَقُّ ، وذَلِكَ عِنْدَ ظُهورِ ما يُشكِّكُ في روايةِ الأَوّلينَ ، وأنَّهما لم يَكونا في حَلْفِهما مُعتَدِيَيْنِ . فإنَّنا لَوْ فعلنَا ذلكَ نكونُ مِنَ الظَّالمينَ المُستَحقّينَ عقابَ مَنْ يظلمُ غيرَهُ .

﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ .

ذلكَ الّذي شَرَعْنا مِنْ هذهِ النُّظُمِ جميعاً ، أدنى الطُّرقِ وأقربُها إلى أنْ يؤدّيَ الشهداءُ الشّهادةَ على وجْهِها بلا تَحريفٍ ولا تَبديلٍ ، وأنْ يخافوا مِنَ الفضيحةِ الّتي تَعْقُبُ اسْتِحقاقَ الإثْمِ ، بِرَدِّ أيْمانِ الوَرَثَةِ بعد أيْمانِهِمْ ، فإنّها تكونُ مُبْطِلَةً لأيْمانِهِمْ ، فالواجبُ أنْ يخافوا مِنْ عقابِ اللهِ ، أو مِنْ ردِّ الأيْمانِ والفَضيحةِ .

واتَّقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، واسْمَعوا وأطيعوا ، فاللهُ لا يَهدي القَوْمَ الظّالِمينَ الخارِجينَ عَنْ حُدودِ الشّرْعِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الحثُّ على الوصيَّةِ وتأكيدُ أَمْرِها في الحَضَرِ والسَّفَرِ ، وضرورةُ الإشْهادِ عَلَيْها .

٢ـ شَرعيّةُ اختيارِ الأوقاتِ والأمكنةِ والصيَغِ المُغَلَّظةِ الّتي تُؤثِّرُ في قلوبِ الشُّهودِ ومقسِمي الأيْمانِ .

٣ـ جوازُ دَعْوَةِ الشُّهودِ إلى حَلْفِ اليمينِ إذا ارتابَ الحُكّامُ أو الخُصومُ في شَهادَتِهم .

٤ـ جوازُ شهادةِ غيرِ المُسْلِمينِ على المُسْلِمينَ عندَ الضّرورةِ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

ضربتُمْ في الأرضِ ، تَحْبِسونَهما ، لا نَشتري بهِ ثمناً ، عُثِرَ ، الأَوْلَيانِ .

٢ـ هاتِ الدّليلَ منَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أـ الشهادةُ على الوصيةِ ضروريةٌ .

ب ـ الوصيَّةُ أمرٌ مطلوبٌ شَرْعاً .

ج ـ اختيارُ الأوقاتِ للاسْتِحلافِ .

٣ـ بيّنْ سببَ نزولِ هذهِ الآياتِ .

٤ـ ما أثرُ هذهِ الأحكامِ الشّرعيَّةِ في حِفْظِ الحُقوقِ ؟

نشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ الحِكْمَة مِنَ استحْلافِ الشاهِدَيْنِ بعد الصّلاةِ .

* * *

الدرسُ التاسعُ والعشرونَ

سُورَةُ المائدَةِ ـ القِسْمُ التّاسِعُ والعِشْرونَ

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

معاني المُفْرَداتِ :

روحِ القُدسِ	جبريلَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .
المهدِ	ما يوضَعُ فيهِ الوليدُ ، ويُكَنّى بهِ عَنْ حالةِ الطّفولةِ الأولى .
كَهْلاً	في حالِ اكتمالِ القوّةِ ، حالِ الكِبَرِ .
الكتابَ	كلَّ ما يُكتَبُ ، أو الكتابةَ .
الحِكْمةَ	العِلْمَ النافعَ .
تَخْلُقُ	تُصوِّرُ وتُقدِّرُ .
الأَكْمَهَ	الأَعْمى المولودَ مَطْموسَ العَيْنِ .
الحوارِيِّينَ	أنصارِ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وخواصِّهِ .

بعدَما ذكرَ اللهُ تَعالى الوصيةَ وأمرَ بتقوى اللهِ تَعالى والسَّمْعِ والطّاعةِ ، أعقبَهُ بذكرِ اليومِ المهولِ المخيفِ وهُو يومُ القيامةِ ، الّذي يَجمَعُ اللهُ تَعالى فيهِ الأَوَّلينَ والآخِرينَ لِلْحسابِ ، تمهيداً لِذِكْرِ المُعْجِزاتِ الّتي أيَّدَ اللهُ تَعالى بها عبدَهُ ورسولَهُ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ فقالَ سبحانَهُ :

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾

تذكَّروا ـ أيُّها النَّاسُ ـ يومَ القيامةِ حينَ يجمعُ اللهُ تَعالى كُلَّ الرُّسلِ ، ويسألُهُمْ قائلاً لهُمْ : ماذا أجابَتْكُمْ بهِ أُمَمُكُمُ الّذينَ أُرْسِلْتُمْ إليهِم ؟ أبالإيمانِ أمْ بالإنكارِ ؟ والأُمَمُ حينئذٍ حاضِرةٌ لِتُقَدَّمَ عليهِمُ الحُجَّةُ بشهادةِ رُسُلِهِمْ بأنَّنا يا ربِّ لا نعلَمُ ما كانَ بعدَنا منْ أمرِ مَنْ أُرسلْنا إليْهِمْ ، وأنتَ وحْدَكَ يا ربَّنَا الّذي تعلَمُ ذلكَ ، لأنَّكَ الّذي أحاطَ بالظّواهرِ والبَواطنِ ، وأنتَ علاّمُ الغُيوبِ .

وهذا السُّؤالُ مِنَ اللهِ تَعالى لِرُسلِهِ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ إنّما هوَ توبيخٌ لأقوامِهِمُ الّذينَ عصَوْا ربَّهُمْ ، وارتدُّوا على أدْبارِهِمْ ، ولمْ يُؤَدُّوا لِرُسلِ اللهِ تَعالى حُقوقَهُمْ ، وفيهِ أيضاً إعلاءٌ لشأنِ الرُّسلِ ؛ إذْ إنَّ إجابتَهُمْ هذهِ ستكونُ قاضيةً على الأُممِ المُكذِّبةِ .

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ .

وفي ذلكَ الوقتِ يُنادي اللهُ تَعالى عيسى ابنَ مريمَ مِنْ بينِ الرُّسُلِ فيقولُ لهُ : اذْكُرْ ما أنعمتُ بهِ عليكَ وعلى أُمِّكَ في الدُّنيا ، حينَما ثبَّتُّكَ بالوحي وأنْطَقْتُكَ وأنتَ رضيعٌ بِما يُبَرِّئُ أُمَّكَ ممّا اتُّهمتْ بهِ ، كما أنطقتُكَ وأنتَ كبيرٌ بما قدْ أوحيتُ إليكَ ، وأنْعَمتُ عليكَ بتعليمِكَ الكتابةَ ، ووفَّقْتُكَ للصَّوابِ في القَوْلِ والعَمَلِ ، وَعَلَّمتُكَ كتابَ موسَى ـ عليهِ السَّلامُ ـ والإنجيلَ الّذي أنزلتُهُ عليكَ ، وأجريْتُ لكَ مُعجزاتٍ تَخْرُجُ عن طَوْقِ البشرِ ، حيثُ تَتَّخِذُ مِنَ الطّينِ بإذنِ اللهِ تَعالى ، فَتَنْفُخُ فيها فَيُصْبِحُ طائِراً حياً بقدرةِ اللهِ تَعالى لا بِقُدْرَتِكَ ، وتَشفي مِنَ العَمى مَنْ وُلِدَ أَعمى ، وتَشْفي الأَبْرصَ منْ بَرَصِهِ بإذنِ اللهِ تَعالى وقُدْرتِهِ ، وأجريتُ على يديْكَ إحياءَ الموتى بإذنِ الله تَعالى وقُدْرَتِهِ ،

ومَنَعتُ اليهودَ من قَتْلِكَ وصَلْبِكَ عندما أتيتَهُمْ بالمُعْجزاتِ ، لِيُؤْمنوا ، فأعْرَضَ فريقٌ منهم ، وادّعَوْا أنَّ ما أظهرْتَ منَ المُعْجزاتِ ما هو إلاّ مِنْ قَبيلِ السِّحْرِ الواضح .

ثمَّ بعدَ ذلك وجَّهَ ـ سبحانَهُ وتَعالى ـ قولَه لِنَبيّهِ ﷺ مُذَكِّراً ومُبيِّناً لَهُ ما فعَلَهُ اللهُ تَعالى ببعضِ مَنْ دَعاهُم عيسى عليْهِ السَّلامُ للإيمانِ ، فقالَ سُبْحانَه :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ .

واذْكُرْ أيُّها الرَّسولُ ﷺ ما مَنَنّا بهِ على عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ في هذا الشأنِ حينَ ألهمْنا جماعةً مِمّنْ دعاهُم عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أنْ يؤمِنُوا باللهِ تَعالى وبرسولِه عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ فاسْتَجابوا لَهُ وصاروا منْ خاصّةِ أصْحابِه ، وقالوا : آمنّا واشْهَدْ يا ربَّنا بأنَّنا مُخْلِصونَ مُنقادونَ لأَوامرِكَ .

وفي هذا تَذْكيرٌ للنّبيِّ ﷺ وأُمّتِهِ أنْ يُتابِعَ المؤمنونَ رسولَهُمْ ، ويخلِصوا للهِ الطّاعةَ على يدِ هذا النَّبيِّ العظيمِ ﷺ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ يومُ القيامةِ يُجمَعُ فيهِ النَّاسُ للحسابِ ، ويُجْمَعُ فيهِ الرُّسلُ للشَّهادةِ على أقوامِهِمْ .

٢ـ تأييدُ اللهِ لرسُلُهِ بالمُعْجزاتِ الَّتي يُجريها على أيديهِمْ فَتتحقّقُ بإرادتِهِ .

٣ـ إصْرارُ الكافرينَ عَلى كُفْرِهِمْ وَعِنادِهِمْ ، عَلى الرّغْمِ مِنْ وُضوحِ البيِّناتِ والدَّلائِلِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

روحِ القُدُسِ ، المهدِ ، كَهْلاً ، الكتابَ والحِكْمةَ ، تخلُقُ ، الأَكْمَهَ ، الحوارِيّينَ .

٢ـ ما الّذي يَجري في يومِ القيامةِ ممّا ذكرَتْه هذهِ الآياتُ ؟

٣ـ بيّنِ الغَرضَ مِنْ سؤالِ اللهِ تَعالى الرُسُلَ ـ عَلَيْهِمُ السّلامُ ـ أمامَ أُمَمِهِمْ .

٤ـ ذكرتِ الآياتُ نعمَ اللهِ تَعالى على عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، ومعجزاتِهِ ، اذكُرْ هذه المُعْجِزاتِ وهذهِ النِّعَمَ مُرَتَّبةً كما جاءتْ في الآياتِ الكَريمةِ .

٥ـ ما مَوْقِفُ بني إسرائيلَ منْ مُعجِزاتِ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ الصَّفِّ الّتي تتحدَّثُ عنْ سيِّدِنا عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

* * *

الدَّرسُ الثّلاثونَ

سورةُ المائدَةِ ـ القِسْمُ الثّلاثون

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الحوارِيّونَ : الأَصْحابُ الخُلَّصُ للمسيحِ عليهِ السَّلامُ .

مائدَةً : طاولةٌ عَلَيْها طعامٌ ، وقدْ تُطْلَقُ على الطّعامِ نفسِهِ .

عيداً : سُروراً وفَرَحاً ، أو يوماً نُعظِّمُهُ .

التّفسيرُ :

أخْبَرَنا اللهُ في هذهِ الآياتِ عَنْ طَلَبِ الحَوارِيّينَ مِنْ عيسى عليهِ السّلامُ أنْ يُنْزِلَ اللهُ عَلَيْهِمْ مائِدَةً مِنَ السَّماءِ ، والحِوارُ الّذي جَرى بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ في ذَلِكَ ، واسْتجابَةُ اللهِ لِدُعاءِ عيسى، ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وتَهْديدُهُ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ بالعَذابِ الأليمِ . وتبدأُ الآياتُ بِذِكْرِ ما قالَهُ الحوارِيّونَ ، قالَ تَعالى :

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

اذكرْ أيُّها النَّبيُّ ما حدثَ حينَ قالَ الحوارِيّونَ مِنْ أتباعُ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وهُمُ المُخْلِصونَ

مِنْهُمْ : يَا عيسى ابنَ مريمَ : هلْ يُجيبُكَ ربُّك إذا طَلبْتَ منهُ أنْ يُنزِّلَ عَلَيْنا طعاماً مِنَ السَّماءِ ؟ فردَّ عَليهِم عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إنْ كنتمْ مؤمنينَ باللهِ تَعالى فخافوهُ وأطيعوا أوامَرهُ ، ونواهيَهُ ، ولا تَطلبوا حُجَجاً غيرَ الّتي قدَّمْتُها إليكُم تصديقاً لِرسالَتي فيكُمْ ، واللهُ ـ سُبحانَهُ ـ على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ .

قالَ الحواريّونَ لعيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : إنّنا نُريدُ نُزولَ هذهِ المائدةِ علينْا مِنَ السَّماءِ لأسبابٍ :

أوَّلُها : أنّنا نَرْغَبُ في الأكْلِ منْها لِننالَ البَرَكةَ ، ولأننّا في حاجةٍ إلى الطَّعامِ بعدَ أنْ ضيَّق عَلْينَا أعداؤُكَ وأعداؤُنا الّذينَ لمْ يؤمِنوا بِرِسالَتِكَ .

وثانيها : أنَّنا نَرْغَبُ في نزولِها لكَيْ تزدادَ قُلوبُنا اطْمِئناناً إلى أنَّكَ صادِقٌ ، فيما تُبَلِّغُهُ عنْ ربِّكَ تَعالى ، فإنَّ انضمامَ عِلْمِ المُشاهَدةِ إلى العِلْمِ الاسْتدلاليِّ مِمَّا يُؤَدِّي إلى رُسوخِ الإيمانِ وقُوَّةِ اليقينِ .

وثالِثُها : أنَّنا نرغبُ في نُزولِها لكيْ نعلَمَ أنْ قدْ صَدَقْتَنا في دَعْوَى النُّبَّوةِ وفي جميعِ ما تُخْبِرُنا بهِ منْ مأموراتٍ ومَنهيّاتٍ ، لأنَّ نُزولَها مِنَ السَّماءِ يجعلُها تُخالِفُ ما جئتَنا بهِ منْ مُعْجزاتٍ أرضيَّةٍ ، وفي ذلك ما فيهِ مِنَ الدَّلالةِ على صِدْقِكَ في نُبوَّتِكَ .

ورابعُها : أنَّنا نرغبُ في نزولِها لكيْ نكونَ مِنَ الشّاهدينَ على هذهِ المُعْجزةِ عندَ الّذينَ لم يَحْضُروها مِن بني إسرائيلَ ، لِيزدادَ الّذينَ آمنوا منهُم إيماناً ، ويُؤْمِنَ الّذي عندَه استعدادٌ للإيمانِ .

وهذهِ الأسبابُ تُظهِرُ أنْ ليسَ منْ مقصودِ الحواريّينَ الشَّكُّ في قُدْرَةِ اللهِ تَعالى أوْ في نُبوَّةِ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ أوْ التعنُّتُ .

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ .

فاستجابَ لَهُمْ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وقالَ بِضَراعةٍ وخُشوعٍ : يا ربَّنا ومالِكَ أمرِنا ، أنْزِلْ عَلينا مائدةً مِنَ السماءِ ، يكونُ يومُ نُزولِها عيداً للمُؤْمنينَ والمُتَأَخِّرينَ ، ولِتكونَ مُعجِزةً تؤيِّدُ بها دعوتَكَ وارْزُقنا ـ اللَّهُمَّ ـ رِزْقاً طيِّباً حلالاً ، وأنتَ خيرُ الرّازِقينَ .

ثُمَّ ختمَ اللهُ تَعالى حديثَهُ عَنْ هذهِ المائدةِ وما جَرى بشأنِها بينَ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ والحواريّينَ منْ أقوالٍ ، فقال سبحانَهُ :

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ .

قالَ اللهُ تَعالى لِنَبيّهِ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : إنّي سأُنْزِلُ هذه المائدةَ عليْكُمْ مِنَ السَّماءِ ، فأيُّ امرىءٍ منكُم يَجْحَدُ هذهِ النِّعمةَ بعدَ إنْزالِها فإنّي أُعاقِبُهُ عِقاباً لا أُعاقبُهُ أحداً مِنَ العالَمينَ ، لأنَّهُ يكونُ قدْ كَفَرَ بعدَما شاهدَ دليلَ الإيمانِ الّذي طلبَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ لا يَنْبغي للمُؤْمنينَ أنْ يَطْلُبوا مِنَ الأشياءِ ما يَثْقُلُ عليهِم تحمُّلُهُ .

٢ـ الأنبياءُ يُحاوِلونَ جُهْدَهم إقناعَ النَّاسِ بصحّةِ رِسالاتِهِمْ .

٣ـ طَلَبُ الآياتِ مِنَ النَّبيِّ لا يُنافي التَّصديقَ بهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانيَ المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

مائدةً ، عيداً .

٢ـ بيِّنِ الأسبابَ الّتي دعَتِ الحواريّينَ إلى سؤالِ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ أنْ يُنْزِلَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ مائدةً مِنَ السَّماءِ .

٣ـ ما الأغراضُ الّتي طلبَها عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عندَما دعا ربَّهُ ؟

٤ـ ماذا كانَ جوابُ اللهِ تَعالى لنبيِّهِ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ ما طلبَ اليهودُ منْ موسَى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بعدَ إنزالِ المَنِّ والسَّلوى عَلَيْهِمْ .

٢ـ طلبَ مشركو مكّةَ منْ رسولِ ﷺ أنْ يُحَوِّلَ لهمُ جبلَ الصّفا ذهباً ، فماذا أجابَهُمْ ؟ اكتبْ ذلكَ في دَفْترِكَ .

الدَّرسُ الحادي والثّلاثونَ

سورةُ المائدَةِ ـ القِسْمُ الحادي والثَّلاثونَ

وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

معاني المفردات :

سُبْحانَكَ : أُنَزِّهُكَ عمَّا لا يليقُ بكَ .

شهيداً : كُنْتُ أشْهَدُ على أعمالِهِمْ حينَ كُنْتُ حَيّاً فيهِمْ .

تَوفَّيْتَني : أَخَذْتَني إليكَ وافياً بِرَفْعي إلى السّماءِ حيّاً .

التفسير :

بعدَ أنْ بيَّنَ تَعالى لنَا قصَّةَ المائدةِ ختمَ سُبْحانَهُ هذهِ السّورةَ الكريمةَ ببيانِ ما سيقولُهُ سُبْحانَهُ لعيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يومَ القيامةِ ، وردَّ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، حتّى تزدادَ حَسْرةُ الّذينَ وَصَفوا المسيحَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وأُمَّهُ بما هما بَريئانِ منْه ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

واذْكُرْ أيُّها النَّبيُّ ما سيحدثُ يومَ القيامةِ ، حينَ يقولُ اللهُ تَعالى لِعيسى ابن مريمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ : أأنتَ الّذي قلتَ لهُم اجْعَلوني أنا وأُمِّيَ إلهينَ مَنْ دونِ اللهِ ؟ فقالَ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : أنزِّهُكَ تَنْزيهاً تاماً عنْ أنْ يكونَ لكَ شريكٌ ، ولا يَصِحُّ لي أنْ أطْلُبَ طَلَباً ليسَ ليس أَدْنى حقٍّ فيهِ ، لوْ كنتُ قلتُ ذلكَ لَعَلِمْتَهُ ، لأنّكَ تعلَمُ خفايا نَفْسي ، فَضْلاً عنْ ظاهرِ قَوْلي ، ولا أعلمُ ما تُخفيهِ عنّي ، إنَّكَ وحْدَكَ صاحبُ العِلْمِ ، المحيطُ بكلِّ خفيٍّ وغائبٍ .

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

ما قلتُ لهم يا إلهي اتَّخِذوني وأُمّيَ إلهَيْنِ منْ دونِ اللهِ تَعالى وإنّما أَمَرْتُهُمْ أنْ يَعْبُدوكَ وحدَكَ لا شريكَ لكَ ، فأنتَ ربِّي وربُّهُمْ ، وأنتَ الّذي خلقتَني وخلقتَهُم ، إنَّني لمْ أُقصِّرْ في ذلكَ ، وإنّني كنتُ رقيباً وشهيداً على قَوْمي ، وداعياً لهُم إلى إخلاصِ العباداتِ لكَ والعملِ بموجبِ أَمْرِكَ مُدّةَ بقائي فيهِمْ .

فلمّا تَوفَّيْتَني ، والمُرادُ بهِ تَوفٍّ شبيهٌ بالنَّوْمِ ، وليْسَ هُو تَوفّي المَوْتِ ، وكانَ مَعَ التَّوفّي الرَّفْعُ إلى السَّماءِ حيّاً ، كنتَ وحْدَكَ يا إلهي الحفيظَ عَليهِمْ ، المُراقبَ لأحوالِهِمْ ، العليمَ بتَصرُّفاتِهم ، الخبيرَ بمنْ أحسنَ منهُم وبمَنْ أساءَ ، وأنتَ يا إلهي على كلِّ شيءٍ شهيدٌ ، لا تَخْفى عليكَ خافيةٌ منْ أُمورِ خَلْقِكَ .

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ .

إنْ تُعذِّبْ يا إلهي قَوْمي ، فإنّكَ تُعذِّبُ عبادَكَ الّذينَ خَلقتَهُمْ بقُدْرَتِكَ والّذينَ تَمْلِكُهُمْ مُلْكاً تامّاً ، ولا اعتراضَ على المالكِ المُطْلَقِ فيما يفعلُ بمَمْلوكِهِ ، وإنْ تَغْفِرْ لهُم ، وتَسْتُرْ سيِّئاتِهم وتصفحْ عنهُم ، فذلكَ إليكَ وَحْدَكَ لأنَّ صَفْحَكَ عمَّنْ تشاءُ منْ عبادِكَ هوَ صَفْحُ القويِّ القاهِرِ الغالبِ الّذي لا يُعجِزُهُ شَيءٌ ، والّذي خلقَ الأشياءَ كلَّها على أحسنِ ما يكونُ .

بعدَ هذا التفويضِ منْ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ للهِ تَعالى ، ختمَ اللهُ الحديثَ ببيانِ حُسْنِ عاقبةِ الصَّادقينَ يومَ القيامةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

قالَ اللهُ تَعالى : هذا هوُ اليومُ الّذي ينفعُ الصّادقينَ صِدْقُهُمْ ، وسوفَ تكونُ لهمُ جنّاتٌ تجري منْ تحتِ أشجارِها الأنهارُ ، وهُم يُقيمونَ فيها ، لا يَخرجونَ منْها أبداً ، يَتمتَّعونَ بِرضوانِ اللهِ تَعالى عَنْهُمْ ، ورِضاهُم بثوابِهِ ، وذلكَ النَّعيمُ هوَ الفوزُ الّذي ليسَ بعدَه فَوْزٌ .

ثمَّ ختمَ اللهُ تَعالى هذهِ السُورةَ الكَريمةَ بهذِهِ الآيةِ الدَّالةِ على شُمولِ مُلْكِهِ لكلِّ شيءٍ في هذا الكَوْنِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ .

للهِ تَعالى وحْدَهُ دونَ أحدٍ سِواهُ المُلْكُ الكامِلُ للسَّمواتِ وللأرضِ ، ولما فيهنَّ منْ كلِّ كائنٍ ، وهُوَ سُبْحانَهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، فلا يُعْجزُهُ أمْرٌ أرادَهُ ، ومَنْ زعمَ أنَّ لهَ شريكاً ، سواءٌ أكانَ هذا الشَّريكُ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ أَو أُمَّهُ أو غَيْرَهُما ، فقدْ أعظمَ الفِرْيَةَ على اللهِ تَعالى وتَسَرْبَلَ بالجهالَةِ ، وكان مُسْتَحِقّاً لخِزْيِ الدُّنيا وعذابِ الآخِرَةِ .

هذه الآيةُ الكَريمةُ مُتّسقةٌ معَ ما سبقَها تمامَ الاتّساقِ ، لأنَّه سُبْحانَهُ بعدَ أنْ بيَّنَ جزاءَ الصَّادّينَ ، أعقبَه ببيَانِ سَعةِ مُلْكِهِ ، وشُمولِ قُدرتِه الدَّالّيْنِ على أنَّ هذا الجزاءَ لا يَقْدِرُ عليهِ أحدٌ سِواهُ سُبْحانَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

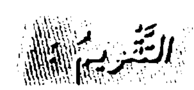
تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ سؤالُ اللهِ تَعالى نَبيَّهُ عيسى ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ ليسَ للاسْتِعلامِ ، وإنَّما لِتَبْكيتِ الكافِرينَ وإقامةِ الحُجّةِ عَليهِمْ .

٢ـ الأنبياءُ جميعاً مُبَرَّؤُونَ مِنَ الإشراكِ باللهِ تَعالى .

٣ـ لمْ يُقَصِّرْ نبيٌّ مِنَ الأنبياءِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ في دعوةِ قومِهِ .

٤ـ كلُّ شيءٍ خاضِعٌ لِسُلطانِ اللهِ تَعالى .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّالِيةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّالِيةِ :

سُبْحانَكَ ، تَوفَّيتَني .

٢ـ بيِّنِ الحِكْمَةَ منْ سؤالِ اللهِ تَعالى لنبيِّه عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ كما قصَّتْهُ علينا الآياتُ .

٣ـ بيِّنِ الجوابَ الّذي أجابَ به عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

٤ـ وضّحَ عيسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ طريقتَه في الدَّعوةِ منْ خلالِ الآياتِ ، بيِّنْ ذلكَ .

* * *

الدرس الثاني والثلاثون

سورة الأنعام - القسم الأول

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾

تعريف بالسورة :

سُورَةُ الأنعام سورةٌ مَكّيةٌ كلُّها ، وعَدَدُ آياتِها مائةٌ وخمسٌ وستونَ آيةً . وموضوعُ هذِهِ السّورةِ هُوَ موضوعُ السُّورِ المَكِّيَّةِ بشكلٍ عام ، وهُوَ تركيزُ العقيدةِ الصّحيحةِ في نُفوسِ النَّاسِ . ولهذهِ السّورةِ خصوصيّتُها في هذا المجالِ إذْ إنّها ركّزَتْ على تقريرِ حقيقةِ الأُلوهيّةِ والعُبوديةِ للهِ تَعالى وما بينهُما مِنْ علاقةٍ ، وركّزَتْ عَلى موضوعِ اخْتصاصِهِ سُبْحانَهُ بالحُكْمِ دونَ غَيْرِهِ ولهذِهِ السّورةِ أغراضٌ مُتعدّدةٌ ، يُمْكِنُ إجمالُها فيما يلي :

أولاً : إقامةُ الأدلّةِ والحُجَجِ على وَحدانيّةِ اللهِ تَعالى وقُدرتهِ وأُلوهيّتهِ مِنْ خلالِ إحقاقِ الحقِّ ، والتعريفُ بالإسلامِ ، وكذلكَ إبطالُ الباطلِ ، وتفنيدُ شرائعِ الجاهليّةِ وعقائدِها .

ثانياً : إقامةُ الأدلّةِ على صِدْقِ النَّبيِّ ﷺ والرَّدُّ على شُبُهاتِ المُشْركينَ الّتي أُثيرَتْ حولَ النُّبوّةِ .

ثالثاً : إقامةُ الأدلّةِ على البعثِ والنُّشورِ والحِسابِ ، وإزالةُ الشُّكوكِ حَوْلَها .

رابعاً : فَضْحُ المجتمعِ الجاهِليّ ، وكَشْفُ زَيْفِ العبادةِ والتشْريعِ فيهِ منَ العاداتِ القبيحةِ الّتي كانوا عليْها .

خامساً : بيانُ علاقةِ الجماعةِ المُسلِمةِ في مَكَّةَ بالمُشْرِكينَ .

وسُميَّتْ هذِه السّورةُ بِسورَةِ الأنْعامِ لِوُرودِ كلمةِ (الأنْعامِ) فيها أكثرَ مِنْ مَرَّةٍ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

جعلَ : أنشأَ وأبدعَ .

بربّهم يَعْدِلونَ : يُساوونَ بهِ غيرَهُ في العبادةِ .

قَضى أجلاً : كَتَبَ وقدّرَ زماناً مُعيَّناً للموتِ .

تَمْترونَ : تشكُّونَ في البعثِ أوْ تجْحَدونَهُ .

أنباءُ : أخبارٌ ذاتُ أهميّةٍ .

كَمْ أهْلَكْنا : كثيراً ما أهْلَكْنا .

قَرْنٍ : أُمَّةٍ مِنَ النّاسِ .

مكّنّاهُمْ : أعْطَيْناهُمْ مِنَ المِكْنةِ والقُوَّةِ .

السّماءَ : المطرَ .

مِدراراً : غزيراً كثيرَ الصَّبِّ .



افْتُتِحتْ هذهِ السّورَةُ الكَريمةُ بتقريرِ الحَقيقةِ الأُولى في كلِّ شَرْعٍ ودينٍ ، وهيَ أنَّ المُسْتَحِقَّ لِلْحَمْدِ المُطلقِ والثَّناءِ الكاملِ هوُ ربُّ العالَمينَ تبارَكَ وتَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١ ﴾

الثناءُ والذِّكْرُ الجميلُ لله تَعالى الّذي خلقَ السّمواتِ والأرضَ ، وأوْجَدَ الظُّلماتِ والنّورَ لِمَنْفَعةِ العبادِ بقدرتهِ سُبْحانَهُ وعلى حِكْمتِه ، ثمَّ مع هذِه النِّعمِ الجَليلةِ يُشْرِكُ بِهِ الكافرونَ ، ويَجعلونَ لهُ شريكاً في العبادةِ ، ومُساوياً لهُ في الطَّاعةِ والخُضوعِ .

هُوَ سُبْحانَهُ الّذي بدأَ خلقَكُمْ منْ طينٍ ، ثُمَّ قدَّرَ لحياةِ كلٍّ منكُم زمَناً يَنتهي بموتِهِ ، وَفَرضَ أجَلاً للبَعْثِ والنُّشورِ لا يعلمُهُ إلاّ هُوَ .

ثمَّ أنتُم أيُّها الكافرونَ بعدَ هذا تُجادِلونَ في قدرةِ اللهِ تَعالى على البعثِ واسْتِحقاقِهِ العِبادةَ وحدَهُ . وبعدَ أنْ ذكَرَ سُبْحانَهُ وتَعالى الأدلَّةَ في الآيتينِ السَّابقتينِ على أنّهُ هوَ المُسْتَحِقُّ للعبادةِ والحَمْدِ ، وعلى أنَّ يَوْمَ القيامةِ حقٌّ ، جاءتِ الآيةُ الثّالثةُ لِتَصِفَهُ بأنّه هوَ صاحبُ السُّلطانِ المُطلَقِ في هذا الكونِ ، فقال تَعالى :

إنَّه سُبْحانَهُ هوَ المعبودُ بحقٍّ في السّمواتِ والأرضِ ، وهو العليمُ بكلِّ شيءٍ في هذا الوجودِ ، الخبيرُ بكلِّ ما يَكْسِبُهُ الإنسانُ منْ خيرٍ أوْ شرٍّ ، ظاهراً كانَ أم خفيّاً ، فيُجازي كُلاًّ بِما يستحقُّ .

ثمَّ صوَّرَ اللهُ تَعالى طبيعةَ الجاحِدينَ الّذينَ هُمْ لانطماسِ بَصائرِهِمْ وإصْرارِهِمْ على العنادِ غدَوْا لا يُجْدي مَعهُمْ دليلٌ ، ولا تنفعُ معهَمُ حُجَّةٌ ، وساقَ لهم أخبارَ مَنْ سبقوهُمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

هَؤلاءِ الجاحِدونَ لِرسالاتِ اللهِ تَعالى لا تَأتيهِمْ مُعجزةٌ مِنَ المُعْجزاتِ الدّالَّةِ على صِدْقِكَ يا محمَّدُ فيما تُبلِّغُهُ عنْ ربِّكَ ، إلاّ تَلَقَّوْها بالإعْراضِ ، واسْتقبلوها بالنَّبْذِ والاسْتِخفافِ ، ولم يَنْظروا نظرةَ اعتبارٍ وتأمُّلٍ .

ثمَّ بيّنَ سُبْحانَهُ أنَّهمْ لمْ يكتَفوا بالإعراضِ عنِ الحقِّ ، بلْ تَجاوزوا ذلكَ إلى التَّهكُّمِ والسُّخْرِيةِ بمنْ يَدْعونَ لهُ والتّطاوُلِ عليهِم ، وأنَّهم نتيجةَ ذلكَ المَسْلَكِ الأثيمِ ستكونُ عاقِبَتُهُمْ سيِّئةً ، فقالَ سُبْحانَهُ :

فقدْ كذَّبوا بالقرآنِ الكريمِ حينَ جاءَهُمْ ، وهوَ حقٌّ لا يأتيهِ الباطلُ ، فسوفَ يَحِلُّ بِهم ما أخبرَ بهِ القرآنُ مِنْ عذابِ الدُّنيا وعذابِ الآخرةِ ، وسَيتبيَّنُ لهُم صِدْقُ وعيدِهِ الّذي كانوا يَسْخرونَ منْهُ ، ولَسَوْفَ يَأتيهِمْ أخبارُ هذا التّكذيبِ وعاقبتُهُ .

ثُمَّ حَثَّهُمُ القرآنُ الكريمُ بعدَ ذلكَ على النَّظَرِ إلى أخبارِ مَنْ سَبَقوهُمْ في الكُفْرِ والبَطَرِ ، وبيَّنَ لهُمْ سوءَ عاقبتِهِمْ لِيَعتبروا ويتَّعظوا ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ .

أَلَمْ يعلَموا أنّنا أهلَكْنا أُمَماً كثيرةً قَبْلَهُمْ ، أعْطَيناهُم مِنْ أسبابِ القوّةِ والبقاءِ في الأرضِ ما لَمْ نعطِكُمْ إيّاه أيُّها الكافرونَ ، ووسَّعْنا عليهِمْ في الرِّزقِ والنَّعيمِ ، فَأنْزَلنا عليهِمُ الأمطارَ غزيرةً ينتفِعونَ بها في حياتِهِمْ ، وَجَعَلْنا مياهَ الأنهارِ تجري مِنْ تحتِ قُصورِهِمْ .

ولكنْ ماذا كانتْ عاقبةُ هؤلاءِ المُنَعَّمينَ بتلكَ النِّعمِ الوفيرةِ ، الّتي لم تتيسَّرْ لأهلِ مكَّةَ ؟ كانَتْ عاقبةُ أمرِهِمْ أنَّهم كَفروا بِنعْمةِ اللهِ تَعالى وجَحدوا ، فأهلكَهُم اللهُ تَعالى بسببِ ذلكَ ، إذِ الذَّنْبُ سببُ الانتقامِ وزوالِ النِّعَمِ . والإهلاكُ بالذّنوبِ لهُ مظهرانِ :

الأولُ : أنَّ الذُّنوبَ ذاتَها تُهلِكُ الأُممَ ؛ إذْ يشيعُ فيها التَّرفُ والغُرورُ والفسادُ في الأرضِ ، وبذلكَ تَنْحَلُّ هذِه الأُممُ وتَضمُرُ وتَذْهَبُ قُوّتُها .

الثاني : إهلاكُ اللهِ تَعالى لهمُ عِقاباً على أوزارِهِمْ ، وكلَّما أهْلَكَ اللهُ تَعالى قوماً بذنوبِهِم أنشأَ آخَرينَ بدلاً منهُم ، وإنَّ في مصارعِ المُهْلَكينَ لَعبرةً وأيَّ عِبْرةٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ إرشادُ العبادِ إلى المَحامِدِ الّتي يَحْمَدونَ بها رَبَّهُمْ ، فَهِيَ أفْضَلُ ما يُمَجَّدُ اللهُ بِهِ .

٢ـ لابدَّ مِنْ إعمالِ العقلِ في الردِّ على المُخالِفينَ لدينِ الإسلامِ .

٣ـ ضَرورةُ الرُّجوعِ إلى الفِقْهِ الإسلاميِّ المُعَرِّفِ بِنَشْأَةِ الكونِ والإنسانِ والحياةِ ، ففيهِ الإجابةُ الشافيةُ ، بعيداً عَنْ التَّفسيرِ الجاهِليّ لِهذهِ الكائِناتِ .

٤ـ ضَرورةُ مُراقبةِ اللهِ تَعالى في السِّرِّ والعلَنِ .

٥ـ إعطاءُ الدّنيا للنَّاسِ لا يدلُّ على محبَّةِ اللهِ تَعالى لهُم .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّالِيةِ :

جَعَلَ ، يَعدِلونَ ، تَمترونَ ، قَرْنٍ ، مكَّنَّاهُمْ ، مِدْراراً .

٢ـ وصفَ اللهُ ذاتَهُ سُبْحانَهُ في الآيةِ الأولى بِصِفَتينِ مِنْ موجباتِ الحمدِ والثَّناءِ ، اذْكُرْهُما .

٣ـ بيّنِ الأغراضَ الّتي اشتملَتْ عليْها سورةُ الأنعامِ .

٤ـ ما الغَرَضُ الخاصُّ الّذي ركّزتْ عليهِ سورةُ الأنعامِ ؟

٥ـ بيِّنِ الدَّلائلَ الّتي ذكرَها اللهُ تَعالى في هذهِ الآياتِ بَياناً لأُلوهيّتِه سُبْحانَهُ .

٦ـ لماذا ذَكَرَ اللهُ تَعالى الإشارةَ إلى الأُمَمِ الماضيةِ ؟

٧ـ ذَكرتِ الآيتانِ الرّابعةُ والخامِسَةُ حالَ الكُفّارِ في ثلاثِ مراتبَ ، وضّحْ ذلكَ .

نَشاطٌ :

ـ استخرجْ مِنْ سورةِ الأَنبياءِ آيةً بِمَعْنى الآيةِ (٤) ، ودَوِّنْها في دَفترِكَ .

* * *

الدرس الثالث والثلاثون

سورةُ الأنعامِ ـ القِسمُ الثّاني

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾

معاني المفردات

كِتاباً في قِرْطاسٍ : مَكتوباً في وَرَقٍ .

لا يُنظَرونَ : لا يُمْهَلونَ .

لَبَسْنا عليهِم : خلَطْنا وأشكَلْنا عليهِمْ .

حاقَ : أحاطَ .

كتَبَ : قضى وأَوجبَ تفضُّلاً وإحْساناً .

لَيَجْمعنَّكُم : لَيَحْشُرنَّكُمْ .

خَسِروا أنفُسَهُمْ : أهلَكوها بالكُفْرِ .

سَكَنَ : استقرَّ وحلَّ .

بعدَ أنْ ذكرَ اللهُ تَعالى منْ أحوالِ الأُممِ الماضيةِ ما يكونُ عِبرةً لِلْمُستمِعينَ ، أتبعَ ذلكَ بِبيانِ توغُّلِ المشرِكينِ في الجُحودِ والعِنادِ ، وبُعْدِهِمْ عنِ الحقِّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

إنَّ هؤلاءِ الجاحدينَ لا يَنْقُصهُمُ الدَّليلُ على صدِقكَ يا محمَّدُ ﷺ ، ولكنَّ الّذي يَنْقصُهم هوَ قبولُ الحقِّ ، والانقيادُ للهدايةِ ، فإنَّنا لو نزَّلنا عليكَ كتاباً مِنَ السَّماءِ مَكتوباً في ورقٍ ـ كما اقترَحوا ـ فشاهدوهُ بأعيُنِهِمْ وهوَ نازلٌ عليكَ ، ولمسوهُ بأيديهِمْ عندَ وُصولِه إلى الأرضِ ، وباشَروهُ بعدَ ذلكَ بجميعِ حواسِّهم بحيثُ يرتفعُ عنهُمْ كلُّ ارتيابٍ ، ويزولُ كلُّ إشكالٍ ، لوْ أنَّنا فَعَلْنا ذلكَ استجابةً لمُقترَحاتِهم المُتعنِّتةِ ، لقالوا بِلُغةِ العِنادِ والجُحودِ : ما هذا الّذي أبصرناهُ ولَمَسْناهُ إلاّ سِحرٌ مبينٌ .

وهذهِ الآيةُ الكريمةُ تُبيِّنُ مكابرتَهُمْ وعِنادَهُمْ وإدبارَهُمْ عنِ الحقِّ مَهْما تكنْ قُوّةُ أدلَّتهِ وظُهورُ حُجَّته .

ثمَّ حكى القرآنُ الكريمُ بعدَ ذلكَ بعضَ مطالِبهِمْ المُتَعنِّتَةِ ، وردَّ عَليْها بما يَدْحَضُها ويُبطِلُها ويُوضِّحُ الحقَّ ومِنْهاجَه ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾

قالَ الكافرونَ للنَّبيِّ ﷺ : هلاَّ كانَ معكَ يا محمَّدُ مَلَكٌ لِكَيْ يشهدَ بِصِدْقِكَ ونسمعَ كلامَهُ ، ونَرى هيئتَهُ وحينئذٍ نُؤمِنُ بكَ ونُصدِّقُكَ .

فهؤلاءِ الكافرونَ ، إنّما يُريدونَ مَلَكاً يمشي مَعَهُ ويشاهِدونَهُ بأعْيُنِهِمْ ، وقدْ ردَّ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ برَدَّيْنِ : أحدُهما في هذِه الآيةِ ، والثّاني في الآيةِ الّتي تَليها ، وأمّا الأوّلُ فحاصلُه : لوْ أنْزَلْنا مَلَكاً كما اقترحَ هؤلاءِ الكُفّارُ ، وهمْ على ما همْ عليهِ مِنَ الجُحودِ والكفرِ ، لقُضِيَ الأمرُ بإهلاكِهِمْ ، ثمَّ لا يُؤَخَّرونَ ولا يُمْهَلونَ لِيُؤْمِنوا ، بلْ يأخذُهُمُ العذابُ عاجلاً ، فقدْ مَضَتْ سُنّةُ اللهِ تَعالى أنَّ البَشَرَ لا يَرَوْنَ الملائكَةَ على خِلْقَتهِمُ التي خَلَقَهُمُ اللهُ عَليها إلاّ حينَ نُزولِ العَذابِ بِهِمْ أو في يَوْمِ القِيامةِ ، قالَ تَعالى : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٢] .

والرَّدُ الثّاني وَرَدَ في قَوْلِهِ تَعالى :

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ .

لوْ جَعَلْنا الرَّسولَ مِنَ الملائِكةِ كما طلَبوا ، لَكانتِ الحكمةُ أنْ نجعَلَهُ في صورةِ بَشَرٍ لِيَتمكَّنوا مِنْ

رُؤيتِه ومِنْ سماعِ كلامِه الّذي يُبلِّغُهُ عنِ اللهِ تَعالى ، وفي هذهِ الحالةِ سيقولونَ لهذا المَلَكِ المرسَلِ إليهِمْ في صورةِ بشرٍ : لستَ مَلَكاً ؛ لأنّهمْ لا يُدرِكونَ منْهُ إلاّ صورَتَهُ وصفاتِهِ البشريّةَ الّتي تَمثَّلَ بها .

وحينئذٍ يَقعونَ في نفسِ اللَّبْسِ والاشتباهِ الّذي يَلبسونَهُ على أنفسِهِمْ باستنكارِ جَعْلِ الرَّسولِ بَشَراً .

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

لا تَحْزَنْ يا محمَّدُ ﷺ لِما أَصابَكَ مِنْ قومِكَ ، فإنَّ مِنْ شأنِ الدُّعاةِ إلى الحقِّ المُجاهِدِينَ في سبيلِهِ أنْ ينالَهُمُ الأذَى مِن أعدائِهِمْ ، ولقدْ أوذِيَ مَنْ سبقَكَ مِنَ الرُّسلِ الكرامِ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وسَخِرَ السَّاخِرونَ مِنْهُم ، فصَبَروا على ذلكَ ، وجاءَهُمْ في النِّهايةِ نَصْرُنا الّذي وَعَدْناهُم بِه ، أمَّا أعداؤهُمُ الّذينَ اسْتَهْزَأوا بِهِم ، فقدْ أخذناهُمْ أَخْذَ عزيزٍ مُقْتَدِرٍ . وهذا كمَا قالَ اللهُ تعالى في موضعٍ آخرَ : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٠] .

وهكذا هُوَ شأنُ الطُّغاةِ الظّالمينَ المُسْتَهزئينَ بآياتِ اللهِ ورُسلِهِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ .

وبعدَ هذهِ التَّسليةِ لرسولِ اللهِ ﷺ أمرَ القرآنُ الكَريمُ رسولَ اللهِ ﷺ أنْ يُذَكِّرَ هؤلاءِ الكافِرينَ بحالِ مَنْ سبقوهُمْ ، عنْ طريقِ حثِّهِمْ على السَّيْرِ في الأرضِ والتَّطلُّعِ إلى آثارِ المُهلَكينَ والتَّدبُّرِ فيما أصابَهُمْ ، والاتِّعاظِ بما حلَّ بهم ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ .

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ لهؤلاءِ الكُفّارِ : سيروا في جوانبِ الأرضِ ، وتأَمَّلوا كيفَ كانَ الهلاكُ نهايةَ المُكَذِّبينَ لِرُسُلِهِمْ ، فاعْتَبِروا بهذِه النِّهايةِ وذلكَ المصيرِ .

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

تعودُ الآياتُ لإثباتِ رُبوبيَّةِ اللهِ لجميعِ الكائناتِ ، وإثباتِ البَعْثِ والجزاءِ بِأُسلوبٍ آخَرَ ، ويَطلبُ اللهُ مِنْ نبيّهِ ﷺ أنْ يقولَ لِهؤلاءِ الجاحِدينَ : مَنْ مَالِكُ السّمواتِ والأرضِ ، ومَنْ فيهِنَّ ؟ فإنْ أَحْجَموا ، فأجِبْ أنتَ جواباً شافياً ، وقلْ لهُم : إنّ مالِكَهُنَّ هُو اللهُ تَعالى وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ،

وهوَ الّذي أوْجَبَ على نفسِه الرَّحمةَ تفضُّلاً على عِبادِه وتَلطُّفاً بعبادِهِ ، فلا يُعجّلُ عُقوبتَهُمْ ويقبلُ توْبتَهُمْ ، وأقْسَمَ تَبارِكَ وتَعالى عَلى أنَّهُ سَيَجْمَعُهُمْ ويَحشُرُهُمْ إليهِ في يَوم القِيامَةِ ، وهَذا للتَّأْكيدِ بأنَّ البَعْثَ كائنٌ لابُدَّ مِنهُ ، والخاسِرونَ في ذَلِكَ اليومِ هُم الّذينَ ضيّعوا أنفسَهُمْ ، وعرَّضوها للعَذابِ في هذا اليومِ ، وهمُ الّذينَ لمْ يُصدِّقوا باللهِ تَعالى ولا بيومِ الحسابِ .

﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ .

وللهِ سُبْحانَهُ وتَعالى جميعُ ما استقرَّ وتحرَّكَ ، ووُجِدَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، مِنْ إنسانٍ وحيوانٍ ونباتٍ وغيرِ ذلكَ مِنَ المَخْلوقاتِ ، وهوُ سُبْحانَهُ السَّميعُ لكلِّ دقيقٍ وجليلٍ ، والعليمُ بكلِّ الظَّواهرِ والبَواطِنِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الكافرُ العاصي لا يَستجيبُ مَعَ وضوحِ الأدِلَّةِ ، لِشدّةِ عِنادِه وجَهْلِهِ .

٢ـ سُنَنُ اللهِ تَعالى ثابتةٌ لا تَتغيَّرُ بسببِ مَطالبِ المُشرِكينَ واقْتِراحاتِهِمْ .

٣ـ لقدْ جوبهَ الرُّسُلِ جميعاً بالتّكذيبِ والإيذاءِ ، ونالَ رسولَ اللهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءُ الكثيرُ .

٤ـ ضَرورةُ اتّباعِ المَنهجِ القرآنيِّ في الاسْتِدلالِ ، القائمِ أوّلاً على أُسلوبِ الإدْراكِ الحِسِّيِّ عنْ طريقِ النَّظرِ والاعْتِبارِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلَةِ التّالِيَةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّالِيَةِ :

قِرْطاسٍ ، لا يُنظَرونَ ، لَبَسْنا عليهِمْ ، حاقَ ، خَسِروا أنفُسَهُمْ ، سَكَنَ .

٢ـ هاتِ الدّليلَ منَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

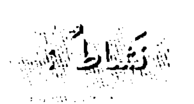
أـ المُشْرِكونَ جاهِلونَ مُعانِدونَ .

ب ـ وُضوحُ الأدلَّةِ لا يَزيدُ الكافِرينَ إلاّ إصْراراً وعِناداً .

ج ـ لاقَى أنبياءُ اللهِ تَعالى المُقابَلَةِ نفسَها مِنْ أقوامِهِمْ .

د ـ ضَرورةُ التأمُّلِ والاعتبارِ .

٣ـ ذكرَ اللهُ تَعالى في هذهِ الآياتِ مجموعةً مِنَ الدَّلائلِ على وَحْدانيتِهِ سُبْحانَهُ ، هاتِ دليلَيْنِ منْ هذهِ الأدِلّةِ .



١ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ الإسْراءِ الَّتي تُبيِّنُ سَبَبُ كُفْرِ الكافِرينَ بِرِسالةِ مُحمَّدٍ ﷺ .

٢ـ اكتبْ في دَفْتِرِكَ أسماءَ بعضِ الأماكنِ الَّتي أهْلَكَ اللهُ أهْلَها بِسَببِ كُفْرِهِمْ ، مِمَّنْ كانوا يَسكُنونَ في طُرقِ أهْلِ مكَّةَ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الثّالثُ

قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

معاني المفردات

وَليّاً	: ربّاً معبوداً وناصِراً مُعيناً .
فاطِرِ	: مُبْدِع ومُخْتَرِعٍ على غَيْرِ مِثالٍ سابقٍ .
يُطعِمُ	: يَرْزُقُ .
أَسْلَمَ	: خَضَعَ للهِ تَعالى بالعُبوديَّةِ وانْقادَ لَهُ .
يُصْرَفْ عنهُ	: يُبْعَدْ عَنْهُ .
القاهِرُ فوقَ عبادِه	: المُتَّصِفُ سُبْحانَهُ بِصِفَةِ القَهْرِ والعِزَّةِ والغَلَبِ .
الحَكيمُ	: المُتَّصِفُ سُبْحانَهُ بِصِفَةِ الحِكْمَةِ الّتي آثارُها في مَخلوقاتِهِ.
مَنْ بَلَغَ	: مَنْ بلغَهُ القرآنُ منذُ نُزولِه إلى قيامِ السّاعةِ .

مازالتِ الآياتُ الكريمةُ تَتتابَعُ في بيانِ مَظاهرِ قُدرةِ اللهِ تَعالى . وابتدأتِ الآياتُ هنا بِأَمْرِ اللهِ تَعالى نبيَّهُ ﷺ بأنْ يَستنكِرَ على المُشْرِكينَ ما هُم عليهِ مِنْ كُفْرٍ وإلحادٍ ، وأنْ ينفيَ عَنْ نفسِه بشدّةٍ ما وقعوا فيهِ منْ جَهالةٍ وضَلالةٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

قلْ لهمْ يا محمَّدُ ﷺ زاجراً ومُوبِّخاً : بأيِّ عقلٍ أبحتُمْ لأنفُسِكُمُ الإشْراكَ باللهِ تَعالى ، واتَّخذتُمْ مَعبوداً سِواهُ ، معَ أنَّهُ سُبْحانَهُ باعترافِكُمْ هوَ الخالِقُ لكُمْ ، وللسَّمواتِ والأرضِ ، ولكلِّ شيءٍ ، وهوَ سُبْحانَهُ الّذي يَرْزُقُ ويُطعِمُ ، أمّا هوَ سُبْحانَهُ فلا يَتناولُ طعاماً ولا شراباً ، قلْ لهمُ أيَّها الرَّسولُ ﷺ بعدَ إيرادِ هذهِ الحُجَجِ الدَّالَّةِ على وَحْدانيَّةِ اللهِ تَعالى : إنّي أُمِرتُ مِنْ خالِقي أنْ أكونَ أولَّ مَنْ يُسْلِمُ لهُ وَجْهَهُ ، ويَخصُّهُ بالعِبادةِ ، كما أنّي نُهيتُ عنْ أنْ أكونَ مِنَ المُشرِكينَ الّذينَ يَجعلونَ معَ اللهِ تَعالى آلِهةً أُخْرى .

ثُمَّ أمرَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ أنْ يُعلِنَ أمامَ النَّاسِ بأنَّ خَوْفَهُ مِنْ خالقِهِ سُبْحانَهُ يُحتِّمُ عليهِ أنْ يَبْتَعِدَ عنْ كُلِّ مَعصيةٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ .

قلْ لهُم يا محمَّدُ : إنّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ خالِقي عذابَ يَوْم عظيمِ الأهْوالِ تَذْهَلُ فيهِ ﴿ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج : ٢] .

هذا هُوَ شأْنُ النَّبيِّ ﷺ المُختارِ مِنَ اللهِ تَعالى والمُصْطَفى ، فكيفَ يَنْبَغي أنْ يكونَ حالُ غَيْرِه منْ عُمومُ النَّاسِ ؟

﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ .

مَنْ يُبْعَدْ عنْهُ هذا العذابُ أو يَبتعِدْ عَنْهُ في هذا اليومِ ، فإنَّهُ يكونُ مِمَّنْ شَمَلتْهُمْ رحمةُ اللهِ تَعالى ورِعايتُه ، وذلكَ هو الفَوْزُ الواضِحُ الّذي ليسَ بعدَه فَوْزٌ .

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

إنَّ النَّاسَ جميعاً تحتَ سلطانِ اللهِ وقهرِه ، فما يُصيبُهُمْ مِنْ ضُرٍّ كَمَرضٍ وتَعَبٍ وحُزْنٍ اقتضتْه سُنَّةُ اللهِ تَعالى في هذهِ الحياةِ ، فلا كاشفَ لهُ إلاّ هوَ سُبْحانَهُ ، وما يُصيبُهُمْ منْ خَيْرٍ كصحَّةٍ وغنىً وقُوَّةٍ وجاهٍ ، فهوَ منه سُبْحانَهُ ، وهُوَ قادرٌ على حِفْظِهِ عليهِمْ ، لأنَّهُ سُبْحانَهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ . وفي معنىَ هذهِ الآيةِ الكريمةِ جاءَ قولُه سُبْحانَهُ : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر : ٢] .

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ .

هو الّذي خَضعَتْ لهُ الرِّقابُ ، وذلَّتْ لهُ الجِباهُ ، وعنَتْ لَهُ الوجوهُ وقَهَرَ كُلَّ شيءٍ ، ودانَتْ لَهُ الخلائقُ ، وتواضَعَتْ لِعَظَمةِ جلالِهِ وسُلطانِهِ كلُّ الأشياءِ ، وتَصاغرَتْ بيْنَ يَدَيْهِ وتحتَ قَهْرِه وحُكْمِهِ ، وهو سُبْحانَهُ الّذي أتقنَ ما خلقَ ، العليمُ بخفايا الأشياءِ وصَغائرِها .

ثمَّ أمَرَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ أنْ يَسألَ المُشرِكينَ عنْ أيِّ شيءٍ في هذا الكونِ أعظمُ وأزكى شهادةً بحيثُ تُقبَلُ شهادتُهُ ولا تُرَدُّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ لمنْ يُكَذِّبونَ ويطلبُونَ شهادةً على رِسالَتِكَ : أيُّ شيءٍ أعظمُ شهادةً وأحقُّ بالتَّصديقِ ؟ ثمَّ قلْ لهم : إنّ اللهَ تَعالى أعظمُ شاهدٍ بَيْني وبينَكُمْ على صِدْقِ ما جِئتُكُمْ بهِ ، ودَليلُ ذَلِكَ نَصْرُهُ لي عَلى مَنْ عاداني ، وتأْييدُهُ لي بِجُنودِهِ في الأَرْضِ والسَّماءِ ، ومِنْهُمُ الملائكَةُ ، فلو كُنْتُ كاذِباً عَليْهِ ، فإنَّهُ يَخذِلُني ولا يَنْصُرُني . ومِنَ الأدِلَّةِ عَلى صِدْقي ، هذا القُرآنُ الّذي أنْزَلَهُ عَليَّ ربّي لأُنْذِرَكُمْ بهِ ولِكلِّ مَنْ بلغَهُ حتّى قيامِ السَّاعةِ ، وهوَ حُجَّةٌ قاطعةٌ شاهِدةٌ بِصِدْقي ، لأنَّكُم لا تَستطيعونَ أنْ تأتوا بمثلِه ، وسلْهُم : أأَنتمُ الّذينَ تَقولونَ مُعتَقِدينَ أنَّ معَ اللهِ تَعالى آلِهةً أُخرى غيرَه ؟ ثمَّ قلْ لهُم : لا أشهدُ بذلكَ ، ولا أقولُهُ ، ولا أُقِرُّكُم عليهِ ، وإنَّما المَعبودُ بحقٍّ إلهٌ واحدٌ هوَ اللهُ تَعالى وإنّني بريءٌ ممّا تشركونَ بهِ مِنْ أوثانٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ للهِ تَعالى وحدَهُ المُلْكُ والهَيْمَنَةُ والقَهْرُ لِكلِّ ما في السَّمواتِ والأرضِ .

٢ـ حاجةُ النَّاسِ والمَخلوقاتِ جميعاً إلى اللهِ تَعالى .

٣ـ رحمةُ اللهِ تَعالى وسعَتْ كلَّ شيءٍ ، والإنسانُ يَنْجو مِنْ عذابِ يومِ القيامةِ برحمةِ اللهِ تَعالى .

٤ـ الضّرُّ والنّفعُ بيدِ اللهِ تَعالى وَحدَهُ ، فلا يجوزُ الخُضوعُ لأَحَدٍ منْ دونِ اللهِ تَعالى خَوْفاً أو طَمَعاً .

٥ـ إثْباتُ صِفاتِ الكَمالِ للهِ تَعالى الّتي وصَفَ بِها نَفْسَهُ ، فهوَ القَديرُ والخَبيرُ والحَكيمُ .

٦ـ شهادةُ اللهِ تَعالى على صِدْقِ نبيِّهِ ﷺ أوْضَحُ دليلٍ وأصْدَقُ حُجَّةٍ ، وتَتمثَّلُ شَهادَتُهُ بِنَصْرِهِ لِرَسولِهِ ﷺ وتَأْييدِهِ وإعْزازِهِ لَهُ ، وخِذْلانِ أعْدائِهِ ، وبالوَحْيِ المّنزَّلِ مِنْ عِنْدِهِ الّذي شَهِدَ لَهُ فيهِ بالرِّسالةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

وليّاً ، فاطِرِ ، هُو يُطعمُ ، أسْلَمَ ، القاهِرُ فوقَ عِبادِهِ ، الحكيمُ ، مَنْ بَلَغَ .

٢ـ بيِّنِ الدَّلائلَ الّتي ذكرَها اللهُ تَعالى على وَحْدانيتِهِ في هذهِ الآياتِ الكريمةِ .

٣ـ مَعصيةُ اللهِ تَعالى طريقٌ لِعقابِهِ ، هاتِ الدَّليلَ على ذلكَ .

٤ـ علامَ تدلُّ شهادةُ اللهِ تَعالى للنَّبيِّ ﷺ ؟

٥ـ ما الدَّليلُ على عُمومِ رِسالةِ النَّبيِّ ﷺ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دَفترِكَ حديثاً شريفاً يُبيِّنُ اجتهادَ الرَّسولِ ﷺ في العِبادةِ تَقرُّباً للهِ تَعالى .

الدَّرسُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

سورةُ الأنعامِ ـ القِسْمُ الرّابعُ

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

معاني المُفْرَداتِ :

يَعْرِفونَهُ : أيْ يَعرِفونَ أنَّ مُحمداً مُرْسَلٌ مِنْ ربِّهِ لِوجودِ ذِكْرِهِ في كُتُبِهِمْ .

ثُمَّ لَم تَكُنْ فِتنتُهُم : ثُمَّ لم تَكُنْ مَعْذِرَتُهُمْ عِنْدَ تَعْذيبنا لَهُمْ .

ضَلَّ عنهُم : غابَ وزالَ عنهُم .

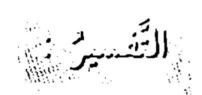
يَفتَرونَ : يَكذِبونَ .

أكِنَّةً : أغطيةً كثيرةً .

وَقْراً : صَمماً وثِقْلاً في السَّمع .

أساطيرُ الأوَّلينَ : أكاذيبُهُمُ المُسَطَّرةُ في كُتبِهِمْ .

يَنْأَوْنَ عنْهُ : يتباعَدونَ عنِ القرآنِ الكريمِ بأنفسِهِمْ .



بعدَ أنْ ذكرَ القرآنُ الكريمُ شهادةَ اللهِ تَعالى على صِدْقِ نَبيِّهِ ﷺ ، أتبعَ ذلكَ بشهادةِ أهلِ الكتابِ ومَعرفتِهِمْ بصِدْقِ النَّبيِّ ﷺ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

إنَّ عُلماءَ أَهْلِ الكتابِ منَ اليهودِ والنَّصارى يَعرفونَ صِدْقَ ما جاءَ بهِ محمَّدٌ ﷺ مَعرفةً تُماثِلُ مَعرفتَهُمْ لأبنائِهِمْ الّذينَ همْ منْ أَصلابِهم ، فهيَ مَعْرِفةٌ بلغَتْ حدَّ اليقينِ ، بِسَبَبِ ما عِنْدَهم مِنَ الأنباءِ عَنِ المُرْسَلينَ المُتقدِّمينَ ، فإنَّ الرُّسُلَ كلَّهم ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ قدْ بشَّروا بِرِسالةِ النَّبيِّ ﷺ ، وأَخْبَروا عن مَبْعثِه ، وصِفَتِه ، وبَلَدِه ، ومُهاجِرِهِ ، وصِفَةِ أُمَّتِهِ .

غيرَ أنَّ كثيراً منْ هؤلاءِ ضَيَّعوا أنفسَهم عِنْدَما أنْكَروا ـ كَذِباً وزوراًـ ما علِموهُ منْ حقائقَ فلَمْ يُؤْمِنوا ، فكانَ في ذلك الخُسْرانُ المُبينُ .

ولمّا كانَ هذا الخسرانُ أكبرَ ظُلْمٍ ظَلَمَ بهِ الكُفّارُ أنفسُهَمْ ، فقدْ بيَّنَ اللهُ تَعالى ذلكَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

وليسَ أحدٌ أشدَّ ظلماً لنفسِه وللحقِّ مِمَّنِ افْتَرى على اللهِ تَعالى الكَذِبَ وادّعى أنَّ لهُ ولداً أو شريكاً ، أو نَسَبَ إليهِ مالا يَليقُ ، أو أَنْكَرَ ما جاءَ بهِ مِنَ الأدلَّةِ الدَّالَّةِ على وحْدانيتِهِ ، وصِدْقِ رُسُلهِ ، أوْ كَتَمَ شَهادَةَ اللهِ في كُتُبِهِ المُخْبِرَةِ بِصِفاتِ رَسولِهِ ﷺ إنّ هؤلاءِ الّذينَ سقطوا في أقصى دَرَجاتِ الكُفْرِ لا يَفوزونَ بخيْرٍ في الدُّنيا ولا في الآخِرَةِ .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

واذكُرْ لهمُ أيُّها الرسولُ ﷺ لِيَعْتَبروا ويتَّعظوا حالَهُمْ ، يومَ نَجمعُهُمْ جميعاً في الآخرةِ لِنُحاسِبَهمْ على أَقْوالِهم وأَفْعالِهمْ ، ثمَّ نسألُهمْ سُؤالَ إذلالٍ وقَهْرٍ : أينَ شُرَكاؤُكمُ الّذينَ كُنتمْ تَدْعونَ أنَّهم شُفعاءُ لكُم ، لكيْ يُدافِعوا عنكُمْ في هذا اليومِ العصيبِ .

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

ثمَّ لم تكنْ عاقبةُ كفرِهم حينَ اخْتُبِروا بهذا السؤالِ ورَأَوا الحقائقَ وارتفعتْ الدَّعاوى ، إلاّ أنْ قالوا مُؤَكِّدينَ ما قالوا بالقَسَمِ الكاذبِ : واللهِ يا ربَّنا مَا كُنَّا مُشْرِكينَ ، ظنّاً منهُم أنّ تَبرُّؤَهُمْ مِنَ الشِّرْكِ

في الآخرةِ سَيُنَجّيهِمْ مِنْ عذابِ اللهِ تَعالى ، كَما كانَ يُنَجّيهِمْ كَذِبُهُمْ وحِلْفانُهُمْ في الدُّنْيا عِنْدَما كانوا يَحْلِفونَ للرَّسولِ ﷺ والمُؤمنينَ .

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾

انظرْ أيّها العاقلُ ، وتأمَّلْ كيفَ كَذَبَ هؤلاءِ المُشْركونَ على أنفسِهِمْ في قولِهِمْ : واللهِ ربِّنا ما كُنَّا مُشْرِكينَ ، وغابَ عنهُم ما كانوا يَفترونَهُ في الدُّنيا مِنَ الأقوالِ الباطلةِ ، وما كانوا يَفْعلونَهُ مِنْ جَعْلِهِمْ للهِ تَعالى شُركاءَ .

وبعدَ أنْ بيَّنَ سُبْحانَهُ أحوالَ الكفَّارِ في الآخرةِ أتبعَه بما يوجِبُ اليَأْسَ منْ إيمانِ بعضِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ .

ومِنْ هؤلاءِ الكُفّارِ مَنْ يستمعُ إليكَ حينَ تَتلو القرآنَ الكريمَ ، لا لِيَفهَموهُ ، ولا لِيَهْتدوا بهِ ، وإنَّما ليلتمِسوا سبيلاً للطَّعنِ فيهِ والسُّخريةِ منْهُ ، وقدْ حَرَمناهُم بسببِ ذلكَ مِنَ الانتفاعِ بعُقولِهِمْ وأسْماعِهِمْ ، كأنَّ على عقولِهِمْ أغطيةً تَحجُبُ عنهُم الإدراكَ الصَّحيحَ ، وكأنَّ في آذانِهم صَمَماً يحولُ دونَ سماعِ آياتِ القرآنِ الكريمِ ، وفَهْمِها وتدبُّرِها ، وهؤلاءِ إنْ يَرَوْا كلَّ دليلٍ لا يُؤْمنوا به ، حتى إذا جاؤوكَ ، يُخاصِمونَكَ ويُجادِلونَكَ بالباطلِ ؛ إذْ يقولُ الّذينَ كَفروا مَدْفوعينَ بِكُفْرِهِمْ ما هذا إلاّ أباطيلُ سطَّرَها مِنْ قبلِكَ الأوَّلونَ .

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

إنَّ هؤلاءِ المُشْركينَ لا يَكْتَفونَ بمحاربةِ الحقِّ ، بل يَزْجُرونَ النَّاسَ عَنِ اتِّباعِه ، ويُبْعِدونَهُمْ عنِ الاستماعِ إليهِ ، فهُم قد جَمَعوا بينَ فِعْلَيْنِ قَبيحيْنِ : محاربتِهم للحقِّ ، وحملِ غيرِهم على مُحاربتِه والبُعْدِ عَنْهُ . وهمْ بهذا العملِ الباطلِ القبيحِ ما يُهلِكونَ إلاّ أنفسَهُمْ ، ولكنَّهم لا يَشعرونَ ، لانْطماسِ بَصيرَتِهِمْ ، وقَسْوةِ قلوبِهِمْ .

وعَملُهُمْ هذا يدلُّ على أنَّهم كانوا مُعترِفينَ في قَرارةِ أنفسِهِمْ بأنَّ القرآنَ الكريمَ حقٌ ، لأنَّهم لوْ كانوا يَعْتَقدونَ أنَّه أساطيرُ الأولّينَ ـ كما زَعَموا ـ لَتَركوا النَّاسَ يَستمعونَ لهذهِ الأساطيرِ ، ليتأكّدوا منْ أنّها خُرافاتٌ وأوهامٌ ، ولكنَّهم لمّا كانوا مُؤْمِنينَ ببلاغةِ القرآنِ وصِدْقهِ فإنّهم نَهَوْا غيرَهُمْ عنْ سماعِهِ ، حتَّى لا يؤمِنوا بهِ ، وابتعدوا همْ عنْه حتّى لا يَتأثَّروا بهِ فَيَدْخلوا في دينِ الإسلامِ . ولقدْ حكى اللهُ تَعالى عنهُم هذا المعنى في قولِه سُبْحانَهُ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصّلت : ٢٦] .

دروس وعبر :

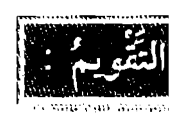
تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ التَّنْبيهُ إلى أنَّ أهلَ الكتابِ كانوا يَعرفونَ الرَّسولَ ﷺ كما يَعرفونَ أبناءَهُمْ .

٢ـ أكبرُ درجاتِ الظُّلْمِ هو الشِّركُ باللهِ تَعالى ، والافتراءُ عليهِ كَذِباً .

٣ـ كَذِبُ الكافرِ لا ينفعُهُ في الدُّنيا ولا في الآخرةِ .

٤ـ لا يكتفِي الكافرونَ بإعْراضِهِمْ عنِ الحقِّ بلْ يَحْمِلونَ غيرَهُمْ على هذا الإعراضِ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّالِيةِ :

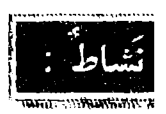
١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّالِيةِ :

فِتْنَتُهُمْ ، ضلَّ عنهُم ، أكِنَّةً ، وقْراً ، أساطيرُ الأوَّلينَ ، ينأَوْنَ عنْهُ .

٢ـ بيِّنِ الموقفَ الحقيقيَّ لأهلِ الكتابِ منَ القرآنِ الكريمِ .

٣ـ ما موقفُ المُشرِكينَ عندَما يحشرُهُمُ اللهُ تَعالى ويسألُهُمْ عنِ الشُّرَكاءِ المَزْعومينَ للهِ تَعالى ؟

٤ـ لماذا لا يستفيدُ كَثيرٌ مِنَ الكُفّارِ مِنْ سَماعِهِمْ للقرآنِ الكريمِ ؟



١ـ اكتُبْ في دفترِكَ آيَةَ سورةِ الصَّفِّ الّتي تُبيِّنُ بشارةَ عيسى بمحمَّدٍ ﷺ .

٢ـ اذكرْ حادثةً تُبيِّنُ صَدَّ المُشرِكينَ عنْ دينِ اللهِ ، وعنِ اتّباعِ رسولِهِ ﷺ ، واكتبْها في دفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأنْعامِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ (٣١) وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢)﴾

معاني المُفْرَداتِ :

وُقِفوا على النّارِ	: عَرفوها ، أوْ حُبسوا على مَتْنِها .
بَدا لهُمْ	: ظَهرَ لهُم .
بغْتَةً	: فجأةً منْ غيرِ شعورٍ .
فَرَّطْنا فيها	: قَصَّرْنا وضَيَّعْنا في الحياةِ الدُّنيا .
أوْزارَهُمْ	: أحمالَهُمُ الثَّقيلةَ مِنَ الآثامِ .

التَّفسيرُ :

بعدمَا بيَّنَ اللهُ تَعالى منْ أحوالِ المعاندينَ المُكابرينَ المُفترينَ على اللهِ تَعالى الكذبَ في الدُّنيا ، أتبعَ سُبْحانَهُ ذلكَ ببيانِ بعضِ أحوالِهِمْ عندَما يُحشَرونَ يومَ القيامةِ ، فقالَ تَعالى :

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٧)﴾ .

ولو تَرى أيّها النّبيُّ ﷺ هؤلاءِ الكُفّارَ عندَما يوقَفُونَ على النّارِ ويُشاهِدونَ لَهيبَها وسَعيرَها ،

لرأيتَ شيئاً مروِّعاً مُخيفاً ، يجعلُهُمْ يَتحسَّرونَ على ما فرَّطوا ، وَيتمنَّوْنَ العودةَ إلى الدُّنيا ، ويقولونَ يَا ليَتنا نُرَدُّ إليها لِنُصْلِحَ ما أفسَدْنا ، ولا نُكَذِّبَ بآياتِ ربِّنا ، ونكونَ مِنَ المؤمنينَ باللهِ ، المُصَدِّقينَ برُسُلهِ وآياتِهِ .

ثمَّ يُعقِّبُ اللهُ تَعالى على قَوْلَتِهِمْ هذِه فيما لوْ أُجيبوا إلى طَلَبِهِمْ على سَبيلِ الفَرَضِ والتَّقْديرِ ، فيقولُ سُبْحانَهُ :

﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

ليسَ الأمرُ كما يوهِمُهُ كلامُهُمْ في التَّمنّي مِنْ أنَّهم يُريدُونَ العَوْدةَ للهدايةِ ، بلِ الحقُّ أنَّهم تمنَوْا العودةَ إلى الدُّنيا بعدَ أنِ استقبلَتْهُمُ النَّارُ بلَهَبِها ، وبعدَ أنْ ظهرَ لهُم ما كانوا يُخفونَهُ في الدُّنيا مِنْ أعمالٍ قَبيحةٍ ، ومِنْ أفْعالٍ سَيِّئةٍ ، وبعدَ أنْ ظهرَ لهُم ما كانوا يُكَذِّبونَ به ويُنكِرونَ تحقُّقَهُ ، ولوْ أنَّهم رُدُّوا إلى الدُّنيا بِمُتَعِها وشَهَواتِها وأهوائِها لَعادوا لِما نُهوا عنهُ مِنَ التَّكذيبِ بالآياتِ ، والسُّخْرِيَةِ مِنَ المؤمنينَ ، وإنَّهمْ لَكاذبونَ في كلٍّ ما يدَّعونَ .

﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

إنَّ هؤلاءِ الكافرينَ قدْ بلغَ بِهم الحبُّ للدُّنيا والتعلُّقُ بها أنَّهم قالوا : ما الحياةُ الّتي تُسمّى حياةً في نظرِنا إلاّ هذِهِ الدُّنيا الَّتي نتمتَّعُ فيها بما نُريدُ مِنْ شَهَواتٍ وليْسَتْ لنا حياةٌ أُخْرَويةٌ ، وما نحنُ بِمَبعوثينَ ولا مُحاسَبينَ بعدَ ذلكَ .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

ولو تَراهُم حينَ يَقِفونَ للحسابِ أمامَ ربّهم تباركَ وتَعالى ، ويَعرِفونَ صِدْقَ ما أَنزلَهُ على رُسُلِهِ لرأيتَ سوءَ حالِهِمْ ، إذْ يقولُ الله تَعالى لهمُ : أليسَ هذا البَعْثُ الّذي تُشاهدونَه بأعيُنِكُمْ ثابتاً بالحقِّ ؟ وهُنا يُجيبونَ خالِقَهمْ مُصَدِّقينَ مُتذلِّلينَ ، لأنَّ الواقعَ يُحتِّمُ عليهم ذلكَ ، فيقولُونَ : بلى يا ربَّنا إنّه الحقُّ الّذي لا شكَّ فيهِ ، ولا باطلَ يحومُ حولَه ، وأكَّدوا اعترافَهُمْ بالقَسَمِ شاهِدينَ على أنفسِهم بأنَّهم كانوا كافِرينَ في الدُّنيا . وهُنا يحكمُ اللهُ تَعالى فيهم بِحُكْمِه العادلِ فيقولُ : ﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ . أيْ إذا كانَ الأمرُ كما ذكرتُمْ وشَهِدتُمْ على أنفسِكُمْ فانْغَمِسوا في العذابِ ذائقينَ لآلامِهِ وأهوالِه بسببِ كُفْرِكُمْ بآياتِ اللهِ تَعالى ، وإنكارِكُمْ لهذا اليومِ العَصيبِ .

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

إنّ أولئكَ الكفّارَ الّذينَ أنكروا البعثَ والحسابَ ، قدْ خَسِروا أعزَّ شيءٍ في هذهِ الحياةِ ، ومِنْ

مظاهرِ ذلكَ أنَّهم خَسِروا الرِّضا الَّذي سينالُه المُؤمِنونَ مِن ربِّهِمْ ، وخسِروا العزاءَ الرُّوحيَ الَّذي يَغْرِسُ في قلبِ المؤمنِ الطُّمَأْنينةَ ، والصَّبرَ عندَ البلاءِ ، لأنَّ المُؤمِنَ يَعتقدُ أنَّ ما عندَ اللهِ تَعالى خيرٌ وأبقى ، بخلافِ الكافرِ الَّذي يَعُدُّ الدُّنيا مُنْتهى آمالِهِ . وإنّ هؤلاءِ الخاسرينَ سَيَسْتَمرّون في تكذيبِهِمْ بالحقِّ وإعراضِهِمْ عنه ، حتّى إذا جاءَتْهُمُ السّاعةُ مباغتةً مُفاجِئةً ، وهمْ في طُغيانِهِمْ يَعمهُونَ ، اعْتَراهُمُ الهمُّ ، وحلَّ بهم البلاءُ ، وقالوا بعدَ أنْ سُقِطَ في أيدِيهِمْ ، ورَأَوْا أنَّهم قدْ ضَلّوا : يا حَسْرَتَنا ، لقدْ فرَّطْنا في حياتِنا الدُّنيا ، ولمْ نستعدَّ لهذا اليومِ ، بلْ أهْمَلْناهُ ولمْ نلتفِتْ إليهِ .

والكُفّارُ يَأتونَ يومَ القيامةِ ، وهم يَحْمِلونَ ذُنوبَهُمْ وآثامَهُمْ على ظُهورِهِمْ ، ألا ساءَ ما حَمَلوا ، وما أشدَّ ما سيستقبِلونَهُ بعدَ ذلكَ منَ العذابِ الأليمِ .

وَحَمْلُ الأوزارِ إمّا أنْ يكونَ على الحقيقةِ بأنْ يجعلَ اللهُ تَعالى أوزارَهُمْ ماديّةً ثقيلةً يُعانونَ مِنْ حَمْلِها ، وإمّا أنْ يكونَ مِنْ قبيلِ الاستعارةِ بتشبيهِ المُثْقَلِ بالذُّنوبِ والأوزارِ بحاملِ حِملٍ ثقيلٍ ، لا يستطيعُ أنْ يقوى على حَمْلِهِ .

ثمّ عقدَ سُبْحانَهُ مُقابلةً بينَ الحياةِ الدُّنيا والآخرةِ لبيانِ أنَّ الحياةَ الآخرةَ هيَ الحياةُ العاليةُ السّاميةُ الباقيةُ ، وأمّا الحياةُ الدّنيا فهَي إلى زَوالٍ وانْتهاءٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

هذهِ الحياةُ الّتي نعتَها الكفّارُ بأنَّها لا حياةَ بَعْدَها ، ما هيَ إلاّ لَهْوٌ ولَعِبٌ لمنْ يَطلبُها بأنانيةٍ وشَرَهٍ ، منْ غيرِ استعدادٍ لما يكونُ وراءَها منْ حياةٍ أُخرى فيها الحسابُ والجزاءُ ، وفيها النَّعيمُ الّذي لا يَنتهي ، وفيها السَّعادةُ الّتي لا تُحَدُّ للّذينَ اتّقوْا ربَّهمْ ونَهوْا أنفسَهُمْ عنِ الهَوى .

فالحياةُ الدّنيا لَعِبٌ ولَهْوٌ لِمَنِ اتَّخذهَا فُرْصةً للتَّكاثُرِ والتَّفاخُرِ وجَمْعِ الأموالِ منْ حلالٍ وحرامٍ ، ولمْ يُقيموا وزناً للأعمالِ الصّالحةِ الّتي كلّفهُم اللهُ تَعالى بها ، أمّا الّذينَ قالوا ربُّنا اللهُ ثُمَّ استقاموا ، فإنَّ الحياةَ الدّنيا تُعدُّ لَهُمْ وسيلةً إلى رضا اللهِ الّذي يَظفرونَ بهِ يومَ القيامةِ ، وأنَّ ما يَحْصُلُ عليهِ المؤمنونَ في هذا اليومِ منْ ثوابٍ جزيلٍ ومِنْ نعيمٍ مقيمٍ ، هوُ خيرٌ مِنَ الدُنيا وما فيها منْ مُتعةٍ زائلةٍ ، ومنْ شَهَواتٍ لا دوامَ لَها ، أفلا يَعْقِلُ منْ يَسْمَعُ هذهِ المُوازنةَ بينَ الدّاريْنِ ، فيختارُ الباقي الدائمَ ، وينأَى عنِ الهالكِ الفاني ؟

دروس وعبر :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ لا ينفعُ المُشْرِكينَ يومَ القيامةِ اعترافُهُمْ ولا ندمُهُمْ ولا حسرتُهُمْ .

٢ـ السّاعةُ تأتي فجأةً ، وعلى الإنسانِ أنْ يكونَ مُستعدّاً لهذا اليومِ .

٣ـ الحياةُ الدّنيا في ميزانِ الآخرةِ لا تُساوي شيئاً .

٤ـ الدّارُ الآخِرَةُ هيَ رجاءُ المُؤْمنينَ .

التقويم :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

وُقِفوا على النَّارِ ، بَدا لهُمْ ، بَغتةً ، فرَّطْنا فِيها ، أوزارَهُمْ .

٢ـ بيِّنْ مَوْقفَ الكافِرِ في الحالتَينِ التاليتَينِ :

أ ـ حينَ يوقَفونَ على النَّارِ

ب ـ حينَ يَقفُونَ على ربِّهم للحسابِ .

٣ـ ما معنى : يَحْمِلونَ أوزارَهم على ظُهورِهِمْ ؟

٤ـ وازِنْ بينَ الحياةِ الدّنيا والآخرةِ ، كمَا ذكرتْها الآياتُ الكريمةُ .

نشاط :

١ـ اكْتُبْ في دفترِكَ حديثاً شريفاً يُبيِّنُ أنَّ مَنْ سرقَ شيئاً في الدَّنيا ، يأتي يومَ القيامةِ يحملُه على ظهرِه أوْ حولَ عُنقِه .

٢ـ اكْتُبْ موضوعاً في حدودِ الصَّفحةِ ، وبيِّنْ فيهِ الفَرْقَ بينَ الحياةِ الدُّنيا والآخرةِ ، وأقرأْهُ على طلبةِ المدرسةِ في طابورِ الصَّباحِ .

* * *

الدرسُ السابعُ والثلاثونَ

سورةُ الأنعامِ ـ القِسْمُ السادِسُ

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَحْزُنُكَ	: يَسوؤُكَ ويَعظُمُ عندَكَ .
يَجحدونَ	: يُنكِرونَ الحقَّ الواضِحَ .
كَبُرَ عليْكَ	: شقَّ وعَظُمَ عليك .
تَبتغِيَ	: تطلُبَ .
نَفَقاً في الأرضِ	: طريقاً فيها يَنفذُ إلى ما تحتَها .
ما فرَّطْنا	: ما أغفَلْنا ولا ترَكْنا .

بَعْدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى مواقِفَ الكافرينَ الّتي لا يُحسَدونَ عَليْها ، أخذَ في تَسليةِ رَسولِه ﷺ عمّا أصابَهُ منْ قومِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

يقولُ اللهُ تَعالى لِنبيِّهِ ﷺ : قدْ أحطْنا عِلْماً بِتكْذيبِهِمْ لكَ وحُزْنِكَ وتأسُّفِكَ عَليْهِمْ . وفي الحقيقةِ هُمْ لا يَتَّهِمونَكَ بالكَذِبِ ، ففِي قرارةِ أنفسِهِمْ يَعترِفونَ بِصِدْقِكَ ولكنّهم يُعانِدونَ الحقَّ ويَدفعونَهُ بِصدورِهِمْ ، كما جاءَ عنْ أبي جهلٍ أنّه قالَ للنَّبيِّ ﷺ : يا محمَّدُ إنَّا لا نُكذِّبُكَ ولكنَّا نُكذِّبُ الّذي جئتَ بِهِ .

وهؤلاءِ الكُفّارُ كانوا لقّبوا النَّبيَّ ﷺ بالصّادقِ الأمينِ ، ولكنَّهم أنْكَروا بألسِنَتِهِمْ ما أخفتْهُ قلوبُهُمْ ، وهذِه طبيعةُ الكُفْرِ .

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

لقدْ قوبِلَ رُسلُ اللهِ تَعالى منْ قَبْلِكَ بالتّكذيبِ والإيذاءِ منْ أقوامِهِمْ كما فعلَ معَكَ قومُكَ ، فَصَبروا على التّكذيبِ والإيذاءِ حتّى نصرناهُمْ ، فاصبرْ كما صَبَروا حتّى يأتيَكَ نَصْرُنا ، ولا مُغيّرَ لِوَعْدِ اللهِ تَعالى بِنَصْرِ الصّابرينَ ، فلابدَّ منْ تحقُّقِهِ ، ولقدْ قَصَصنا عليكَ مِنْ أخبارِ هؤلاءِ الرُّسلِ وتأييدِنا لهُمْ ، ما فيهِ تسليةٌ لكَ ، وما توجبُهُ الرِّسالةُ منْ تَحمُّلِ الشّدائِدِ . وجاءَ في معنى هذهِ الآيةِ الكريمةِ القاضيةِ بِنَصْرِ رُسلِ اللهِ قولُهُ تَعالى : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة : ٢١]. ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ [الصّافات : ١٧١-١٧٣]. وقولُهُ تَعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ [غافر : ٥١].

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

وإنْ كانَ يا محمَّدُ ﷺ قدْ شقَّ عليْكَ انصرافُهُمْ عنْ دَعوتِكَ ، وظَنَنْتَ أنَّ إتْيانَهُمْ بما اقْتَرحوهُ منْ آياتٍ يكونُ سَبَباً في إيمانِهِمْ ، فإنِ استطعْتَ أنْ تتَّخذَ طريقاً في باطنِ الأرضِ أوْ سُلَّماً تصعَدُ بهِ إلى السماءِ ، فتأتيَهُمْ بدليلٍ على صِدْقِكَ فافْعَلْ ، وليسَ في قُدرَتِكَ ذلكَ ، فأرِحْ نفسَكَ واصْبِرْ على

حُكْمِ ربِّكَ . ولوْ شاءَ اللهُ تَعالى هِدايتَهُمْ لحملَهُمْ جميعاً على الإيمانِ بما جئتَ بهِ قَهْراً وقَسْراً ، ولكنَّه سُبْحانَهُ تركَهُم لاختيارِهِمْ ، فلا تكونَنَّ مِنَ الّذينَ لا يَعلمونَ حُكْمَ اللهِ تَعالى وسُنَّتَه في خَلْقِهِ .

وهذهِ الآيةُ الكَريمةُ تُبيِّنُ مدى حِرْصِ النَّبيِّ ﷺ على هدايةِ قومِهِ ، وتبيِّنُ كذلكَ مدى المُعاناةِ الّتي كانَ يُعانيها في سبيلِ هذا الحِرْصِ ، وهكذا شأنُ الدُّعاةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى مَنْ همْ أهلُ الإيمانِ والاستجابةِ للحقِّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ .

إنَّما يستجيبُ لِدَعوةِ الحقِّ ويُقْبلُ عليها الّذينَ يَسمعونَ سَماعَ فَهْمٍ وتَدبُّرٍ ، وأمّا هؤلاءِ فلا يَنتفِعونَ بدَعْوَتِكَ ، لأنَّهم في حُكْمِ الأمواتِ ، وسيبعثُهُمُ اللهُ تَعالى يومَ القيامةِ مِنَ القبورِ ، ويُرْجِعُهُمْ إليهِ فيحاسِبُهُمْ على ما فَعلوا .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعضَ ما تذرَّعَ بهِ المُشْرِكونَ تعنُّتاً ، وردَّ عليهِم بما يُؤَكِّدُ قُدرةَ اللهِ تَعالى النّافذةَ وعِلْمَهُ المُحيطَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقالَ الكُفَّارُ مُتَعنِّتينَ : نطلبُ أنْ يَنْزلَ على محمَّدٍ ﷺ دليلٌ مِنْ ربِّهِ يَشهدُ بِصدْقِ دعوتِه ، قلْ لهمُ أيُّها النَّبيُّ : إنّ اللهَ تَعالى قادرٌ على أنْ يُنزِّلَ أيَّ دليلٍ تَقترِحونَهُ ، ولكنَّ أكثرَهُمْ لا يعلَمونَ حِكمةَ اللهِ تَعالى في إنْزالِ الآياتِ ، وأنَّها ليسَتْ تابعةً لأهوائِهِمْ ، وأنَّهُ سُبْحانَهُ لو أجابَ مَطْلَبَهُمْ ثمَّ كذَّبوا بعدَ ذلك لأهلَكَهُمْ ، ولكنَّ أكثَرَهَمُ لا يَعلمونَ نتائجَ أعمالِهِمْ .

وبعدَ ذلكَ ذَكَرَ اللهُ تَعالى بعضَ الآياتِ الكونيّةِ المَبْثوثةِ في الأرضِ والجوِّ والمَعْروضَةِ على البصائرِ والأبصارِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ .

وإنَّ أقربَ دليلٍ على قُدْرةِ اللهِ تَعالى وحِكْمتِهِ ورَحمتهِ أنَّه خلقَ كلَّ شيءٍ ، وليسَ في الأرضِ حيوانٌ يَدُبُّ على ظَهْرِ الأرضِ أوْ في باطِنِها ، أو طائرٌ يطيرُ في الهواءِ ، إلاّ خَلَقَها اللهُ تَعالى جماعاتٍ مِثْلَكُمْ ، وجَعَلَ لها خَصائِصَها ومُميِّزاتِها ونظامَ حياتِها ، وما تركَ اللهُ تَعالى في الكتابِ المحفوظِ عِنْدَه شيئاً إلاّ أثبتَهُ وبيَّنَهُ ، وإنْ كانوا قدْ كذّبوا فَسَيُحشرونَ معَ كُلِّ الأُممِ للحسابِ يومَ القيامةِ .

دروس وعبر :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ حِرْصُ الرَّسولِ ﷺ على هدايةِ قومِهِ .

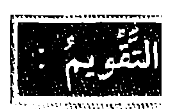
٢ـ الكُفّارُ يَعلمونَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ صادقٌ ، ولكنَّهُمْ يَجْحَدونَ هذهِ الحقيقةَ .

٣ـ الّذي يَستجيبُ للحقّ هوَ منْ كانَ حيَّ القلبِ والعقلِ .

٤ـ طريقُ الدَّعوةِ إلى اللهِ تَعالى شاقٌّ ومَحفوفٌ بالمَكارِهِ .

٥ـ نَصْرُ اللهِ ـ تَعالى ـ لا مَحالةَ قادمٌ للصّابرينَ المُخْلِصينَ .

٦ـ جميعُ ما يَدُبُّ على الأرضِ منْ صغيرِ المَخلوقاتِ وكبيرِها أُممٌ أمثالُ بني البَشَرِ .



التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يَحْزُنكَ ، يَجحدونَ ، كَبُرَ عليكَ .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ منَ الآياتِ على ما يلي :

أـ الرّسولُ ﷺ شديدُ الحِرْصِ على إيمانِ قومِهِ .

ب ـ الكُفّارُ مَوْتَى القُلوبِ .

٣ـ بيّنْ بالدَّليلِ عقيدةَ الكُفّارِ الحقيقيّةَ في القرآنِ الكريمِ والنَّبيِّ ﷺ .

٤ـ طريقُ الدَّعوةِ مليءٌ بالأشواكِ ، بيّن ذلكَ .

٥ـ لماذا لمْ يسْتَجِبِ اللهُ تَعالى طَلَبَ الكُفّارِ بإنزالِ الآياتِ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفتركَ حادثةً تدلُّ على تصديقِ قريشٍ لرسولِ اللهِ ﷺ .

* * *

الدرس الثامن والثلاثون

سورة الأنعام ـ القسم السابع

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴿٤٦﴾

معاني المفردات

صُمٌّ : لا يَسْمَعونَ

بُكْمٌ : لا يَتكلَّمونَ .

في الظُّلماتِ : ظُلماتِ الجَهْلِ والعِنادِ ، الكفرِ .

أرأيتكُمْ : أَخْبِروني عنْ عجيبِ أمرِكُمْ .

بالبَأْساءِ والضَّراءِ : بالبؤسِ والفقرِ والسُّقْمِ ، وغيرِها مِنَ الأمراضِ .

يَتضَرَّعونَ : يَتذلَّلونَ ويَتخشَّعونَ ويَتوبونَ .

جاءَهُمْ بأسُنا : أتاهُمْ عذابُنا .

فَتَحْنا عليهِمْ : صبَّ اللهُ عليهِمُ النَّعيمَ صبّاً استدراجاً لهُم .

أخذنَاهُمْ بغتةً : أنزلْنا بِهِمُ العذابَ فجأةً .

همْ مُبْلِسونَ : آيِسونَ مِنَ الرَّحمةِ ، أو مُكْتئِبونَ .

دابرُ القوم : آخِرُهُمْ .

نُصَرفُ الآياتِ : نأتي بها على أساليبَ مُتنوِّعةٍ .

يَصْدِفونَ : يُعرِضِونَ ويَعْدِلونَ .

التَّفسيرُ :

بعد أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعضاً منْ مَظاهرِ قُدْرَتِه سُبْحانَهُ ، أخذَ في بيانِ تَخبُّطِ المُشْرِكينَ وضَلالِهِمْ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُۖ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

والّذينَ لم يُصَدِّقوا بأدّلتِنا الدَّالَّةِ على قُدْرَتِنا ، وصِدْقِ رسالَتِكَ أيُّها النَّبيِّ لم يَنتِفعوا بحواسِّهِم في معرفةِ الحقِّ ، فتخبَّطوا في ضَلالِ الشّرْكِ والعِنادِ تخُبُّطَ الأصمِّ الأبْكَمِ في ظُلماتِ اللَّيلِ ، لا نجاةَ لهُ من الهلاكِ ، ولوْ كانَ في هؤلاءِ استعدادٌ للخيرِ لوفّقَهُمْ اللهُ تعالى إليهِ . واللهُ سُبْحانَهُ إذا أرادَ إضْلالَ إنسانٍ لفسادِ قَصْدِهِ تَرَكَهُ وشأْنَهُ ، وإذا أرادَ هدايتَهُ لِسَلامةِ قَصْدِهِ ، يَسَّرَ لهُ السَّيْرَ في طريقِ الإيمانِ الواضحِ .

ثمَ وجّهَ اللهُ تَعالى نِداءهُ لهؤلاءِ على هَيْئةِ السُّؤالِ وفيهِ : مَنْ تدعونهُ وتَلْجأونَ إليهِ إذا جاءَكُمُ العذابُ أو السّاعةُ ؟ فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ لهؤلاءِ المُشْرِكينَ : أَخبِروني عنْ حالِكُمْ عندَما يداهِمُكُمْ عذابُ اللهِ تَعالى الدُّنيويُّ كالزَّلزالِ أو الرِّيحِ العاصفةِ ، أو تَفْجَؤكُمُ السّاعةُ بأهوالِها وشَدائدِها ، ألسْتُم في هذه الأحوالِ لا تَلجأونَ إلاّ إلى اللهِ تَعالى وحدَهُ ، وتَنسوْنَ آلهتَكُمُ الباطلةَ ؟

إنَّ الفِطْرةَ الصَّحيحةَ حينئذٍ هيَ الّتي تَنْطِقُ على ألسنتِكُمْ ومِنْ دونِ شعورٍ منكُمْ ، وما دامَ الأمرُ كذلكَ ، فلماذا تُشْرِكونَ معَ اللهِ تَعالى آلهةً أخرى ؟ إنَّ أحوالَكُمْ هذِه لَتدعو إلى الدَّهشةِ والغَرابةِ لأنّكمَ تلجأونَ إليه وحْدَهُ عند الشَّدائدِ والكُروبِ . وأكّدتِ الآيةُ الكريمةُ التّاليةُ توجُّهَهم إلى اللهِ وَحْدَهُ ، قالَ تَعالى :

﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴾ .

بلْ تَخصّونَهُ وحدَهُ بالدُّعاءِ دونَ الآلهةِ الأُخرى ، فَيَكْشِفُ سُبْحانَهُ عنكُمْ ما تَلْتَمِسونَ كَشْفَه إنْ شاءَ اللهُ ذلكَ ، لأنَّه هوَ القادرُ على كلِّ شيءٍ ، وعندَها تَغيبُ عَنْ ذاكِرَتِكُمْ في تلكَ الأهوالِ والشّدائدِ تلكَ الأصنامُ الزائفةُ والمَعبوداتُ الباطلةُ .

ثمَّ أخذَ القرآنُ الكريمُ في تسليةِ النَّبيُّ ﷺ ، وفي بيانِ أحوالِ الأُممِ السابقةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ .

لا يشقُّ عليكَ أيُّها النَّبيُّ ما تُلاقيهِ مِنْ قومِكَ ، فلقدْ أرسلْنا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إلى أُممٍ كثيرةٍ ، قبلَ أُمَّتِكَ ، فكانَ هؤلاءِ الأقوامُ أعتى مِنْ قومِكَ في الشّركِ والجُحودِ ، فعاقبناهُمْ بالفَقْرِ الشَّديدِ والبَلاءِ المُؤْلِمِ ، لعلَّهُمْ يَخضَعونَ ويَرجِعونَ عنْ كُفْرِهِمْ وشِرْكِهِمْ ، ويَلجأونَ إلى اللهِ تَعالى .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعدَ ذلكَ أنَّ الأُممَ لم تَعتبرْ مِمّا أصابَها منْ شدائدَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ .

كانَ يَنبغي على هذِه الأقوامِ أنْ تَرْجِعَ إلى ربِّها بعدَ ما أصابَها ، ولكنَّها لم تفعلْ ، وكانَ الحائلُ بينَها وبينَ التَّوْبةِ والتَّضرُّعِ عندَ نزولِ الشَّدائدِ أمريْنِ :

الأوّلُ : قَسوةُ قلوبِهِمْ ، فكانتْ غليظةً ، وجامدةً كالحِجارةِ أو أشدَّ قَسْوةً .

الثّاني : تزيينُ الشَّيْطانِ لهم أعمالَهُمُ السّيئةَ ، بأنْ أوحى إليهِمْ بأنَّ ما هُم عليهِ هوَ خيرٌ ، لأنَّهُ لا يَتنافى معَ ما كانَ عليهِ آباؤهُمْ . ثمَّ بيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّه قدِ ابتلاهُم بالنِّعمِ بعدَ أنْ عاجَلَهُمْ بالشَّدائدِ فلمْ يرتدِعوا ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ .

فلمَّا تَركوا الاتِّعاظَ بما ابْتَليناهُم بهِ مِنَ الفَقْرِ والمرضِ ، ابْتَليناهُمْ بعدَ ذلكَ بالرِّزقِ الواسعِ ، فَفَتَحنا عليهِمْ أبوابَ كلِّ شيءٍ مِنْ أسبابِ الرِّزقِ اسْتِدْراجاً وإملاءً ، حتَّى إذا فَرِحوا بما أنعمْنا بهِ عليهِم ولمْ يَشكُروا الله تَعالى عليهِ ، جاءَهُمُ العذابُ فجأةً ، فإذا همْ مُتَحيّرونَ يائِسونَ ، لا يَجِدونَ للنَّجاةِ سَبيلاً .

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾

فأُبيدَ هؤلاءِ القومُ الظّالمونَ عنْ آخرِهِمْ ، والحمدُ للهِ تَعالى مُرَبّي الخَلْقِ بالنِّعمِ والنِّقمِ ، ومُطهِّرِ الأرضِ منْ فسادِ الظّالمينَ .

ثمَّ ذكَّرَ اللهُ تَعالى النَّاسَ بنعمتِهِ عليهِمْ في خَلْقِهِمْ وتكوينِهِمْ ، وبيَّنَ لهُم أنَّه إذا سَلَبَهُم شيئاً منْ حواسِّهِمْ فإنَّه لا يَستطيعُ أحدٌ إعادَتَها لهُمْ ، قال تَعالى :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾

قلْ يا محمّدُ لهؤلاءِ المشركينَ : أخبروني ماذا أنتُم فاعلونَ إنْ سَلَبَ اللهُ تَعالى سَمْعَكُمْ وغطَّى قلوبَكُمْ بما يَحْجُبُها عن الإدراكِ ، فجعَلَكُمْ صُمّاً عُمْياً لا تَفهمُونَ شَيْئاً ؟ ماذا تَفعلونَ مع آلهتِكُمُ الّتي تَدعوَنُهمْ وتَرجونَ شفاعتَهُمْ لو فَعَل بكم ذلكَ ؟ مَنْ إلهٌ غيرُ اللهِ يأتيكُمْ بهذا الّذي أخذَهُ مِنْكُمْ ؟ انظُرْ أيُّها النبيُّ كيفَ نُوضِّحُ البراهينَ ونُنوِّعُها ، ثمَّ هُمْ مع هذا يُعْرِضونَ عنْ تدبُّرِها والانتفاعِ بها .

دروس وعبر

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ مَوْقفُ الكافرينَ منْ آياتِ الله تَعالى موقفُ الأَصمِّ الأبْكَمِ .

٢ـ الهدايةُ والضَّلالُ بيدِ اللهِ تَعالى .

٣ـ اللهُ تَعالى يَبْتَلي بالنِّعمِ كما يبتلي بالنِّقَمِ .

٤ـ قَسوةُ القلبِ حائِلةٌ دونَ التَّوْبةِ .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

صُمٌّ بُكْمٌ ، أرأيتَكُمْ ، يَتضَرّعونَ ، فتحنا عليهِم أبوابَ كلِّ شيءٍ ، مُبْلسونَ ، يَصْدِفونَ .

٢ـ بيِّنْ موقفَ الكفّارِ منْ آياتِ اللهِ تَعالى .

٣ـ لِمنْ يلجأُ الكُفّارُ عندَ الشَّدائدِ ؟

٤ـ بيّنِ الأسبابَ الّتي تحولُ بينَ الإنسانِ والتَّوْبةِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةً تدلُّ على أنّ الكافِرينَ لايُعْمِلونَ حواسَّهُمْ ولا يُفيدونَ منها في اتِّباعِ الحقِّ .

٢ـ اكتبْ في دَفترِكَ الحوارَ الّذي دارَ بين الحُصينِ ورَسولِ اللهِ ﷺ عندَما دعاهُ إلى الإسلامِ .

* * *

الدَّرْسُ التّاسِعُ والثّلاثونَ

سورَةُ الأنْعامِ ـ القِسْمُ الثّامِنُ

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بَغتةً   فَجأةً .

جهْرَةً   مُعايَنةً .

التَّفسيرُ :

يُتابعُ القرآنُ الكريمُ في بيانِ ألوانِ الإقناعِ الّتي ابتدأَها في الآياتِ السّابقةِ ، ويُوجِّهُ النّاسَ هُنا إلى حُجَّةٍ جديدةٍ ، قالَ تَعالى :

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ .

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ لهؤلاءِ : أخبروني إنْ حلَّ بكُمُ العذابُ مِنَ اللهِ تَعالى فجأةً دونَ توقُّعٍ منكُمْ ، أوْ جاءَكُمْ عَياناً على تَرقُّبٍ لِسَبْقِ ما يُنذرُكُمْ بوقوعِهِ ، هلْ يُصيبُ هذا العذابُ إلاّ القومَ الّذينَ ظَلموا أنفسَهُمْ بالإصْرارِ على الشِّركِ والضَّلالِ ؟ إنّه لا يصيبُ غيرَهُمْ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعدَ ذلكَ وظيفةَ الرُّسُلِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ .

تلكَ سُنَّتُنا وطَريقتُنا في إهْلاكِ المُكَذِّبينَ للرُّسُلِ ، والمُعْرِضينَ عنْ دَعْوتِهِمْ ، فإنَّنا ما نُرْسِلُ المُرْسَلينَ إليهِم إلاّ بوظيفةٍ مُعيَّنةٍ مُحَدَّدةٍ ، هيَ تَقديمُ البِشارةِ لمنْ آمنَ وعَمِلَ صالحاً ، وسَوْقُ الإنذارِ لمنْ كذَّبَ وعَمِلَ سيِّئاً .

فمَنْ آمنَ باللهِ تَعالى ومَلائكتِهِ ، وكُتُبه ، ورُسلِهِ ، واليومِ الآخرِ ، وأصْلَحَ في عَمَلِهِ ، فلا خوفٌ عليهِم منْ عذابِ الدّنيا الّذي يَنْزِلُ بالجاحدينَ ، ولا مِنْ عذابِ الآخِرَةِ الّذي يَحِلُّ بالمُكَذّبينَ ، ولا هُمْ يَحزنونَ يومَ لقاءِ اللهِ تَعالى على شيءٍ فاتَهُمْ .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ .

والّذينَ كذّبوا بالأدلَّةِ الواضِحةِ على صِدْقِ ما جاءَ بهِ الرُّسُلُ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ يُصيبُهمُ العَذابُ بسببِ خُروجِهِمْ عنِ الطّاعةِ والإيمانِ .

ثمَّ لقَّنَ اللهُ تَعالى رسولَهُ ﷺ ، الأجوبةَ الحاسِمةَ الّتي تدفَعُ شُبُهاتِ الكافِرينَ ، وبَيَّنَ ضَلالَ مُقتَرَحاتِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

قلْ أيُّها الرسولُ لهؤلاءِ الكُفّارِ : لا أقولُ لكُم إنّي أمْلِكُ التَّصرُّفَ بما يَمْلِكُهُ اللهُ تعالى ، فأُجيبَكُمْ إلى ما تَطلبُونَ ، ولا أدَّعي عِلْمَ الغيبِ الّذي لمْ يُطْلِعْني اللهُ تَعالى عليهِ ، ولا أقولُ لكُم إنّي مَلَكٌ أستطيعُ الصُّعودَ إلى السَّماءِ ، إنَّما أنا بشرٌ لا أتَّبعُ إلاّ ما يوحِيهِ اللهُ تَعالى إليَّ .

وقلْ لهُم يا أيُّها النَّبيُّ : هلْ يستوي الضّالُّ والمُهْتدي في معرفةِ هذهِ الحقائِقِ ؟ هلْ يَليقُ بكُمْ أنْ تُعرِضوا عنْ هُدىً أسوقُه لكُم ، فلا تتأمَّلونَ فيهِ بعقولِكُمْ حتَّى يَتبيَّنَ لكُم الحقُّ ؟

ثم أمرَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ أنْ يَجتهدَ في إنْذارِ قَوْمٍ يُتَوقَّعُ مِنْهُمُ الصَّلاحُ والاسْتِجابَةُ للحقِّ ، بعَدَ أنْ أمرَهُ قبلَ ذلكَ بتوجيهِ دعوتِه للنَّاسِ كافَّةً ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ .

عِظْ وخوِّفْ يا محمَّدُ بهذا القرآنِ أُولئكَ الّذينَ يَخافونَ شِدَّةَ الحساب والعقاب ، وتَعتريهِمُ الهَيْبَةُ عندَما يتذكَّرونَ أهوالَ يوم القيامةِ ، لأنَّهم يَعلمونَ أنَّه يومٌ لا تنفعُ فيهِ خُلَّةٌ ولا شَفاعةٌ ، فهؤلاءِ هُم الّذينَ تُرجَى هدايتُهُمْ لِرقَّةِ قُلوبِهِمْ وتَأثُّرِهِمْ بالعِظاتِ والعِبَرِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ إذا وقعَ عذابُ اللهِ تَعالى بقومٍ ، فالهَلْكى همُ الظّالمونَ .

٢ـ تأكيدُ أنَّ وظيفةَ الرُّسُلِ مُنحَصِرةٌ بينَ التَّبشيرِ والإنذارِ ، وتبليغِ شَرْعِ اللهِ للنَّاسِ .

٣ـ الإيمانُ والصَّلاحُ يُنجّيانِ مِنْ عذابِ اللهِ .

٤ـ الرَّسولُ ﷺ لا يَملِكُ منْ أمْرِ الغَيْبِ شيئاً .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّالِيَةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّالِيةِ :

بَغتةً ، جهرةً .

٢ـ بيِّنْ وظيفَةَ الرُّسُلِ منْ خلالِ الآياتِ الكريمةِ .

٣ـ الإيمانُ والصَّلاحُ يُنجِّيانِ منْ عذابِ اللهِ تَعالى ، هاتِ الدَّليلَ على ذلكَ .

٤ـ بيّنْ جزاءَ المُكذّبينَ بآياتِ اللهِ تَعالى .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ الفَرْقَ بينَ الهمِّ والحَزَنِ ، ودعاءَ الرّسولِ ﷺ بخصوصِهما .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ الكهفِ التي تُبيّنُ المَعْنى الواردَ في الآيةِ (٥٠) الخاصَّ بالرَّسولِ ﷺ .

* * *

الدرس الأربعون

سورةُ الأنعام ـ القِسمُ التاسِعُ

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

معاني المفردات

بالغَداةِ والعَشيِّ : في أوّلِ النّهارِ وآخرِه .

فَتنّا : ابتلَيْنا وامْتَحنّا .

مَنَّ اللهُ عليهم : أَنْعمَ اللهُ عليهم .

كَتَبَ ربُّكُمْ : قضَى وأوجبَ تفضُّلاً وإحْساناً .

بِجَهالةٍ : سَفاهَةٍ .

التَّفسيرُ

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تعالى في الآياتِ السّابقةِ مُهمَّةَ الرّسولِ ﷺ ، أمرَهُ بأنْ يُقرّبَ فُقراءَ المُسلِمينَ منْ مَجْلِسهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ :

روى مسلمٌ عنْ سعدِ بن أبي وقاصٍ قالَ : كنّا معَ النَّبيِّ ﷺ ستةَ نفرٍ ، فقالَ المُشْركونَ للنَّبيِّ ﷺ : اطرُدْ هؤلاءِ لا يَجترِؤونَ علينا ، قالَ : وكنتُ أنا وابنُ مسعودٍ ورجلٌ منْ هُذَيْلٍ وبلالُ ورجلانِ لستُ أُسمّيهما . . فوقَع في نفسِ رسولِ اللهِ ﷺ ما شاءَ اللهُ تَعالى أنْ يقعَ ، فحدَّثَ نفسَه ، فأنزلَ اللهُ تَعالى هذهِ الآيةَ[1] .

ولا تستجبْ أيُّها النَّبيُّ لدعوةِ المُتكبِّرينَ مِنَ الكُفَّارِ ، فتُبْعِدَ عنكَ المُسْتَضْعَفينَ منَ المُؤْمِنينَ الّذينَ يَعبدونَ ربَّهُمْ ويَذْكرونَهُ أوَّلَ النَّهارِ وآخِرَهُ ، ولا يُريدونَ إلاّ رِضاهُ ، ولا تَلتفِتْ إلى دسِّ المُشْركينَ على هؤلاءِ المُؤْمِنينَ ، فلسْتَ مَسؤولاً أمامَ اللهِ تَعالى عنْ شيءٍ منْ أعمالِهِمْ ،كما أنَّهمْ ليسوا مَسؤولينَ عنْ شيءٍ مِنْ أعمالِكَ ، فإنِ اسْتَجبتَ لهؤلاءِ الكُفّارِ المُتعنِّتينَ وأبْعَدْتَ المؤمنينَ كنتَ مِنَ الظَّالمينَ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

وبِمِثْلِ هذا الابتلاءِ الّذي جرَتْ بهِ سُنَّتُنا ، امتحنّا المُتكبِّرينَ بِسَبْقِ الضُّعفاءِ إلى الإسلامِ ، ليقولَ المُتكبّرونَ مُسْتَنكِرينَ ساخِرينَ : هلْ هؤلاءِ الفُقراءُ همُ الّذينَ أنعمَ اللهُ تَعالى عليهِم مِنْ بَيْنِنا بالخيرِ الّذي يَعِدُهُمْ بهِ محمّدٌ ﷺ ؟ إنّ هؤلاءِ الفقراءَ يَعرفونَ نعمةَ اللهِ تَعالى عليهِم بالتّوفيقِ إلى الإيمانِ فَيشكرونَهُ ، واللهُ أعلمُ بمنْ يشكرُونَ فَضْلَهُ ونعَمَهُ .

ثمّ وجَّه اللهُ تَعالى نَبيَّهُ إلى طَمْأنةِ المؤمنينَ بآياتِ اللهِ تَعالى وإلى أنَّ بابَ التَّوْبةِ مفتوحٌ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

وإذا جاءَكَ يا محمَّدُ الّذينَ يُصَدّقونَ بالقرآنِ فقلْ لهمُ تكريماً لهُم : سلامٌ عليكُم ، أُبشِّرُكُمْ

---

(١) رواه مسلم ٤/١٨٧٨ حديث رقم (٢٤١٣) .

برحمةِ اللهِ تَعالى الواسعةِ الّتي أوجبَها على نفسِهِ تفضُّلاً مِنهُ ، والّتي تقضي بأنَّ مَنْ عَمِلَ منكُمْ سَيِّئةً غيرَ مُتدبِّرٍ نتائجَها ثمَّ رجعَ إلى اللهِ تَعالى نادِماً تائِباً وأصْلَحَ أعمالَهُ ، غفرَ اللهُ تَعالى لهُ ، لأنَّه كثيرُ المَغفرةِ واسِعُ الرَّحمةِ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

وبِمثلِ ذلكَ البيانِ الواضحِ نُوَضِّحُ الدَّلائلَ المُتنوِّعةَ ليَظهرَ الحقُّ الّذي يَسْلكُهُ المؤمنونَ ، ويتبيّنَ طريقُ الباطلِ الّذي يسلكُهُ الكافرونَ ، فيعرفَ المُسْتَمعُ أيَّ الطّريقَينِ يَسْلكُ وأيَّ المَنْهجَيْنِ يختارُ .

ثمَّ أمرَ اللهُ تَعالى نبيَّه ﷺ أنْ يُصارِحَ أعداءَهُ بِبراءَتِه مِنْ شركِهِمْ ومِنَ اتِّباعِ باطلِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

قلْ يا محمَّدُ لهؤلاءِ المُشْركينَ الّذينَ يُريدونَ منكَ أنْ تَرْكَنَ إليهِمْ ، إنّ اللهَ تَعالى نهاني وصَرَفَني بفضلِهِ وبما مَنَحني مِنْ عَقْلٍ مُفكِّرٍ عنْ عبادةِ الآلهةِ التي تَعبُدونَها وتدعونَها منْ دونِ اللهِ ، وقلْ لهمُ أيضاً بكلِّ صراحةٍ وقُوّةٍ : إنّي لستُ مُتَّبعاً لِما تُمليهِ عليكُمْ أهواؤكُمْ وشَهَواتُكُمْ مِنَ انقيادٍ للأباطيلِ ، ولوْ أنّي ركنتُ إليكُم لضَلَلْتُ عنِ الحقِّ وكنتُ خارجاً عنْ طائفةِ المُهْتَدينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ ينبغي الاحتفالُ والاحتفاءُ بالفُقراءِ المُؤْمنينَ لأنَّهم أفضلُ عندَ اللهِ تَعالى منَ الكافرينَ أصحابِ الثّراءِ والجاهِ .

٢ـ اللهُ تَعالى يَبتلي عبادَهُ بما شاءَ .

٣ـ اللهُ تَعالى أرحمُ الرَّاحمينَ ، وبابُ التَّوْبةِ مَفتوحٌ لمنْ تابَ ورجعَ إلى اللهِ .

٤ـ الرُّكونُ إلى الّذينَ ظَلَموا خُروجٌ عنْ جماعةِ المُهْتَدينَ .

٥ـ الرَّسولُ ﷺ لا يَملِكُ منْ أمْرِ الغيبِ شيئاً .

التَّقْوِيمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّالِيةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّالِيةِ :

الغداةِ والعَشِيِّ ، فَتَنَّا ، مَنَّ اللهُ عليهِم مِنْ بَيْنِنا ، كَتَبَ ربُّكُمْ ، بِجَهالةٍ .

٢ـ بيّن سببَ نزولِ الآيةِ (٥٢) .

٣ـ لماذا نهى اللهُ تَعالى عنْ طَرْدِ المُؤْمِنينَ الفقراءِ ؟

٤ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ سُنَّةً مِنْ سُنَنِ اللهِ تَعالى في الابتلاءِ ، اذكُرْ هذهِ السُّنَّةَ .

٥ـ ما المَوْقِفُ الّذي أرادَ اللهُ تَعالى منْ نَبيّهِ ﷺ أنْ يُصارِحَ بهِ الكُفّارَ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ ما قالهُ قومُ نوحٍ ـ عليهِ السَّلامُ ـ لِرَسولِهِمْ نوحٍ فيما يتعلّقُ بِمَنِ اتَّبَعوُه وآمنوا بهِ ، وتَدبَّرْ وجْهَ الشَّبَهِ بينَ القَوْمَيْنِ والمَطْلَبَيْنِ في سورةِ (نوحٍ) وفي الآيةِ (٥٢) منْ سورَةِ الأَنْعامِ .

* * *

الدرس الحادي والأربعون

سورةُ الأنعامِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ۝٥٧ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٨ ۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٥٩ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٦٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَقُصُّ الحقَّ : يُبيِّنُهُ بياناً شافياً .

خَيْرُ الفاصِلينَ : خيرُ مَنْ يَفْصِلُ بينَ الحقِّ والباطِلِ .

مفاتِحُ الغيْبِ : مخازِنُ الغيبِ ومفاتِيحُها .

كتابٍ مبينٍ : اللَّوحِ المحفوظِ .

جَرَحْتُمْ : كَسَبتُمْ بجوارِحِكُمْ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ أمَرَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ بمُصارحةِ الكافِرينَ ببَراءتِهِ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنْ شِرْكِهِمْ ، أمَرَهُ هُنا بأنْ يُخْبِرَكُمْ بأنَّهُ على الحقِّ الواضحِ الَّذي لا ضَلالَ فيه ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

قلْ لهمُ يَا محمَّدُ : إنّي على شِرْعَةٍ واضحةٍ مُنزَّلَةٍ مِنْ عندِ ربِّي - تباركَ وتَعالى- وقدْ كذَّبتُمُ القرآنَ الّذي جاءَ بِها ، وليسَ في قُدْرتِي أنْ أُقدِّمَ لَكُمْ ما تَستعجلونَ بهِ مِنَ العذابِ ، بلْ هوَ قُدرةُ اللهِ تَعالى ، ومَرْهونٌ بإرادَتِهِ ، وحِكْمَتِه ، وليسَ الأمرُ والسُّلطانُ إلاّ للهِ تَعالى ، إنْ شاءَ عَجّلَ لكُمُ العذابَ ، وإنْ شاءَ أخَّرَهُ ، وللهِ تَعالى في ذلكَ كُلِّهِ حِكْمَةٌ ، وهوَ سُبْحانَهُ خيرُ الفاصِلينَ بَيْني وبينَكُمْ .

﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

قلْ لهمُ يَا محمَّدُ : لوْ أنَّ في قُدرتِي إنزالَ العذابِ الّذي تَعجَّلونَهُ ، لأَنْزَلْتُهُ عليكُم غَضَباً لِربّي ، وانتُهى الأمْرُ بَيْني وَبَينَكُمْ بذلكَ ، ولكنَّ الأمرَ للهِ تَعالى ، هو سُبْحانَهُ أعلمُ بما يَستحقُّهُ الكافرونَ مِنَ العذابِ العاجلِ أوِ الآجلِ .

ثمّ يَمضي السِّياقُ القرآنيُّ معَ المُكذِّبينَ المُتَعجِّلينَ للعذابِ ، فَيُبيِّنُ لهمُ صورةً لِعِلْمِ اللهِ تَعالى الشّاملِ الّذي لا يغيبُ عنُه شيءٌ ، قالَ تَعالى :

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

وعندَ اللهِ تَعالى عِلْمُ جميعِ أبوابِ المُغَيّباتِ ، لا يُحيطُ بها عِلْماً إلاّ هوَ سُبْحانَهُ ومَنْ يُظهِرُهُ على بعضِها وَ بِأَمْرِهِ ، ويُحيطُ سُبْحانَهُ كذلكَ بجميعِ المَوْجوداتِ في البرِّ والبحرِ ، ومَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقةٍ مِنْ شجرةٍ مِنَ الأشجارِ ، ولا حبَّةٍ في باطنِ الأرضِ ، ولا شيءٍ رَطْبٍ ، ولا يابسٍ منَ الثّمار أو غَيْرِها إلاّ ويعلَمُهُ اللهُ تَعالى عِلْماً تامّاً شامِلاً ، لأنَّ كُلَّ ذلكَ مَكتوبٌ ، ومَحْفوظٌ في اللّوحِ المحفوظِ ، وهوَ سُبْحانَهُ مُحيطٌ بهِ ومُطَّلِعٌ عليهِ .

قال النَّبيُّ ﷺ : « مفاتحُ الغيبِ خمسٌ لا يَعْلَمُها إلاّ اللهُ : لا يعلَمُ أحدٌ ما يكونُ في غَدٍ ، ولا يَعلمُ أحدٌ ما يكونُ في الأرْحامِ إلاّ اللهُ ، ولا تَعلمُ نَفْسٌ ماذا تكسِبُ غداً ، وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ ، ولا يَدْري أحدٌ متَى يجيءُ المَطَرُ[١]

---

(١) أخرجه البخاري ١/ ٣٥١ رقم (٩٩٢) .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

وهوَ سُبْحانَهُ الّذي يُنيمُكُمْ باللّيلِ ، ويَقبِضُ أرواحَكُمْ إليهِ ، ويوقظُكُمْ بالنَّهارِ ، ويَعلَمُ ما كَسبتُم فيهِ ، حتَّى يَنتهيَ أجَلُ كلٍّ منكُم في الدّنيا بموتِهِ ، ثمَّ يومَ القيامةِ تُرْجَعونَ جميعاً إلى اللهِ تَعالى وحدَهُ ، فيخبِرُكُمْ بأعمالِكُمُ الّتي فَعلتمُوها في الدُّنيا مِنْ خيرٍ أو شرٍّ ويُجازيكُمْ عَليْها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ ـ الحُكْمُ للهِ تَعالى ، وهو خيرُ الحاكِمينَ ، ولا يَعلُم الغيبَ إلاّ هُوَ .

٢ ـ اللهُ تَعالى يَعْلَمُ الجُزْئيّاتِ كما يعلمُ الكُلّياتِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يقصُّ الحقَّ ، خيرُ الفاصِلينَ ، وعندهُ مَفاتِحُ الغيبِ ، لا يَعلمُها إلاّ هُوَ .

٢ ـ هاتِ الدّليلَ منَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أ ـ ليسَ الحُكْمُ إلاّ للهِ تَعالى .

ب ـ الغيبُ للهِ تَعالى .

ج ـ اللهُ تَعالى يعلمُ الجُزئيّاتِ .

د ـ الموتُ غيرُ الوفاةِ .

٣ ـ ذكرَ النَّبيُّ أنَّ مفاتيحَ الغيبِ خمسةٌ ، اذكرْها .

نَشاطٌ :

اكتُبْ في دفترِكَ آيةً تُبيِّنُ المَعْنى الواردَ في الآيةِ (٥٩) .

الدَّرسُ الثَّاني والأربعونَ

سورةُ الأنعامِ ـ القِسمُ الحادي عشَرَ

وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

معاني المفردات :

القاهرُ فوقَ عبادِهِ	: المُسْتَعلي عليهِم بِقَهْرِه وسُلْطانِهِ .
حَفَظَةً	: ملائكةً يَحفظونَكُمْ ويُسَجِّلونَ أعمالَكُمْ .
لا يُفرِّطونَ	: لا يُقَصِّرونَ ولا يَتأَخَّرونَ .
تضرُّعاً	: مُعلِنينَ الضَّراعةَ والتَّذلُّلَ للهِ تَعالى .
خُفيةً	: مُسِرّينَ بالدُّعاءِ .
يَلبِسَكُمْ	: يَخْلِطَكُمْ .
شِيَعاً	: فِرَقاً مُختلِفةً .
بأسَ	: شدَّةَ .
نُصرِّفُ الآياتِ	: نأتي بها على أساليبَ مُتنوِّعةٍ .
بوكيلٍ	: بحفيظٍ ، وُكِّلَ إليهِ أمرُكُم .
لكلِّ نَبأٍ مُستقَرٌّ	: لكلِّ خبرٍ وقتُ حصولٍ لا بُدَّ مِنْهُ .

التفسير :

ما تزالُ الآياتُ الكريمةُ تَتتابعُ في بيانِ قُدرةِ اللهِ تَعالى ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾

وهوَ سُبْحانَهُ الغالبُ بقدرتِه ، المُسْتَعلي بِسُلْطانِهِ على عِبادِه ، وهوَ الّذي يُرْسِلُ عليكُمْ ملائكةً تَحفَظُ أعمالَكُمْ وتُحصيها وتُسَجِّلُ ما تَعْملونَهُ منْ خيرٍ أوْ شرٍّ ، إلى أنْ تجيءَ نهايةُ كلٍّ منكم ، فَتَقْبِضُ روحَهُ مَلائكتُنا الّذينَ نُرْسِلُهُمْ لذلكَ ، وهمْ لا يُقَصِّرونَ فيما يُوكَلُ إليهِم .

﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾

ثمَّ يُبعَثُ هؤلاءِ الأمواتُ يومَ القيامةِ ، ويَقومونَ أمامَ ربِّهِمُ الّذي يَتولّى وحْدَهُ أُمورَهُمْ بحقّ ، وهوَ سُبْحانَهُ الّذي لهُ الفَصْلُ بينَ الخلائقِ وحسابُهُم في ذلكَ اليومِ . وهوَ سُبْحانَهُ أسرعُ مَنْ يتولّى الحسابَ والجزاءَ .

﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

قلُ يا محَّمدُ ﷺ لِهؤلاءِ الغافلينَ : مَنِ الّذي يُنجّيكُمْ مِنْ ظُلماتِ البرِّ والبحرِ عندَما تغشاكُم بأهوالِها المُرعِبَةِ وشَدائِدِها المُدْهِشَةِ ؟ إنَّكم في هذهِ الحالةِ تَلجأونَ إلى اللهِ تَعالى وحدَهُ تدعونَه إعْلاناً وإسْراراً بذلّةٍ وخُضوعٍ وإخْلاصٍ قائلينَ لهُ : لئنْ أنجيْتَنا يا ربّنا منْ هذهِ الشَّدائدِ والدَّواهي المُظْلِمَةِ لَنكونَنَّ لكَ منَ الرّاسِخينَ في الشُّكْرِ المُداوِمينَ عليهِ .

﴿ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾

قلْ لَهُمْ يا مُحَمدُ : اللهُ تَعالى وحدَهُ ينجِّيكُمْ منْ هذهِ المَخاوفِ والشّدائدِ والأهوالِ ومِنْ كُلِّ غمٍّ يأخذُ بِنفوسِكُمْ ثمَّ أَنتمُ بعدَ هذهِ النَّجاةِ تُشركونَ مَعَهُ غَيْرَهُ ، ممّا لا يدفعُ عنكُمْ شرّاً ، ولا يَجْلِبُ لكُمْ خَيْراً ، مُخْلِفينَ بذلكَ وعْدَكُمْ حانثِينَ في أَيْمانِكُمْ .

وهاتانِ الآيتانِ الكريمتانِ تَدلاَّنِ على أنَّ الإنسانَ حينَ يقعُ في الشِّدَّةِ تَظْهَرُ منهُ الأشياءُ التّاليةِ :

أولاً : الدُّعاءُ .

ثانياً : التَّضرُّعُ .

ثالثاً : الإخلاصُ بالقَلْبِ .

رابعاً : التزامُ الاشْتِغالِ بالشُّكرِ .

ولكنَّ الكافرينَ سُرْعانَ ما يَجحَدونَ ، ويُنكِرونَ فَضْلَ اللهِ عليهِم ، ويُشْرِكونَ معهُ غيرَهُ .

ثمَّ بعدَ أن بيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى أنَّه لا يُنجّيهِمْ عندَ الكُروبِ إلاّ اللهُ تَعالى وحدَهُ ، بيّنَ قُدْرَتَهُ على تَعذيبِهِمْ ، تَهديداً لهُم حتَّى يَخشَوْا بأسَه ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ .

قلْ يا مُحَمّدُ ﷺ لِهؤلاءِ الجاحِدينَ : إنَّ اللهَ تَعالى هُوَ القادرُ على أنْ يُرْسِلَ عليكُمْ عَذاباً عظيماً مِنْ فوقِكُمْ ، كما أرسلَ على قومِ لوطٍ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وعلى أصحابِ الفيلِ الحِجارةَ ، أوْ مِنْ تحتِ أرجُلِكُمْ كما حدَثَ لفرعونَ وجُنودِهِ مِنَ الغرقِ ، وكما حصَلَ لقارونَ حيثُ خَسَفَ اللهُ تَعالى بهِ الأرضَ ، أوْ يَخْلِطَكُمْ فِرَقاً مُختلفةَ الأهواءِ ، متباينةَ المشاربِ ، مُضْطَرِبةَ الشّؤونِ ، كُلُّ فِرْقةٍ تَتْبعُ إماماً لها تقاتِلُ معَه غيرَها ، فيزولُ الأمنُ ويعُمُّ الفسادُ ، ويُسلِّطُ بعضَكُمْ على بعضٍ بالعذابِ والقَتْلِ ، لأنَّ مِنْ عواقبِ ذلكَ اللَّبسِ التَّقاتُلَ والتَّصارُعَ . وفي هاتينِ الجُمْلَتيْنِ تصويرٌ مُؤَثِّرٌ للعذابِ الّذي يَذوقُهُ النّاسُ بأيديهِمْ ، إذْ يجعلُهُمُ اللهُ تَعالى أحْزاباً غيرَ منعزلٍ بعضُها عن بعضٍ ، فهيَ أبَداً في حالِ جدالٍ وصراعٍ ، وفي خصومةٍ ونزاعٍ ، وفي بلاءٍ يَصبُّهُ هذا الفريقُ على ذلك ، وذلكَ أشنعُ ما تُصابُ بهِ الجماعةُ فيأكلُ بعضُها بعضاً .

ثمَّ ختمَ اللهُ تَعالى الآيةَ بقولِهِ : ﴿انظُر كَيفَ نُصَرِّفُ الأَيَاتِ لَعَلَّهُم يَفقَهُونَ﴾ .

انظرْ أيُّها الرَّسولُ ﷺ ، أوْ أيُّها العاقِلُ ، وتدبَّرْ كيفَ نُنوِّعُ الآياتِ والعِبرَ والعِظاتِ بالتَّرغيبِ تارةً ، والتَّرهيبِ تارةً أُخرى ، لعلَّهم يَفقَهونَ الحقَّ ، ويُدرِكُونَ حقيقةَ الأمْرِ ، فَيَنْصَرِفوا عنِ الجُحودِ والمُكابرةِ ، ويَكفُّوا عنْ كُفْرِهِمْ وعِنادِهِمْ .

وبعدَ هذا التَّهديدِ الشَّديدِ للمُعانِدينَ ، توجَّه القرآنُ الكريمُ إلى الرَّسولِ ﷺ ، فأمَرَهُ أنْ يُصارحَ قومَهُ بسوءِ مصيرِهِمْ ، إذا ما استمرُّوا في ضَلالِهِم ، فقاَل سُبْحانَهُ :

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ .

وكذَّب قومُك بِهذا العذابِ أوْ بالقرآنِ ، وهوَ الحقُّ الّذي لا مَوْضِعَ فيهِ لتكذيبٍ ، وإذا كانَ الأمرُ كذلكَ فقلْ أيّها النَّبيُّ ﷺ لهؤلاءِ : لسْتُ موكَّلاً بِحِفْظِكُمْ وإحْصاءِ أعمالِكُمْ ، ومُجازاتِكُمْ عليْها ، بلْ أمْرُكُمْ إلى اللهِ تَعالى ، ثُمَّ خَتَمَ اللهُ تَعالى هذا التهديدَ بقولِه سُبْحانَهُ :

﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

لكلِّ خَبَرٍ عظيمٍ وقتُ اسْتِقرارٍ وحُصولٍ لابُدَّ منهُ ، وسوفَ تعلمونَهُ في المُستقبلِ عندَ حلولِهِ بكُمْ متى شاءَ اللهُ تعالى ذلكَ ، قال سُبْحانَهُ : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص : ٨٨] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ بيانُ قُدرةِ اللهِ تَعالى وَقهرِهِ لعبادِهِ .

٢ـ ملائكةُ اللهِ تَعالى أُمناءُ على أداءِ مُهمّاتِهِمْ على خَيْرِ وَجْهٍ .

٣ـ مصيرُ الخَلْقِ لا مَحالةَ إلى اللهِ تَعالى وَحْدَهُ .

٤ـ سُرعانَ ما يعودُ الإنسانُ إلى حالتِهِ الأولى بعدَ أنْ تُزالَ الشدّائدُ عنهُ .

٥ـ أسوأُ العذابِ أنْ يتداخلَ النّاسُ فيما بَيْنَهُمْ ، مُتحزِّبينَ مُختلِفينَ مُتَنازِعينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

القاهرُ فوقَ عبادِهِ ، لا يُفرِّطونَ ، تَضرُّعاً وخُفيةً ، يَلبِسَكُم شِيَعاً ، لكلِّ نَبَأٍ مُسْتَقرٌّ .

٢ـ هاتِ الدّليلَ مِنَ الآياتِ الكريمةِ على ما يلي :

أـ اللهُ عزَّ وجلَّ قاهرٌ عبادَهُ .

ب ـ ملائكةُ اللهِ تَعالى أُمناءُ على عَمَلِهِمْ .

ج ـ المَصيرُ المحتومُ إلى اللهِ تَعالى .

٣ـ ماذا يحصلُ للإنسانِ إذا حصلَ لهُ كَرْبٌ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ حديثاً شريفاً يُبيِّنُ وُقوفَ الإنسانِ بينَ يديْ ربّهِ للحسابِ .

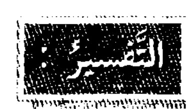
الدرس الثالث والأربعون

سورة الأنعام - القسم الثاني عشر

وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

معاني المفردات :

يَخوضونَ	: يأخُذونَ في الاستِهزاءِ والطَّعنِ .
الذِّكرى	: التَّذكيرِ .
غرَّتْهُمْ	: خدَعَتْهُمْ وأطمَعَتْهُمْ في الباطلِ .
أنْ تُبْسَلَ نفسٌ	: لئلاَ تُحبَسَ في النَّارِ أو تُسْلَمَ للهَلَكةِ .
تعدِلْ كلَّ عدلٍ	: تَفتدي بكلِّ فداءٍ .
أُبسِلوا	: حُبِسوا في النَّارِ أوْ سُلِّموا للهَلَكَةِ .
حَميمٍ	: ماءٍ بالغٍ نهايةَ الحرارةِ .



بعدَ أنْ ساقَتِ الآياتُ الكريمةُ السَّابقةُ ألواناً مِنْ قُدْرةِ اللهِ تَعالى ، وهدَّدتِ المُعانِدينَ في كلِّ

زمانٍ ومكانٍ بسوءِ المَصيرِ ، أمرَ اللهُ تَعالى رسولَهُ ﷺ وأَتباعَهُ بأَنْ يَهْجُروا المَجالسَ الّتي لا تُوقَّرُ فيها آياتُ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

وإذاَ رأيتَ أيُّها النَّبيُّ الكريمُ ﷺ ، أو أيُّها المؤمنُ العاقلُ ، الّذينَ يخوضونَ في آياتِنا بالتَّكذيبِ والطَّعْنِ والاسْتِهزاءِ ، فأعْرِضْ عنهُم وانْصَرِفْ عنْ مجالسِهِمْ ، وأرِهِمْ مِنْ نفسِكَ الاحتقارَ لِتصرُّفاتِهِمْ ، ولا تَعُدْ إلى مَجالسِهِمْ حتّى يخوضوا في حديثٍ غيرِهِ ، لأَنَّ آياتِنا منْ حقِّها أنْ تُعظَّمَ وأنْ تُحترَمَ ، لا أنْ تكونَ مَحلَّ تهكُّمٍ واسْتِهزاءٍ ، وإمّا يُنْسيكَ الشّيطانُ ما أُمِرْتَ بهِ من تَرْكِ مُجالسةِ الخائضينَ ـ على سبيلِ الفَرَضِ والتّقديرِ ـ فَلا تَقْعُدْ بعدَ التذكُّرِ معَ القومِ الظّالمينَ لأنفسِهِمْ بتكذيبِ آياتِ اللهِ تَعالى والاسْتِهزاءِ بها .

ثمَّ بيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّهُ لا تَبِعَةَ على المُؤْمنينَ ما داموا قدْ أعْرَضوا عنْ مجالسِ الخائِضينَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ .

وما على الّذينَ يتَّقونَ اللهَ تَعالى شيءٌ منْ حسابِ الخائِضينَ على ما ارتَكبوا مِنْ جرائمَ وآثامٍ ما داموا قدْ أعْرَضوا عنهُمْ ، ولكنْ عليهِمْ أنْ يُعرِضوا عنهُمْ ويُذَكِّروهُمْ ويَمنعُوهُمْ عمَّا هم فيهِ مِنَ القبائحِ بما أمْكَنَ مِنَ العِظَةِ والتَّذكيرِ ، لعلَّ أُولئكَ الخائِضينَ يَجتنِبونَ ذلكَ ، وَيتقونَ اللهَ تَعالى في أقوالِهِمْ وأفعالِهِمْ .

ثمَّ أمرَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ بأنْ يَنْطَلِقَ في تَبليغِ دعوتِهِ دونَ أنْ يُشْغِلَ نفسَهُ بِسَفاهةِ السُّفهاءِ ، وأنْ يُذَكِّرَ المُعانِدينَ بسوءِ مصيرِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ .

واتْرُكْ يا محمَّدُ ﷺ هؤلاءِ الغافِلينَ الّذينَ اتَّخذوا دينَهُمُ الّذي كُلِّفوهُ ودُعوا إليهِ ، وهو دينُ الإسلامِ لَعِباً ولهواً ، حيثُ سخِروا منْ تعاليمِهِ ، واسْتهزأوا بها ، وغرَّتْهُمُ الحياةُ الدُّنيا ، حيثُ اطْمَأَنّوا إليْها ، واشْتَغلوا بلذّاتِها ، وزَعموا أنَّه لا حياةَ بعدَها .

وذكِّرِ النَّاسَ بالقرآنِ أوْ بهذا الدّينِ مَخافَةَ أنْ تُسْلَمَ نُفوسٌ إلى الهلاكِ ، أو تُحْبَسَ أو تُرْتَهَنَ أو تُفْتَضَحَ ، أو تُحْرَمَ الثَّوابَ ، بِسَببِ كُفْرِها واغْتِرارِها بالحياةِ الدُّنْيا ، واتِّخاذها الدِّينَ لَهْواً ولَعِباً .

ثمَّ بيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى عاقبةَ أُولئكَ الغافِلينَ الّذينَ أسْلَموا أنفُسَهُمْ بسببِ ما اكْتَسَبوا في الدّنيا مِنْ أعمالٍ قبيحةٍ ، حيثُ يُقدَّمُ لهمْ شرابٌ مِن ماءٍ قدْ بلغَ النِّهايَةَ في الحرارةِ ، وَيتجرْجَرُ في بُطونِهِمْ ، وتتقطعُ بهِ أمعاؤُهُمْ ، ولهُم فوقَ ذلكَ عذابٌ مُؤْلِمٌ بنارٍ تَشتعِلُ بأبْدانِهِمْ بسببِ كفرِهِمْ ، وما ظلَمَهُم اللهُ تَعالى ، ولكنْ كانوا أنفُسَهُمْ يَظْلِمونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ وجوبُ الإعراضِ عنْ مُجالسةِ المُسْتَهزِئينَ بآياتِ اللهِ تَعالى أوْ بِرُسلهِ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ .

٢ـ لا بُدَّ مِنَ التَّذكيرِ الدّائمِ باللهِ تَعالى وآياتِهِ ورُسلِهِ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ حتّى يزدادَ الّذينَ آمنوا إيماناً ، ويَرتدِعَ أهلُ الباطلِ عمّا هُمْ فيهِ .

٣ـ سوءُ عاقبةِ المُكذّبينَ والمُسْتَهزِئينَ بآياتِ اللهِ تَعالى وَرُسُلِهِ ـ عَلَيْهِمُ السّلامُ ـ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يَخوضونَ ، الذّكرى ، غرَّتْهُمُ ، أنْ تُبْسَلَ نفسٌ ، تَعْدِلْ كلَّ عدلٍ ، أُبْسِلوا ، حميمٍ .

٢ـ لِماذا أُمِرَ النَّبيُّ والمُؤْمِنونُ بالإعراضِ عنِ الخائِضينَ في آياتِ اللهِ تَعالى ؟

٣ـ بيِّنْ جزاءَ الّذينَ اتّخذوا دينَهُمْ لَعِباً ولَهْواً .

٤ـ ما موقفُ المسلمِ منَ الدَّعوةِ إلى اللهِ تَعالى في ظلِّ وُجودِ المُسْتَهْزِئينَ باللهِ تَعالى ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ في تَغييرِ المُنْكَرِ .

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعونَ

سورةُ الأَنْعامِ - القِسْمُ الثّالث عشَرَ

قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا اللَّهُ كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَـٰطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

استَهوتْهُ الشَّياطينُ : ذهبَتْ بعقلِه وأضَلَّتْهُ .

حيرانَ : تائِهاً ضالاً عنِ الجادَّةِ لا يَدري ما يَصنعُ .

أُمِرْنا لنُسْلِمَ : أُمِرْنا بأنْ نَسْتَسلِمَ للهِ ونُخْلِصَ العبادةَ لهُ .

الصُّورِ : القَرْنِ الّذي يَنْفُخُ فيه إسرافيلُ إيذاناً بقيامِ السَّاعةِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى ضَرورةَ الابْتِعادِ عنْ مجالسِ السُّوءِ ، وحَذّرَ مِنها ومِنْ أهلِها ، جاءَتْ هذهِ الآياتُ تُبيِّنُ صُوَراً مُنفِّرَةً للشركِ والمُشْرِكينَ ، وتَدْعو المُؤْمِنينَ إلى أنْ يَزْدادوا إيماناً على إيمانِهِمْ ، وتَدْعو الكافِرينَ إلى أنْ يَتفكَّروا في الحالِ الّتي هُمْ فيها ، لِيُصحِّحوا مسارَهُمْ في الحياةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

قلْ يا محمَّدُ لأُولئكَ الكُفّارِ الّذينَ يُحاوِلونَ ردَّ المُسْلِمينَ عنْ دينِهمْ تَوْبيخاً لَهمْ وازْدِراءً لشأنِهمْ : هلْ يَصِحُّ أنْ نعبدَ غيرَ اللهِ تَعالى ممّا لايَمْلِكُ جَلْبَ نَفْعٍ ، ولا دَفْعَ ضَرَرٍ ، ونَنتكِسَ في الشِّرْكِ بعدَ أنْ وَفقَّنا اللهُ تعالى إلى الإيمانِ ، ونكونَ كالّذي غَرَّرتْ بهِ الشَّياطينُ ، وأضلَّتْهُ في الأرضِ ، فصارَ في حَيْرةٍ لا يَهتَدي معَها إلى الطَّريقِ المستقيمِ ، ولَهُ رِفْقةٌ مُهْتَدونَ يُحاوِلونَ تَخليصَه مِنَ الضَّلالِ قائلينَ لهُ : ارجعْ إلى طريقِنا السَّويِّ فلا يَستجيبُ لهُم ، قلْ يا أيُّها النَّبيُّ ﷺ : إنّ الإسلامَ هوَ الهُدى والرَّشادُ وما عَداهُ ضَلالٌ ، وقد أَمَرَنا اللهُ تَعالى بالانقيادِ لأمرِهِ ، فهوَ خالقُ العالَمينَ ورازِقُهُمْ ومُدَبِّرُ أُمورِهِمْ . ثمَّ تابعَ النَّبيُّ ﷺ قولَه الّذي ردَّ بهِ على المُشرِكينَ رداً مُفْحِماً ببيانِ أنَّ دينَ الإسلامِ هوَ الهُدى ، فقال ـ عليهِ السَّلامُ ـ مبيِّناً تلكَ التَّتِمَّةَ كمَا قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

بعدَ أنَ أُمِرْنا بالإعْراضِ عنِ المُشرِكينَ ، وأنْ نُسْلِمَ وُجوهَنا للهِ تَعالى مُسْتَمْسكِينَ بدينِ الإسلام ، أُمِرْنا بالانْصِرافِ إلى عبادتِه ، وأداءِ الصّلاةِ على أكملِ وُجوهِها مِنَ الخضوعِ والخُشوعِ ، وأنْ نخافَ اللهَ تَعالى ، ونؤدّيَ أوامرَهُ ، فإنَّه وحدَهُ هوَ الّذي تُجْمَعُ الخلائِقُ إليهِ يَوْمَ القِيامةِ .

ثمَّ بيّنَ في الخِتامِ بعضَ مظاهرِ قُدرةِ اللهِ تَعالى وَعَظَمتِهِ ، وأنَّه سُبْحانَهُ مُتَّصفٌ بأوصافِ الكَمالِ اللّائقةِ بهِ على أكْمَلِ وَجْهٍ ، فقَالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

وهوَ اللهُ تَعالى وَحْدَهُ الّذي خلَقَ السّمواتِ والأرضَ ، وأقامَ خَلْقَهُما على الحقِّ والحِكْمةِ ، وهَو سُبْحانَهُ فِي أيّ وقتٍ تتَّجهُ إرادتُهُ إلى إيجادِ شيءٍ يُوجَدُ فوراً ، فهوَ سُبْحانَهُ يوجدُ الأشياءَ بكلمةِ (كُنْ) . وكلُّ قولٍ لَهُ سُبْحانَهُ هَو الصِّدْقُ والحقُّ ، ولهَ وحدَهُ التَّصرُّفُ المطلَقُ يومَ القيامةِ حينَ يُنْفَخُ في البوقِ إيذاناً بالبعثِ ، وهوَ سُبْحانَهُ الّذي يَستوي في عِلْمِهِ الغائبُ والحاضِرُ ، وهوَ سُبْحانَهُ الّذي يتصرَّفُ بِحِكْمَةٍ في جميعِ أفعالِه ، والّذي يحيطُ عِلْمُهُ ببواطِنِ الأُمورِ وظواهِرِها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اتّخاذُ غيرِ اللهِ تَعالى وليّاً ارتكاسٌ إلى الوراءِ ، لأنَّه لا يَمْلِكُ ضَرّاً ولا نَفْعاً .

٢ـ دينُ الإسلامِ هوَ الدّينُ الصّحيحُ الحقُّ ، لأنَّه دينُ اللهِ تَعالى .

٣ـ ضَرورةُ إقامةِ الصَّلاةِ والوُصولِ إلى تَقوى اللهِ تَعالى بقَدْرِ الطَّاقةِ البَشَريّةِ .

٤ـ إذا أراد اللهُ تَعالى شيئاً يقولَ له : كنْ ، فيكونُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

استهوَتْهُ الشَّياطينُ ، حيرانَ ، أُمِرْنا لنُسْلِمَ ، الصّورِ .

٢ـ بيّنِ الصّورةَ الّتي ذكرَتْها الآياتُ الكريمةُ للمُشرِكينَ .

٣ـ ذكرتِ الآياتُ الكريمةُ ثلاثةَ أُمورٍ أُمِرَ بِها المُسْلِمُ ، اذكُرْها مرتَّبَةً كما جاءَتْ في الآياتِ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ عددَ المرّاتِ الّتي يُنفَخُ فيها في الصُّورِ ، وما يحدُثُ بعدَ كلِّ مَرَّةٍ .

* * *

الدَّرسُ الخامسُ والأربعونَ

سورةُ الأنعامِ - القسمُ الرّابعَ عشرَ

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

معاني المُفْرَداتِ :

آزر : والدِ إبراهيمَ عليْهِ السَّلامُ .

مَلَكوتَ : مُلْكَ ، أوْ آياتٍ ، أو عجائبَ .

جَنَّ عليهِ اللَّيلُ : سَتَرَهُ بِظلامِهِ .

أفلَ : غابَ وغَرُبَ .

بازِغاً : طالِعاً منَ الأُفقِ مُنْتَشِرَ الضَّوْءِ .

فَطَرَ السَّمواتِ والأرضَ : أَوْجدَهُما وأنشأَهُما على غيرِ مثالٍ سابقٍ .

حَنيفاً : مائِلاً عنِ الباطلِ إلى الدّينِ الحقِّ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ القرآنُ الكريمُ ألواناً منَ الأدلَّةِ على وحدانيَّةِ اللهِ تَعالى وَسَعَةِ علمهِ وقُدرتِهِ ، أخذَ في

التَّدليلِ على بُطلانِ الشّرْكِ وإثباتِ التَّوحيدِ عنْ طريقِ القِصّةِ ، فحكى لنا جانباً ممَّا قالَهُ إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ لأبيهِ وقومِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

واذكُرْ وذكِّرْ قومَكَ لِيَعتَبِروا ، ويتَّعِظوا بما قالَه إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ لأبيهِ آزرَ مُنكِراً عليهِ عبادةَ الأصنامِ : أتتّخذُ أصناماً آلِهةً تعبدُها منْ دونِ اللهِ تَعالى وهوَ الّذي خلقَكَ فسوّاكَ فعدَلكَ ؟ إنّي أراكَ وقومَكَ الّذينَ يَتَّبعونَكَ ويُشارِكونَكَ في هذهِ العبادةِ في انحرافٍ وبُعْدٍ ظاهرٍ عنِ الطّريقِ المستقيمِ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ .

وكمَا أَرَيْنا إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ الحقَّ في خلافِ ما عليهِ أَبوهُ وقومُهُ مِنَ الشِّرْكِ ، نُريهِ أيضاً مظاهرَ رُبوبيَّتِنا وقُدْرَتِنا في السّمواتِ والأرضِ ونُطلعُهُ على حقائِقِهما ، ليزدادَ إيماناً على إيمانِه ، وليكونَ مِنَ العالِمينَ عِلْماً كاملاً لا يقبلُ الشّكَ بأنَّهُ على الحقِّ ، ومُخالِفيهِ على الباطِل ، وبهذا يستطيعُ أنْ يُواجهَ قومَه بحُججٍ قويَّةٍ قويمةٍ .

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾

فلمّا سَتَرَ اللّيلُ الكَوْنَ بظلامِهِ رأى كوكباً مُمتازاً عنِ الكواكبِ سَطعَ نُورُه وأفاضَ على العالَمِ ضوؤهُ ، قالَ إبراهيم ـ عليهِ السَّلامُ ـ في مقامِ المُناظرةِ والمُحاجَّةِ : هذا ربِّي ، تَمهيداً لإقامةِ الحُجَّةِ على قومِه ، فلمَّا أفلَ وغابَ وأسدَلَ اللّيلُ عليهِ ستارَهُ ، قالَ إبراهيمُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : ليس هذا إلهاً أبداً ، يَظْهَرُ ثمَّ يختفي ، أنا لا أحبُّ الآفِلينَ ولا أثِقُ بهم ، فَضْلاً عَنْ كَوْني أعتقِدُ فيهِمُ الربوبيَّةَ ، وكيفَ يُفيدُ ما يغيبُ ويَستترُ ؟ ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى حالةً ثانيةً وطريقاً آخرَ مِنَ الحالاتِ والطُّرقِ الّتي سَلَكَها إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ في البَرْهَنةِ على وحْدانيَّةِ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ .

فلمَّا رأى إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ القمرَ بازِغاً قدْ عمَّ ضوؤهُ الكَوْنَ ، وهوَ أقوى منَ الكوكبِ ، قالَ : أَحَقٌّ هذا ربِّي ، وهوَ أحَقُّ مِنَ الكَوْكَبِ السَّابقِ ، فلمَّا أفَلَ القمرُ وغابَ كذلكُ ، قالَ إبراهيمُ : مَا هذا ؟ تاللهِ لئنْ لمْ يَهْدِني ربِّي خالقُ الأكوانِ والكواكبِ لأكونَنَّ منَ القومِ الضَّالينَ .

وفي قولِ إبراهيم ـ عليهِ السَّلامُ ـ هذا القولَ تنبيهٌ لهُم لمعرفةِ الرَّبِ الحقِّ ، وأنَّهُ واحدٌ ، وأنَّ الكوكبَ والقمرَ كُلَّها لا تَسْتَحِقُّ الأُلوهيَّةَ ، وفي هذا تَهيئةٌ لِنُفوسِ قومِهِ لِما عزَمَ عليهِ مِنَ التّصريحِ بأنَّ لهُ ربّاً غيرَ الكواكبِ ، ثمَّ عرّضَ بقومِهِ بأنَّهمْ ضالُّونَ ، لأنَّ قولَهُ لأكونَنَّ من القَوْمِ الضّالينَ يُدخِلُ على نُفوسِهمُ الشَّكَ في مُعتقدِهمْ أنّه لونٌ مِنَ الضّلالِ .

وإنّما استدلَّ إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ على بُطلانِ كونِ القمرِ إلهاً بعدَ أُفولِهِ ، ولمْ يَستدلَّ على بطلانِ ذلكَ بمجردِ ظُهورِهِ معَ أنَّ أُفولَهُ مُحقَّقٌ ، لأنَّه أرادَ أنْ يُقيمَ استدلالَهُ على المُشاهَدَةِ ، لأنَّها أقوى وأقْطَعُ لحُجَّةِ خَصْمِهِ .

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

فلمّا رأى الشّمسَ بازِغةً وهيَ أعظمُ الكواكبِ المرئيَّةِ لنا وأعمُّها نَفْعاً ، إذْ هيَ مصدرُ الحياةِ والدفءِ ومبعثُ النّورِ والحَرَكةِ ، هكذا جعلَها اللهُ تَعالى ، قالَ إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ : هذا ربِّي هذا أكبرُ مِنَ القمرِ والكَوْكَبِ نَفْعاً وضوءاً وجِرْماً ، وفي هذا مُجاراةٌ لقومِه في أفكارِهِمْ ، واستدراجٌ لهُم حتّى يَسْمَعوا حُجَّتَهُ ، فلمَّا أفلَتْ واحْتَجبَتْ ولفَّها اللَّيلُ بأستارِه بعدَ ما أدركَها الاصْفِرارُ والذُّبولُ وجاءَ اللَّيلُ ، قالَ : ما هذا يَا قومِ ؟ إنِّي بريءٌ ممّا تُشرِكونَ باللهِ تَعالى ، فهذا حالُ الشَّمسِ والقمرِ والكوكبِ ، وفيهنَّ شيءٌ مِنَ النَّفعِ ظاهِرٌ .

ثمَّ ختمَ إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ هذا التَّرقّي في الاسْتِدْلالِ على وَحدانيَّةِ اللهِ تَعالى كمَا حكَى القرآنُ الكريمُ عنْهُ في قولِه سُبْحانَهُ :

﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

بعدَ أنْ رأى ضَعْفَ المخلوقاتِ وغيابَها توجَّهَ بالقوْلِ أمامَ مَنْ يُخاصِمُهُ إلى خالقِ الكواكبِ ، فقالَ : إنِّي وجَّهْتُ قَصْدِي إلى عبادةِ اللهِ تَعالى وحدَهُ الّذي خَلَقَ السّمواتِ والأرضَ ، مُجافِياً كلَّ سبيلٍ غيرَ سبيلِه ، ومَا أنا بعدَ الّذي رأيتُ مِنَ المُشْرِكينَ مثلَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ مُحاورةُ الخُصومِ تَقتضي أنْ يكونَ المُحاوِرُ عالِماً حَكيماً لَطيفاً .

٢ـ استخدامُ الأشياءِ المحسوسةِ المَرئيَّةِ في المُناظَرةِ أقوى في قَهْرِ حُجَجِ الخُصومِ .

٣ـ رابطةُ العقيدةِ فوقَ رابطةِ الأُبوَّةِ والبنوَّةِ والقَوميّةِ وسائرِ الرَّوابطِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

مَلكوتَ ، جَنَّ عليهِ اللّيلُ ، أفلَ ، بازِغاً ، حَنيفاً .

٢ـ بيّنْ طُرقَ الاسْتِدلالِ الّتي سَلَكَها إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ في مُحاورةِ قومِهِ .

٣ـ ما أثرُ الاسْتِدلالِ المَحسوسِ على وُضوحِ الأدلَّةِ ومُعالجةِ حُججِ الخَصْمِ ؟

٤ـ ماذا تفهمُ مِنْ قولِ إبراهيم ـ عليهِ السَّلامُ ـ : (وجّهتُ وجْهِي . . . . . الآية) ؟

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ الحِكْمةَ مِنَ افْتِتاحِ الصَّلاةِ بالآيةِ (٧٩) .

* * *

الدرسُ السادسُ والأربعونَ

سورةُ الأنعامِ ـ القِسْمُ الخامِسَ عشَرَ

وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

حاجَّهُ قومُهُ	: خاصَموهُ وجادَلوهُ .
سُلطاناً	: حُجَّةً وبُرْهاناً .
لم يَلبِسوا	: لمْ يَخْلِطوا .
بظُلمٍ	: بِشِرْكٍ وكُفْرٍ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ وَضّحَ إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ لقومِه أنَّ الكَواكِبَ النّافِعَةَ لا تَصْلُحُ أنْ تَكونَ آلِهةً ، وجاءَ على ذلكَ بالحُجَجِ الدّامغةِ ، إلاّ أنّ قومَهُ حاجُّوهُ وخاصَموهُ ، ولمْ يلتفِتوا إلى تلكَ البراهينِ السّاطعةِ ، بل غشيَتْهُمْ ظُلُماتُ الكُفْرِ والفَسادِ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

ومعَ ذلكَ جادلَهُ قومُهُ في توحيدِ اللهِ تَعالى ، وخوّفوهُ غَضَبَ آلهتِهِم ، فقالَ لهمُ : ما كانَ لكُم أنْ تُجادِلوني في تَوْحيدِ اللهِ تَعالى ، وقدْ هداني سُبْحانَهُ إلى الحقِّ ، ولا أخافُ غضَبَ آلهتِكُم الّتي تُشركونَها معَ اللهِ تَعالى ، لكنْ إذا شاءَ ربِّي شيئاً مِنَ الضُرِّ وقعَ ذلكَ ، لأنَّه وحدَه القادِرُ ، وقدْ أحاطَ عِلْمُ ربِّي بالأشياءِ كلِّها ، ولا عِلْمَ لآلهتِكُمْ بشيءٍ منها ، أتغفلونَ عنْ ذلكَ ، فلا تدرِكونَ أنَّ العاجزَ الجاهلَ لا يستحقُّ أنْ يُعْبَدَ ؟

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

كيفَ ساغَ لكُم أنْ تظنُّوا أنِّي أخافُ معبوداتِكُمُ الباطِلَةَ ، وهيَ مَأمونةُ الخَوْفِ ، لأنَّها لا تضرُّ ولا تَنْفَعُ ، وأنتمُ لا تَخافونَ إشراكَكُم باللهِ تَعالى خالِقكُمْ دونَ أنْ يكونَ معكُمْ على هذا الإشراكِ حُجَّةٌ أو بُرهانٌ مِنَ العقلِ أوِ النَّقلِ ، فأيُّ الفريقينِ ، فريقُ المُوحِّدينَ ، أم فريقُ المشركينَ أحقُّ وأوْلَى بالأَمْنِ منْ لَحاقِ الضّررِ بهِ إنْ كانَ لَديْكُم عِلْمٌ بذلِكَ ؟

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

الّذينَ آمنوا ولمْ يخلِطوا إيمانَهُمْ بأيِّ لونٍ منْ ألوانِ الشِّركِ كما يفعلُهُ فريق مِنَ المشرِكينَ ، حيثُ إنَّهم ما عبدُوها إلاّ ليتقرَّبوا بها إلى اللهِ تَعالى زُلفَى ، أولئكَ المؤمنونَ الصَّادقونَ ، لهُم الأمنُ دونَ غيرِهم ، لأنَّهمُ مُهتدونَ إلى الحقِّ ، وغيرُهم في ضلالٍ مبينٍ .

جاءَ عنْ ابن مسعودٍ ـ رضِيَ اللهُ عنهُ ـ أنهُ قالَ : لمّا نزلتْ هذهِ الآيةُ : ﴿الَّذينَ أَمَنُوا وَلَم يَلبسُوا إيمَانَهُم بِظُلمٍ﴾ شقَّ ذلكَ على المسلمينَ ، فقالوا : يا رسولَ اللهِ ﷺ ، أيُّنا لا يَظْلِمُ نفسَه ؟ قالَ : ليسَ ذلكَ ، إنّما هَو الشِّركُ ، ألْم تَسْمَعوا ما قالَ لقمانُ لابنهِ وهُوَ يَعِظُهُ : يا بُنيَّ لا تُشْرِكْ باللهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ[١] .

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

وتلكَ الحُجَّةُ العظيمةُ على أُلوهيَّتِنا وَوَحْدانيّتِنا أَعْطيناها إبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ لِيُقيمَها على قومِه ، فارتفعَ بها عليهِمْ ، وسُنّتُنا في عبادِنا أنْ نَرْفَعَ بالعِلْمِ والحِكْمةِ مَنْ نُريدُ منهُم دَرجاتٍ .

---

(١) رواه البخاري ٣/ ١٢٦٢ حديث رقم (٣٢٥٦) ، ورواه مسلم ١/ ٤ حديث رقم (١٢٤) .

إنَّ ربَّكَ ـ سُبْحانَهُ وتَعالى ـ أيُّها النَّبيُّ ﷺ حكيمٌ أتقنَ كُلَّ شيءٍ صَنَعهُ ، عليمٌ بمَنْ يَستحقُّ الرِّفْعةَ ومَنْ لا يَسْتَحِقُّ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ على المُسلِمِ أنْ يُعلِنَ دينَهُ ودَعْوَتَهُ بِصراحةٍ ووُضوحٍ ، وأنْ يُدافِعَ عنْ عقيدتِهِ بقوَّةٍ وعِلْمٍ .

٢ـ الأمنُ عندَ اللهِ تَعالى إنَّما ينالُهُ المُؤْمِنونَ الصّادِقونَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

حاجَّهُ قومُه ، سُلطاناً ، لم يَلبِسوا ، بِظُلْمٍ .

٢ـ بيِّنْ موقفَ الدّاعي منْ إعلانِ دعوتِهِ .

٣ـ ما موقفُ الدّاعي مِنَ الخُصومِ ؟

٤ـ مَنْ أهلُ الأمنِ عندَ اللهِ تَعالى ؟ وما دليلُ ذلكَ ؟

٥ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ فضلَ إبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وضِّحْ ذلكَ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ لُقمانَ الّتي تُبَيِّنُ المَعنى الواردَ في الآيةِ (٨٢) .

* * *



الدرس السابع والأربعون

سورة الأنعام ـ القسم السادس عشر

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

معاني المفردات :

اجْتَبيناهُمْ : اخْتَرْناهُمْ واصْطَفيناهُمْ .

حبِطَ : بَطَلَ وسَقَط .

الحُكْمَ : الفَصْلَ بينَ النَّاسِ بالحقِّ .

اقْتَدِهْ : اقتدِ واتَّبِعْ .

التّفسيرُ :

بعدَ أنْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى تمامَ نِعْمَتِهِ على نَبيِّهِ إبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، أتبعَهُ بِذِكْرِ بعضِ الأنبياءِ مِنْ ذُرِّيَةِ إبراهيمَ ومِنْ غيرِهِمْ ، الّذينَ اصْطفاهُمُ اللهُ تَعالى واختارَهُمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وَوَهبْنا لإبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ فَضْلاً منّا وكَرَماً وعِوَضاً عنْ قومِه لمّا اعتزَلَهُمْ ، إسحقَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ ولدُهُ منْ زوجه سارةَ ، ويعقوبَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، لتقرَّ عينُه ـ عليهِ السَّلامُ ـ ببقاءِ عَقبهِ ؛ إذْ في رؤيةِ أبناءِ الأبناءِ سُرورُ النُّفسِ وراحةُ الفُؤادِ .

ثمَّ أخبرَ اللهُ تَعالى أنّ نوحاً ـ عليهِ السَّلامُ ـ مِنْ قَبْلِ إبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ هُدِيَ إلى ما هُدِيَ بهِ إبراهيمُ هوُ وذريّتُهُ مِنَ النُّبوَّةِ والحِكْمَةِ .

وهذا لونٌ آخَرُ منَ التَّكريمِ والتَّشريفِ لإبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ حيث إنَّهُ مِنْ نَسْلِ نوحٍ ـ عليهِ السَّلامُ ـ الّذي وصَفهُ اللهُ تَعالى بالهِدايةِ ، ولا شكَّ في أنَّ شرفَ الآباءِ يَسْري على الأبناءِ ، وكلٌّ منهُما لهُ خصوصيَّةٌ عظيمةٌ ، أمَّا نوحٌ ـ عليهِ السَّلامُ ـ فإنّ اللهَ تَعالى لمّا أغرقَ النَّاسَ في زمانِه إلاّ مَنْ آمنَ به ، وهُمُ الّذينَ صَحِبوهُ في السَّفينةِ ، جعلَ اللهُ تَعالى ذُرِّيَتَهُ همُ الباقينَ ، فالنّاسُ كلُّهُمْ منْ ذرِّيتِه ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وأمّا الخليلُ إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ فلَمْ يَبعثِ اللهُ تَعالى بعدَهُ نَبيّاً إلاّ منْ ذرِّيتِهِ .

ثمَّ ذَكرَ اللهُ تَعالى في هذهِ الآيةِ ثُلَّةً مِنْ هذا النَّسلِ الطَّيِّبِ ، وهُم : داودُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وكانَ نبيّاً في بني إسرائيلَ ، وسليمانُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ ابنُ داودَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وقدْ كانَ نبيّاً أيضاً في بني إسرائيلَ ، وأيوبُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ منْ نسلِ إسحقَ بنِ إبراهيمَ ـ عليهما السَّلامُ ـ ، ويوسفُ وهو ابنُ يعقوبَ بنِ إسحقَ بنِ إبراهيمَ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ وكانَ نبيّاً في مصرَ ، وموسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ ابنُ عمرانَ منْ نسلِ يعقوبَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وكانَ نبيّاً في بني إسرائيل ، وهارونُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وهوَ أخو موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ منْ أنبياءِ بني إسرائيلَ ، ووصفَ اللهُ تَعالى هذهِ الكوْكَبةَ المُباركةَ بأنَّهم منَ المُحْسِنينَ ، ونِعْمَ ما كانوا عليهِ منَ الفَضْلِ .

ثمّ ذَكرَ اللهُ ـ تَعالى ـ آخَرينَ منْ أهلِ النُّبوَّةِ ، فقال سُبْحانَهُ :

﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ .

وهَديْنا زكريّا ـ عليهِ السَّلامُ ـ ويتّصل نَسبُهُ بسليمانَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وكانَ قريبَ العَهْدِ منْ زمانِ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ حيث تولّى كَفالةَ مريمَ ابنةِ عِمْرانَ والدةِ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وكانَ زكريّا ـ عليهِ السَّلامُ ـ نبيّاً في بَني إسْرائيلَ ، ويَحيى ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهو ابنُ زكَريا ـ عليهِ السَّلامُ ـ وكان نبيّاً في بَني إسْرائيلَ ، وعيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ أحدُ أنبياءِ بني إسرائيلَ ، وإلياسَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ يتّصلُ نَسَبُهُ بهارونَ أخي موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهو منْ أنبياءِ بَني إسْرائيلَ ، المَعروفُ في كُتُبِهم باسمِ (إيليّا) .

وأخبرَ اللهُ تَعالى عنْ هذهِ الكَوْكَبةِ الشَّريفةِ بأنَّهم منْ عبادِهِ الصّالحينَ ، ونِعْمَ الصّلاحُ الّذي كانوا فيهِ ، فهُمْ أنبياءُ اللهِ ، وَصَفْوَتُه مِنْ خَلْقِه . ثمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعالى آخَرينَ منْ أهلِ النُّبوَّةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

وهَدَيْنا إسْماعيلَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ ابنُ إبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ الأكبرُ ، واليسعَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ مِنَ الأنبياءِ الّذينَ لمْ يَبْقَ لهمُ أَتْباعٌ ولا شَريعةٌ ، ويونسَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وكذلكَ لمْ يَبْقَ لَهُ أتْباعٌ ولا شريعةٌ ، وهوَ رسولُ اللهِ ـ عليهِ السَّلامُ ـ إلى أهلِ نَيْنَوى في العراقِ ، ولوطاً ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهو ابنُ أخي إبراهيم ـ عليهِ السَّلامُ ـ وكانتْ رسالَتُهُ إلى أهلِ سَدومَ بالقُرْبِ منْ مِنْطقةِ البحرِ الميّتِ جنوباً ، وهوَ أيضاً منْ الأنبياءِ الّذينَ لم يبقَ لهُم أتباعٌ ولا شريعةٌ .

ثم أخبرَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ وتَعالى ـ عنْ هَؤلاءِ بأنَّهُ قدْ فَضّلَ كُلَّ واحدٍ منهُمْ على عالَمِ زَمانِه بالهِدايةِ والنُّبوَّةِ ، ونِعْمَ هؤلاءِ الصّالحونَ المُصْلِحونَ .

﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

ومِنْ آباء هؤلاءِ الأنبياءِ وذُرِّياتِهِمْ وإخوانِهِمْ مَنْ هَديناهُ إلى الطّريقِ الواضِحِ المسْتَقيمِ الّذي لا اعْوِجاجَ فيهِ .

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

ذلك التَّوفيقُ العظيمُ الّذي نالَهُ هؤلاءِ ، هوَ توفيقٌ مِنَ اللهِ تَعالى ، يُوفِّقُ إليهِ مَنْ شاءَ منْ عبادِهِ ، ولَو فَرَضَ أَنَّهُ أشْرَكَ باللهِ تَعالى أولئكَ المَهديُّونَ المُختارونَ لَبَطَلَ وسقطَ عنهُمْ ثوابُ ما كانوا يَعْمَلونَهُ مِنْ أعمالٍ صالِحةٍ ، فكيفَ بِغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لمْ يَنَلِ الْفَضْلَ مِنَ اللهِ تَعالى ؟

ثمَّ عقَّبَ اللهُ تَعالى على ذِكْرِ هؤلاءِ الأنبياءِ تَعقيباً عامّاً ، حذَّرَ فيهِ المُشْرِكينَ مِنَ الاسْتِمرارِ فيما هُم فيهِ منَ الكُفْرِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

أولئكَ المُصْطَفَوْنَ الأخيارُ الّذينَ آتيناهُمْ الكُتبَ المُنزَّلَةَ والعِلْمَ النّافعَ وشَرَفَ النُّبوَّةِ ، فإنْ يَكْفُرْ بهذهِ الثّلاثةِ الّتي اجتمعَتْ فيكَ يا محمّدُ ﷺ هؤلاءِ المشركونَ فلنْ يَضُرَّكَ كُفْرُهُمْ ، لأنّا قدْ وَفَّقْنا للإيمانِ بها قَوْماً كِراماً ليسوا بِها كافرينَ في وَقْتٍ مِنَ الأوقاتِ ، وإنَّما هُم مُسْتَمِرُّونَ على الإيمانِ بكَ والتّصديقِ بِرِسالَتكَ . وفي هذا ما فيهِ مِنَ التَّسليةِ لرسولِ اللهِ ﷺ عنْ إعْراضِ بعضِ قومِه عنْ دعوتِهِ .

ثمَّ ختمَ اللهُ تَعالى هذهِ الآياتِ بِدَعْوَةِ نبيِّهِ ﷺ بالتزامِ الاقْتِداءِ بهؤلاءِ المُصْطَفَيْنِ الأخيارِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

أُولئكَ الّذينَ وفّقهُم اللهُ تَعالى إلى طريقِ الخيرِ والحقِّ ، فاتَّبِعْهُمْ فيما اجْتَمَعوا عليهِ منْ أُصولِ الدّينِ وأمَّهاتِ الفَضائلِ ، ولا تَسْلُكْ غيرَ سبيلِهِمْ ، وقلْ يا أيّها النَّبيُّ ﷺ لقومِكَ كما قالَ هؤلاءِ لأقوامِهِمْ : لا أَطْلُبُ منكُمْ على تَبليغِ كلامِ اللهِ تَعالى أجْراً ، فما هذا القرآنُ إلاّ تذكيرٌ لِلْعالَمينَ ، ولا غايةَ فيهِ إلاّ أنْ تَنْتَفِعوا بهِ ، فَتتذكَّروا وتَدبَّروا .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ بيانُ نِعْمَةِ اللهِ تَعالى على نَبيّه نوحٍ ـ عليهِ السَّلامُ ـ والأنبياءِ منْ ذُرِّيَّتِهِما .

٢ـ كلُّ الأنبياءِ على طريقٍ واضحٍ مُسْتَقيمٍ .

٣ـ كلُّ الأنبياءِ مواضعُ قُدوةٍ لأقوامِهِمْ ، وكذلكَ النَّبيُّ ﷺ ، لأَنَّهُمْ على طريقٍ مُستقيمٍ .

٤ـ التَّحذيرُ مِنَ الزَّيْغِ عنْ طريقِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

اجتبيْناهُمْ ، حَبِطَ ، الحُكْمُ ، اقْتَدِهْ .

٢ـ عرِّف تعريفاً موجَزاً بالأنْبياءِ التّاليةِ أسْماؤُهُمْ :

يعقوبُ ، سليمانُ ، اليسعُ ، لوطٌ ، عليْهِمُ السَّلامُ .

٣ـ ذكرَ اللهُ تَعالى بعضَ نِعَمِهِ على إبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ بيّنْ ذلكَ .

٤ـ ما وَجْهُ التَّكريمِ الّذي نالَهُ إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ؟

١ـ اكتُبِ الآيَةَ منْ سورةِ مريمَ الّتي تُبيّنُ فَضْلَ المُرْسَلينَ مِنْ ذرِّيَّة إبراهيمَ ونوحٍ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ .

٢ـ ذَكَرَ اللهُ تَعالى في هذهِ الآياتِ ثمانيةَ عَشَرَ نبيّاً ، وذكرَ في آياتٍ أُخرى غيرَهُمْ حتى بلغوا خمسةً وعشرينَ نبيّاً ، ارجعْ إلى كُتبِ التّفسيرِ ، واذكُرْ بقيةَ الأنبياءِ الّذينَ وردَتْ أسماؤُهم ، واكتبهُم في دفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّامِنُ والأَرْبَعونَ

سورةُ الأنْعامِ ـ القِسْمُ السّابِعَ عَشَرَ

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

مَعاني المُفرَداتِ :

وما قَدَروا اللهَ	ما عَظَّموا اللهَ تَعالى .
قَراطيسَ	أوراقاً مَكتوبةً مُفرَّقةً .
مُبارَكٌ	كثيرُ المنافعِ والفوائدِ .
أُمَّ القرى	مَكّةَ المُكرَّمةَ .
مَنْ حولَها	مَنْ بِجوارِها .
غَمراتِ الموتِ	شدائدِهِ وأهوالِه وسَكَراتِه عندَما يكونُ الإنسانُ في حالةِ النَّزْعِ .
خوَّلناكُمْ	أعطيناكُمْ مِنْ متاعِ الحياةِ الدُّنيا .
تَقَطَّعَ بينَكُمْ	تفرَّقتُمْ وانقطعَ الاتِّصالُ بينَكُمْ .

بعدَ أنْ بيّنَ سُبْحانَهُ ما دارَ بينَ إبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وقومِهِ مِنْ مُجادلاتٍ وأنَّ الهُدَى هُدى اللهِ ، وأنّ مُهِمّةَ الرُّسُلِ التَّبليغُ ، أخَذَ القرآنُ الكريمُ في الرَّدِّ على مُنكري نُزولِ الكُتبِ السَّماويةِ وبيانِ عاقبتِهِمُ الوَخيمةِ ، بسببِ هذا الجُحودِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

مَا عَظَّمَ هؤلاءِ الكفَّارُ اللهَ تَعالى حقَّ تعظيمِهِ وما عَرَفوهُ حقَّ مَعرفتِهِ في شِدَّةِ عقابِه ، ولُطْفِه بعبادِهِ والرَّحْمةِ بِهِمْ ، بلْ أخلُّوا بحقُوقِهِ إخْلالاً عَظيماً ، وضلّوا ضَلالاً كبيراً ؛ إذْ أنْكَروا بِعْثَةَ الرُّسُلِ وإنزالَ الكُتبِ ، وقالوا تلكَ المَقالةَ الشَّنيعةَ ، مَا أنزلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شيءٍ مِنَ الأشياءِ قاصِدينَ بذلكَ الطَّعْنَ في نُبُوَّةِ النَّبيِّ ﷺ ، وفي كَوْنِ القرآنِ الكريمِ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى ، قلْ يا أيُّها النَّبيُّ ﷺ للمُشركينَ ومَنْ يُشايعُهُمْ على ذلكَ مِنَ اليهودِ : مَنْ أنزلَ الكتابَ الّذي جاءَ بِهِ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ وهوَ التَّوراةُ نوراً يُضيءُ ، وهُدىً يُرشِدُ ؟ إنّكمْ أيّها اليهودُ تجعلونَ كتابَتَهُ في أَجزاءٍ مُتفرِّقةٍ تُظهِرونَ منها ما يتَّفقُ وأَهْواءَكُمْ .

وتخافونَ كثيراً ممّا يُلجِئكُمْ إلى الإيمانِ والتّصديقِ بالقرآنِ الكريمِ ، وعَلِمْتُم منهُ ما لمْ تَكونوا تَعْلَمونَهُ أنتُمْ وآباؤُكُم ، وَتَولَّ أنتَ أيُّها النَّبيُّ ﷺ الجوابَ وقلْ لهُم : اللهُ تَعالى وحدَهُ هوَ الّذي أنزلَ التوارةَ ، ثمَّ اتْرُكْهُمْ يَمضونَ في الضَّلالِ عابثينَ كالصِّبيانِ .

وبعدَ أنْ أبطلَ اللهُ تَعالى بالدّليلِ قولةَ منْ قالَ : (ما أنزلَ اللهُ مِنْ شيءٍ) أتبعَهُ ببيانِ أنَّ هذا القُرْآنَ الكريمَ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى ، وأنّه مُصدِّقٌ لِلْكُتُبِ السَّماويةِ السَّابقةِ وَمُهَيْمِنٌ عليها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

وهذا القرآنُ الكريمُ كتابٌ أَنْزَلْناهُ ـ كمَا أَنْزَلْنا التَّوراةَ ـ ، كثيرُ الخَيْرِ لاشْتِمالِهِ على منافِعِ الدُّنْيا والدّينِ ، باقٍ إلى يومِ القيامةِ ، مُصَدِّقٌ لِما تَقَدَّمَهُ مِنَ الكُتبِ المُنزَّلةِ مُخْبِرٌ عنْ نُزولِها ، لِتُبَشِّرَ بهِ المُؤْمنينَ ، وتُخوِّفَ بهِ الكافرينَ مِنْ أهلِ مَكّةَ ومَنْ حولَها مِنْ أنحاءِ الأرضِ مِنْ غَضَبِ اللهِ تَعالى ، وذلكَ لعدمِ تَصْديقِهم ببعثتِهِ ﷺ ، والّذينَ يُصَدِّقونَ بيومِ الجزاءِ يَحملُهُمْ رجاءَ الثَّوابِ والخوفِ مِنَ

العقابَ على الإيمانِ بهذا القرآنِ العظيمِ ، وهمْ لذلكَ يُحافِظونَ على أداءِ صَلاتِهِمْ كامِلةً مُسْتَوْفاةً ، يُقيمونَ أركانَها ، ويُؤدُّونَها في خُشوعٍ واطْمِئنانٍ .

وبعدَ أنْ بيَّنَ ـ سُبْحانَهُ وتَعالى ـ مَزايا هذا القُرآنِ ، أتْبعَ ذلكَ ببيانِ عاقبةِ الّذينَ يفترونَ الكَذِبَ على اللهِ تَعالى ، وصَوَّرَ أحوالَهُمْ في النَّزْعِ الأخيرِ ، وعندَما يَقفونَ أمامَ ربِّهِمْ للحسابِ بِصورةٍ تَرْتَجِفُ لها الأفئدةُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

لمْ يَكْذِبِ النَّبيُّ ﷺ حينَ أعلنَ أنَّ القرآنَ الكريمَ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى ، وليسَ أحدٌ أكثرَ ظُلْماً مِمَّنِ اخْتَلقَ الكَذِبَ على اللهِ تَعالى ، أوْ قالَ تَلقَّيْتُ وَحْياً منَ اللهِ تَعالى دونَ أنْ يكونَ قدْ تلقَّى شيئاً مِنَ الوحي ، وليسَ أحدٌ كذلكَ أشدَّ ظُلْماً مِمَّن قالَ : سآتي بكلامٍ مِثْلَ ما أنْزَلَ اللهُ تَعالى ، ولوْ تَعْلَمُ حالَ الظَّالمينَ وهُمْ في شَدائدِ المَوْتِ ، والمَلائكةُ يَنْزِعونَ أرواحَهُمْ مِنْ أجسادِهِمْ في قَسْوةٍ وعُنْفٍ ، قائلينَ لهُم على سبيلِ التَّوْبيخِ والزَّجْرِ : خلِّصوا أنفسَكُمْ مِنَ العذابِ ، فاليومَ تبدأُ مُجازاتُكُمْ بالعَذابِ المُذِلِّ المُهينِ جزاءَ ما كنتُم تقولونَ على اللهِ تَعالى غيرَ الحقِّ ، وجَزاءَ اسْتِكبارِكُمْ عنِ النَّظرِ والتَّدبُّرِ في آياتِ اللهِ الكونيَّةِ والقرآنيَّةِ .

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

ويقولُ اللهُ تَعالى لهمُ يومَ القيامةِ ، لقدْ تأكَّدْتُمُ الآنَ بأنفسِكُمْ أنَّكُم بُعِثْتُمْ أحياءً مِنْ قبورِكُمْ كما خَلقَناكُمْ أوَّلَ مرَّةٍ ، وجِئتُمْ إلَيْنا مُنفَرِدينَ عنِ المالِ والجاهِ والوَلَدِ والأصْحابِ ، وتركتُمْ وراءَكُمْ في الدُّنيا كلَّ ما أعطيناكُمْ إيّاهُ مِمّا كُنْتُمْ تغترُّونَ بهِ ، ولا نرى معكُمُ اليومَ الشُّفعاءَ الّذينَ زَعَمْتُمْ أنَّهمْ يَنْصرونَكُمْ عندَ اللهِ تَعالى ، وأنّهمْ شُركاءُ اللهِ تَعالى في العبادةِ ، لقدْ تقطَّعتْ بينكمْ وبينَهمْ كُلُّ الرُّوابطِ ، وغابَ عنكُمْ ما كنتُم تَزْعُمونَ أنَّهمْ ينفعُونَكُمْ .

وهكذا يسوقُ القرآنُ الكريمُ مَشهدَ هؤلاءِ الظّالمينَ بتلكَ الصّورةِ الّتي تهزُّ النُّفوسَ ، وتَحْمِلُ العُقَلاءَ على الإيمانِ ، والعَمَلِ الصّالحِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ مِنْ أخلاقِ اليهودِ إخفاءُ كثيرٍ مِنَ الحقائقِ الدينيّةِ الّتي لا تَتلاءمُ معَ أهوائِهِمْ .

٢ـ القرآنُ الكريمُ كثيرُ المنافعِ وبِسَببه تَحصُلُ السَّعادةُ في الدّاريْنِ .

٣ـ أصْلُ الدّياناتِ واحدٌ ، والقرآنُ الكريمُ يُصَدِّقُ ذلكَ .

٤ـ الصِّلَةُ باللهِ أشْرفُ الطّاعاتِ وهيَ عُنوانُ العبادةِ للهِ تَعالى .

٥ـ الجزاءُ يومَ القيامةِ على العملِ ، واللهُ تَعالى ليسَ بظلاّمٍ للعبيدِ .

٦ـ يومَ القيامةِ تتقطَّعُ بالنّاسِ كلُّ الحبالِ إلاّ حبلُ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

ومَا قَدَروا اللهَ ، قراطيسَ ، مُباركٌ ، غَمَراتِ المَوْتِ ، ما خوَّلناكُمْ ، تقطَّعَ بينَكُمْ .

٢ـ هاتِ الدّليلَ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ على ما يلي :

أـ عُمومُ رسالةِ النَبيِّ ﷺ .

ب ـ الاستكبارُ مِنْ أكبرِ أسبابِ الفسادِ .

ج ـ يومَ القيامةِ لا يبقى مَوْصولاً إلاّ حبلُ اللهِ تَعالى .

٣ـ بيّنَت الآياتُ الكريمةُ منزلةَ القرآنِ الكريمِ بينَ الكُتبِ السَّماويَّةِ ، وضّحْ ذلكَ .

٤ـ بيّنْ مَقْصِدَ الكفَّارِ مِنْ قولِهم : ما أنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شيءٍ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ الآياتِ الّتي تُبيّنُ أنَّ اللهَ ـ تَعالى ـ قادِرٌ على إهْلاكِ الرّسولِ ، إذا تَقَوَّلَ عليهِ غيرَ ما أمَرهُ بهِ .

الدَّرسُ التَّاسِعُ والأَربَعونَ

سورَةُ الأَنْعامِ - القِسْمُ الثَّامِنَ عَشَرَ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

مَعاني المُفرداتِ :

فالِقُ الحَبِّ : الّذي يشقُّ الحَبَّ لِيَكونَ مِنْها النَّباتُ .

النَّوى : جمعُ نواةٍ ، وهيَ ما يكونُ بداخلِ الثّمرةِ .

تُؤفكونَ : تُصرَفونَ .

فالِقُ الإصباحِ : الّذي يَشقُّ الضِّياءَ عنِ الظَّلامِ فيظهرُ نورُ النَّهارِ عندَ الصُّبحِ .

سَكَناً : مَا يُسْكَنُ فيه ، ويُسْتَقَرُّ .

حُسباناً : حساباً مُقدَّراً نيطَتْ بهِ مصالحُ الخَلْقِ .

مُستَقرٌّ : مكانُ اسْتِقرارٍ على الأرضِ أيامَ الحياةِ .

مُستودَعٌ . : مكانُ اسْتيداعٍ في باطنِ الأرضِ بعدَ الموتِ .

خَضِراً : شيئاً أخضرَ طرِيّاً .

حَبّاً مُتراكِباً : بَعضَهُ فوقَ بعضٍ كالسَّنابلِ .

طَلْعِها : أوّلِ مَا يَخْرُجُ مِنْ ثمرِ النَّخْلةِ في الكُوزِ .

قِنوانٌ : قُطوفُ التَّمْرِ .

دانيةٌ : مُتَدلِيَةٌ وقَريبةٌ .

يَنْعِهِ : نُضْجِهِ واكتمالِهِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ ساقَ اللهُ سُبْحانَهُ ألواناً مِنَ الدَّلائلِ على وَحْدانيَّتِهِ ، وعلى صِدْقِ نبيِّهِ ﷺ فيما يُبلِّغُهُ عنْ ربِّهِ ، شَرَعَ سُبْحانَهُ في بيانِ مَظاهِرِ قُدرتِه وكَمالِ عِلْمِهِ وحِكْمتِه ، عنْ طريقِ التأمُّلِ في هذا الكَوْنِ العَجيبِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

إنَّ دلائلَ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى على البَعْثِ واسْتِحقاقِه وَحْدَهُ للعبادةِ ، مُتوافرةٌ ومُتنوِّعةٌ ، فهوَ الّذي يَشُقُّ الحَبَّ ويُخرِجُ منهُ النَّباتَ ، ويَشقُّ النَّواةَ الصُّلبةَ ويُخْرِجُ منها الشَّجَرةَ ، ويُخرِجُ الحيَّ مِنَ الميّتِ كالإنسانِ مِنَ التّرابِ ، ويُخرِجُ الميّتَ مِنَ الحيّ كاللّبنِ منَ الحيوانِ ، ذلكَ القادِرُ العظيمُ هوَ الإلهُ الحقُّ ، فليسَ هناكَ صارفٌ يَصْرِفُكُمْ عنْ عِبادتِه إلى عبادةِ غيرِهِ ، ولا ما يَدْعوكُمْ إلى أنْ تُشركوا مَعهُ ما لا يَملِكُ لكُم ضَرّاً ولاَ نَفْعاً .

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

هذا الّذي يَشُقُّ الحَبَّ والنَّوى هو الّذي يَشُقُّ غَبَشَ الصُّبْحِ وظلامَ اللّيلِ بِضوءِ النّهارِ ، لِيَسْعى الأَحْياءُ إلى تَحصيلِ أسْبابِ حَياتِهِمْ ، وهُوَ الّذي جَعَلَ اللّيلَ سَكَناً للجِسْمِ والنَّفْسِ ، وجَعَلَ سَيْرَ الشَّمْسِ والقمرِ بِنظامٍ بَديعٍ دقيقٍ يَعْرِفُ بِهِ النّاسُ مواقيتَ عِباداتِهِمْ ومُعاملاتِهِمْ ؛ ذلك النّظامُ المحكَمُ البَديعُ القادِرِ المُسَيْطِرِ على الكَوْنِ المحيطِ بكلِّ شيءٍ عِلْماً ، فسُبْحانَهُ وتَعالى .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

وهوَ سُبْحانَهُ الّذي جَعَلَ لكُمُ النّجومَ لتهتَدوا بمواقِعِها إلى مقاصدِكُمْ ، وأَنْتُمْ سائِرونَ في ظُلُماتِ

اللَّيلِ في البرّ والبحرِ ، إنَّا قدْ بيَّنّا دَلائلَ رَحْمَتِنا وقُدْرَتِنا لقومٍ يَنْتَفِعونَ بالعِلْمِ ، إذ يعمَلونَ بموجبِ علمِهِمْ ، ويزدادونَ إيماناً على إيمانِهم .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

وهوَ سُبْحانَهُ الّذي أنشأَكُمْ مِنْ أصلٍ واحدٍ هُو أبُو البَشَرِ آدمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ الّذي خُلِقَ مِنَ الأرضِ ، فالأرضُ مكانُ استقرارِكُمْ ومُستودَعٌ لكُم بعدَ مَوْتِكُمْ وتَغْييبِكُمْ في بَطْنِها ، وقدْ بيَّنا دلائلَ قدرتِنا لقومٍ يُدْرِكونَ ويَفْهَمونَ الأشياءَ على وَجْهِها فيَنْتَفِعونَ بذلكَ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

وهوَ سُبْحانَهُ الّذي أنزلَ مِنَ السَّماءِ ماءً أَخرجَ بهِ نباتَ كُلِّ صنف ، فأخْرَجَ مِنَ النَّباتِ شيئاً غضّاً طريّاً ، ونُخرِجُ منهُ حبّاً كثيراً بعضَه فوقَ بعضٍ ، ومِنْ طَلْعِ النَّخلِ عَراجينُ نُخرِجُها مُحمَّلةً بالثّمارِ سَهْلَةَ التّناولِ ، وأخرجْنا كذلكَ بالماءِ جنّاتٍ مِنَ الأعنابِ والزيّتونِ والرُّمانِ ، منها ما ثَمُرُهُ مُتَماثِلٌ في الشّكلِ ، ولكنَّهُ غيرُ متَماثلٍ في الطّعمِ والرّائحةِ ، ونَوْعِ الفائدةِ ، انظُروا في تدبُّرٍ واعْتبارٍ إلى ثمرِهِ حيثُ يُثْمِرُ ، وإلى نُضْجِهِ ، كيفَ تمَّ بعدَ أطوارٍ مُختلفَةٍ ، إنَّ في ذلكَ لَدلائلَ واضحةً لِقوْمٍ يَنْشدُونَ الحقَّ ، ويُؤْمِنونَ بهِ ، ويُذعِنونَ لَه .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ النَّظرِ والتفكُّرِ في الآياتِ الكَوْنيَّةِ والإنسانيّةِ والحيوانيَّةِ والنباتيَّةِ للوصولِ إلى الخالقِ العظيمِ .

٢ـ خلَقَ اللهُ تَعالى الأشياءَ مُرْتبطةً بحِكَمٍ ، ومِنْ أجلِ الإنسانِ كيْ ينتفعَ بِها .

٣ـ اللهُ تَعالى قادرٌ على كلِّ شيءٍ ، ولا يُعْجزُهُ أيُّ شيءٍ .

٤ـ في النَّهارِ حياةُ النّاسِ وفي اللَّيلِ راحةٌ وسُكونٌ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

فالقُ الحبِّ ، فالقُ الإصباحِ ، حُسباناً ، مُسْتَقَرٌّ ، ومُسْتَوْدَعٌ ، حَبّاً مُتراكِباً ، طَلْعِها .

٢ـ هاتِ الأدِلّةَ منْ آياتِ الدّرسِ على ما يلي :

أـ الناسُ لآدمَ .

ب ـ يجبُ على الإنسانِ أنْ يتأمَّلَ في آياتِ اللهِ تَعالى المُختلفةِ حتّى يَسْتَيْقِنَ الحقَّ .

ج ـ الليلُ راحةُ النّفسِ والبَدَنِ .

د ـ ما منْ شيءٍ خَلَقَهُ اللهُ تَعالى إلاّ لِحِكْمَةٍ .

هـ ـ كثيرٌ منَ المخلوقاتِ يُشْبِهُ بعضُهُ بعضاً لكنَّه في حقيقتِهِ مُختلِفٌ .

٣ـ ذكرتِ الآياتُ الكريمةُ خمسةَ ألوانٍ منْ بيانِ قدرةِ اللهِ تَعالى وحِكْمَتِه وعِلْمِهِ ورَحمَتِهِ ، هاتِ لونَينِ منْ هذهِ الألوانِ ، وبيّن كيفَ تستدِلُّ منها على المَطلوبِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ وظيفةً أُخرى للنُّجومِ والكواكبِ ، غيرَ الّتي وردتْ في الآيةِ (٩٧) .

٢ـ اكتبْ موضوعاً في حدودِ الصَّفحتَيْنِ عنِ الآياتِ الواردةِ في الدَّرسِ مُستشهِداً بهذهِ الآياتِ ، وضَعِ المَوْضوعَ في مجلةِ الحائطِ في مدرستِكَ .

* * *

الدَّرسُ الخمسونَ

سورةُ الأنعامِ ـ القِسْمُ التّاسِعَ عَشَرَ

وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾

معاني المُفْرَداتِ :

خَرَقوا لَهُ : اختلَقوا وكذَبوا .

بديعُ : مبدعٌ ومخترعٌ على غيرِ مثالٍ سابقٍ .

أَنّى يكونُ : كيفَ يكونُ .

وَكيلٌ : رقيبٌ ومُتَوَلٍّ .

لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ : لا يَراهُ النّاسُ في هذهِ الدُّنيا بأَبْصارِهِمْ .

بَصائِرُ : آياتٌ وبراهينُ تَهدي إلى الحقِّ .

حَفيظٍ : رقيبٍ أحصى أعمالَكُمْ لِمُجازاتِكُمْ .

نُصرِّفُ الآياتِ : نُبيّنُها بأساليبَ مُتعددةٍ ومُتنوِّعةٍ .

دَرَسْتَ : قرأتَ وتعلّمتَ .



بعدَ أنْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ تلكَ الدَّلائلَ المُتنوِّعةَ على عَظيمِ قُدْرتِهِ وباهِرِ حِكْمَتِهِ ، ووافِرِ نعمتِهِ ، واسْتِحقاقِهِ الأُلوهيَّةَ ، أتبعَها بتوبيخِ المُشْرِكينَ والردِّ عليهِمْ بما يُرشِدُهُمْ إلى الطريقِ القويمِ لوْ كانوا يعقِلونَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

واتَّخَذَ الكافرونَ معَ هذهِ الدَّلائلِ الواضِحةِ والبيِّنةِ الدَّالّةِ على وَحدانيّةِ اللهِ تَعالى ، اتَّخذوا الملائكةَ والشّياطينَ شُرَكاءَ للهِ تَعالى ، واللهُ سُبْحانَهُ هوَ الّذي خَلَقَهمْ ، فَلا يَصِحُّ معَ علمِهِمْ ذلكَ أنْ يَعبدوا غَيْرَهُ ، وهُوَ سُبْحانَهُ الّذي خَلَقَ الملائِكةَ والشَّياطينَ ، فَلا يَنبغي أنْ يَعْبُدوهُمْ ، وهمْ مَخْلوقونَ مثلُهُمْ . واختلَقَ هؤلاءِ الكُفَّارُ وادَّعوْا للهِ تَعالى بسببِ جهلِهِم وانطماسِ بَصيرتِهِمْ ، بنينَ وبناتٍ ، فزعمَ النَّصارى أنَّ المسيحَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ابنُ اللهِ تَعالى ، وزَعَمَ بعضُ مشركي العربِ أنَّ الملائكةَ بناتُ اللهِ تَعالى مِنْ غيرِ أنْ يَعْلَموا حَقيقةَ ما قالوهُ مِنْ خطأ أوْ صَوابٍ ، ولكنْ عنْ عمىً وجَهالةٍ ، مِنْ غيرِ فِكْرٍ ولا رَويّةٍ ، أوْ بغيرِ عِلْمٍ بِمَرْتَبةِ ما قالوا ، وأنَّهُ مِنَ الشَّناعةِ والبُطلانِ بحيثُ لا يُقادَرُ قَدَرُهُ . تَنَزَّهَ اللهُ تَعالى عما يفترونَه مِنْ أوصافٍ في حقِّه سُبْحانَهُ .

وفي هذا الّذي بَيَّنَه القرآنُ الكريمُ عنهُم ذمٌّ لهُم بأنَّهم يَقولونَ ما يقولونَهُ بمجردِ الرَّأيِ والهَوى دونَ تروٍّ ولا تفكيرٍ .

ثم ساقَ اللهُ تَعالى في الآياتِ التّاليةِ الأدِلَّةَ المُبْطِلَةَ لما تَفوَّهَ المُشرِكونَ بهِ منْ مَزاعمَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى الّذي أنشأَ السَّمواتِ والأرضَ على غيرِ مثالٍ سابقٍ ، كيفَ يكونُ لهُ ولدٌ كما يزعمُ هؤلاءِ معَ أنَّه سُبْحانَهُ لمْ يكنْ لهُ زوجٌ ، وهوَ سُبْحانَهُ قدْ خلَق جميعَ الأشياءِ ، والّتي من جُمْلَتِها ما سمّوهُ زوراً وبُهتاناً ولَداً للهِ تَعالى ، فكيفَ يكونُ المخلوقُ ولداً لخالقِهِ بهذهِ الحالةِ ؟! واللهُ سُبْحانَهُ هوَ العالِمُ بكلِّ شيءٍ ، ويُحصي على النَّاسِ ما يَفْعلونَ ويَقولونَ ، وهوَ مجازيهِمْ على أقوالِهِمْ وأفعالِهِمْ .

وبعدَ أنْ أبطلَ ـ سُبْحانَهُ ـ الشِّركَ ، ونعَى على كلِّ مُعتنقيهِ سوءَ تفكيرِهِمْ دعا المُكَلَّفينَ إلى إخلاصِ العبوديَّةِ للهِ تَعالى وحْدَهُ سُبْحانَهُ :

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾

ذلكَ المتَّصِفُ بِصفاتِ الكمالِ هوَ اللهُ تَعالى ربّكُم لاَ إلهَ غيرُهُ ، خالقُ كُلِّ شيءٍ ممّا كانَ وممّا سيكونُ ، فهوَ المُسْتَحِقُّ للعبادةِ ، فاعْبُدوهُ ، وهوَ وحدَهُ المتولّي كُلَّ أَمْرٍ وكُلَّ شيءٍ ، فإليهِ المَرْجِعُ والمآبُ .

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ .

لا تُحيطُ بعظمَتِهِ وجَلالِه على ما هُو عليهِ سُبْحانَهُ وتَعالى أبصارُ الخلائقِ ، أوْ لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ إدراكَ إحاطةٍ بِكُنْهِهِ وحقيقتهِ فإنَّ ذلكَ مُحالٌ .

وهذا الشيءُ لهُ مَظهَرٌ واضِحٌ في آياتِ اللهِ تَعالى في الكونِ ، فالإنسانُ يرى الشَّمسَ والقمرَ ، ولكنّهُ لا يستطيعُ بعيَنيْهِ ولا بغيرِهما إدراكَ كُنْهِ الشَّمسِ وحقيقتِها مَثَلاً ، وللهِ سُبْحانَهُ وتَعالى المثلُ الأعلى .

ثمَّ بيّنَ سُبْحانَهُ في هذهِ الآيةِ أنّهُ يُعامِلُ عبادَهُ باللُّطْفِ والرأفةِ ، وهوَ سُبْحانَهُ العليمُ بدقائقِ الأُمورِ وجَليلِها . وبعدَ هذا أخذَ القرآنُ الكريمُ في تَثبيتِ النَّبيِّ ﷺ وفي تسليتِهِ ، وفي الثناءِ على ما جاءَ بهِ مِنْ هِداياتٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ في هذ الشَّأنِ :

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ .

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ ﷺ للنَّاسِ : قدْ جاءَكُم مِنْ خالِقِكُمْ ومالِكِ أمْرِكُمْ حُجَجٌ وبيّناتٌ في القرآنِ الكريمِ ، تُنيرُ لكُم طريقَ الحقِّ ، فمنِ انتفعَ بها فانتفاعُهُ لِنفْسِهِ ، ومن أعرضَ عنها فقدْ جَنى على نفسِهِ ، ولستُ أنا بمحافظٍ عليكُم ، بلْ أنا رسولٌ أُبلِّغكُمْ ما أُرْسِلْتُ بهِ إليكُمْ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ .

ومِثْلُ هذا التَّنويعِ البديعِ في عَرْضِ الدَّلائلِ الكونيّةِ إنّما هو لِعَرْضِ آياتِنا في القرآنِ الكريمِ مُنوَّعةً مُفَصَّلةً لِنُقيمَ الحُجَّةَ بها على الجاحِدينَ ، ومعَ ذلكَ لا يجدونَ إلاّ الكَذِبَ والزُّورَ للردِّ عليكَ أيُّها النَّبيُّ الكريمُ ، فيقولونَ عنكَ يا محمَّدُ ﷺ : قرأتَ الكُتُبَ على أهْلِها ، وتعلَّمتَ منهُم ، وحفظْتَ عنْ طريقِ الدّراسةِ أخبارَ منْ مضَى ، ثمَّ جِئْتَنا بعد ذلكَ تزعُمُ أنَكَ رسولٌ منْ عندِ اللهِ تَعالى ، وأنّ

ما جئتَ بهِ منْ عندِ اللهِ تَعالى أيضاً ، والحقُّ الّذي لا مِرْيَةَ فيهِ أنّنا أنزَلنا هذا القرآنَ ، ووضّحناهُ لقومٍ يعلمَونَ الحقَّ فيَتّبعونَه ، ويعرِفونَ الباطلَ فيَجتَنبونَهُ ، فهُم المُنْتَفِعونَ بهِ دونَ سِواهُم .

﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ .

عليكَ يا محمّدُ ﷺ أنْ تُداوِمَ على تَبليغِ رِسالتِك ، مُتّبعاً في ذلكَ ما أوحاهُ إليكَ ربُّكَ الّذي لا إلهَ إلاّ هوَ منْ آياتٍ وهِداياتٍ ، مُعْرِضاً عنِ المُشْرِكينَ الّذينَ يَفترونَ على اللهِ تَعالى الكَذِبَ وهُم يَعلَمونَ .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ .

ولَوْ أرادَ اللهُ تَعالى أنْ يعبدُوهُ وَحْدَه لَقَهَرَهُمْ على ذلكَ بقوّتِهِ وقُدْرَتِهِ ، ولكنَّهُ سُبْحانَهُ تركَ هذا الأمْرَ لاختبارِهِمْ ، ومَا جَعلناكَ أيُّها النّبيُّ ﷺ حفيظاً يحفظُ عليهِم أعمالَهُمْ لِتُحاسِبَهُمْ وتُجازيَهُمْ عَلَيْها ، وما أَنتَ بمكلّفٍ أنْ تقومَ عنهُم بتدبيرِ شؤونِهم وإصْلاحِ أمْرِهِمْ ولَسْتَ وكيلاً عنهُم .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ القولُ بأنَّ للهِ تَعالى بَنينَ وبناتٍ هو مَحْضُ اخْتِلاقٍ وكَذِبٍ ، تَعالى اللهُ عنْ ذلكَ عُلوّاً كبيراً .

٢ـ وُجوبُ إثباتِ الصّفاتِ العُليا للهِ عزّ وجلّ وتَنْزيهِهِ عنِ الشِّرْكِ ، وعنْ إدراكِهِ بالحواسِّ .

٣ـ رؤيةُ المؤمنينَ لربِّهِمْ يومَ القيامةِ ثابتةٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ .

٤ـ الإنسانُ يَتحملُ تَبِعةَ اختيارِهِ ، والرّسولُ ﷺ ما عليهِ إلاّ البلاغُ .

٥ـ ضرورةُ التثبُّتِ منَ القولِ ، وَألاّ يتكلمَ الإنسانُ على هَواهُ دونَ حسيبٍ أو رقيبٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

خَرقوا لَه ، بديعُ ، لا تُدرِكُه الأبصارُ ، نُصرِّفُ الآياتِ ، دَرَسْتَ .

٢ـ بيِّنتِ الآياتُ الكريمةُ سَفاهةَ الكُفّارِ وانْطماسَ بصائِرِهِمْ ، وضّحْ ذلكَ .

٣ـ ردَّ القرآنُ الكريمُ على شُبْهَةِ أنَّ للهِ ولداً ، وضّحْ ذلكَ .

٤ـ اذْكُرِ الآيةَ الكريمةَ الدَّالةَ على عظمةِ اللهِ تَعالى .

٥ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ أنّ الإنسانَ إنّما يؤاخَذُ بجريرةِ عملِهِ ، وضّحْ ذلكَ .

٦ـ بيّنْ ردَّ المشركينَ على تنويعِ آياتِ اللهِ تَعالى .

٧ـ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ مَوْقِفَ الرَّسولِ ﷺ منَ المشركينَ ، وضّحْ ذلكَ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دفترِكَ سورةَ الإخلاص ، وتَدبَّرِ الرَّدَ على ما قالَهُ المُشرِكونَ في الآيةِ (١٠١) .

* * *



الجُــزْءُ الثّاني

مِنْ الآية ١٠٨ سورَةِ الأنعامِ ـ نِهايَةِ سورَةِ الأَعْرافِ

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

الدَّرسُ الأوَّلُ

سورةُ الأنعامِ - القِسْمُ العِشْرونَ

وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

عَدْواً : اعتداءً وظُلماً .

جَهْدَ أَيْمانِهِمْ : مُجْتَهِدينَ فِي الحَلْفِ بأَغْلَظِ الأَيْمانِ وأَوْكَدِها .

نَذَرُهُم : نَتركُهُمْ دونَ مبالاةٍ .

طُغيانِهم : تجاوزِ الحدِّ في الكُفْرِ .

يَعْمَهونَ : يَتحيَّرونَ أو يعمَوْنَ عنِ الرُّشدِ .

حشَرْنا : جَمَعْنا .

قُبُلاً : مُقابلةً ومُواجهةً ، أو جماعةً جماعةً .

زُخْرُفَ القولِ : باطِلَهُ المُموَّهَ المُزوَّقَ .

غُروراً : خِداعاً وأخْذاً على غِرّةٍ .

لِتَصْغى : تميلَ .

لِيقْترِفوا : لِيَكْتَسِبوا .

التّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ ثبَّتَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ أمامَ ما يقولُهُ المُشْرِكونَ ، وبيَّنَ كثيراً منْ دلائلِ وَحدانيّتِه ، وقُدْرَتِه ، أرشَدَ اللهُ تَعالى المؤمنينَ إلى مَكارِمِ الأخلاقِ ، فنهاهُم عنْ سبِّ آلِهةِ المُشرِكينَ حتّى لا يُقابلَهُمُ المُشْرِكونَ بالمِثْلِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

لا تسبُّوا أيُّها المؤمنونَ أصنامَ المُشْرِكينَ الّتي يَعبدونَها مِنْ دونِ اللهِ تَعالى ، فيحمِلَهُمُ الغَضَبُ لها عَلى إغاظَتِكُم بسبِّ اللهِ تَعالى تعدِّياً وسَفَهاً وضَلالاً ، ومِثلُ هذا التَّزيينِ الّذي حَمَلَ المُشرِكينَ على الدِّفاعِ عنْ عقائِدهمُ الباطلةِ جَهْلاً منهُم وعُدواناً ، زيَّنا لكلِّ أُمةٍ منَ الأُممِ عَمَلَهُمْ مِنَ الخيرِ والشَّرِ ، والإيمانِ والكُفْرِ ، فقدْ مضَتْ سُنَّتُنا في أخلاقِ البَشَرِ أنْ يَسْتَحْسِنوا ما تعوَّدوهُ ، وأنْ يَتعلَّقوا بما ألِفوهُ .

وهؤلاءِ المُشْرِكونَ مَرْجعُهمْ ومَصيرُهُمْ بعدَ البعثِ إلى ربِّهِم ، فيخبِرُهُمْ منْ غيرِ تأخيرٍ بما كانوا يَعملونَهُ في الدُّنيا ، ويُجازِيهِمْ على ذلِكَ بما يَستحقّونَهُ .

ثمّ حكى القرآنُ الكريمُ المُقْتَرَحاتِ المُتعنِّتةَ الّتي كانَ المُشْرِكونَ يَقْتَرِحونَها على النَّبيِّ ﷺ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

وأقسمَ أولئكَ المُشْرِكونَ باللهِ تَعالى مُجْتَهِدينَ في أيْمانِهمْ مُؤكِّدينَها بأقصى ألوانِ التَّأكيدِ ، مُعلِنينَ أنَّهم لَئِنْ جاءتْهُم آيةٌ منَ الآياتِ الكونيّةِ الّتي اقْتَرَحوها عليكَ يا محمَّدُ ﷺ لَيؤمِنُنَّ بأنّها منْ عندِ اللهِ تَعالى ، وأنّكَ صادِقٌ فيما تُبلِّغُهُ عنْ ربِّكَ .

ثمَّ لقَّنَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ حُجَّتَهُ للردِّ عليهِم قائلاً له : قلْ لهمْ يا مُحمَّدُ ﷺ : إنَّ هذِهِ الآياتِ الّتي

اقترحْتُموها تَعنُّتاً وَجَدَلاً مَردُّها إلى اللهِ تَعالى ، فهوَ وحْدَهُ القادِرُ علَيْها والمتصرِّفُ فيها حَسَبَ مَشيئَتِه وحِكْمته ، وإنْ شاءَ أنزلَها وإنْ شاءَ مَنَعَها ، وأمَّا أنا فليسَ ذلِكَ إليَّ . ثمَّ وجَّهَ اللهُ تَعالى القَوْلَ لِلمُؤْمنينَ قائلاً لهُم : وما يُدريكُم أيُّها المؤمنونَ الرّاغبونَ في إنزالِ هذِه الآياتِ لِتكونَ سبباً في إسلامِ هؤلاءِ المُشرِكينَ ، أنَّها إذا جاءَتْ لا يؤمِنونَ ، فأنا أعلمُ بِهِمْ ، وأنتُمْ لا تَعلمونَ ذلِكَ ، ولذلِكَ توقَّعتُمْ إيمانَهُمْ ، ورغبتُمْ في نُزولِ هذه الآياتِ .

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿﴾ ﴾ .

وإنَّكُم أيُّها المؤمنونَ لا تَدرونَ أيضاً أنّنا نُقلِّبُ قُلوبَهُمْ عندَ مَجيءِ الآياتِ بالخَواطِرِ والتَّأْويلاتِ ونُقلِّبُ أبْصارَهُمْ بتوهُّمِ التَّخيُّلاتِ ، فيكونوا بعدَ الآياتِ كحالِهِمْ قَبْلَها ، وندَعُهُمْ في ظُلْمِهِمْ وعِنادِهِم يَتخبَّطونَ ، مُتحيِّرينَ لا يَعرفونَ لهمْ طريقاً ، ولا يهتَدونَ إلى سبيلٍ . ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ هؤلاءِ المُشْرِكينَ الّذينَ يَزعُمونَ أنَّهم لوَ جاءَتْهُمْ آيةٌ لَيؤمِنُنَّ بِها ، هُمْ كاذِبونَ في أيْمانِهِمُ الفاجِرَةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿﴾ ﴾ .

إنَّ أولئِكَ الّذينَ أقْسَموا إذا جاءَتْهُم آيةٌ لَيؤمِنُنَّ بها ، لَكاذِبونَ ، واللهُ تَعالى أعلمُ بأيْمانِهِمْ ، ولَوْ أنَّا نزَّلْنا الملائِكةَ فَيرونَهُم رأيَ العَيْنِ ، وكلَّمَهمُ الموتَى بعدَ إحيائِهِمْ وإخْراجِهِمْ مِنْ قبورِهِمْ فَشَهِدوا بحقيقَةِ إيمانِهِمْ ، وزِدْنا على ذلِكَ فَجمعْنا لهُمْ جميعَ الخلائقِ مُقابلَةً ومُعايَنَةً حتّى يواجِهُوهُمْ بأنَّكَ على الحقّ ، لَوْ أنَّنا فَعَلْنا ذلِكَ ما آمنوا حقَّ الإيمانِ إلاّ أنْ يشاءَ اللهُ تَعالى لهمُ ذلِكَ ، بسببِ سوءِ اسْتِعدادِهِمْ وفسادِ فِطْرَتِهِمْ ، وانطماسِ بَصيرَتِهِمْ ، فإنَّ قوماً يَمرّونَ على تلكَ الآياتِ الكَوْنيةِ الّتي زَخَرَ بها هذا الكوْنُ ، والّتي استعرَضَتْها هذِهِ السّورةُ فلا تَتفتَّحُ لها بَصائِرُهُمْ ، ولا تَتحرَّكُ لها مَشاعِرُهُمْ ، ليسوا على استعدادٍ لأنْ يُخالِطَ الإيمانُ شِغافَ قُلوبِهِمْ ، وإنَّ الّذي يَنْقُصُهمْ إنَّما هَو القلبُ الحيُّ الّذي يَتلقّى ويَتأثّرُ ويَسْتَجيبُ ، وليسَت الآياتُ الّتي يَقْتَرِحونَها ، فإنَّ أمامَهُمُ الكثيرَ منها ، واقتراحاتُهُمْ إنّما هيَ العَبَثُ السّخيفُ والعَنَتُ المَرْذولُ الّذي لا يستحقُّ أنْ يُهتَمَّ بِهِ ، وهؤلاءِ أكثرُهُمْ يَجْهلونَ أنَّهم لوْ أُوتوا كلَّ آيةٍ لمْ يُؤْمِنوا ، فهمُ لذلِكَ يَحلِفونَ الأيْمانَ المُغلَّظَةَ بأنَّهم لوْ جاءَتْهم آيةٌ لَيؤمِنُنَّ بها ، ويَجْهَلونَ أنّ الإيمانَ بمشيئةِ اللهِ تَعالى ، لا بخوارِقِ العاداتِ .

ثمَّ واسى اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ لِما يُلاقيهِ منْ تعنُّتِ المُشْرِكينَ وتَماديهِمْ في الباطلِ بِبيانِ أنَّ كُلَّ نبيٍّ كانَ لهُ أعداءٌ يُسيئونَ إليهِ ، ويَقْعُدونَ عَقَبةً في طريقِ دَعوتِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

وكَما أنَّ هؤلاءِ عادوْكَ وعانَدوكَ وأنتَ تُريدُ هِدايتَهُمْ ، جَعَلْنا لكلِّ نبيٍّ يُبلِّغُ عنّا أعداءً منْ عُتاةِ الإنْسِ ، وعُتاةِ الجنِّ (الّذين يَخفَوْنَ عنكَ ولا تراهُم) يُوسوِسُ بعضُهم لبعضٍ بكلامٍ مُزخْرَفٍ لا حقيقَةَ لَهُ ، فَيُلقونَ بذلِكَ فيهِمُ الغُرورَ بالباطلِ ، وذلِكَ كُلُّهُ بتقديرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ومشيئَتِهِ ، ولوْ شاءَ اللهُ تَعالى ما فَعَلوهُ ، ولكنَّه لِتَمْحيصِ قُلوبِ المُؤْمِنينَ ، فاتْرُكِ الضّالّينَ وكُفْرَهُم بأقوالِهِمُ الّتي يَفترِفونَها .

﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ .

إنَّهُمْ يُموِّهونَ القَوْلَ الباطلَ لِيُغْروا أنْفُسَهُمْ فَيَجْعلوها تَرْضَاهُ ، ولِتَميلَ إليهِ قلوبُ مَنْ عَمِلَ على شاكلةِ أُولئكَ العُتاةِ الّذينَ لا يُؤْمِنونَ بالآخرةِ ، ويَعتقدونَ أنَّ الحياةَ هيَ الدّنيا فقَط ، ولِيَقعوا بسببِ عدمِ اعتقادِهِمْ باليومِ الآخرِ فيما يَقْتَرِفونَ مِنْ آثامٍ وفُجورٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ يَستخدمُ الكافرونَ الأيمانَ المُغلَّظةَ لمحاولةِ إخفاءِ كَذِبِهمْ ودَجَلِهِمْ .

٢ـ فسادُ طبائعِ الكافِرينَ ، وامْتِناعُهُم عنِ الإيمانِ حتّى لو جاءَتْهُمْ آياتُ اللهِ تَعالى .

٣ـ ضرورةُ الابتعادِ عمّا لا فائدةَ فيهِ ، وإنْ كانَ جائزاً .

٤ـ التّقوى هيَ الّتي تَحمِلُ الإنسانَ على فِعْلِ الطّاعاتِ ، وتجنُّبِ المُحرَّماتِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

عَدْواً ، جَهْدَ أيْمانِهم ، قُبُلاً ، زُخرفَ القولِ ، لِتصغَى ، لِيَقْتَرِفوا .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ على ما يلي :

أ ـ سدُّ الذَّرائع .

ب ـ الكُفْرُ عِنادٌ .

ج ـ كلُّ أُمَّةٍ تَعْشَقُ ما تَعْمَلُ .

٣ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ أثرَ شياطينِ الإنْسِ والجنِّ في دعوةِ الأنبياءِ ، وضّحْ ذلِكَ .



١ـ اكْتُبِ الحديثَ الشَّريفَ الّذي يَنْهى فيهِ رسولُ اللهِ ﷺ عنْ سَبِّ الوالِديْنِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْترِكَ عَدُوَّ كلٍّ منْ : إبراهيمَ وموسى عليْهِما السَّلامُ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّانِي

سورَةُ الأنْعامِ ـ القِسْمُ الحادي والعِشرونَ

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

حَكَماً : يتحاكَمُ إليهِ النّاسُ فيحكُمَ بَيْنَهمْ بالحقِّ .

مُفَصَّلاً : مُبَيَّناً فيهِ الحقُّ والباطِلُ .

المُمْتَرينَ : الشّاكّينَ .

كلمةُ ربِّكَ : كلامُهُ ، وهوَ القرآنُ الكريمُ .

يَخْرُصونَ : يكذِبونَ فيما يَنْسِبونَهُ إلى اللهِ تَعالى .

ذَروا : اتْرُكوا .

يَقترِفونَ : يَكْتَسِبونَ .

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى طبائعَ المُشرِكينَ ، أمَرَ رسولَهُ ﷺ أنْ يُصارِحَهُمْ بأنَّ اللهَ وحْدَهُ هو الحَكَمُ الحقُّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

قلْ لهمْ أيُّها النَّبيُّ ﷺ : هذا حُكْمُ اللهِ تَعالى بالحقِّ بيّنتْهُ الآياتُ السَّاطعةُ ، فلا يَسوغُ أنْ أطْلُبَ حَكَماً غيرَهُ يفصِلُ بَيْني وبَينَكُمْ ، وقدْ حَكَمَ سُبْحانَهُ فأنزلَ القرآنَ الكريمَ حُجَّةً لي عَلَيْكُمْ ، وقدَ عَجزْتُمْ عنْ أنْ تأْتوا بمثلِهِ ، وهوَ مُبيِّنٌ للحقِّ وللعَدْلِ ، وإنَّ الّذينَ أُوتوا الكتابَ يَعلمونَ أنَّهُ مُنزَّلٌ منْ عندِ اللهِ تَعالى مُشتمِلاً على الحقِّ ، كَما بشَّرَتْ كُتُبُهُمْ ، وإنْ حاولوا إخفاءَ ذلِكَ وكِتْمانَهُ ، فلا تَكونَنَّ يا أيُّها النَّبيُّ ﷺ ومَنِ اتَّبعَكَ ، مِنَ الّذينَ يَشكّونَ في الحقِّ بعدَ بيانِهِ .

ثمَّ بيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ هذا الكتابَ كاملٌ مِنْ حيثُ ذاتُهُ ، بعدَ أنْ بيَّنَ كمالَهُ منْ حيثُ إضافتُه إليهِ سُبْحانَهُ ، وبكونِهِ مُنَزَّلاً منْهُ سُبْحانَهُ بالحقِّ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ .

وإنَّ حُكْمَ اللهِ تَعالى قدْ صَدَرَ ، فتَمَّتْ كلماتُ ربِّكَ الصّادقةُ في أخبارِهِ ، العادِلةُ في أحْكامِهِ بإنْزالِ الكِتابِ الكريمِ مُشْتَمِلاً على الصِّدْقِ في أخبارِهِ ومَواعيدِهِ ، وفي عَدْلِ أَحْكامِهِ وقضاياهُ ، ولا يوجَدُ مُغيِّرٌ يُغيِّرُ كلماتِ اللهِ تَعالى وكتابَهُ ، سواءً أكانَ ذلِكَ باختلافِ الأخبارِ أم نَقْصٍ في الأحْكامِ أم تحريفٍ أم تبديلٍ ، كَما حَدَثَ في التَّوراةِ والإنْجيلِ . واللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى سميعٌ لكلِّ ما يُقالُ ، عليمٌ بكُلِّ ما يَقعُ .

وبعَدَ أنْ أقامَ اللهُ تَعالى الدَّلالةَ على وَحدانيَّتِهِ سُبْحانَهُ وصِدْقِ نبيِّهِ ﷺ أتبعَ ذلِكَ بِنَهيِهِ عليهِ الصَّلاة والسَّلامُ عنِ الالتفاتِ إلى جَهالاتِ أعدائِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

وإذا كانَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى هوَ الحَكَمُ العَدْلُ الّذي يُرْجَعُ إلى كُتبِهِ في طَلبِ الحقِّ ومَعرفتِهِ ، فلا تَتَّبعْ أيُّها النَّبيُّ ﷺ أنتَ ومَنْ معكَ ، أحداً يُخالفُ قولةَ الحقِّ ولوْ كَثُرَ عددُهُمْ ، فإنَّكَ إنْ تَتَّبعْ أكثرَ النَّاسِ الّذينَ لا يَعتمدونَ على شَرْعٍ مُنزَّلٍ ، يُبعِدوكَ عنْ طريقِ الحقِّ المُستقيمِ ، وهوَ طريقُ اللهِ

تَعالى ، لأنَّهمْ لا يَسيرونَ إلاّ وراءَ الظُّنونِ والأَوْهامِ ، ويَتجافوْنَ عنِ الحُجَجِ العقليّةِ والبراهينِ الإلهيّةِ . وإنْ همْ إلاّ يقولونَ الظَّنَّ دونَ دليلٍ أوْ بُرْهانٍ .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

إنَّ ربَّكَ الّذي لا تَخْفى عليهِ خافيةٌ هوَ أَعْلَمُ بمنْ يَضِلُّ عَنِ الطَّريقِ المُستقيمِ ، وهوَ أعلمُ منكَ ومِنْ سائرِ الخَلْقِ أيضاً بالسّالِكينَ صِراطَهُ المُستقيمَ ، فعليكَ أيُّها العاقِلُ ، أَنْ تكونَ منْ فريقِ المُهْتدينَ لِتَسْعَدَ كما سَعِدوا ، واحْذَرْ أنْ تَرْكَنَ إلى فريقِ الضّالينَ فَتَشْقى كما شَقوا .

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾

فَكُلوا أيُّها المُؤْمِنونَ مِمَّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليهِ عندَ ذَبْحِهِ ، واتْرُكوا ما ذُكِرَ عليهِ اسمُ غيرِهِ كالأَوْثانِ ، أوْ ما ذُبِحَ على النُّصُبِ ، أوْ ما ذُكِرَ اسمٌ معَ اسمِهِ تَعالى عليهِ .

لا تَضُرَنَّكُمْ مُخالفتُكُمْ للمُشْركينَ في ذلِكَ ، فإنَّهمْ لا يَتَّبِعونَ في عقائِدِهمْ ومآكِلِهمْ وأعمالِهِمْ إلاّ تقاليدَ الجاهليّةِ وأَوهامَها الّتي لا تَرْتكِزُ على شيءٍ مِنَ الحقِّ .

فإنَّ الإيمانَ بآياتِ اللهِ تَعالى يَقْتَضي استباحةَ ما أحلَّهُ سُبْحانَهُ ، واجْتِنابَ ما حرَّمهَ ، فإنْ كُنْتمْ مُؤْمِنينَ باللهِ ، فالْتَزِموا ما أمرَكُمْ بهِ .

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾

أيُّ مانعٍ يمنعُكُمْ مِنْ أنْ تأكُلوا ممَّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليهِ عِندَ الذَّبْحِ ، وقدْ بيَّنَ اللهُ تَعالى لَكُمْ على لسانِ رسولِهِ ﷺ مَا حرَّمَهُ عَليكُمْ مِنَ المَطْعوماتِ ، وبيَّنَ لكُم ذلِكَ في كتابِهِ كما قالَ سُبْحانَهُ : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

إذاً فَمِنَ الواجبِ عَليكُمْ أيُّها المؤمنونَ أنْ تأكُلوا وأنتُم مُطْمَئنّونَ مِنْ جميعِ المَطاعمِ الّتي أحلَّها اللهُ تَعالى لكُم وذُكِرَ اسمُ اللهِ عليها ، وعليكُمْ أنْ تتجنَّبوا أَكْلَ ما حرَّمَهُ اللهُ عَلَيْكُمْ ، ولَو كانَ ذلِكَ مِمّا يَستبيحُهُ المُشْرِكونَ ، إلاّ أنْ تَدْعوكُمُ الضَّرورةُ إلى أكْلِ شيءٍ مِنْ هذهِ المُحَرَّماتِ بِسَبَبِ شِدَّةِ الجوعِ ، وفي هذهِ الحالةِ يُباحُ لكُم أنْ تأكُلوا مِنْ هذهِ المُحَرَّماتِ ما يَحفظُ عليكُمْ حياتَكُمْ . هذا هوَ حُكْمُ اللهِ تَعالى الّذي يُريدُ بكمُ اليُسْرَ ولا يُريدُ بكمُ العُسْرَ ، فَعليكُمْ أنْ تَتَّبِعوهُ ، وألاّ تُلْقوا بالاً للأَوْهامِ مِنَ المتخَرِّصينَ وأصحابِ الظُّنونِ الباطلةِ . وإنَّ كثيراً مِنَ الكفَّارِ ليُضِلّونَ غَيْرَهُمْ بِتَحْريمِ الحلالِ وتَحليلِ الحرامِ ، تَبَعاً لأهوائِهمُ الزّائفةِ ، وشَهاداتِهمُ الباطلةِ ، دونَ أنْ يكونَ عندَهُمْ أيُّ عِلْمٍ مُقتَبَسٍ منْ وَحْيِ اللهِ تَعالى ، أو مُسْتَنْبَطٍ منْ عَقْلٍ سليمٍ .

وإنّ ربّكَ يا مُحمَّدُ ﷺ أعلمُ منكَ ومِنْ كلِّ مخلوقٍ ، بالمُتَجاوزِينَ لِحدودِ الحقِّ إلى الباطِلِ والحلالِ إلى الحرامِ .

ثمَّ أمَرَ اللهُ تَعالى عبادَهُ بأنْ يَترُكوا ما ظَهَرَ مِنَ الآثامِ وما اسْتَتَرَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَذَرُواْ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ .

لَيْسَتِ التَّقوى في تحريمِ ما أحلَّ اللهُ تَعالى ، إنَّما التَّقوى في تَرْكِ الإثمِ ظاهرِهِ وباطِنِهِ ، فاتْرُكوا الآثامَ في أعمالِكُمُ الظّاهرةِ والخَفيّةِ ، وإنَّ الّذينَ يَكْسِبونَ الإثمَ سَيُجْزَوْنَ مِقدارَ ما اكتَسَبوا مِنْ سيّئاتٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرة ، مِنْها :

١ـ وجوبُ الاحْتِكامِ إلى اللهِ تَعالى ، وتحريمُ الاحْتِكامِ إلى غَيْرِهِ ، لأنَّ أحكامَ اللهِ هيَ الحقُّ والصِّدْقُ .

٢ـ أهلُ الكتابِ يَعلمونَ عِلْماً يقينياً صِدْقَ النَّبيِّ ﷺ ولكنّهُمْ يُخفونَ الحقائقَ .

٣ـ الدَّعوةُ إلى تَرْكِ التَّقليدِ الأعْمى في مسائِلِ الاعتقادِ وسائرِ مَسائِلِ الشَّرْعِ .

٤ـ تطهيرُ الذَّبائحِ بِذِكْرِ اسْمِ اللهِ تَعالى عَلَيْها عندَ ذَبْحِها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

المُمْتَرينَ ، يَخرُصونَ ، يَقترِفونَ .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ على كلٍّ ممّا يلي :

أـ لا حُكْمَ إلاّ للهِ تَعالى .

ب ـ أحكامُ اللهِ تَعالى كلُّها صِدْقٌ وحقٌّ وعدلٌ .

ج ـ لا يجوزُ التَّقليدُ في العقائدِ .

د ـ مِنْ يُسْرِ الشَّريعةِ أنَّها ترفعُ الحَرَجَ عنِ المُكَلَّفينَ .

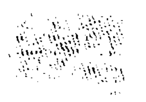
٣ـ بيِّنِ الحُكْمَ فيما يلي :

أـ رجلٌ مسلمٌ نسيَ أنْ يُسمِّي على الذَّبيحةِ عندَ ذَبْحِها .

ب ـ رجلٌ نَصْرانيٌّ ذَكَرَ اسمَ بطرسَ معَ اسمِ اللهِ تَعالى عندَ الذَّبْحِ .

ج ـ رجلٌ مسلمٌ امتنعَ عنِ التَّسميةِ عندَ الذَّبْحِ .

د ـ رجلٌ مسلمٌ قالَ عندَ الذَّبْحِ بسمِ الرَّسولِ .



ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الكَريمةَ الدّالّةَ عَلى أنَّ اللهَ تعالى حَفِظَ القرآنَ الكريمَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالثُ

سورَةُ الأنعامِ - القِسْمُ الثّاني والعِشْرونَ

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

مَعاني المُفْرَداتِ :

فِسْقٌ : خُروجٌ عنِ الطّاعةِ .

يوحونَ : يُوَسْوِسونَ .

أَكابِرَ مُجْرِمِيها : الرُّؤساءَ المُجْرِمينَ .

صَغارٌ : ذُلٌّ عظيمٌ وهوانٌ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ أمَرَ اللهُ تَعالى المؤمنينَ بالأَكْلِ ممَّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليْهِ ، نَهاهُمْ صَراحةً عنِ الأَكْلِ ممَّا لمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عليهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ .

وإذا كانتِ الأنْعامُ حلالاً لكُم بذَبْحِها ، فلا تَأْكُلوا ممَّا لَمْ يُذْكَرِ اسمُ اللهِ تَعالى عليْهِ عنْدَ ذَبْحِهِ ، إذا تُرِكَتْ فيهِ التَّسميةُ عَمْداً ، أوْ ذُكِرَ فيهِ اسمٌ غيرُ اسْمِ اللهِ تَعالى عليهِ ، فإنَّ هذا فِسْقٌ وخُروجٌ عنْ حُكْمِ اللهِ تَعالى ، وإنَّ العُتاةَ مِنَ المُفْسدِينَ مِنْ إبليسَ وأعوانِهِ ليُوَسْوِسونَ في صُدورِ مَنِ اسْتَولَوْا عليْهِمْ ، ليُجادِلوكُمْ بالباطِلِ ولِيَجُرُّوكُمْ إلى تحريمِ ما أَحلَّ اللهُ تَعالى ، وإنِ اتَّبعتموهُمْ فيما أرادوهُ مِنْكُم ، فإنَّكم مِثْلُهُمْ في الإشْراكِ باللهِ تَعالى وعدمِ تطبيقِ أحكامِهِ :

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ أنَّ مِنَ النّاسِ المُهْتَدي وكثيرٌ مِنْهُمُ الفاسِقونَ ، ضَرَبَ مَثَلاً للمُؤْمِنِ وآخَرَ للكافِرِ ، فقالَ سُبْحانَهُ : وإنّكم أيُّها المؤمنونَ بإيمانِكُمْ لسْتُم مِثْلَ المُشرِكينَ ، فليسَ حالُ مَنْ كانَ كالميِّتِ في ضَلالِهِ وبُعْدِهِ عنِ الحقِّ ، فأنارَ اللهُ بَصيرَتَه بالهِدايةِ الّتي هيَ كالحياةِ ـ تحتاجُها القلوبُ والأجسادُ ـ وجعلَ اللهُ تَعالى لهُ نورَ الإيمانِ والحُجَجَ البيِّناتِ ، يَهتدي بهذا كلِّهِ ويمشي على ضوئِهِ ، ليسَ حالُه كحالِ الّذي يعيشُ في الظَّلامِ المُتكاثفِ . وكما زيَّنَ اللهُ تَعالى الإيمانَ في قُلوبِ أهْلِ المعرفةِ والحقِّ زيَّنَ الشَّيْطانُ الشِّركَ والكُفْرَ في نُفوسِ الظَّالِمينَ الجاحِدينَ ، فَجَعَلَهُمْ يرَوْنَ ما يَعْمَلونَهُ حَسَناً ، ويظنُّونَ أنَّه الصَّوابُ . وهذهِ الآيةُ تمثيلٌ للمؤمنِ والكافرِ ، لِتَنفيرِ المُسْلِمينَ عَنْ طاعةِ المُشرِكينَ ، بعدَ أنْ نهاهُمُ اللهُ تَعالى صراحةً عنْ طاعَتِهِمْ .

فَمَثَلُ المؤمنِ المُهْتَدي إلى الحقِّ ، كمَنْ كانَ ميتاً هالِكاً فأحياهُ اللهُ ، وأعطاهُ نوراً لِيَستضيءَ بِهِ في مَصالِحِهِ ، ويهتدي بِهِ إلى طُرقِهِ . ومَثَلُ الكافرِ الضَّالِّ كمَنْ هوَ مُنْغَمِسٌ في الظُّلماتِ لا خَلاصَ لهُ منْها ، فهوَ على الدَّوامِ مُتحيِّرٌ لا يَهتدي ، فكيفَ يَستوي المُؤْمنُ والكافرُ إذَنْ ؟ والمرادُ بالنّورِ : القرآنُ أوِ الإسلامُ ، والمُرادُ بالظُّلماتِ : الكُفْرُ والجَهالةُ وعَمى البَصيرةِ . ثمَّ بيَّنَ تَعالى لرسولِهِ ﷺ مُسلِّياً لهُ عمَّا أصابَه مِنْ قومِهِ ، أنّ المُتْرَفينَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ همْ أعداءُ الإصلاحِ ، وأنَّ ما لَقِيَهُ النَّبيُّ ﷺ مِنْ أكابرِ مكَّةَ ليسَ بِدْعاً ، بلْ هوَ شيءٌ رآهُ الأنبياءُ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ قَبْلَهُ على أيدي أمثالِ كُفّارِ مكَّةَ المُتْرَفينَ ، قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

وكما جعَلْنا فِي قَريَتِكَ مَكَّةَ رؤساءَ دُعاةً إلى الكُفْرِ وإلى عداوَتِكَ ، جَعَلْنا فِي كلِّ قريةٍ مِنْ قُرى

الرُّسلِ مِنْ قبلِكَ رؤساءَ مِنَ المُجْرمينَ مِثْلَهُمْ ، لِيَمْكُروا فيها ويَتجبَّروا على النَّاسِ ، ثمَّ كانتِ العاقبةُ للرُّسلِ ـ عليهمُ السَّلامُ ـ فلا تَبتئِسْ يا مُحمَّدُ ﷺ ممّا يُصيبُكَ مِنْ زُعماءِ مَكَّةَ ، فتلكَ طبيعةُ الحياةِ في كلِّ عَصْرٍ أنْ يكونَ زُعماءُ الأُممِ وكُبَراؤُها أشدَّ النّاسِ عَداوةً للمُصْلِحينَ ، ولكنْ ما يَمْكُرُ أولئِكَ الأكابرُ المُجْرِمونَ الّذينَ يُعانِدونَ الرُّسلَ والمُصلِحينَ في كلِّ وقتٍ إلاّ بأنْفُسِهِمْ ، حيثُ يعودُ ضَرَرُ مَكْرِهِمْ على أنفسِهِمْ وحْدَهُمْ في الدُّنيا والآخرةِ ، ولكنَّهُمْ لانطماسِ بَصيرَتِهِمْ ، لا يَشعرونَ بأنَّ مَكْرَهُمْ سيعودُ عليهِم ضَرَرُهُ ، بلْ يتوهَّمونَ أنَّهم سَيَنْجَوْنَ في مَكْرِهِمْ بِغَيْرِهِم مِنَ الأَنبياءِ والمُصلِحينَ .

ثمَّ حَكى القرآنُ الكريمُ لَوْناً آخرَ مِنْ ألوانِ مَكْرِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴾

إنَّ هؤلاءِ الكفّارَ المُجْرمينَ يَحْسُدونَ النَّاسَ على ما آتاهُمُ اللهُ تَعالى منْ فضْلِهِ مِنْ عِلْمٍ ونُبوَّةٍ وهِدايةٍ ، فإذا جاءَتْهُمْ حُجَّةٌ قاطعةٌ لا يُذْعِنونَ لها ، ولكنْ يَقولونَ لنْ نُذْعِنَ للحقِّ حتّى يَنْزِلَ علينا الوَحْيُ كما يَنْزِلُ على الرُّسُلِ ، واللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى وحْدَهُ هوَ الّذي يَصْطَفي لِرِسالتِهِ مَنْ يشاءُ مِنْ خَلْقِهِ ، وإنَّ هؤلاءِ المُعانِدينَ إذا كانوا يَطْلُبونَ الرّياسةَ بهذا العِنادِ ، فَسَيَنالُهُم الصَّغارُ والذُّلُّ في الدُّنْيا بِسَببِهِ ، وَسَيَنالُهُمُ العذابُ الشّديدُ في الآخِرةِ بِسَبَبِ تَدْبيرِهِمُ السَّيّءِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ تحريمُ الأكلِ ممَّا لمْ يُذْكَرِ اسمُ اللهِ تَعالى عليْهِ .

٢ـ جَدَلُ الكفَّارِ للذّينَ آمنوا إنَّما هوَ مِنْ وحْيِ الشَّياطينِ .

٣ـ إطاعةُ المُشرِكينَ فيما يَرْغَبونَ فيهِ ، شِرْكٌ باللهِ تَعالى .

٤ـ المؤمنُ حيٌّ بنورِ اللهِ تَعالى ، والكافرُ مَيِّتٌ بظُلماتِ الكُفْرِ والضّلالِ .

٥ـ رُسُلُ اللهِ تَعالى هُمْ صَفْوةُ خَلْقِهِ الّذينَ اصْطفاهُمْ على العالَمينَ .

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

وإنّه لَفِسقٌ ، لَيوحونَ ، أكابِرَ مجرِميها ، صَغارٌ .

٢ـ بيِّنْ لماذا حرَّمَ اللهُ تَعالى أكْلَ ما لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ تَعالى عَليْهِ .

٣ـ ما العلاقةُ بينَ تحريمِ ما لَمْ يُسَمَّ عليْهِ ووَحْيِ الشَّياطينِ ؟

٤ـ ميَّزَ اللهُ تَعالى بينَ المؤمنينَ والكافرينَ علىَ هيئةِ مَثَلٍ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٥ـ ما المرادُ بالنّورِ ؟ وما المُرادُ بالظُّلماتِ ؟

٦ـ ما معنى : وما يَمْكُرونَ إلاّ بأنْفُسِهِمْ ؟

٧ـ ما الحُجَّةُ الّتي تَذَرَّعَ بها المُشْرِكونَ لِعَدمِ الإيمانِ ؟



١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ التَّوبةِ الّتي تُبيِّنُ كيفَ زيَّنَ الشَّيْطانُ للكافرينَ تَغييرَ الأشْهُرِ الحُرُمِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أواخِرَ سورةِ الشَّمسِ الّتي تُبيِّنُ فِعْلَ المُجرِمينَ مِنْ قبيلةِ ثمودَ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ

سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ والعِشْرونَ

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَشْرَحْ صدرَهُ : يُوسِعْهُ لِقَبولِ الحقِّ .

حَرَجاً : شَديدَ الضِّيقِ .

يَصَّعَّدُ : يتكلَّفُ صُعودَها فلا يَستطيعُ .

الرِّجْسَ : العَذابَ أوِ الخِذلانَ .

دارُ السَّلامِ : دارُ السَّلامةِ والأمنِ .

وليُّهُمْ : ناصِرُهُمْ .

استكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ : أكْثَرْتُم مِنْ دعوتِهِم للضَّلالِ والغِوايةِ .

النَّارُ مَثْواكُم : مَأْواكُم ومُسْتَقرُّكُمْ ومُقامُكُمْ .

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ الماكِرينَ الجاحِدينَ الحاسِدينَ للنَّبيِّ ﷺ ، أخذَ اللهُ تعالى في بيانِ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِهِ في الهِدايةِ والضَّلالِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ .

إذا كانَ أولئِكَ الماكِرونَ الجاحِدونَ قدْ ضَلُّوا ، وأَنْتُم أيُّها المُؤمِنونَ الصَّادِقونَ الصَّابِرونَ قدِ اهْتَدَيْتُمْ ، فذلِكَ كُلُّه بإرادةِ اللهِ تَعالى وقَضائِهِ ، فمَنْ يَكْتُبِ اللهُ تَعالى لَهُ الهِدايةَ يَتَّسِعْ صَدْرُهُ لنورِ الإسلامِ فَيَقْبَلُهُ ويَرْضى بهِ ، ومَنْ يَكْتُبْ عليْهِ الضَّلالَ يَكُنْ صَدرُهُ ضيِّقاً شَديدَ الضِّـيقِ ، كأنَّهُ مِنْ شِدَّةِ ضيقِهِ كالّذي يَصَّعَّدُ إلى مكانٍ مُرْتَفعٍ بعيدِ الارْتفاعِ ، فَتتصاعدُ أنْفاسُهُ ، ولا يَستطيعُ شيْئاً ، وبهذا يَكْتُبُ اللهُ تَعالى الخِذْلانَ والعَذابَ على الّذينَ ليسَ مِنْ شأنِهِمُ الإيمانُ ، ولا هُمْ مِمَّنْ يَرْغبُ فيهِ ، بلْ يَرْفضونَه ، ولا يَرْضَوْنَ بهِ .

﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

وهذا الّذي بيَّنّاهُ هُوَ طريقُ ربِّكَ الواضِحُ المُسْتَقيمُ ، الّذي ارْتَضاهُ سُبْحانَهُ لعبادِهِ وفَصَّلَهُ وَوضَّحَهُ لهُم ، ولا يَنتفِعُ بهذا الطَّريقِ القويمِ إلاّ الّذينَ مِنْ شأنِهِمُ التَّذَكُّرُ وطلبُ الهِدايةِ ، ذلِكَ أنَّهم يَتذكَّرونَ هذِهِ الهِداياتِ المَوْجودةَ فِي هذا البيانِ الواضِحِ ، فَيَعْملونَ بها لِينالوا السَّعادةَ في الدُّنيا والآخِرَةِ .

﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .

ثمّ يُبيِّنُ اللهُ تَعالى جزاءَ السالِكينَ طُرُقَ الهدايةِ ، المُنْتَفِعينَ بنورِ القُرآنِ وآياتِهِ فيقولُ : لهؤلاءِ المُتذكِّرينَ المُؤْمِنينَ دارُ الأمنِ ، وهِيَ الجنَّةُ ، وهُمْ في وِلايةِ اللهِ تَعالى ، ومَحبَّتِهِ ، ونُصْرَتِهِ بِسَببِ ما عَمِلوا في الدُّنْيا مِنْ خَيْرٍ .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

وإذا كانَ الّذينَ سَلَكوا صِراطَ اللهِ تَعالى المُستقيمَ لهُمُ الأمنُ والسَّلامةُ وَولايةُ اللهِ تَعالى ، فاذْكُرْ يَا مُحمَّدُ ﷺ أوْ يا أيُّها العاقِلُ : أنَّ الّذينَ سَلَكوا سبيلَ الشَّيطانِ لهُم جَزاءُ ما ارْتَكبوا ، وذلِكَ حينَ

يَحْشُرُ اللهُ تَعالى الجميعَ يومَ القِيامةِ ، ويقولُ سُبْحانَهُ للآثِمينَ مِنَ الجنِّ والإنْسِ : أيُّها المُجتَمِعونَ مِنَ الجِنِّ ، قَدْ أكثرتُمْ مِنْ إغْواءِ الإنْسِ حتّى تَبعَكُمْ منهُمْ عددٌ كثيرٌ ، فيقولُ حينئذٍ الّذينَ اتّبعُوهُمْ مِنَ الإنسِ : يا خالِقَنا والقائمَ على أُمورنا ، قد انتَفعَ بعضُنا ببعضٍ ، واستمتَعْنا بالشَّهواتِ العاجلةِ ، وبَلَغْنا أَجَلَنا الّذي حدَّدتَهُ لنا . فيقولُ اللهُ تَبَارَكَ وتَعالى في ردٍّ حاسِمٍ وحُكْمٍ نافذٍ : مَقرُّكُم النَّارُ خالِدينَ فيها في كلِّ وقتٍ إلاّ وقتَ أنْ يشاءَ اللهُ تَعالى غيرَ ذلِكَ ، فالأُمورُ كُلُّها متروكةٌ إليهِ سُبْحانَهُ خاضعةٌ لِمَشيئَتِه ، وأفعالُ اللهِ تَعالى دائماً على مُقْتَضى حِكْمَتِه وعِلْمِه .

والاستثْناءُ في هذهِ الآيةِ مُرادٌ بِهِ المُبالغةُ في الخُلودِ ، لِقَطْعِ رَجاءِ الكافرينَ مِنَ النَّجاةِ مِنَ النَّارِ ، فإنَّ اللهَ تَعالى قدْ شاءَ لهُم هذا الجزاءَ ، ولمْ يَشأْ غَيْرَهُ .

ثمَّ يجيءُ التَّعقيبُ مِنَ اللهِ تَعالى على هذا الاسْتِمتاعِ المُتَبادَلِ بَيْنَ الضَّالِّينَ والمُضلِّينَ مِنَ الجنِّ والإنْسِ ، فيقولُ سُبْحانَهُ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ .

مَثَلُ ما سَبَقَ مِنْ تَمكينِ الجنِّ مِنْ إغْواءِ الإنْسِ وإضْلالِهِمْ لِما بينَهُم مِنَ التَّناسُبِ والمُشاكَلةِ ، نُولِّي بَعْضَ الظّالِمينَ مِنَ الإنسِ بَعْضاً آخرَ مِنْهُم ، بأنْ نجعلَهُمْ يُزيِّنونَ لهمُ السَّيئاتِ ، ويُؤَثِّرونَ فيهِمْ بالإغْواءِ ، بِسَببِ ما كانوا مُسْتَمرّينَ على اكْتِسابِهِ مِنَ الكُفْرِ والمَعاصي .

التَّقْويمُ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الهِدايةُ والضَّلالُ بيدِ اللهِ تَعالى .
٢ـ صِراطُ اللهِ تَعالى واضِحٌ مُسْتَقيمٌ لا يَنالُ بَرَكتَهُ وَفضْلَهُ إلاّ السّاعونَ إليهِ .
٣ـ الكافِرونَ خالِدون في جهنَّمَ .
٤ـ بَيانُ سُنَّةِ اللهِ تَعالى في إهْلاكِ الظّالِمينَ .

نَشاطٌ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

يَشْرَحْ صَدْرَهُ ، ضَيّقاً حَرَجاً ، يَصَّعَّدُ ، دارُ السَّلامِ ، اسْتَكْثَرْتُم مِنَ الإنْسِ ، مَثواكُمْ .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ منَ الآياتِ الكَريمةِ على كلٍّ ممّا يلي :

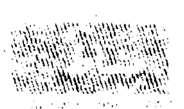
أـ حالةُ المُعانِدينِ الشّاقَّةِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ .

ب ـ جزاءُ المُتّقينَ الجنَّةُ .

ج ـ العلاقةُ بينَ الجنِّ والإنْسِ .

د ـ الظّالمُ يُهْلِكُهُ اللهُ تَعالى بظالمٍ مثلِهِ .

٣ـ بيّن جوابَ الإنْسِ عندَما يسألُ اللهُ تَعالى عَنْ إغوائِهم لهُم .



ـ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : لا يَدخلُ الجنَّةَ أحدٌ بِعَمَلِه . كيفَ نوفِّقُ بينَ الحديثِ الشَّريفِ والآيةِ (١٢٧) ؟ اكتبْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .



قالَ مالكُ بنُ دينارٍ ـ رحِمَهُ اللهُ ـ : قَرَأتُ في بَعْضِ كُتُبِ الحِكْمَةِ أنّ اللهَ تَعالى يقولُ : إنّي أنا اللهُ مالِكُ المُلْكِ ، قُلوبُ الملوكِ بِيَدي ، فَمَنْ أطاعَني جَعلتُهُمْ عليْهِ رحمةً ، ومَنْ عَصاني جَعلتُهُمْ عَليْهِ نِقمةً ، فلا تُشْغِلوا أنفسَكُمْ بِسَبِّ الملوكِ ، ولكنْ توبوا إليَّ أعطِفُهُمْ عَليْكُم .

* * *

الدَّرسُ الخامسُ

سورَةُ الأنْعامِ - القِسْمُ الرّابِعُ والعِشْرونَ

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾

معاني المفردات

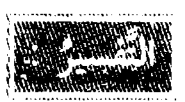
غرَّتهُمُ الحياةُ : خدعَتْهُم ببَهْرَجِها .

يَستَخْلِفْ : يَجْعَلْ خُلفاءَ بَعْدَكُم .

بمُعْجِزينَ : بفائِتينَ مِنْ عذابِ اللهِ تَعالى .

مَكانَتِكُمْ : غايةِ اسْتِطاعَتِكُمْ .

عاقبةُ الدّارِ : العاقبةُ الحَسَنةُ في الدّارِ الآخِرَةِ .



بعدَ بيانِ طبيعةِ الأشرارِ وتجانُسِهِمْ ، وأنَّ اللهَ تَعالى يُهْلِكُهُمْ بأَيْدي بَعْضِهِمْ ، عادَ القرآنُ الكريمُ

ليبيِّنَ سُؤالَ الجنِّ والإنْسِ تَبكيتاً لهمُ على اختِيارِهِمُ السَّيِّءِ ، وتَوْقيفاً لهمُ عَلى حقيقةِ مَصيرِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ .

يقولُ اللهُ تَعالى لِهذينِ الفَريقَيْنِ : يَا أيُّها الجنُّ والإنْسُ ، ألمْ تأْتِكُمُ الرُّسلُ مِنكُم يَذْكُرون لكُمُ الحُجَجَ والبيِّناتِ ، وَيتلونَ عَليْكُمُ الآياتِ ، ويُنْذِرونكُم لِقاءَ اللهِ تَعالى في يومِكُمْ هذا ؟ فكيفَ تُكذِّبونَ ؟ فَأَجابوا : لقدْ أقْرَرْنا على أنفُسِنا بما ارْتَكَبْنا . لقدْ خدعَتهُمُ الحياةُ الدُّنيا بِمُتَعِها ، وأقرّوا على أنفُسِهِمْ أنَّهم كانوا جاحِدينَ ، فلمْ يُؤْمِنوا بما جاءَهُمْ ، بلْ أصرّوا على كُفْرِهِمْ وضَلالِهِمْ .

والّذي يقرأُ هذهِ الآياتِ وأمْثالَها الّتي تُصوِّرُ مَشْهداً مِنْ مشاهِدِ يوم القيامةِ ، يُخيَّلُ إليهِ أنّهُ أمامَ مَشْهدٍ حاضرٍ أمامَ عَيْنيهِ يَرى فيهِ الظّالمينَ وحَسَراتِهِمْ ، والضّالّينَ والمُضلّينَ وهمْ يَتَبادلونَ التُّهَمَ ، وهذا مِنْ إعْجازِ القرآنِ الكريمِ ، وأنَّه مِنْ عِنْدِ اللهِ ، ولوْ كانَ مِنْ عِندِ غيرِ اللهِ تَعالى لَوَجدوا فيهِ اخْتِلافاً كثيراً .

ثمَّ يُحدِّثُنا اللهُ بعدَ ذلِكَ عَنْ عدالَتِهِ سُبْحانَهُ في أحْكامِهِ ، وعنْ سَعةِ غِناهُ ورَحْمَتِهِ ، وعَنْ حُسْنِ عاقبةِ المُؤْمنينَ ، وسوءِ مَصيرِ الكافِرينَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ .

بعدَ الّذي ذكَرْناهُ لكَ يا مُحمَّدُ ﷺ مِنْ إرسالِ الرُّسلِ لِيقصّوا على الأُممِ آياتِ اللهِ تَعالى ، لِتُدْرِكَ أنَّ اللهَ ليسَ مِنْ شَأْنِهِ ولا مِنْ سُنّتِهِ في تَربيةِ خَلْقِهِ ، أنْ يُهلِكَ القُرى مِنْ أجلِ أيِّ ظُلْمٍ فَعلوهُ قبلَ أنْ يُنبَّهوا على بُطلانِهِ ، ويُنهَوْا عنهُ بواسطةِ الأنبياءِ والمَرْسَلينِ ، فربُّكَ لا يَظلِمُ ، ولا يُعذِّبُ أحداً وهوَ غافلٌ لمْ يُنْذَرْ .

وهذهِ الآيةُ صريحةٌ في أنّه سُبْحانَهُ قدْ أعْذَرَ إلى الثَّقَلَينِ بإرسالِ الرُّسُلِ ، وإنْزالِ الكُتُبِ وتَبيينِ الآياتِ ، وإلزامِ الحُجَّةِ .

﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ .

ولكلِّ عاملِ خيرٍ أوْ عاملِ شرٍّ دَرجاتُهُ مِنْ جزاءِ ما يعْمَلُهُ ، إنْ خيراً فخيرٌ ، وإنْ شرّاً فشرٌّ ، واللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى ، وهو الخالِقُ البارئُ غيرُ غافلٍ عمَّا يَعملونَ ، بلْ إنَّ عمَلَهُمْ في كتابٍ لا يغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أَحْصاها .

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ .

واللهُ ربُّكَ هُوَ الغَنِيُّ عَنِ العبادِ والعبادةِ ، وهوَ سُبْحانَهُ وحْدَهُ صاحبُ الرَّحمةِ الشّاملةِ ، وبِمُقْتَضاها أَمَرَكُمْ بالخَيْرِ ونَهاكُمْ عَنِ الشّرِ ، وهوَ سُبْحانَهُ القادِرُ على إذْهابِكُمْ حَسَبَ مَشيئَتِهِ وعِلْمِهِ ، ويَجْعَلُ في الأَرْضِ خُلفاءَ مِنْ بعدِكُمْ على حَسَبِ مَشيئَتِهِ ، وليسَ ذلِكَ يَصْعُبُ عليهِ سُبْحانَهُ ، فقدْ خَلقَكُمْ مِنْ ذُرِّيةِ آخَرينَ سَبَقوكُمْ ، وكُنتُمْ وارثي الأرضِ مِنْ بَعدِهِمْ .

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ .

وإنَّ الّذي يُنذِرُكُمْ بهِ مِنْ عِقابٍ ، ويُبَشّرُكُمْ به مِنْ ثَوابٍ بَعْدَ البَعْثِ والجَمْعِ والحِساب ، آتٍ لا مَحالةَ ، وما أنتُم بِمُعْجِزينَ مَنْ يَطلُبُكُمْ يومئذٍ فلا قُدْرَةَ لكُمْ على الامْتِناعِ عنِ الجَمْعِ والحِسابِ .

يأمُرُ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ أنْ يَنْفُضَ يَدَهُ مِنْ هؤلاءِ المُشْرِكينَ ، وأنْ يَترُكَهُمْ لأنفسِهِمْ ، وأَنْ يُنْذِرَهُمْ سوءَ العاقبةِ إذا استمرّوا في كُفْرِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ .

قلْ أيُّها النَّبيُّ ﷺ مُهدِّداً الجاحِدينَ : اعْمَلوا على النَّحوِ الّذي اخْتَرْتُموهُ بكلِّ ما في قُدْرَتِكُمْ ، وإنّي عامِلٌ في ناحيةِ الحقِّ ، وَسَتعْلَمونَ حَتْماً مَنْ تكونُ لهُ العاقبةُ الحَسَنةُ في الدَّارِ الآخِرَةِ ، وهِيَ لأَهْلِ الحقِّ لا مَحالةَ ، وليْسَتْ لكُمْ لأنَّكُمْ ظالِمونَ ، واللهُ تَعالى لمْ يَكْتُبِ الفَوْزَ للظّالِمينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ ليسَ مِنْ أُمّةٍ إلاّ خَلا فيها نذيرٌ ، ولا يُهْلِكُ اللهُ قوماً حتّى يَبْعثَ فيهِم رَسولاً .

٢ـ إبقاءُ النَّاسِ على قَيْدِ الحياةِ لعبادةِ اللهِ والإنابةِ إليهِ ، وهذا مِنْ رَحْمتهِ سُبْحانَهُ .

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

غَرَّتهُمُ الحياةُ ، ويَسْتَخْلِفْ ، بِمُعجِزينَ ، مَكانَتِكُمْ ، عاقبةُ الدّارِ .

٢ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّ حَشْرَ النَّاسِ وجَمْعَهُمْ أمْرٌ لا رَيْبَ فِيه ، وضِّحْ ذلِكَ .

٣ـ ذكرتِ الآياتُ الكَريمةُ سُنّةً مِنْ سُننِ اللهِ تَعالى في إهلاكِ الأُممِ ، وضّحْ هذِه السُّنَّةَ .

٤ـ اذكُرْ أَمْرَيْنِ ممّا تُرشِدُ إليهِ الآياتُ الكَريمةُ .

٥ـ فسِّرْ كلاً مِنَ التّاليةِ :

أ ـ قلْ يا قومِ اعْمَلوا على مَكانَتِكُم .

ب ـ إنّ يَشَأْ يُذْهِبْكُم ويَستخْلِفْ مِنْ بعدِكُمْ ما يشاءُ .

ج ـ إنّما تُوعَدونَ لآتٍ .

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سورةِ المُلْكِ الّتي تُبيِّنُ اعترافَ الكافِرينَ يومَ القيامةِ .

٢ـ اكْتُبِ الآيَةَ الدّالَّةَ على أنَّ اللهَ تَعالى لا يُعذِّبُ أحَداً حتّى يبعثَ لَهُمْ رسولاً يُنذِرُهُمْ .

* * *

الدرس السادس

سورةُ الأنعامِ ـ القِسْمُ الخامِسُ والعِشْرونَ

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

معاني المفردات

ذَرَأَ	خَلَقَ على وجْهِ الاختراعِ .
الحَرْثِ	الزَّرعِ .
الأنعام	الإبلِ والبقرِ والضأنِ والمَعِزِ .
زَيَّنَ	حسَّنَ وجَمَّلَ .
قَتْلَ أولادِهِمْ	وأْدَ الأولادِ والبناتِ وهُم أحياءٌ صغارٌ .
لِيُرْدوهُم	لِيُهْلِكُوهُمْ بالإغواءِ .
لِيَلْبِسوا عَلَيْهِمْ	لِيَخْلِطوا عَلَيْهِمْ .
يَفتَرونَ	يَختلِقونَ الكَذِبَ .

التفسير

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى شَهادةَ الخلائقِ على أَنْفُسِهِمْ بالحقِّ ، وبَعْدَ أنْ وضَّحَ أَمامَهُمْ كُلَّ شيءٍ وبيَّنَ وعْدَهُ ووَعيدَهُ ؛ بعدَ ذلِكَ ، بدأتِ السّورةُ الكَريمةُ تُحدِّثُنا عَنْ أوهامِ المُشرِكينَ وجَهالاتِهِمُ الّتي

تَتعلَّقُ بمآكلِهِمْ ومَشارِبِهِمْ وَنُذورِهِمْ وذبائِحِهِمْ وعاداتِهِمُ القَبيحةِ ، وتَقاليدِهِمُ المَوْروثةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ .

إنَّ هؤلاءِ المُشْرِكينَ قَسَّموا ما خَلَقَ اللهُ تَعالى لهُمْ مِنَ الزَّرعِ والأنعامِ عَلى قِسْمَيْنِ : قِسْمٍ جَعلوهُ للهِ تَعالى نَصيباً مَفْروضاً وقِسْماً مَحدوداً ، وقِسْمٍ آخرَ جَعلوهُ نَصيباً لِمنْ أشركوهُمْ معَ اللهِ تَعالى مِنَ الأوْثانِ والأصْنامِ ، وقالوا : هَذا للهِ بزعمِهِمْ وادِّعائِهِمُ الّذي لا بَيِّنَةَ معَهُ ولا حُجَّةَ لهُ . وقالوا أيضاً : هذا لآلِهتِهِمْ ومَعبوداتِهِمُ الّتي أشْرَكوها معَ اللهِ تَعالى .

والمَرْوِيُّ عنهُمْ أنهُّم كانوا يَجْعَلونَ فِي ما لهُمْ نَصيباً للهِ تَعالى يُنْفِقونَهُ لإطْعامِ الفُقَراءِ والمساكينِ وإكْرامِ الضِّيفانِ والصِّبيانِ ، ونَصيباً للآلِهَةِ يُعطى لِسَدنَتِها وخَدَمِها ، وما يُنْفَقُ على مَعابِدِهِمْ .

فأمَّا الّذي جَعَلوهُ لِشُرَكائِهِمْ خالِصةً فلا يُصْرَفُ إلى الوُجوهِ الّتي جَعلوها للهِ تَعالى ، بلْ قَصَروها على آلهتِهِمْ ، وأمّا ما كانَ للهِ تَعالى بِزَعْمِهِمْ فهوَ واصلٌ إلى شُرَكائِهِمْ ، وَيَزْعُمونَ حينئذٍ أنَّ السَّببَ وراءَ ذلِكَ أنَّ اللهَ تَعالى غَنِيٌّ وأنَّ آلهتَهُمْ مُحْتاجةٌ ! !

أَلا ساءَ هذا الحُكْمُ حُكْمُهُمْ ، وبِئْسَ ما صَنَعوا إذْ هُمُ اعْتَدَوْا على اللهِ تَعالى بالتَّشريع الفاسِد ، وأشْرَكوا بِهِ غَيْرَهُ وفضَّلوهُ عليْهِ ، والحالُ أنَّ اللهَ تَعالى هُوَ الّذي خَلَقَ كلَّ شيءٍ ، وما عَمِلوهُ لا سندَ لهُ مِنْ عَقْلٍ أوْ شَرْعٍ ، أَلَيْسَتْ هذهِ هِيَ الجاهِلِيَّةُ الجَهْلاءُ .

ثُمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى رذيلةً أُخْرى مِنْ شنائعِ رَذائِلِهِمْ ، وهيَ اعْتِداؤهُمْ على أنْفُسِهِمْ لِقَتْلِهِمْ أَولادَهُمْ بصورةٍ لا أبْشَعَ منها ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ .

هذهِ الآيةُ الكريمةُ فيها تقديمٌ وتأخيرٌ مِنْ حيثُ اللّفظُ ، والمُرادُ بيانُ ما يلي :

وكذلِكَ زيَّنَ الشُّرَكاءُ لشُرَكائِهِمْ مِنَ المُشْرِكينَ قَتْلَ أَولادِهِم لِيُرْدوهُمْ .

فهؤلاءِ الشُّرَكاءُ مِنَ الشّياطينِ وسَدَنةِ الآلِهةِ والكُفّارِ وأهلِ المعصيةِ والمُتزَعِّمينَ فيها ، زَيَّنوا لِمنْ يَتَّبِعُهُمْ مِنَ المُشْرِكينَ ويأخذُ بأقوالِهِمْ ، زَيَّنوا لهُمْ وحَسَّنوا لهُمْ قَتْلَ أولادِهِمْ لِيُهْلِكوهُمْ ، إمّا بقلَّةِ الذُّرِّيَّةِ ، وإمَّا باسْتيلاءِ الوساوسِ الشَّيْطانيَّةِ عَليْهِمْ ، وإفسادِ بُيوتِهِمْ كذلِكَ ، ولِيَخْلِطوا عليْهِم دينَهُمُ

الّذي كانوا عليْهِ مِنْ مِلّةِ إبراهيمَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، حتّى صاروا بهذهِ الحالةِ القَبيحةِ مِنَ الشِّرْكِ ، وقدْ كانَ قتلُ أولادِهِمْ على صورتَيْنِ :

الصّورةِ الأولى : خَشْيةَ العارِ ، وهذا القَتْلُ خاصٌّ بالبناتِ فَقط ، ولمْ يكُنْ في كلِّ قبائِلِ العربِ ، بلْ كانَ في بَعْضِها .

الصّورةِ الثّانيةِ : خَشْيةَ الفقرِ ، وكانتْ هذهِ الصّورةُ في حالَتيْنِ :

الحالةِ الأولى : حالةِ الفقرِ المُحْدِقِ ، والحالةِ الثّانيةِ : حالةِ الفَقْرِ المتوقَّعِ .

وهذا القتلُ لمْ يكنْ خاصّاً بالبَناتِ بلْ كانَ يَشْمَلُ الأطفالَ الذُّكورَ كذلِكَ ، ولمْ يكنْ هذا عامّاً في قبائِلِ العربِ كلِّها ، بَلْ كانَ فيهِم مَنْ يُنكِرُ هذا القَتْلَ بِصورتَيْهِ .

ثمَّ سلَّى اللهُ تَعالى رسولَهُ ، وهدَّدَ أَعداءَهُ بِقولِهِ سُبْحانَهُ : وَلَوْ شاءَ اللهُ تَعالى أنْ لا يفعلَ هؤلاءِ الشُّرَكاءُ ذلِكَ التَّزيينَ ، أو يَفْعَلَ المُشْرِكونَ ذلِكَ القَتْلَ لَما فَعَلوهُ ، لأنَّهُ سُبْحانَهُ لا يُعْجِزُهُ شيءٌ ، فلا تَذْهَبْ نفسُكَ أيُّها النَّبيُّ الكريمُ ﷺ عليهِمْ حَسَراتٍ بسببِ ما يَفْعلونَهُ ، بلْ دعْهُمْ وما يَفْتَرونَهُ مِنَ الكَذِبِ ، فإنَّهُمْ لِسوءِ اسْتِعدادِهِمْ آثَروا الضَّلالةَ على الهِدايَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ أوهامُ المُشْرِكينَ مُتَعدِّدةٌ ومُخْتَلِفةٌ ، شَمِلَتْ جميعَ مناحي الحياةِ ، وهي مَبْنيّةٌ عَلى الزَّعْمِ والكَذِبَ .

٢ـ للشُّركاءِ والمُسْتَكْبِرينَ أَثَرٌ سَيِّءٌ في تَوْجيهِ أَتْباعِهِمْ ، حتّى أنَّهم زيَّنوا لهُم قَتْلَ أولادِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

ذَرَأَ ، الحرثِ والأنعامِ ، زيَّنَ ، لِيُرْدوهُم ، ولِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دينَهُمْ ، يَفْتَرونَ .

٢ـ بيَّنتِ الآيَةُ الكَريمةُ اعتداءَ المُشرِكينَ على الحَرْثِ والأنْعامِ . وضِّحْ ذلِكَ .

٣ـ كيفَ كانَ تقسيمُ الحَرْثِ والأنْعامِ عِندَ المُشرِكينَ ؟ بيِّنْ ماذا في هذا التَّقسيمِ .

٤ـ بيّنتِ الآيةُ الكَريمةُ تَزيينَ الشُركاءِ لِشُرَكائِهِمْ قَتْلَ أولادِهِمْ ، ما دليلُ ذلِكَ ؟

٥ـ لِماذا كانَ المُشْرِكونَ يَقْتُلونَ أولادَهمْ ؟

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ الكَريمةَ مِنْ سورةِ التَّكويرِ الّتي تُبيِّنُ أمْرَ قَتْلِ البناتِ ووأدهِنَّ .

٢ـ ارْجعْ إلى كتابِ : المُفَصَّلِ في تارِيخِ العربِ قبلَ الإسلامِ ، أوْ إلى كتابِ : « بلوغ الأرَبِ في معرفةِ أحوالِ العربِ » ، واكْتُبْ في دَفْتَرِكَ صُوَرَ وكَيْفيّاتِ تعاملِ المُشرِكينَ معَ أطفالِهمُ الصِّغارِ .

* * *

الدَّرسُ السَّابِعُ

سورةُ الأنْعامِ - القِسْمُ السَّادِسُ والعِشْرون

وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

معاني المفردات

حِجْرٌ : مُحرَّمةٌ .

حُرِّمتْ ظهورُها : يَحْرُمُ الرُّكوبُ عَلَيْها .

وَصْفَهُمْ : كَذِبَهُمْ على اللهِ تَعالى بالتَّحليلِ والتَّحريمِ .



ما تزالُ الآياتُ الكَريمةُ تَتتابَعُ في بيانِ أَوهامِ الجاهلِيّينَ ورذائِلِهِمْ . وهُنا ذَكَرَ القُرآنُ مِنْ رذائِلِهِمْ غيرَ الّذي ذَكَرَ سابقاً ، فقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى :

﴿ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

ومِنْ أوهامِهِمْ أَنَّهم يَقولونَ : هذا إبلٌ وبَقَرٌ وغنَمٌ وزروعٌ مُحرَّمةٌ ، لا يَأْكُلُها أحدٌ إلاّ مَنْ يَشاءون مِنْ خَدَمةِ الأوثانِ ، وذلِكَ حَسَبَ زَعْمِهِمُ الباطِلِ ، وليسَ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى . وقالوا أيضاً : إبلٌ

حُرِّمتْ ظُهورُها فلا يَرْكَبُها أحدٌ ، وهُمْ عندَ الذَّبحِ لا يَذْكُرونَ اسمَ اللهِ عليْها ، وهمُ في ذلِكَ يَكْذِبونَ على اللهِ تَعالى ، ولذلِكَ سَيَجْزيهِمْ بالعَذابِ في الآخِرَةِ بِسببِ افتْرائِهِمْ وتَحريمِهِمْ ما يُحرِّمونَ مِنْ عندِ أنفسِهِمْ .

وهذا بلا شكٍّ مِنْ رذائلِ الجاهليّينَ القَبيحةِ . ثمَّ يُتابعُ القرآنُ الكريمُ ذِكْرَ بَقيَّةِ الرّذائلِ فيَحْكي لنا عَنْ رَذيلةٍ جديدةٍ تتعلّقُ بأجنَّةِ الأَنْعامِ الّتي في بُطونِها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ .

ومِنْ أوهامِ هؤلاءِ المُشْرِكينَ أنّهم يَقولونَ : ما في بُطونِ الأَنْعامِ ـ الّتي جعَلوها مَحجورةً مَمْنوعةً لا تُذْبَحُ ولا تُرْكَبُ ـ ما في بطونِها منْ أجنَّةٍ ، خالِصٌ للذُّكورِ مِنَ الرِّجالِ ويُحْرَمُ منْهُ النّساءُ ، وإذا نَزَلَ مَيْتاً فهُم فيهِ شُرَكاءُ ، يَأْكلونَ منهُ ذُكوراً وإناثاً ، واللهُ سُبْحانَهُ لهمُ بالمرصادِ وسَيَجْزيهِمْ على كَذِبِهِمُ الّذي وَصفوهُ بهِ ، فهُم قَدْ ادَّعَوْا أنَّ هذا التَّحريمَ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى ، واللهُ عليمٌ بكلِّ شيءٍ ، حكيمٌ ، فكلُّ أفْعالِهِ مُتْقنةٌ ، وسَيَجْزي الآثِمينَ على سوءِ صَنيعِهِمْ . وإنَّ العاقِلَ لَيَعْجَبُ لهؤلاءِ وما تَحمَّلوهُ في سبيلِ ضَلالاتِهِمُ الفاسِدَةِ مِنْ أعباءٍ مادِّيَّةٍ وخسائرَ وتَضْحياتٍ ، يَعْجَبُ للعقيدةِ الفاسدةِ ، وكيفَ تُكلِّفُ أصْحابَها الكثيرَ ، ومعَ ذلِكَ فَهُمْ مُصِرُّونَ على اعْتِناقِها ، وعلى التقيُّدِ بأغلالِها وأوْهامِها وتَبِعاتِها .

وكانَ القرآنُ الكريمُ وهوَ يَحكي لنا عَنْ تِلْكَ الرَّذائلِ وما تَحمَّلَهُ أصْحابُها في سَبيلِها ، يقولُ لأتباعِهِ : إذا كانَ أصحابُ العَقائدِ الفاسِدَةِ قَدْ ضَحّوْا حتّى بِفَلَذاتِ أكْبادِهِمْ إرضاءً لِشُرَكائِهِمْ ، فأوْلَى بِكُم أيُّها المُؤْمِنونَ أنْ تُضَحُّوا في سبيلِ عَقيدتِكُمُ الصَّحيحةِ ، ومِلَّتِكُمُ الحَنيفةِ السَّمحاءِ بالأنْفُسِ والأموالِ .

وبَعْدَ ذلِكَ جاءَ التَّعقيبُ الإلهيُّ على هذهِ الرَّذائلِ بما يُعْلِنُ خَسارةَ أهْلِها خسارةً لا تُعوَّضُ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾

قدْ خَسِرَ أولئكَ الّذينَ قَتَلوا أَوْلادَهُمْ حُمْقاً ووَهْماً ، غيرَ عالِمينَ مَغبَّةَ عَمَلِهِمْ ونَتائِجَهُ ، وحرَّموا على أنفسِهِمْ ما رَزَقَهُمُ اللهُ تَعالى مِنْ زَرْعٍ وحَيوانٍ ، مُفْتَرينَ على اللهِ تَعالى بادِّعاءِ أنَّهُ سُبْحانَهُ هُوَ الّذي حرَّمَ ، وقدِ ابْتَعدوا عنِ الحقِّ بِسَبَبِ ذلِكَ ، وما كانوا بِسببِ هذا الافْتِراءِ مِمّنْ يتَّصِفونَ بالهِدايةِ ، بلْ ضَلّوا وما كانوا مُهْتَدينَ .

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ تَفَنُّنُ المُشْرِكينَ في تحريمِ ما أحلَّ اللهُ تَعالى افْتِراءً عَلَيْهِ سُبْحانَهُ .

٢ـ اجتراءُ المُشرِكينَ على نسائِهِمْ بِحِرْمانِهنَّ الأَكْلَ مِنْ بعضِ الأنعامِ ، واجتراؤُهُم على أولادِهِمْ بِقتْلِهِمْ سَفَهاً وجَهْلاً .

٣ـ التَّحليلُ والتَّحريمُ أمرٌ للهِ وَحدَهُ ، فمَنْ حلَّلَ وحرَّمَ بغيرِ أمرِ اللهِ فهوَ منَ الخاسِرينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

حَرْثٌ ، حِجْرٌ ، حُرِّمتْ ظُهورُها ، وصْفَهُمْ .

٢ـ ذكَرتِ الآياتُ الكَريمةُ قبائحَ الجاهِليِّينَ في التَّعامُلِ معَ الأنعامِ ، اذْكُرْ هذهِ القبائِحَ .

٣ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ صورةً مِنْ صُوَرِ اعْتِداءِ المُشرِكينَ على نسائِهِمْ ، بيِّنْ ذلِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّامِنُ

سورةُ الأَنْعامِ - القِسْمُ السَّابعُ والعِشْرونَ

۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾



مَعْروشاتٍ	: مَرْفوعةٍ على مَا يَحْمِلُها ، ممَّا يجعلُها كالعريشِ .
غير مَعْروشاتٍ	: مُسْتَغْنِيَةً عنِ التَّعريشِ ، حيثُ يَترُكُها الزَّارِعُ على الأرضِ .
مُختلِفاً أُكُلُهُ	: أنَّ ثَمرَهُ مختلِفٌ في الهيْئَةِ والطَّعْمِ .
فَرْشا	: مَا يُفْرَشُ للذَّبحِ كالغنَمِ .
خُطواتِ الشَّيطانِ	: طُرُقَهُ وآثارَهُ تَحليلاً وتَحْريماً .
وصَّاكُمُ اللهُ بِهذا	: أمرَكُمُ اللهُ تَعالى بهذا التَّحريمِ .

بَعْدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى بعضَ أوهامِ المُشرِكينَ وأباطيلَهُم ، بيّنَ بعدَ ذلِكَ شيئاً منْ مظاهِرِ قُدْرتِهِ ونعَمِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾

واللهُ تَعالى وحْدَهُ هُوَ الّذي خَلَقَ حدائِقَ مِنَ البساتينِ ، ومِنْها ما يُغْرَسُ ويُرْفَعُ على دَعائِمَ ، ومنْها ما يُتْرَكُ على الأرضِ ، وخَلَقَ سُبْحانَهُ النَّخْلَ والزَّرْعَ الّذي يُخْرِجُ ثَمَراً مُخْتَلِفاً في اللَّوْنِ والطَّعْمِ والشَّكْلِ والرّائِحةِ وغيرِ ذلِكَ ، وخَلَقَ سُبْحانَهُ الزَّيتونَ والرُّمّانَ مُتَشابِهاً في بعضِ الصِّفاتِ وغيرَ مُتَشابِهٍ في بعضِها الآخَرِ ، معَ أنَّ التُّرْبَةَ قدْ تكونُ واحِدةً وتُسْقى هذهِ الأشْجارُ جميعاً بماءٍ واحِدٍ ، فَكُلوا مِنْ ثَمَرِها إذا طابَ لكُم ، وأخْرِجوا منها الصَّدَقَةَ عندَ نُضْجِها وجَمْعِها ، شُكْراً للهِ تَعالى على ما وَهَبَكُمْ مِنَ النِّعَمِ ، ولا تُسْرِفوا في الأكْلِ ، فَتَضرُّوا أنْفُسَكُمْ وتضرّوا الفُقَراءَ في حقِّهِمْ مِنْ هذا الّذي وَهَبَكُمُ اللهُ تَعالى إيّاهُ .

فاللهُ سُبْحانَهُ لا يُحبُّ المُسرِفينَ ، ولا يَرْضَى عَنْهُم في تَصرُّفاتِهِمْ وأعمالِهِمْ .

وبَعْدَ هذا بَيّنَ اللهُ تَعالى حالَ الأنْعامِ الّتي رَزَقَها للنّاسِ وأبْطَلَ مَا تَقوَّلَهُ المُشْرِكونَ عليْهِ سُبْحانَهُ في شأنِها بالتَّحليلِ والتَّحريمِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ .

خَلَقَ اللهُ تَعالى مِنَ الأَنْعامِ ، وهِيَ الإبِلُ والبقرُ والضَّأْنُ والماعِزُ ، ما يَحمِلُ أثْقالَكُمْ وما تَتَّخِذونَ مِنْ أصوافِها وأوبارِها وأشْعارِها فِراشاً ، وهيَ رِزْقُ اللهِ تَعالى لَكُمْ ، فَكُلوا ما أحلَّ اللهُ تَعالى مِنها ، ولا تَتَّبعوا مَسالِكَ الشَّيْطانِ وأولياءَهُ في افْتراءِ التَّحليلِ والتَّحريمِ ، كما كانَ يفعلُ أهلُ الجاهليّةِ ، إنَّ الشَّيطانَ لا يُريدُ لَكُمُ الخَيْرَ ، لأنَّهُ عدوٌّ ظاهِرُ العَداوةِ لَكُمْ .

ثُمَّ بيَّنَ القُرآنُ الكَريمُ بعدَ ذلِكَ بعْضَ ما كانَ عليْهِ الجاهليُّونَ مِنْ جَهالاتٍ ، وناقشَهُم فيما أحلُّوهُ وحرَّمُوهُ مُناقَشةً حَكيمةً ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ .

خَلَقَ اللهُ تعالى مِنْ كلِّ نوْعٍ مِنَ الأنْعام ذكَراً وأُنثى ، فهِيَ ثمانيةُ أزْواجٍ ، خَلَقَ مِنَ الضّأْنِ زَوْجَيْنِ ومِنَ الماعزِ زَوْجَينِ ، قل يا مُحمَّدُ ﷺ للمُشْرِكينَ مُنْكِراً عَليهِمْ تحريمَ ما حرَّموهُ مِنْ هذا : ما عِلّةُ تحريمِ هذهِ الأزواجِ كما تَزْعُمونَ ؟ هلْ يُحرِّمُ منها الذُّكورُ ؟ ليسَ الأمرُ كذلِكَ ، لأنَّكم تُحِلُّونَ الذُّكورَ أحياناً . أو يُحَرِّمُ منها الإناثُ ؟ ليسَ الأمرُ كذلِكَ ، لأنَّكمْ تُحلّونَ الإناثَ أحياناً ، أو مُحَرِّمٌ ما اشتملَتْ عليْهِ أرحامُ الأُنْثَيينِ ؟ ليسَ الأمرُ كذلِكَ ، لأنَّكُمْ لا تُحرِّمونَ الأَجِنَّةَ على الدَّوامِ! أخبِروني بمُسْتَنَدٍ صَحيحٍ يُعْتَمَدُ عليْهِ إنْ كنتُم صادِقينَ فيما تَزْعُمونَ مِنَ التَّحليلِ والتَّحريمِ .

﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

وخَلَقَ اللهُ تَعالى مِنَ الإبِلِ زَوْجَيْنِ ، ومِنَ البَقَرِ زَوْجَيْنِ ، فقلْ لهمُ يا مُحمَّدُ ﷺ مُنْكِراً عليْهِم : مَا عِلّةُ التَّحريمِ لِما حرَّمتُمْ مِنْ هذهِ الأزواجِ كما تَزْعُمونَ ؟ أكَوْنُها ذُكوراً ؟ ليسَ كذلِكَ ، لأنَّكُم تُحِلُّونَ الذُّكورَ أحياناً ، أو لِكَوْنِها إناثاً ؟ ليسَ كذلِكَ أيضاً ، لأنَّكم تُحلِّونَ الإناثَ أحياناً ، أو هِيَ ما اشتملَتْ عليْهِ الأرْحامُ ؟ ليسَ كذلِكَ ، لأنَّكُمْ لا تُحرِّمونَ الأجِنَّةَ على الدّوامِ ، وتَزْعُمونَ أنَّ هذا التَّحريمَ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى! أكنتُم حاضِرينَ حينَ وجَّهَ إليكُمُ اللهُ تَعالى هذا التَّحريمَ فَسمِعْتُم نَهْيَهُ ؟ لم يكنْ ذلِكَ قَطْعاً ، انتَهوا أيُّها المُشْرِكونَ عمَّا أنتُم فيهِ ، فهُوَ ظُلْمٌ ، وليسَ هُناكَ أظْلَمُ مِمّنْ كَذَبَ عَلى اللهِ تَعالى ، فَنَسَبَ إليهِ ما لَمْ يَصْدُرْ عنهُ ، ولا سَنَدَ له مِنْ عِلْمٍ مُعْتَمَدٍ عليهِ ، وإنَّما يريدُ بذلكَ إضلالَ النَّاسِ ، ولا يُوَفِّقُ اللهُ الظّالِمينَ إذا اخْتاروا طريقَ الباطِلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

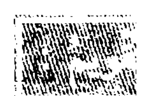
١ـ نِعَمُ اللهِ تَعالى على عبادِهِ مُتعدِّدةٌ ومُخْتَلِفةٌ ، والواجبُ على الإنسانِ شُكْرُ هذهِ النِّعمِ لا كُفْرُها .

٢ـ التعدّدُ والاختلافُ في النِّعمِ دليلٌ على قُدرةِ الخالِقِ سُبْحانَهُ .

٣ـ على الإنسانِ أنْ لا يَنْسى حُقوقَ الفقراءِ والمساكين ، لأنَّ هذا مِنْ شُكْرِ النِّعمِ .

٤ـ ليسَ للمُشْرِكينَ في التَّحريمِ والتَّحليلِ دليلٌ ، بلْ هم يتَّبِعونَ الهَوى .

٥ـ هِدايةُ اللهِ تَعالى لا ينالُها إلاّ المُخلِصونَ المؤمِنونَ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

مَعْروشاتٍ وغيرَ مَعْروشاتٍ ، مُختلِفاً أُكُلُه ، حَمولةً ، وفَرْشاً ، خُطُواتِ الشَّيطانِ .

٢ـ ناقشتْ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ المُشرِكينَ مناقشةً موضوعيَّةً حكيمةً ، بيِّنْ ذلِكَ .

٣ـ لماذا ذُكِرَ حقُّ الفقراءِ في السُّوَرِ المكيَّةِ كهذِهِ السّورةِ ؟

٤ـ لماذا كانَ الإسرافُ مَذموماً ؟

٥ـ فسّرْ كلاًّ مِمّا يلِي :

أـ جنّاتٍ مَعْروشاتٍ وغيرَ مَعْروشاتٍ .

ب ـ مُتشابهاً وغيرَ مُتَشابِهٍ .

ج ـ ومِنَ الأنعامِ حَمولةً وفَرْشاً .

د ـ ثمانيةَ أزواجٍ مِنَ الضَّأنِ اثْنَينِ ومِنَ المَعزِ اثْنَينِ .

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مِقدارَ زكاةِ الزُّروعِ والثِّمارِ الّتي تُسقَى بماءِ المطرِ ، والّتي تُسْقى بالآلَةِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ نِصابَ الزَّكاةِ لكلٍّ مِنَ : الإبلِ والبقرِ والغنمِ .

* * *

الدَّرسُ التَّاسِعُ

سورةُ الأنْعامِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ والعِشْرونَ

قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

طاعِمٍ : آكِلٍ .

دماً مَسْفوحاً : دماً سائِلاً مُراقاً خارِجاً منَ العُروقِ .

رِجْسٌ : قَذِرٌ أو خبيثٌ أو نَجِسٌ حرامٌ .

أُهِلَّ لغيرِ اللهِ بهِ : ذُكِرَ عندَ ذبحِهِ اسْمٌ غيرُ اسْمِ اللهِ تَعالى .

غيرَ باغٍ : غيرَ طالبٍ للمُحَرَّمِ لِلذَّةٍ أو استئثارٍ .

ولا عادٍ : ولا مُتجاوزٍ ما يَسُدُّ الرَّمَقَ .

ذِي ظُفُرٍ : ما لَهُ إِصْبَعٌ مِنَ الطُّيورِ وغيرِها .

الحَوايا : الأمعاءُ .

بَغْيِهِمْ : طُغْيانِهِم وفَسادِهِمْ .

لا يُرَدُّ بأسُهُ : لا يُدْفَعُ عذابُهُ .

بعدَ أن بيَّنَ اللهُ تَعالى تَجاوُزَ الكافِرينَ لِحدودِ اللهِ وتطاوُلَهُمْ على شَرْعِه بالتَّحليلِ والتَّحريمِ الّذي ليسَ عليْهِ دليلٌ ، أَتبعَ ذلِكَ ببيانِ أنَّ التَّحليلَ والتَّحريمَ إنّما هُوَ مِنْ عندِ اللهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ .

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ ﷺ لا أجدُ في القرآنِ الكريمِ الّذي أَوْحاهُ اللهُ تَعالى إليَّ طعاماً مُحرَّماً على آكِلٍ يَأْكُلُهُ ، إلاَّ أنْ يكونَ هذا الشَّيْءُ مَيْتةً لمْ تُذْبَحْ ذَبْحاً شَرْعيّاً ، أوْ دَماً سائِلاً ، أوْ لحمَ خِنزيرٍ ، فإنَّ ذلِكَ المَذكورَ ضارٌّ لا يجوزُ أَكْلُهُ ، وقدْ يكونُ هذا الشَّيءُ المُحرَّمُ فيهِ خُروجٌ عَنِ العقيدةِ الصَّحيحةِ ، بأنْ ذُكِرَ اسمٌ غَيْرُ اسمِ اللهِ تَعالى عِندَ ذَبْحِهِ كنحوِ صَنَمٍ مَعبودٍ آخَرَ ، على أنَّ مَنْ دَعَتْهُ الضَّرورةُ إلى أَكْلِ شيءٍ مِنْ هذهِ المُحَرَّماتِ ، غيرَ طالبِ اللَّذّةَ بالأَكْلِ ولا الاستئثارَ بالمَأْكولِ ، وغيرَ مُتجاوزٍ قَدْرَ الضَّرورةِ فَلا حَرَجَ عليْهِ ، وإنَّ ربَّكَ غفورٌ رَحيمٌ ، يَغْفِرُ لِعبادِهِ الّذينَ يَلتزِمونَ شَرْعَ اللهِ تَعالى .

وهذهِ الآيةُ الكَريمةُ لَيْسَتْ حاصِرَةً للمُحَرَّماتِ ، وإنَّما هِيَ للردِّ على المُشْرِكينَ الّذينَ كانوا يُبيحونَ هذهِ الأشياءَ المَذْكورةَ ولا يَجِدونَ غَضاضةً في تَناوُلِها دونَ حَرَجٍ ، فالسُّنَّةُ النَّبَويَّةُ المُشَرَّفةُ وَرَدَ فيها تحريمُ أَشياءَ أُخرى لم تُذْكَرْ في هذهِ الآيةِ الكَريمةِ .

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ .

ولقدْ حَرَّمْنا على اليهودِ أكْلَ كلِّ ما لَهُ ظُفْرٌ مِنَ الحيواناتِ وشَحْمِهِ ، وحَرَّمنا عَليْهِمْ مِنَ البقرِ والغَنَمِ شُحومَها فقط ، إلاّ الشُّحومَ الّتي تكونُ على الظَّهْرِ أوِ الّتي تُوجَدُ على الأَمْعاءِ ، أو الّتي اخْتَلَطَتْ بِعَظْمٍ . وهذا التَّحريمُ عِقابٌ لهمْ على ظُلْمِهِمْ وفَطْمٌ لِنفوسِهِمْ مِنَ انْدِفاعِها في الشَّهواتِ ، وإنَّا لَصادِقونَ فيما أَخْبَرْناكَ بهِ ومِنْ جُملتِه هذا الخبرُ .

والمُرادُ مِنْ هذهِ الآيةِ تكذيبُ اليهودِ والردُّ عَليْهِمْ ؛ إذْ زَعَموا أنَّ اللهَ تَعالى لم يُحرِّمْ عليْهِم شَيئاً ، وإنَّما هُمْ حرَّموا على أنْفُسِهِمْ ما حرَّمَهُ إسرائيلُ على نَفْسِهِ ، فردَّ اللهُ تَعالى عليْهِم وبيَّنَ كَذِبَهُمْ فيما ذَكَرَهُ مِمّا حَرَّمَهُ عَليْهِمْ .

ومعَ أنَّ الشحومَ جَميعَها باستثناءِ ما أحلَّهُ اللهُ منها ، مُحرَّمةٌ عليْهِمْ ، فإنَّهُمْ تَحايَلوا على شَرْعِ اللهِ تَعالى ، فأخَذوا يُذيبونَ هَذهِ الشُّحومَ ويَسْتَعْمِلونَها في شُؤونِهِمُ المُخْتَلِفَةِ ، أو يَبيعونَها ويَأْكُلونَ ثمنَها ، ولقدْ لَعنَهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ بِسَبَبِ هذا التحايُلِ في أحاديثَ مُتعدِّدةٍ منْها : « أنّ النَّبيَّ ﷺ كانَ قاعِداً خَلْفَ المَقامِ فرَفعَ بَصَرَهُ إلى السَّماءِ ، وقالَ : لَعَنَ اللهُ اليهودَ ـ ثلاثاً ـ إنّ اللهَ حرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحومَ ، فَباعوهاَ ، وأَكَلوا ثَمَنَها ، وإنَّ اللهَ تَعالى لم يُحرِّمْ على قَوْمٍ أكْلَ شيءٍ إلاّ حرَّمَ عَلَيْهِم ثمنَهُ » .

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝﴾

فإنْ كَذَّبَكَ يا مُحمَّدُ ﷺ هؤلاءِ اليهودُ وأمثالُهُمْ مِنَ المُشْرِكينَ فيما أخْبَرْناكَ عنهُ مِنْ أنَّا حرَّمْنا عليْهِمْ بعضَ الطَّيِّباتِ عُقوبةً لهُم ، فَقُلْ لهُم : إنَّ اللهَ تَعالى ذو رحمةٍ واسِعةٍ حقّاً ، ورحمتُهُ وَسِعتْ كلَّ شيءٍ . ومِنْ مظاهِرِ رَحمتِهِ سُبْحانَهُ أنَّهُ لا يُعاجِلُ مَنْ كفرَ بهِ بالعُقوبةِ ، ولا مَنْ عَصاهُ بالنِّقْمةِ ، ولكنَّ ذلِكَ لا يَقْضي أنْ يَرُدَّ بأسَهُ ، أو يَمْنَعَ عِقابَهُ عنِ القوم المُصِرِّينَ على إجْرامِهِمْ ، المُسْتَمِرِّينَ على اقْتِرافِ المُنْكَراتِ ، وارْتِكابِ السِّيئاتِ ، ولا يَنْبَغي لهُمْ أنْ يَغْتَرُّوا بِسَعةِ رحمةِ اللهِ تَعالى ، فإنَّ عذابَهُ واقعٌ بالمُجْرِمينَ .

دروس وعبر

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الحرامُ ما حرَّمهُ اللهُ تَعالى ، والحلالُ ما أحلَّهُ سُبْحانَهُ .

٢ـ يُباحُ لِلمُضْطَرِّ ما لا يُباحُ لِغيرِهِ ، إذا لمْ يكنْ باغياً أو مُتعدِّياً .

٣ـ اليهودُ كذَبوا فيما ادَّعَوْهُ مِنْ أنَّ اللهَ تَعالى لمْ يُحرِّمْ عليْهِم شيئاً ، وتَحايلوا على أوامِرِ اللهِ تَعالى وأحْكامِ شريعتِهِ .

٤ـ لا يجوزُ الاغْتِرارُ بإمْهالِ اللهِ تَعالى للظَّالِمينَ ، فعذابُ اللهِ إذا وقعَ فهُوَ شديدٌ .

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

دماً مسفوحاً ، رِجْسٌ ، أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بهِ ، غيرَ باغٍ ولا عادٍ ، الحَوايا ، لا يُرَدُّ بأسُهُ .

٢ـ وقعَ في الآيةِ الأُولى : (١٤٥) أربعةُ أنواعٍ مِنَ المُحرَّماتِ ، اذكرْها ، وهل هذهِ الآيةُ حاصِرَةٌ للمُحَرَّماتِ ؟ ولماذا ؟

٣ـ ما الّذي حرَّمهُ اللهُ تَعالى على اليهودِ مِمّا ذُكِرَ في هذهِ الآياتِ ؟

٤ـ بيِّنْ موقفَ اليهودِ ممّا حرَّمهُ اللهُ تَعالى عليْهِم .

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثلاثةَ أشياءَ أُخرى غيرَ الّتي ورَدتْ في الآيةِ (١٤٥) حرَّمها الإسلامُ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ صورةً أُخرى غيرَ الّذي ذُكِرَتْ في هذهِ الآياتِ منْ صورِ تحايُلِ اليَّهودِ على أوامِرِ اللهِ تَعالى .

٣ـ ارجِعْ إلى كُتبِ الحديثِ واسْتَخرِجْ منها خمسةَ مُحرَّماتٍ مِنَ المَطعُوماتِ الّتي لم تُذْكَرْ في هذهِ الآياتِ ، ثمَّ دوّنْ هذهِ المُحَرَّماتِ وأدلَّةَ تَحريمِها في دَفْتَرِكَ ، وانْشُرِ المَكتوبَ في مَجلَّةِ المدرسةِ .

* * *

الدَّرسُ العاشِرُ

سورةُ الأنْعامِ - القِسْمُ التّاسِعُ والعِشْرونَ

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَخرُصونَ : تكْذِبونَ على اللهِ تَعالى .

الحُجَّةُ البالغةُ : البُرهانُ الواضِحُ المُقْنِعُ .

هَلُمَّ شهداءَكُمْ : أحضِروا ، أوْ هاتوا شُهودكُم .

بِرَبِّهِمْ يَعْدِلونَ : يُسّوونَ بهِ غَيْرَهُ في العِبادَةِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى ما حرَّمَهُ على اليهودِ ، وبيَّنَ كَذِبَهُمْ فيما افْتَرَوْهُ على اللهِ تَعالى ، حكَى لنا سُبْحانَهُ شُبْهةً مِنَ الشُّبُهاتِ الباطلةِ الّتي تمسَّكَ بها المُشْرِكونَ في شِرْكِهِمْ وجَهالاتِهِمْ ، ورَدَّ علَيْها بما يُبْطِلُها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾.

سيقولُ المُشْركونَ اعتذاراً عنْ شِرْكِهِمْ ، وتحريم ما أحلَّ اللهُ تَعالى مِنَ المَطاعمِ ، وتكذيباً لِما بَلَغَهُمْ مِنْ مَقْتِ اللهِ تَعالى لِما هُم عليهِ ، سَيَقولُونَ : إنَّ الإشْراكَ مِنّا وتحريمَ الحلالِ كانا بمشيئةِ اللهِ تَعالى ورِضاهُ ، ولوْ شاءَ اللهُ عدمَ ذلِكَ ، وكَرِهَ منَّا ما نحنُ عليْهِ مِنْ كُفرٍ ما أشْرَكْنا نحنُ ولا أسلافُنا ، ولا حرَّمْنا شيئاً مِمّا أحلَّهُ لنا . ومِثْلُ هذا التَّكذيبِ الّذي حَدَثَ منْ قومِكَ يا مُحمَّدُ ﷺ كذَّبَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ رُسُلَهُمْ ، واستمرّوا في التّكْذيب حتّى نزَل بِهِمْ عَذابُنا ، قل يا أيُّها النبيّ ﷺ لِهؤلاءِ المكذِّبينَ : هلْ عندَكُمْ مِنْ مُسْتَنِدٍ صحيحٍ على أنَّ اللهَ تَعالى رضيَ لكُمُ الشِّرْكَ وتَحليلَ الحرام ، فتُظهِروهُ لنا ؟ والحقيقةُ أنّكُمْ لا تتَّبعونَ فيما تَقولونَ إلاّ الظَّنَّ الّذي لا يُغني مِنَ الحقِّ شيئاً ، ومَا أنتُمْ إلاّ كاذِبونَ فيما تَزْعُمونَ .

وهذه الآيةُ الكَريمةُ تَعْرِضُ لِشُبْهةٍ قديمةٍ جديدةٍ ، قديمةٍ لأنَّ كثيراً منْ مُجادِلي الرُّسلِ علّلوا بِها كُفْرَهُمْ ، وجَديدةٍ لأنَّها تُراوِدُ كثيراً مِنَ المُتَمسِّكينَ بالأوهامِ في سبيلِ إرضاءِ نَزَواتِهِمْ مِنَ المُتَعِ الباطلةِ والشَّهواتِ المُحرَّمةِ . إنَّهم يقولونَ عندما يَرْتَكِبونَ القَبائحَ والمُنْكَراتِ : هذا أمرُ اللهِ تَعالى وهذا قَضاؤُهُ ، وتِلكَ مَشيئَتُهُ وإرادتُهُ ، ولوْ شاءَ اللهُ تَعالى مَنَعَنا مِنْ هذهِ الأشياءِ لَمَا فَعَلْناها ، وإذا كانَ اللهُ تَعالى قدْ قضى عَلَيْنا بِها ، فما ذنبُنا ؟ ولِماذا يُعاتِبُنا عليْها ؟ إلى غيرِ ذلِكَ منَ اللّغوِ الباطِلِ والكلامِ العابثِ الّذي يُريدونَ مِنْ ورائِهِ التَّحلُّلَ مِنْ أوامرِ اللهِ تَعالى ونَواهيهِ ، هَكذا قالوا ويَقولونَ .

وهَكذا أجابَهمُ القرآنُ الكريمُ بعدَ أنْ ثَبتَ يَقيناً ضَعْفُ حُجَّةِ الكَافرينَ واتِّباعِهِمُ الظَّنَّ ، فَقَدْ أثبتَ سُبْحانَهُ وتَعالى أنّ الحُجَّةَ الواضِحةَ المُقْنِعةَ هِيَ ما جاءَ بِها اللهُ سُبْحانَهُ ، قالَ تَعالى :

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

قلْ أيُّها الرَّسولُ الكريمُ ﷺ لهؤلاءِ المُشرِكينَ الّذينَ بَنوْا قواعدَ دينِهِمْ على الظَّنِ والكَذِبَ ، بَعْدَ أنْ عَجَزوا عنْ إثباتِ مزاعِمِهِم بأدنى دليلٍ ، قلْ لهُم : للهِ تَعالى الحُجَّةُ البالِغةُ الّتي بلغَتْ أعلى دَرجاتِ العِلْمِ والقُوَّةِ ، والّتي وَصَلَتْ إلى أعلى دَرجاتِ الكمالِ في قَطْعِ عُذْرِ المَحْجوجِ ، وإزالةِ الشُّكوكِ عمَّن تَدبَّرَها وتأمَّلَها ، ولوْ شاءَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى هدايَتَكُمْ جميعاً لَفَعَلَ ، لأنَّهُ لا يُعْجِزُهُ شيءٌ ، ولكنَّه لم يشأْ ذلِكَ ، بلْ شاءَ هدايةَ بعضٍ ، لأنَّهم صَرَفوا اخْتيارَهُمْ إلى سُلوكِ طريقِ الحقِّ ، وشاءَ سُبْحانَهُ ضلالَةَ آخَرينَ ، لأنَّهم صَرَفوا اخْتِيارَهُمْ إلى سُلوكِ طريقِ الباطِلِ .

﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ .

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ ﷺ للكافِرينَ هاتوا أنْصارَكُمُ الّذينَ يَشْهَدُونَ لكُم أنَّ اللهَ تَعالى حرَّمَ هذا الّذي زَعَمْتُمْ أنَّه حرامٌ ، فإنْ حَضَروا وشَهِدوا فَلا تُصدِّقْهُمْ لأنَّهم كاذِبونَ ، ولا تَتَّبعْ أهواءَ هؤلاءِ الّذينَ كذَّبوا بالأدلَّةِ الكَوْنيَّةِ والقرآنِ المَتلوِّ ، واعلَمْ أنَّ الّذينَ لا يُؤْمِنونَ بالآخِرَةِ وهُمْ مُشرِكونَ باللهِ تَعالى ، يُساوونَ به غَيْرَهُ مِنَ المَعبوداتِ الباطِلَةِ ، فَيَعْبُدونَها منْ دونِ اللهِ ، ويُحِلّونَ ما أحلَّتْهُ لهمُ ، ويُحَرِّمونَ ما حرَّمَتْهُ عليْهِم . والمقصودُ منْ إظهارِ هؤلاءِ الشُّهداءِ فَضْحُ المَشهودِ لَهُمْ وإلزامُهُمُ الحُجَّةَ ، وإظهارُ أنّه لا مُسْتَمْسَكَ لَهُمْ ، ولا دليلَ معَهُمْ .



تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ المُشْرِكونَ باللهِ سَريعو الكَذِبِ ، ويَتَّبعونَ في كَذِبِهِمْ أسلافَهُمُ السَّابِقينَ .

٢ـ الشُّبُهاتُ الّتي تَذرَّعَ بِها مُشْرِكو العُهودِ السَّابقةِ ، هيَ نفسُها الّتي يَتذرَّعُ بها مُشرِكو العَهْدِ الجديدِ .

٣ـ الحُجَّةُ البالغةُ والبيّنةُ الواضِحةُ هيَ للهِ تَعالى في كلِّ شيءٍ .

٤ـ يَنبغي عدمُ تَصديقِ المُشرِكينَ في كَذِبهِمْ ، حتّى ولوْ جاءوا بالأدلَّةِ الّتي تُخيِّلُ لهم صِدْقَ كَذِبِهِمْ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

تَخْرُصونَ ، الحُجّةُ البالغةُ ، هَلُمَّ شهداءَكُمْ ، بربِّهِمْ يَعدِلونَ .

٢ـ بيّنِ الحُجَّةَ الّتي تَذرَّعَ بها المُشْرِكونَ كما ذكرتْها الآياتُ الكَريمةُ .

٣ـ لماذا طُلِبَ مِنَ المُشْرِكينَ أنْ يُحضِروا شُهداءَهُمْ ؟

* * *

الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ

سورةُ الأنْعامِ ـ القِسْمُ الثّلاثون

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

مَعاني المُفْرداتِ :

أَتْلُ : أقرأُ .

إِمْلاقٍ : فَقْرٍ .

الفواحِشَ : كبائرَ المَعاصي .

وصَّاكُم بِهِ : أمرَكُمْ وألزمَكُم بِتَطبيقِهِ .

يَبلُغَ أَشُدَّهُ : اسْتِحكامَ قُوَّتِهِ وبُلوغَ سِنِّ الرُّشْدِ .

بالقِسْطِ : بالعَدْلِ .

وُسْعَها : طاقتَها ، وما تَقْدِرُ عليْهِ .

صِراطي مُستقيماً : سبيلي وديني لا اعْوِجاجَ فيهِ .

بعدَ ما ذَكَرَ اللهُ تَعالى مِنْ أحوالِ المُشْرِكينَ الّذينَ أحلّوا ما حرَّم اللهُ وحرَّموا ما أحلَّهُ سُبْحانَهُ تجاوزاً لحدودِ اللهِ ، تنتَقِلُ السّورةُ إلى أُفقٍ رَحْبٍ فسيحٍ ، فتُنادِي على النَّاسِ بأُسلوبٍ مُؤَثِّرٍ بليغٍ ليستمِعوا إلى ما حُرِّمَ عَليْهِم فَيَجْتَنِبوهُ ، وإلى ما كلَّفَهُمْ بهِ فيَعملوهُ ، تُناديهِمْ لِيَسْمَعوا البيانَ الصَّحيحَ الحقَّ فيما أحلَّ اللهُ تَعالى وحرَّمَ مِنَ الأفعالِ والأقوالِ ، لِيَسْمَعوهُ ممَّنْ لَهُ وَحْدَهُ الحقُّ في أنْ يقولَهُ ، فقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

قلْ لهمُ أيُّها النَّبيُّ ﷺ : تعالوْا أُبيِّنْ لكُمُ المُحَرَّماتِ الّتي يَنْبَغي أنْ تُحَرِّموها على أنْفسِكُمْ ، وتبتعِدوا عَنْها ، وهِي :

أولاً : لا تَجْعلوا للهِ تَعالى شريكاً ما ، بأيِّ نوعٍ مِنْ أنواعِ الشِّركِ .

ثانياً : ولا تُسيئوا إلى الوالِديْنِ ، بلْ أحسِنوا إليهِما إحْساناً بالِغاً .

ثالِثاً : وَلا تَقتُلوا أولادَكُمْ بِسَبَبِ فَقْرٍ نَزَل بِكُم ، أو تَخشَوْنَ نُزولَهُ في المستقبلِ ، فلستُم أنتُمُ الرَّازِقينَ ، بلْ نحنُ الّذينَ نَرزُقكُمْ ونرزُقُهُمْ .

رابعاً : ولا تَقربوا مِنَ الأفعالِ القبيحةِ والأقوالِ السَّيِّئةِ ما كانَ منها ظاهِراً ، وما كانَ خَفيّاً .

خامساً : ولا تقتُلوا النَّفسَ الّتي حرَّمَ اللهُ تَعالى قَتْلَها لِعَدمِ ما يُوجِبُ القَتْلَ ، إلاّ إذا كانَ القتلُ بحقٍّ تنفيذاً لِحُكْمِ القضاءِ ، وقدْ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « لا يَحلُّ دمُ امرىءٍ مُسلمٍ يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ إلاّ بإحدى ثلاثٍ : الثَّيبِ الزَّاني ، والنَّفسِ بالنَّفسِ ، والتَّاركِ لدينِهِ المفارِقِ للجَماعةِ »[1] . أمرَكمُ اللهُ تَعالى أمْراً مُؤَكَّداً باجْتِنابِ هذهِ المَنْهيّاتِ الّتي تَقضي الفِطْرَةُ السَّليمةُ البُعْدَ عنْها لِتَعْقِلوا ذلكَ .

هذهِ هي الوصايا الخمسُ الّتي تَضمَّنَتْها الآيةُ الأُولى (١٥١) وكُلُّها تَشتَرِكُ في واحدٍ ، هوَ أنَّها حقائقُ أو حُقوقٌ ثابتةٌ في نفسِها ، ولَمْ يكنْ ثُبوتُها إلاّ تجاوُباً معَ الفِطْرَةِ ، فاللهُ تَعالى واحدٌ سواءٌ آمَنَ النَّاسُ بهذِه الحقيقةِ عَقَديّاً وعَمَليّاً أمَ لمْ يؤمِنوا ، وشُكْرُ النِّعمةِ يَقْتضي الإحسانَ إلى الوالِديْنِ طبعاً

---

(١) رواه البخاري : ٦/ ١٥٢١ حديث (٦٤٨١) ورواه مسلم : ٣/ ١٣٠٢ حديث رقم (١٦٧٦) .

وَوَضْعاً ، وللنَّسلِ حقُّ الحياةِ والحِفْظِ ، والفواحشُ فُحْشٌ وباطلٌ في ذاتِها فيجبُ أنْ تُجْتَنبَ ، والنُّفوسُ مَعصومَةٌ ، فليسَ لأحدٍ أنْ يَهدِمَها إلاّ بحقِّ اللهِ . ولاتِّفاقِ هذهِ الأُمور كُلِّها في هذا المَعْنى ، جاءَتْ في آيةٍ واحدةٍ ، خُتِمَتْ بِعبارةٍ تفيدُ أنَّ هذا ممّا يقبلُهُ العقلُ ولا يَرْفضُهُ .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ .

ولا تَتصرَّفوا في مالِ اليتيمِ إلاّ بالتَّصرُّفِ الّذي يَحفظُهُ ويُنَمّيهِ ، وليَكُنْ حِفْظُكُمْ لمالِهِ مُستمِرّاً حتّى يَصِلَ اليتيمُ إلى حالةٍ مِنَ الرُّشْدِ يَستطيعُ مَعَها أنْ يَستقلَّ بالتَّصُّرفِ السَّليمِ ، وحينئذٍ ادْفَعوا إليهِ مالَهُ .

وبعدَ أنْ أمرَ اللهُ بِتَرْكِ المَنْهيّاتِ أمَرَ بِفعلِ الخَيْراتِ ، وذلكَ على النَّحوِ التّالي :

١ـ وفاءُ الكَيْلِ والميزانِ ، فلا نقْصَ إذا أعطيتُمْ ، ولا زيادةَ إذا أخذتُمْ ، بلْ أوْفوها بالعَدْلِ ما وَسِعَكُمْ ذلكَ ، فاللهُ سُبْحانَهُ لا يُكلِّفُ نَفْساً إلاّ ما تستطيعُهُ دونَ حَرَجٍ .

٢ـ اعدِلوا إذا قُلتُم قَوْلاً في حُكْمٍ أو شَهادةٍ أو خَبَرٍ أو نَحوِ ذلكَ ، فلا تَميلوا عنِ العَدْلِ والصِّدْقِ ، بلْ تَحرَّوْا ذلكَ دونَ مُراعاةٍ لِصِلَةٍ منْ صِلاتِ الجِنْسِ أوِ اللَّونِ أو القَرابةِ أو المُصاهَرةِ .

٣ـ الوفاءُ بالعُهودِ ، فَأَوْفوا بِعَهْدِ اللهِ تَعالى الّذي أَخَذَهُ عليكُمْ بالتَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ ، والأوامرِ والنَّواهي الإلهيَّةِ .

هذا كلُّهُ ؛ النّواهِي والأوامرُ ، أمرَكُمُ اللهُ تَعالى أمْراً مُؤَكَّداً بالتزامِها ، لعلَّكم تتَّقونَ غضَبَ اللهِ وعَذابَهُ بامْتثالِ الأوامرِ واجتنابِ النَّواهي .

ثم خُتِمَتْ هذهِ الوصايا ببيانِ صِراطِ اللهِ تَعالى المُستقيمِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ .

وإنَّ هذا الّذي أمرتُكُمْ بهِ ونَهيتُكُمْ عنْهُ صِراطُ اللهِ المستقيمُ فاتَّبعوهُ ، ولا تحيدوا عنْهُ ، فهوَ النَّهجُ الَّذي رَسَمْتُهُ لكُم ، لأنَّه هُو الطريقُ المُسْتقيمُ الموصِلُ إلى سَعادةِ الدَّاريْنِ ، بلِ اتَّبعوهُ ولا تتَّبِعوا الطَّريقَ الباطِلةَ الّتي نَهاكُمُ اللهُ تَعالى عنْها ، حتّى لا تَتفرَّقوا شِيَعاً وأحْزاباً ، وتَبْتَعِدوا عنْ صِراطِ اللهِ تَعالى السَويِّ .

أمرَكُمُ اللهُ تَعالى أمْراً مُؤَكَّداً بذلكَ لِتَتجنَّبوا مُخالَفتَهُ ، وكرَّرَ الوَصيةَ على سبيلِ التَّوْكيدِ ، لعلّكم تَتَّقوْنَ النَّارَ بامتثالِ أوامرِ اللهِ واجتنابِ نواهيهِ ، والسَّيْرِ على الطَّريقِ المُستقيمِ .

وبعدُ ، فهذهِ هي الوصَايا العَشْرُ الّتي جاءَتْ بِها هذِه الآياتُ الكَريمةُ ، والمُتَأمِّلُ فيها يراها قدْ وَضَعتْ

أساسَ العقيدةِ السَّليمةِ في توحيدِ اللهِ تَعالى وبنتِ الأُسرةَ الفاضِلةَ على أساسِ الإحسانِ إلى الوالديْنِ والرَّحمةِ بالأبناءِ ، وحَفِظَتِ المُجتمعَ مِنَ التصدُّعِ عنْ طريقِ تحريمِها لانتهاكِ الأنْفُسِ والأمْوالِ والأَعْراضِ ، ثُمَّ رَبطَتْ كُلَّ ذلكَ بتقوَى اللهِ تَعالى الّتي هَيَ مَنْبَعُ كلِّ خيرِ ، وسبيلُ كلِّ فلاحِ .

تُرشِد الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ وصايا اللهِ تَعالى حقيقةٌ بالاسْتِماعِ والالتزامِ .

٢ـ وُجوبُ البُعْدِ عنِ الفواحشِ والآثامِ لأنَّها حرامٌ .

٣ـ ضَرورةُ المُحافظةِ على مالِ اليتيمِ وتَنْميتِهِ .

٤ـ البُعْدُ عنْ مَسالكِ الشَّيطانِ مُقرِّبٌ لسبيلِ الرَّحمنِ .

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

إملاقٍ ، الفواحشَ ، يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، بالقِسْطِ ، وُسْعَها .

٢ـ ذكرتِ الآياتُ الكَريمةُ عَشْرَ وصايا ، عدِّدْها .

٣ـ ما الجامعُ الّذي يَجْمَعُ الوَصايا الخَمْسَ الأُولى ؟

٤ـ بيِّن أثرَ هذهِ الوَصايا في سلوكِ الأفرادِ والجماعاتِ .

قال ابنُ عطيّةَ : لمّا كانتِ المُحرَّماتُ الأُولىَ لا يقعُ فيها عاقِلٌ ، جاءَتْ العبارةُ : (لعَلّكُمْ تعقِلونَ) والمحرَّماتُ الأُخرى شَهَواتٌ ، وقدْ يقعُ فيها مَنْ لمْ يتذكَّرْ ، جاءتِ العبارةُ : (لَعلّكُمْ تذكّرونَ) والسيرُ في الجادَّةِ المستقيمةِ يتَضَّمنُ فِعْلَ الفضائلِ ، ولابُدَّ مِنْ تقوى الله تَعالى ، جاءَتِ العبارةُ : (لعلّكُم تتّقونَ) .

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

طائفتين من قبلنا: همُ اليهودُ والنَّصارى .

دراستهم: قِراءَتِهمْ وعِلْمِهمْ .

صدف عنها: أعْرَضَ عَنْها ، أو صَرَفَ النَّاسَ عنْها .

كانَ خِتامُ الآياتِ السّابقةِ الحديثَ عنِ الصِّراطِ المُستقيمِ ، وهوَ الدّينُ الحقُّ الّذي عَليْهِ أنبياءُ اللهِ جَميعاً ، وهُنا أشارَ سُبْحانَهُ إلى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وكتابِهِ ، وبيَّنَ مَنْزِلَةَ هذا القرآنِ ، وأمَرَ النَّاسَ باتِّباعِهِ وحذَّرَهُم مِنْ مُخالفةِ أمْرِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

وقدْ أنزَلْنا التَّوراةَ على موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إتْماماً للنِّعمةِ على مَنْ أحْسَنَ القيامَ بأمْرِ الدّينِ ، وأنزلْنا فيها تفصيلاً لكلِّ شيءٍ مِنَ التَّعاليمِ المُناسِبَةِ لهُمْ ، وهُدىً إلى الطَّريقِ المُستقيمِ السَّويِّ ، ورحمةً إذا هُم أقاموها وعَمِلوا بِها ، وذلكَ لِيُؤمِنَ بنو إسرائيلَ بلقاءِ ربِّهِمْ يومَ القيامةِ ، فيُقيموا أمْرَ اللهِ ، لأنَّه سوفَ يحاسِبُهُمْ على ذلكَ .

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

وهذا القرآنُ الّذي تَلَيْتُ عَليكُمْ آياتِه البيِّناتِ ، هو الكتابُ الّذي لا رَيْبَ فيهِ ، وأنْزلناهُ كثيرَ البَرَكاتِ عَظيمَ الشَّأنِ ، كثيرَ الخَيْرِ ، في الدِّينِ والدُّنيا ، قد جاءَ بأكْثَرَ مِمّا جاءتْ بِه التّوراةُ فاتّبعوا ما هَداكُمْ إليهِ واجْتَنِبوا ما نَهى عنهُ ، فهو حَبْلُ اللهِ المتينُ ، ونورُهُ اليَقينُ ، جَمَعَ طريقَ الفلاحِ في الدُّنْيا والآخِرةِ ، فاعْمَلوا بهِ لَعلّكُمْ تُرْحَمونَ في حياتِكُمْ ومَماتِكُم .

﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾ .

أنزلْنا هذا القرآنَ عليكُمْ حتّى لا تَعتَذِروا عنْ عِصْيانِكُمْ وتَقولوا : إنَّ الوَحْيَ لم يَنزلْ إلاّ على طائفتَيْنِ منْ قَبْلِنا هُما : اليَهودُ والنَّصارى ، ولا عِلْمَ لنَا مُطْلَقاً بِتِلاوةِ كُتبِهِمْ وفَهْمِ ما فيها مِنْ إرشادٍ ، فهيَ ليسَتْ بِلُغَتِنا ولا نَعْرِفُ عنْها شيئاً .

﴿ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾ .

وأنزلْنا عَليكُمُ القرآنَ حتّى لا تَقولوا أَيْضاً لوْ أنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنا الوَحْيُ الّذي نَزَلَ عَلَيْهِمْ ، لَكُنَّا أكثرَ منهُم هدايةً وأَحْسَنَ حالاً ، لِسَعةِ عُقولنا واسْتِعدادِنا ، لا حُجَّةَ لكُم بعدَ اليوم على عِصْيانِكُمْ ، ولا مَحلَّ لِقَوْلِكُمْ هذا ، فقدْ جاءَكُمُ القرآنُ مِنْ ربِّكُمْ علامةً واضِحةً على صِدْقِ رَسولنا مُحمَّدٍ ﷺ ومُبيِّناً لكُمْ جميعَ ما تَحتاجونَ إليهِ في دينِكُمْ ودُنْياكُمْ ، وهادِياً إلى الصِّراطِ السَّويِّ ، ورحمةً لكُم باتِّباعِهِ .

ولا يكونُ أحدٌ أظلمَ مِمَّن كذَّبَ بآياتِ اللهِ تَعالى الّتي أنزَلَها في كُتبِهِ ، وآياتِهِ الّتي خَلَقَها في الكَوْنِ ، وأَعْرَضَ عَنْهَا فلمْ يُؤْمِنْ ولمْ يعملْ بِها ، وسَنُعاقِبُ الّذينَ يُعرِضونَ عنْ آياتِنا ، ولا يَتدبَّرونَ ما فيها مِنَ العَذابِ البالغِ غايتَهُ في الإيلامِ بسببِ إعْراضِهِمْ وعَدَمِ تدبُّرِهِمْ . ثمَّ يَمضي القرآنُ الكَريمُ

في تَهديدِهِمْ خُطوةً أُخرى ، ردّاً على ما كانوا يَطْلبونَهُ مِنَ الآياتِ الخارِقَةِ ، وتَحذيراً مِنْ إعْراضِهِمْ وتَقاعُسِهِمْ عنْ طريقِ الحقِّ معَ أنَّ الزَّمنَ لا يتوقَّفُ والفُرَصُ لا تَعودُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾

لقدْ قامتِ الحُجَّةُ على وُجوبِ الإيمانِ ، ولم يُؤمِنْ هؤلاءِ ، فماذا يَنتظِرونَ لِكَيْ يؤمِنوا ؟ هلْ يَنْتَظِرونَ أنْ تأْتِيَهُمُ الملائِكةُ رُسُلاً بدلَ البَشَرِ ، أوْ شاهِدينَ على صِدْقِكَ ، أوْ أنْ يَأْتِيَهُمْ ربُّكَ لِيَرَوْهُ أو يَشهدَ بِصِدْقِكَ ؟ أوْ أنْ تَأْتِيَهُمْ بعضُ علاماتِ ربِّكَ لِتَشهَدَ عَلى صِدْقِكَ ؟ وعِنْدما تأتي بعضُ علاماتِ ربِّكَ مِمّا يُلْجِئُهُمْ إلى الإيمانِ ، لا يَنْفعُهُم إيمانُهُمْ ، لأنَّه إيمانُ اضطرارٍ ، ولا ينفعُ العاصي أنْ يتوبَ ويُطيعَ الآنَ ، فقدِ انْتَهَتْ مرحلةُ التَّكليفِ .

قلْ لهؤلاءِ المُعْرِضينَ المُكَذِّبينَ : انتَظِروا أحدَ هذهِ الأُمورِ الثَّلاثةِ ، واستمرّوا على تكذيبِكُم ، إنّا مُنتَظِرونَ حُكْمَ اللهِ تَعالى فيكُمْ .

جاءَ في معنى : (بعضُ آياتِ ربِّك) عنْ النَّبيِّ ﷺ قالَ : (لا تقومُ السَّاعةُ حتّى تَطْلُعَ الشَّمسُ منْ مَغرِبِها ، فإذا طَلعَتْ وَرآها النَّاسُ آمَنوا ، وذلكَ حينَ (لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكنْ آمَنتْ مِنْ قَبْلُ)[1] .

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ أنزلَ اللهُ تَعالى التّوراةَ على موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ تكرُمةً لعبادِه المُؤْمنينَ .

٢ـ النَّبيُّ ﷺ أيضاً على خُطى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ كرّمَهُ اللهُ تَعالى بالكِتابِ وجَعلَهُ تَكْرمةً لعبادِهِ المؤمنينَ .

٣ـ لا أحدَ أظلمُ مِمَّنْ كَذَبَ على اللهِ تَعالى وَمنعَ النَّاسَ مِنَ الخَيْرِ .

٤ـ للتَّوبةِ أمَدٌ محدودٌ عندَ اللهِ ، ثُمَّ يُقفَلُ بابُها ، ولا تُقبَلُ منْ أحدٍ .

٥ـ على العاقلِ الإسْراعُ بالتَّوبةِ والإنابةِ قبلَ أنْ يقعَ فيما لا يُحْمَدُ .

---

(١) رواه البخاري : ٤/ ١٦٩٧ حديث رقم (٤٣٦٠) ، وانظر صحيح مسلم : ١/ ١٣٧ حديث رقم(١٥٧) .

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

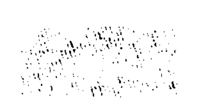
١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

طائفتَيْنِ منْ قَبْلِنا ، دراسَتِهِمْ ، صَدَفَ عنْها .

٢ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ بواعِثَ إنزالِ اللهِ تَعالى الكِتابَ على موسَى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، بيِّنْ ذلكَ .

٣ـ بابُ التّوبةِ مفتوحٌ إلى وقتٍ محدَّدٍ ، بيِّنْ ذلكَ .

٤ـ هدّدَ اللهُ تَعالى الكافِرينَ بانتظارِ آياتٍ ثلاثٍ ، اذْكُرْها .



ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما قالَه فِرعونُ عندَما يَئِسَ مِنَ النَّجاةِ وهوَ يَغرقُ ، وردَّ القرآنِ عليهِ .

* * *

الدرس الثالث عشر

سورةُ الأنعامِ - القِسْمُ الثّاني والثّلاثونَ

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمُۢ ﴿١٦٥﴾

معاني المفردات

كانوا شِيَعاً : فِرَقاً وأحْزاباً .

ديناً قِيَماً : ثابِتاً ، مُقوِّماً لأُمورِ المعاشِ والمعادِ .

حنيفاً : مائِلاً عنِ الباطلِ إلى الدِّينِ الحقِّ .

نُسُكي : عِبادتي كلِّها .

لا تزِرُ وازِرةٌ : لا تَحْمِلُ نفسٌ آثِمَةٌ .

خلائفَ الأرضِ : يَخْلُفُ بعضُكُمْ بعضاً فيها .

لِيَبْلُوَكُمْ : لِيَخْتَبِرَكُمْ .

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى حُجَجَ الّذينَ اختلَفوا في الدِّينِ ، وهَدَّدهُمْ بسوءِ المَصيرِ ، أَعْقَبَ ذلكَ ببيانِ خُطورةِ التّنازُعِ وبعضِ جوامعِ الخَيْرِ ، وابتدأَ بالحديثِ عنِ الّذينَ فرّقوا دينَهُمْ وكانوا شِيَعاً ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾

إنَّ الّذينَ فرّقوا الدّينَ الحقَّ الواحِدَ بالعقائدِ الزّائفةِ والتّشْريعاتِ الباطِلةِ ، وصاروا بِسَببِ ذلكَ أحزاباً تَحْسَبُهُمْ جميعاً ، وقلوبُهُمْ مُخْتَلِفةٌ ، لستَ مؤاخَذاً بتفرُّقِهِمْ وعِصْيانِهِمْ ، لأنّكَ لا تملكُ هِدايتَهُمْ ، فما عَلَيْكَ إلاّ أنْ تُبلِّغَهُمْ دينَ اللهِ ، واللهُ تَعالى وحْدَهُ هوَ الّذي يَمْلِكُ أمْرَ الهدايةِ والجزاءِ ، ثمَّ يُخْبِرُهُمْ يومَ القيامةِ بما كانوا يَفْعلونَهُ في الدُّنيا ويُجازيهِمْ عليْهِ .

وهذهِ الآيةُ الكَريمةُ عامّةٌ في كلِّ مَنْ فارَقَ تعاليمَ الإسلامِ ، سواءٌ أكانَ مُشْرِكاً أَمْ كتابيّاً ، ويَنْدَرِجُ فيها أصحابُ الفِرَقِ الباطلةِ والمذاهبِ الفاسدةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، كالقاديانيّةِ والباطِنيّةِ والبَهائيّةِ ، وغيرِ ذلكَ مِنْ أصحابِ الأهواءِ والبِدَعِ والضّلالاتِ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى لُطْفَهُ في حُكْمِهِ ، وفَضْلَهُ على عبادِهِ بمناسبةِ الحديثِ عنِ الجزاءِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

مَنْ عَمِلَ صالحاً يُضاعَفُ له ثوابُهُ إلى عشرةِ أمثالِهِ فَضْلاً وكَرَماً ، ومَنْ عَمِلَ عَمَلاً سَيّئاً لا يُعاقَبُ إلاّ بمقدارِ عِصْيانِهِ ، عَدْلاً منهُ سُبْحانَهُ وتَعالى ، وليسَ هناكَ ظُلْمٌ بنَقْصِ ثوابٍ أوْ زيادةِ عِقابٍ .

وفي مَعنى هذهِ الآيةِ جاءَ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّ اللهَ تَعالى يقولُ : (إذا أرادَ عَبْدي أنْ يَعْمَلَ سَيِّئةً فلا تَكْتُبوها عليْهِ حتّى يَعْمَلَها ، فإنْ عَمِلَها فاكْتُبوها بمثْلِها ، وإنْ تَرَكَها مِنْ أجلي فاكتُبوها لهُ حَسَنةً ، وإذا أرادَ أنْ يَعْمَلَ حسنةً فلمْ يَعْمَلْها فاكْتُبوها لَهُ حَسَنةً ، فإنْ عَمِلَها فاكْتُبوها لهُ بعشرةِ أمثالِها إلى سبعِمائةِ ضِعْفٍ)[1] .

ثمَّ خُتِمتِ السّورةُ الكَريمةُ بخمسِ آياتٍ جامعةٍ لِوُجوهِ الخَيْرِ ، مَنْ تأمَّلها تجلّى لهُ أنَّها خِتامٌ

---

(١) رواه البخاري : ٦/ ٢٧٢٤ حديث رقم (٧٠٦٢) .

حكيمٌ يُناسبُ هذِه السّورةَ ، الّتي هيَ سورةُ البلاغِ والإعلانِ والمبادىءِ العُليا لِدَعْوَةِ الإيمانِ . قالَ تَعالى في أَوَلِ الخَمْسِ مِنْ هذهِ الآياتِ :

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ .

قلْ يَا أَيُّها النَّبيُّ ﷺ مُبيِّناً ما أنتَ عليهِ منَ الدِّينِ الحقِّ : إنّ ربِّي أرْشَدَني وَوَفَّقَني إلى طريقٍ مُستقيمٍ ، بَلَغَ نهايةَ الكمالِ في الاسْتِقامةِ ، وكانَ هوَ الدِّينُ الّذي اتّبَعهُ إبراهيمُ

ـ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ مائِلاً بِهِ عنِ العقائدِ الباطلةِ ، وما كانَ إبراهيمُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يَعبدُ معَ اللهِ إلهاً آخرَ كما يَزْعُمُ المُشْرِكونَ .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

قلْ يا مُحمَّدُ ﷺ إنَّ صلاتي وجَميعَ عِباداتي ، وما آتيهِ في حالِ حَياتي مِنَ الطّاعةِ ، وما أموتُ عليْهِ مِنَ الإيمانِ والعملِ الصَّالِح ، كُلُّه خالِصٌ لِوَجْهِ اللهِ تَعالى الّذي خَلَقَ جميعَ المَوْجوداتِ ، فاسْتَحقَّ أنْ يَعْبُدوهُ وحْدَهُ ، وأنْ يُطاعَ وَحْدَهُ .

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

قلْ يا مُحمَّدُ ﷺ : اللهُ تَعالى لا شريكَ لَهُ في الخَلْقِ ، ولا في اسْتِحقاقِ العِبادةِ ، وقَدْ أَمَرَني ربّي سُبْحانَهُ وتَعالى بذلكَ الإخلاصِ في التّوْحيدِ والعَمَلِ ، وأنا أوّلُ المذعِنينَ المُمْتَثِلينَ ، وأكْمَلُهُمْ إذْعاناً وتَسليماً .

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ .

قلْ يا محمَّدُ ﷺ مُنْكِراً على المُشْرِكينَ دَعوَتَهُمْ إيّاكَ لِموافَقتِهِمْ في شِرْكِهِمْ : أَأَطْلُبُ بالعبادةِ ربّاً غيرَ اللهِ تَعالى ، مع أنَّه خالقُ كلِّ شيءٍ ؟ وقلْ لهُم مُنْكِراً عليهِمْ أنَّهم لا يَحمِلونَ عَنْكَ خَطاياكَ إذا وافَقْتَهُمْ : لا تَعْمَلُ أيُّ نفسٍ عَمَلاً إلاّ وقعَ جزاؤُهُ عليْها وَحْدَها ، ولا تُؤاخَذُ نَفْسٌ بذنبِ نَفْسٍ أُخرى ، ثُمَّ تُبْعَثونَ بعدَ الموتِ إلى ربِّكُمْ ، فيخبرُكُمْ بما كنتُم تَختلِفونَ فيهِ في الدُّنيا مِنَ العقائدِ ، ويُجازيكُمْ عَليْها ، فكيفَ أَعْصِي اللهَ تَعالى اعْتِماداً على دَعْوَتِكُمُ الكاذِبةِ ؟

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وهُوَ سُبْحانَهُ الّذي جَعَلَكُمْ خُلفاءَ للأُممِ السَّابقَةِ في عِمارةِ الكونِ ، وَرَفَعَ بعضَكُم فوقَ بعضٍ دَرَجاتٍ في الكمالِ الماديِّ والمعنويِّ ، وحَسَبَ اجتهادِكُمْ في هذهِ الدُّنيا ، لِيَختبرَكُمْ فيما أعطاكُمْ

مِنَ النِّعمِ ، هلْ تَشْكُرونَها ؟ وفيما آتاكُم مِنَ الشرائِعِ ، هلْ تَعْمَلونَ بِها ؟ إنّ ربّكَ سُبْحانَهُ وتَعالى سريعُ العِقابِ للمُخالِفينَ ، لأنَّ عِقابَه آتٍ لا رَيْبَ فِيه ، وكلُّ آتٍ قريبٌ ، وإنَّهُ لَعظيمُ المَغفرةِ للتّائبينَ المُحْسِنينَ ، واسِعُ الرَّحمةِ بِهِمْ .

وبعدُ ، فهذِهِ هيَ سورةُ الأَنْعامِ الّتي عالَجَتْ مِنْ مَبْدَئِها إلى نهايَتِها قضيةَ العَقيدةِ بكلِّ مُقوِّماتِها عِلاجاً قوياً حَكيماً ، يَهْدي إلى الرُّشْدِ لِمنْ عندَهُ الاسْتِعدادُ لذلكَ ، وطوَّفَتْ بالنَّفسِ البَشَريَّةِ في الكَوْنِ كُلِّهِ لِتُرْشِدَها إلى خالقِ هذا الكونِ ، وتجعلَها تَستجيبُ لهُ وتَنْتَفِعُ بما مَنَحَها مِنْ نِعَمٍ ، وكشفَتْ عنْ مواطنِ الشّرْكِ ومَظاهِرِهِ في كلِّ مَظانِّهِ ومَكامِنِه ، لِتدفعَهُ وتَدْحَضَهُ ،وتُخلِّصَ النَّفسَ البشريَّةَ والحياةَ الإنسانيَّةَ مِنْ أمراضِ الشِرْكِ وأدْرانِهِ .

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ براءةُ النَّبيِّ ﷺ مِنَ اليهوديَّةِ والنَّصرانيَّةِ ، ومِنَ الشِّركِ كلِّهِ .

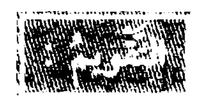
٢ـ الإسلامُ وشَريعتُهُ هُوَ المَنهجُ الحقُّ المُسْتَقِلُّ المُميَّزُ .

٣ـ بيانُ فَضْلِ اللهِ تَعالى وكَرمِهِ على عبادِهِ في مُجازاةِ مَنْ أحْسَنَ ، أكْثَرَ مِنْ قيمةِ عملِهِ .

٤ـ دَعْوَةُ الأنبياءِ واحِدةٌ ، والدِّينُ الّذي دعَوْا إليهِ واحِدٌ .

٥ـ ضرورةُ التجرُّدِ الكاملِ والإخلاصِ للهِ تَعالى في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ .

٦ـ لا يَحْمِلُ أحدٌ ذَنْبَ أحدٍ يومَ القيامةِ .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

كانوا شِيَعاً ، ديناً قِيَماً ، حَنيفاً ، لا تَزِرُ وازِرةٌ ، خلائفَ الأَرْضِ ، لِيَبْلُوَكُمْ .

٢ـ بينَّتِ الآياتُ الكَريمةُ مَوْقِفَ النَّبيِّ ﷺ مِنَ الّذينَ فرَّقَتْهُمْ أحزابُهُم وتَناحَروا ، اذْكُرْ هذا الموقفَ .

٣ـ بيِّنْ فضلَ اللهِ تَعالى في الجزاءِ .

٤ـ بيِّنْ خصائصَ الإسلامِ مِنْ خلالِ هذهِ الآياتِ الكَريمةِ .

٥ـ فَسِّر كلاًّ مِمّا يأْتي :

أـ فرَّقوا دينَهُمْ وكانوا شِيَعاً .

ب ـ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفاً .

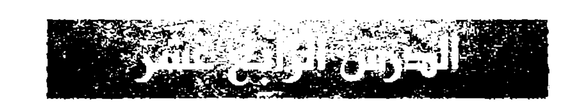
ج ـ إنَّ صَلاتي ونُسُكي ومَحْيايَ ومماتي للهِ ربِّ العالَمينَ .

د ـ ولا تَزِرُ وازِرةٌ وِزْرَ أُخرَى .

١ـ هُناكَ حديثٌ شريفٌ بيَّنَ فيهِ الرّسولُ ﷺ أنّ الأعمالَ حسَبَ أُجورِها ، اكْتُبِ الحديثَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حديثاً شريفاً يُبيِّنُ خُطورةَ الرّياءِ .

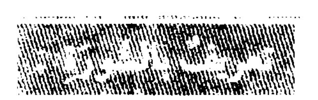
* * *



سورةُ الأعرافِ ـ القسمُ الأوّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾

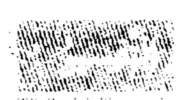


سورةُ الأعرافِ أَطْوَلُ السُّوَرِ المكّيةِ ؛ إذْ تبلغُ آياتُها مائتينِ وستَ آياتٍ ، وهِيَ تُعتبرُ بمثابةِ التّفصيلِ لِما وَرَدَ في سورةِ الأنْعام مِنْ أُصولِ العَقائدِ وكُليّاتِ الدّينِ . وقَدِ اشْتَمَلَتْ هذهِ السّورَةُ على الحديث عَنْ بدءِ الخليقةِ الإنسانيّةِ ، فذكرتْ قِصةَ آدمَ عليْهِ السَّلامُ وزَوْجِهِ حَوّاءَ ، وخُروجَهُما مِنَ الجنَّةِ . ثُمَّ عَرَضَتْ آياتُ السُّورةِ الكَريمةِ كَغَيْرِها مِنْ سُوَرِ القرآنِ الكَريمِ إلى النّظَرِ في السَّماواتِ والأرضِ وما بَيْنَهُما مِنْ نظامٍ بديعٍ .

كَما عَرَضَتْ بَعْدَ ذلك لِقَصصِ النَّبيينَ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ وهم : نوحٌ ، وهودٌ ، وصالحٌ ، ولوطٌ ، وشعيبٌ ، وموسى ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ جميعاً ، وذَكَرَتْ ما دارَ بينَ هؤلاءِ الأَخْيارِ وأقوامِهِمْ ، وخُتِمتِ السُّورةُ بِتَصويرِ مَنْ يُعطَى الهِدايةَ ثُمَّ يَنْسَلِخُ مِنْها بِتَضليلِ الشَّيطانِ ، وما يكونُ مِنْه ، ثُمَّ بيانِ الدَّعوةِ الحقِّ الّتي جاءَ بِها مُحمّد ﷺ .



حَرَجٌ	ضيقٌ .
ذِكْرى	تَذْكيرٌ .
بأْسُنا	عذابُنا .
بَياتاً	بائِتين ، لَيْلاً وهُمْ نائِمونَ .
قائِلونَ	مُسْتريحونَ نِصْفَ النَّهارِ ، وتعني : (القَيْلولةَ) .
دَعواهُمْ	دُعاؤُهُمْ وتَضرُّعُهُمْ .



ابتدأَتْ هذِهِ السّورَةُ الكَريمةُ بالحُروفِ المُقطَّعةِ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ المص ۝ ﴾

هَذهِ الحُروفُ الصَّوتيَّةُ وأَمثالُها تُذْكَرُ في أوائِلِ بعضِ السُّورِ لِتنبيهِ المُشْرِكينَ إلى أنَّ القرآنَ الكَريمَ مُكوَّنٌ مِنْ هذِهِ الحُروفِ الّتي يَنْطِقونَ بِها ، ومعَ ذلكَ يَعجِزونَ عنِ الإتيانِ بمثلِهِ ، كما أنَّ هذهِ الحروفَ إذا تُلِيَتْ تُنبِّهُ النّاسَ إلى السَّماعِ كيْ يتدبَّروا ، ويتَّعِظوا بِما يَسمعونَ .

﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾

هذا كِتابٌ كَريمٌ أنزلناهُ إليكَ يا محمَّدُ ﷺ ، فيهِ هِدايةُ الثَّقَلَيْنِ ، فَبَلِّغْ تَعاليمَهُ للنّاسِ ، ولا تَحزنْ أو تَضْجَرْ إذا وَجْدَتَ مِنْ بَعضِهِمْ صُدوداً عنهُ ، فأنتَ عليْكَ البلاغُ وعَلَيْنا الحِسابُ .

والمَقصودُ بهذهِ الآيَةِ الكَريمةِ تقويةُ قَلْبِ النبيِّ ﷺ وتَثبيتُ فؤادِهِ ، وتَسليتُهُ عمّا يَتقوَّلُهُ المُشْرِكونَ مِنْ أكاذيبَ وأباطيلَ ، وإفهامُ الدّاعي إلى اللهِ تَعالى في كلِّ زمانٍ ومكانٍ أَنَّ مِنَ الواجبِ عليهِ أنْ يكونَ قويَّ القَلْبِ فِي تَحمُّلِ مُهمَّتِهِ ، مُطْمَئِنَّ البالِ على حُسْنِ عاقِبتهِ ، لا يتأَثَّرُ بالمُخالَفةِ ، ولا يَضيقُ صَدْرُهُ بالإنْكارِ .

ثُمَّ وجَّه القرآنُ الكَريمُ نِداءَهُ إلى النّاسِ آمِراً إيّاهُم باتِّباعِ تَعاليمِ الإسلامِ الّتي جاءَ بِها النَّبيُّ ﷺ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

اتَّبعوا أيُّها النّاسُ مِلَّةَ الإسلام ، وأحِلُّوا حلالَهُ ، وحَرِّمُوا حرامَهُ ، وامْتَثِلوا أوامرَهُ واجتنِبوا نواهيَهُ ، لأنَّ الّذي أنزلَ عَلَيْكُمْ هذِهِ الشَّريعةَ هو ربُّكمُ الّذي هو خالِقُكُمْ ومُرَبِّيكُمْ ومُدبِّرُ أمورِكُمْ ، والعليمُ بما فيهِ مَصلحتُكُمْ ، وحذارِ مِنْ أنْ تَتْرُكوا شَريعةَ الإسلامِ الّتي تَدعوكُمْ إلى إفرادِ اللهِ تَعالى بالعُبوديَّةِ ، وتتَّخِذوا معَهُ شُركاءَ يُزَيِّنونَ لكُمُ الأباطيلَ ، ويَصْرِفونَكُمْ عنْ دينهِ القويمِ . إنّكم قلَّما تَتَّعِظونَ حينَ تَترُكونَ دينَ اللهِ تَعالى ، وتتَّبِعونَ غَيْرَهُ ، معَ أنَّ العِبَرَ في ذلكَ كثيرةٌ .

ثُمَّ ساقَ اللهُ تَعالى لهُمْ بعدَ ذلكَ ، على سبيلِ الإنذارِ والتَّخويفِ ، جانِباً مِنَ العذابِ الّذي نزَلَ بمنْ سَبقوهُمْ بِسَببِ ظُلْمِهِمْ وفَسادِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

فقدْ أهْلَكْنا قُرىً مُتعدِّدةً ، بِسَببِ عبادةِ أهْلِها غَيْرَ اللهِ تَعالى ، وسُلوكِهِمْ غَيْرَ طريقهِ بأنْ جاءَهُمْ عَذابُنا في وَقْتِ غَفلتِهِمْ واطْمِئنانِهِمْ ليلاً وهُمْ نائِمونَ ، كما حَدثَ لقوم لوطٍ ـ عليهِ السّلام ـ أو نَهاراً وهُمْ مُسْتَريحونَ وقتَ القَيْلولةِ ، كما حَدَثَ لقومِ شُعيبٍ ـ عليهِ السّلامُ ـ . ثُمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى حالَ تلكَ الأُممِ المُهْلَكَةِ ، وَقْتَ أنْ جاءَها الأَمْرُ الإلهيُّ بالعَذابِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

فاعترَفوا بذَنْبِهِمُ الّذي كانَ سَبَبَ نَكْبَتِهِمْ ، فَما كانَ منهُم عِنْدَما رأَوْا عذابَنا إلاّ أنْ قالوا حيثُ لا يَنْفَعُهمْ ذلكَ : إنّا كُنّا ظالمينَ لأنْفُسنا بالمعصِيَةِ ، ولمْ يَظْلِمْنا اللهُ بعذابِهِ .

وبعدَ أنْ بيَّنَ القرآنُ الكَريمُ ما أَصابَ الظّالِمينَ مِنْ عَذابٍ دُنْيَويٍّ ، أعْقَبَ ذلكَ بِبيانِ ما سَيَحِلُّ بِهم مِنْ عَذابٍ أُخْرَويٍّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

وَسَيَكونُ حِسابُ اللهِ تَعالى يومَ القِيامةِ دَقيقاً عادِلاً ، فَلَنسْأَلَنَّ النّاسَ الّذينَ أُرْسِلتْ إليهِمُ الرُّسُلُ هلْ بَلَغَتْهُمُ الرِّسالةُ ؟ وبماذا أجابوا المُرْسَلينَ ؟ ولَنسألَنَّ المُرْسَلينَ أيضاً : هلْ بَلَّغتُم ما أُنْزِلَ إلَيْكُم مِنْ رَبِّكُم ؟ وبِماذا أجابَكُم أقوامُكُمْ ؟

ولَنُخْبِرنَّ الجميعَ إخباراً صادِقاً بجميعِ ما كانَ مِنْهُم ، لأَنَّنا أحْصَيْنا عليْهِم كُلَّ شيءٍ ، فَما كُنّا غائِبينَ عنْهُم ، ولا جاهِلينَ بِما كانوا يَعْمَلونَ .

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

ويَومَ نسْأَلُهُمْ ونُخبِرُهُمْ ، سيكونُ تَقديرُ الأعمالِ للجَزاءِ عَليْها تَقْديراً عادِلاً ، فالّذينَ كَثُرَتْ حَسَناتُهُمْ ، ورَجَحَتْ على سَيئاتِهِم هُمُ الفائِزونَ ، الّذينَ نُبْعِدُهُمْ عنِ النّارِ ، ونُدْخِلُهُمُ الجنَّةَ .

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾

والّذينَ كَثُرَتْ سَيِّئاتُهُمْ وَرَجحَتْ على حَسَناتِهِمْ هُمُ الخاسِرونَ ، لأنَّهم باعوا أَنْفُسَهُمْ لِلشَّيْطانِ ، فَتَرَكوا التَّدبُّرَ فِي آياتِنا كُفْراً وعِناداً ، وبذلكَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ بإهْلاكِها ، وظَلَموا آياتِ اللهِ بِكُفْرِهِمْ بِها ، وإِنْكارِهِمْ لها . ومِنَ الواجبِ على المُسْلِمِ أنْ يُؤْمِنَ بأَنَّ في الآخرةِ وَزْناً للأعْمالِ ، وأَنَّهُ على مِقدارِ ما يَظْهَرُ يكونُ الجزاءُ ، وأنّهُ وَزْنٌ أو ميزانٌ يَليقُ بما يَجْري في ذلكَ اليوم الهائلِ الشَّديدِ ، أَما كَيْفِيَّةُ هذا الوَزْنِ فَمَرَدُّهُ إِلى اللهِ تَعالى ، لأَنَّه شيءٌ اسْتأثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ ، وعلى المَرْءِ المُسْلِمِ أنْ يُعْفِيَ نَفْسَهُ مِنْ مُحاوَلَةِ الكَشْفِ عَنْ أَمْرٍ غَيبيٍّ لمْ يَرِدْ في حقيقتِهِ خَبَرٌ قاطِعٌ فِي كتابِ اللهِ تَعالى أو سُنَّةِ رَسولِهِ ﷺ .

دروس وعبر :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ العاقلُ يكونُ في حياتِهِ بينَ الخوفِ والرَّجاءِ ، وثيقَ الصِّلَةِ باللهِ تَعالى .

٢ـ وَزْنُ الأعمالِ يومَ القيامةِ وسؤالُ اللهِ النّاسَ ، أُمورٌ حَتْمِيَّةٌ لا شكَّ فيها .

٣ـ أَصْحابُ الطّاعاتِ والحَسَناتِ هُمُ الفائِزونَ يومَ القيامةِ ، وأَمّا الظّالِمونَ فَلا تَنْفَعُهُمُ الأَعْذارُ الّتي يُقَدِّمونَها .

التقويم :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

حَرَجٌ ، ذِكْرى ، بَياتاً ، قائِلونَ ، دعواهُم ، ثَقُلَتْ موازينُهُ .

٢ـ اذْكُر ـ باختصارٍ ـ ما اشْتَمَلَتْ عليْهِ هذهِ السورَةُ الكَريمةُ .

٣ـ بيِّنِ العلاقةَ بينَ هذهِ السّورةِ وسورةِ الأنعامِ .

٤ـ ماذا يُرادُ بالحُروفِ المُقطَّعةِ في أوائلِ بعضِ السُّوَرِ ؟

٥ـ كانَ مِنْ قَصْدِ هذهِ الآياتِ الكَريمةِ تقويةُ قَلْبِ النَّبيِّ ﷺ وأَتْباعِهِ مِنَ الدُّعاةِ . وضّحْ ذلكَ .

٦ـ ماذا كانَ شأْنُ الظّالِمينَ عندما جاءَهُمُ العذابُ ؟

٧ـ ما المَقصودُ مِنْ سُؤالِ الرُّسُلِ يومَ القيامةِ ؟

* * *

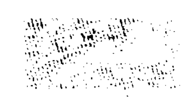
الدَّرسُ الخامِسَ عَشَرَ

سورَةُ الأَعْرافِ ـ القِسْمُ الثّاني

وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَكنّاكُمْ	: جَعَلْنا لكُم فيها مَكاناً وَمَقراً .
الصّاغِرينَ	: الأَذِلّاءِ المُهانينَ .
أَنْظِرْني	: أخِّرْني وأَمْهِلْني في الحياةِ .
المُنظَرينَ	: المُمْهَلينَ إلى وقتِ النَّفْخةِ الأُولى .
فَبِما أغويْتَني	: فَبِما أضلَلْتَني .
لأَقعدنَّ لَهُم	: لأَترَصَّدَنَّهُمْ ولأَجْلِسَنَّ لهُم .
مَذءُوماً	: مَعيباً مُحَقَّراً لَعيناً .
مَدْحوراً	: مَطروداً مُبْعَداً .



بَعْدَ أَنْ بيّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى جَزاءَ المُحْسِنينَ وجزاءَ المُسيئينَ ، أَتْبَعَ ذلكَ بِبَيانِ بعضِ مَظاهِرِ فَضْلِهِ على عبادِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾

ولقدْ جَعَلْنا لَكُمْ يا بَني آدمَ مَكاناً وقَراراً في الأَرْضِ ، وأَقْدَرْناكُمْ على التَّصرُّفِ فيها ، وأنشأْنا لكُمْ فيها أنواعاً شتَّى مِنَ المَطاعمِ والمَشاربِ الّتي تَعيشونَ بِها عيشةً راضِيَةً ، ولكنَّ كثيراً مِنْكُمْ لم يُقابِلوا هذهِ النِّعمَ بالشُّكْرِ ، بلْ قابلوها بالجُحودِ والكُفْرانِ ، وسَتَلْقَوْنَ جَزاءَ ذلكَ .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾

وفي أخبارِ الأَوّلينَ عِبَرٌ ومواعِظُ يَتّضحُ مِنها أنَّ الشَّيْطانَ يُحاوِلُ أنْ يُزيلَ عنِ النّاسِ النِّعمَ بِنسيانِهِمْ أَمْرَ اللهِ ، فيذكِّرُهُمُ اللهُ بأَصْلِ خَلْقِهِمْ : فنحنُ خَلَقْنا أَباكُم آدمَ ثُمَّ صَوَّرْناهُ على أتَمِّ صورةٍ ، ثُمَّ قلْنا للملائِكةِ اسْجُدوا لآدمَ سجودَ إجلالٍ وتَكْريمٍ ، فَسَجدوا جميعاً طاعةً لأمْرِ ربِّهِمْ ، إلاّ إبليسَ فإنَّه لم يَمْتَثِلْ ولمْ يَكُنْ مِنَ السّاجِدينَ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ والّتي سَبَقَتْها بيانٌ لِنِعْمَتَيْنِ عَظيمَتَيْنِ مِنْ نعمِ اللهِ تَعالى على عِبادِه ، أُولاهُما : نِعْمَةُ التَّمْكينِ في الأرضِ ، واتِّخاذُهمْ إيّاها وَطَناً مُزوَّداً بِضُروبٍ شتّى مِنَ الأشياءِ الّتي يَحتاجونَ إِلَيْها في معايِشِهِمْ ، وما بِهِ حياتُهُمْ وكَمالُها .

وثانِيهُما : نِعمةُ خَلْقِهِمْ مِنْ أَبٍ واحِدٍ ، يَجْمَعُهُمْ بِهِ رَحِمٌ واحدةٌ ، وبِسبَبِها كانوا خُلَفاءَ في الأرضِ لِعِمارَتِها وفُضِّلوا على كثيرٍ مِنَ الخَلْقِ ، فكانَ الواجبُ عَلَيْهِم أنْ يُقابِلوا هذهِ النِّعمَ بالشُّكْرِ والإيمانِ .

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾

قالَ اللهُ تَعالى مُنْكِراً على إِبليسَ لعنَهُ اللهُ عِصْيانَهُ : ما مَنَعَكَ عَنِ السُّجودِ لآدَمَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وقدْ أَمَرْتُكَ بهِ ؟ قالَ إِبليسُ في عِنادٍ وكِبْرٍ : أَنا خيرٌ مِنْ آدمَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لأَنَّكَ خَلَقْتَني مِنْ نارٍ ، وخَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ ، والنّارُ أشْرفُ مِنَ الطِّينِ . هكذا قالَ إبليسُ فاسْتَحقَّ عِقابَ اللهِ بِسَبَبِ رَفْضِهِ أمْرَ اللهِ تَعالى .

﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾

فجازاهُ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى على عِنادِهِ وكِبْرِهِ بِطَرْدِهِ مِنْ دارِ كرامتهِ ، وقالَ لَهُ : اهبطْ مِنْها بعدَ أنْ كُنْتَ في مَنْزِلةٍ عاليةٍ ، فما يَنْبَغي لكَ أنْ تَتكبَّرَ وتعصِيَ فيها ، فاخْرُجْ مِنْها مَحكوماً عليكَ بالصَّغارِ والهوانِ .

﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

قالَ إبليسُ للهِ تَعالى : أخِّرْني ، ولا تُمِتْني إلى يوم بعثِ آدمَ وذُرِّيَّتِه مِنَ القبورِ ، وهوَ وقتُ النَّفخةِ الثّانيةِ عِنْدَ قيامِ السّاعةِ ، وقدْ أرادَ بذلكَ النَّجاةَ مِنَ الموتِ ، إذْ لا موتَ بعدَ البَعْثِ ، كَما أرادَ بذلكَ أَنْ يَجِدَّ لإغواءِ بني آدَمَ .

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾

قالَ اللهُ تَعالى لـهُ : إنَّكَ مِنَ المُؤَخَّرينَ إلى يوم الوقتِ المَعْلوم ، كَما جاءَ ذلكَ فِي قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ [الحجر : ٣٦ـ ٣٨] وهُو وقتُ النَّفخةِ الأولى ، فيموتُ كما يموتُ غَيْرُهُ ، هكذا هُوَ قَضاءُ اللهِ تَعالى ، واللهُ أَعلَمُ .

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾

وبِسَبَبِ حِقْدِ إبليسَ على آدمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وذُرِّيتِهِ وحَسَدِهِ لَهُمْ ، قالَ مُخاطِباً اللهَ تَعالى : بسَبَبِ حُكْمِكَ عليَّ بالغِوايةِ والضَّلالِ ، أُقْسِمُ لأُضِلَّنَّ بَني آدمَ وأبيهِمْ مُترصِّداً لهُم على طريقِ الحقِّ وسبيلِ النَّجاةِ ، كما يَترصَّدُ قُطّاعُ الطُّرقِ للسّائِرينَ فأَصُدُّهمْ عَنِ اتِّباعِ الحقِّ ، وأُحاولُ بُكلِّ السُبلِ أنْ أَصُدَّهُمْ عنْ صِراطِكَ المُستقيمِ ، ولنْ أَتكاسَلَ عنِ العملِ على إفْسادِهِمْ وإضْلالِهِمْ .

﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾

قالَ إبليسُ : وأُقْسِمُ لآتينَّهُمْ مِنْ أَمامِهِمْ ومِنْ خَلْفِهِمْ ، وعَنْ أَيْمانِهِمْ وعَنْ شَمائِلِهِمْ ، ومِنْ كلِّ جهةٍ أستطيعُها ، مُلْتَمِساً كُلَّ غفلةٍ منهُم أوْ ضعفٍ فيهِم ، لأصِلَ إلى إغْوائِهِمْ ، حتَّى لا يَكونَ أكثرُهُم مُؤمنينَ بكَ ، لعدمِ شُكْرِهِمْ لِنِعْمَتِكَ .

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

فزادَهُ اللهُ تَعالى نِكايةً ، وقالَ لهُ : اخْرُجْ مِنْ دارِ كَرامتي مَذْموماً بِكِبْرِكَ وعِصْيانِكَ ، وهالِكاً في نِهايَتِكَ ، وأُقْسِمُ أنَّ مَنْ تَبِعَكَ مِنْ بني آدَمَ لأملأنَّ جهنَّمَ مِنكَ ومِنْهُم أَجْمَعينَ .

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ بيانُ نعمةِ اللهِ تَعالى على عِبادِهِ بِتَمْكينِهِمْ في الأرضِ ، وجَعْلِها موضعَ اعتياشٍ لَهُمْ ، وتكريمِهِمْ بأنْ خَلقَهُم وأسْجَدَ لهم ملائِكَتَهُ .

٢ـ عداوةُ إبليسَ للإنسانِ مُتأَصّلةٌ وقديمةٌ قِدَمَ خَلْقِ آدمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

٣ـ التكبُّرُ على أمْرِ اللهِ تَعالى يُؤدِّي إلى غَضَبِ اللهِ ، والطَّردِ مِنْ رحمتِهِ .

٤ـ على الإنسانِ أنْ يَحْذَرَ هذا العدوَّ اللّدودَ المُسْتَكْبِرَ ، الّذي أَقْسَمَ أمامَ اللهِ على إغواءِ الإنسانِ وإضْلالِهِ .

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

مَكَّنّاكُمْ ، الصّاغِرينَ ، أَنْظِرْني ، لأَقْعُدَنَّ لهمُ ، مَذءُوماً .

٢ـ ذكرتِ الآياتُ الكَريمةُ نِعَماً عِدّةً أنعمَ بها اللهُ تَعالى على عبادِهِ ، بَيِّنْ هذهِ النِّعَمَ .

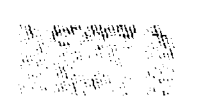
٣ـ بيِّنْ لماذا امتنعَ إبليسُ عنِ السُّجودِ لآدمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

٤ـ ما غرَضُ إبليسَ مِنْ طلبِ الإمهالِ إلى يومِ البعثِ ؟

٥ـ إلى أيِّ زمانٍ أمْهَلَ اللهُ تَعالى إبليسَ ؟

٦ـ بيِّنْ عاقبةَ إبليسَ ومَنْ تَبِعَهُ مِنَ النّاسِ .

٧ـ اذْكُرِ الحوارَ الّذي دارَ بينَ إبليسَ واللهِ تَعالى كَما بيّنتْهُ الآياتُ .



١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَسماءَ ثلاثِ سُوَرٍ ذُكِرَتْ فيها قِصَّةُ آدمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيتَي سورةِ الحَشْرِ اللّتيْنِ تُبيِّنانِ مَكْرَ الشّيطانِ ، وتَضليلَهُ للإنسانِ .

الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَرَ

سورةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَوَسْوَسَ لَهُما : أَلْقى إليهما الوَسْوَسَةَ .

ما وُرِيَ عنْهُما : ما سُتِرَ وأُخْفِيَ وغُطِّيَ عنْهُما .

سَوْءاتِهِما : عَوْراتِهِما الّتي يسوءُهُما ظُهورُها .

وقاسَمَهُما : أَقْسَمَ وحَلَفَ لهُما .

فَدلاَّهُما بغرورٍ : فأنزلَهُما عِنْ رُتْبَةِ الطّاعةِ بخداعٍ .

وطفِقا يَخْصِفانِ : شَرَعا وأخذا يلزقانِ .

بِغُرورٍ : خِداعٍ بالباطِلِ .

بَعْدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى حقيقةَ عَداوةِ إبليسَ-لعَنَهُ اللهُ تَعالى-لبَني آدمَ ، أَخَذَتْ هذِهِ الآياتُ الكَريمةُ في بَيانِ ما كانَ مِنْ إبليسَ بِشأْنِ آدمَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - وإخْراجِهِ إيّاهُ مِنَ الجنَّةِ ، قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

ونادى اللهُ تَعالى آدمَ عليْهِ السَّلامُ - قائِلاً لَهُ : يا آدمُ اسْكُنْ أَنتَ وامرأتُكَ الجنَّةَ ، وهيَ دارُ كَرامَتي ومُسْتَقرُّ رَحْمتي ، وتَنعَّما بِما فيها ، فَكُلا مِنْ أيِّ طعامٍ أَرَدْتُما إلاّ هذِهِ الشجرةَ ،وعيَّنَ لَهُما شجرةً وحرَّمَ عليْهِما قُرْبَها ، فَلا تَقْرَباها حتَّى لا تكونا مِنَ الظّالمينَ لأنْفُسِهِمْ بعدمِ الطّاعةِ وباسْتِحقاقِ العِقابِ المُتَرتِّبِ على المُخالَفةِ . وموقعُ الجنّةِ والشَّجرةِ الّتي نُهيا عَنِ الأَكْلِ مِنْها لَمْ يَرِدْ بهِ خبرٌ صحيحٌ ، فالأَوْلَى تركُ البَحْثِ فيما لا ثَمرَةَ مِنْ ورائِهِ والإيمانُ بذلكَ كَما أخبرَ اللهُ تَعالى .

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

فزيّنَ لَهُما الشّيطانُ مُخالَفةَ أمْرِ اللهِ تَعالى ، ليقَعا في المعصيةِ بأنْ يَأكُلَ هُوَ وزوجُهُ مِنَ الشَّجرةِ المُحرَّمةِ ، لِتكونَ عاقبةُ ذلكَ ونَتيجتُهُ أنْ يَظهرَ لَهُما ما سُتِرَ عنهُما مِنْ عَوْراتِهِما ، وكانا لا يَريانِها مِنْ أنفسِهما ولا أحدُهُما مِنَ الآخَرِ . ولمْ يَكْتَفِ إبليسُ اللّعينُ بهذا ، بلْ خدَعَهُما قائلاً لَهُما : ما نهاكُما ربُّكما عنِ الأكْلِ مِنْ هذهِ الشَّجرةِ إلاّ كراهةَ أنْ تَكونا مَلَكيْنِ ، أوْ تكونا مِنَ الخالِدينَ الّذينَ لا يَموتونَ ، بلْ يَبقوْنَ في الجنَّةِ ساكِنينَ . ولا يزولُ عنهُما ما هُما فيهِ مِنَ النَّعيمِ .

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

حَلفَ لَهُما بالأَيْمانِ المُغلَّظةِ أنَّهُ لهُما : أيْ لآدَمَ وزوجِهِ مِنَ النّاصِحينَ المُخلِصينَ ، وأنّه لا يُريدُ لَهُما إلاّ ما فيهِ المَنفعةُ لهُما ، حتّى نَسِيا مَوْقِفَهُما مِنَ اللهِ ، وأوامِرِه إليْهِما .

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

فَخَدَعَ إبليسُ ما غرَّهُما به مِنْ قَسَمٍ ، وساقَ آدمَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - وحواءَ إلى مُخالفةِ أَمْرِ اللهِ تَعالى بالأَكْلِ مِنَ الشَّجرةِ المَمنوعةِ ، فلمّا ذاقا طَعْمَها ، وانكشفَتْ لَهُما عوراتُهُما ، وتساقطَ عنهُما لِباسُهُما ، بانَ لهُما شُؤْمُ المَعصيةِ ، فَجَعلا يَجْمعانِ بَعْضَ أوراقِ الشَّجرِ ليستُرا بِها عوراتِهِما . وقدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِما الخَوْفُ والحياءُ مِنْ ربِّهِما سُبْحانَهُ وتَعالى ، هنالكَ جاءَهُما النِّداءُ الإلهيُّ بِتَقْريعِهِما

ولَوْمِهما ومُعاتَبتِهما وتَنْبيهِهما إلى الخَطأ الّذي وقَعا فيهِ ، فقالَ اللهُ تَعالى لهُما : ألمْ أَنْهَكُما عِنْ تِلْكُما الشَّجرةِ ، وأُخْبِرْكُما أنَّ الشّيطانَ لكُما عدوٌّ مبينٌ ، لا يُريدُ لكُما الخيرَ .

وبعدَ النِّداءِ الإلهيِّ العاتِبِ الّذي سَمِعَه آدمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وزوجُهُ ، التمَسا سبيلَ الصَّفْحِ والمَغفرةِ ، فألهمَهُما ربُّهما أنْ يَتوبا إليْهِ ، ويَستغفِرا مِنْ ذَنْبِهما بِكَلِماتٍ ، هُنَّ مِنْ فَيْضِ الرَّحمةِ الإلهيَّةِ ، فتابَ اللهُ تَعالى عَليْهِما ، وهُوَ التّوابُ الرَّحيمُ ، قالَ تَعالى في بيانِ ذلكَ :

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

فاضَتْ مِنْ آدَمَ عليْهِ السَّلامُ وحَوّاءَ دُموعُ الاسْتِغفارِ ، وأحسّا بعظيمِ الذَّنْبِ ، فَأَخَذا في التَّضرُّعِ إلى اللهِ تَعالى بما ألهَمَهُما إيّاهُ قائِليْنِ : يا ربَّنا ظَلَمْنا أنْفُسَنا بمُخالفةِ أمْرِكَ الّتي اسْتَوْجَبَتْ زوالَ النِّعمِ ، وإنْ لمْ تَغْفِرْ يا ربَّنا مُخالفَتَنا وتَرْحَمْنا بِفَضْلِكَ ، لَنكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ .

﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

قالَ اللهُ تَعالى لهُما وللشَّيْطانِ اللَّعينِ : اهبِطوا جميعاً بعضُكُم لبعضٍ عدوٌّ ، ولكُم في الأرضِ استقرارٌ وتَمتُّعٌ إلى حينِ انقضاءِ آجالِكُمْ .

﴿ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

في الأرضِ تُولَدونَ وتَعيشونَ حياتَكُمُ الدُّنيا ، وفيها تَموتونَ وتُدفَنونَ ، ومِنْها عندَ البَعْثِ تُخرَجونَ ، وهذِه سُنَّةُ اللهِ تَعالى في خَلْقِهِ ، وهذا هُوَ حُكْمُهُ فيهِمْ ، فسُبْحانَ اللهِ العظيمِ ! !

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

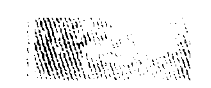
١ـ إنَّ اتِّباعَ خُطواتِ الشَّيطانِ لا يؤدِّي إلاّ إلى الفَضيحةِ .

٢ـ لا يَتورَّعُ إبليسُ اللَّعينُ وأعوانُهُ مِنَ الحَلْفِ الكاذبِ بأغْلَظِ الأَيْمانِ .

٣ـ على الإنسانِ أنْ يَرْضى بِما قَسَمَ اللهُ تَعالى لهُ .

٤ـ مُخالَفَةُ أوامرِ اللهِ تَعالى لا تُؤدِّي إلى الخيرِ .

٥ـ يَنْبَغي للإنسانِ العاقلِ أنْ لا يَغفَلَ عَنْ عداوةِ الشَّيطانِ لَهُ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

فَوَسوسَ لهُما ، ما وُرِيَ عنهُما ، سواءِتِهما ، قاسَمَهُما ، دَلاّهما بِغُرورٍ ، طَفِقا يَخْصِفانِ .

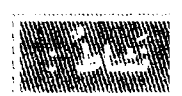
٢ـ بيِّنْ مَوْقِفَ الإنسانِ مِنَ الأشياءِ الّتي حدَّثَنا القرآنُ عنها دونَ تَعيينٍ .

٣ـ ما الحُجَجُ الّتي بَسَطَها الشَّيطانُ لآدَمَ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ فَأَوْقَعَهُ في المَعصيةِ هُوَ وزوجَهُ ؟

٤ـ ما الأسْلوبُ الّذي اتَّبَعهُ إبليسُ في إغواءِ آدَمَ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ وزَوْجِه ؟

٥ـ ماذا كانتْ نتيجةُ الوُقوعِ في المَعصيةِ ؟

٦ـ ما مَوْقِفُ آدمَ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ وحواءَ بعدَ ما عرفا أنَّهما سَقَطا في حبائِلِ الشَّيطانِ ؟



ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ شروطَ التَّوبةِ .

* * *

الدَّرسُ السَّابِعَ عَشَرَ

سورةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أنزَلْنا عَلَيْكُمْ : أعْطَيْناكُمْ ووهبْنا لكُمْ .

يواري سَوْءاتِكُمْ : يَسْترُ ويُغَطِّي عوراتِكُمْ .

رِيشاً : لباسَ زينةٍ تَتجمّلون بِهِ .

لباسُ التَّقوى : الإيمانُ وثَمَراتُهُ .

لا يَفْتِنَنَّكُمْ : لا يُضِلَّنَّكُمْ ولا يَخْدَعَنَّكُمْ .

يَنزِعُ عنهُما : يُزيلُ عَنْهُما .

قبيلُهُ : جُنودُهُ أو ذرِّيَّتُهُ .

فَعلوا فاحِشةً : أَتَوْا فِعْلةً مُتناهيةً في القُبْحِ .

القِسْطِ : العَدْل ، وهُو جميعُ الطّاعاتِ والقُرُباتِ الّتي طلبَها اللهُ تَعالى .

أَقيموا وُجوهَكُمْ : تَوجَّهوا إلى عبادَتِهِ مُسْتَقيمين .

بَعْدَ بيانِ قصةِ آدمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وإغواءِ الشَّيطانِ لهُ ، وإخراجِهِ مِنَ الجنَّةِ ، واسْتِقرارِهِ في الأرضِ ، تُبيِّنُ الآياتُ الكريمةُ وُجوبَ اتِّباعِ دينِ اللهِ تَعالى وشَرْعِهِ ، والحَذَرَ مِنَ الشَّيطانِ وَوساوسِه ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾

يا بَني آدمَ : تَذكَّروا واعْتَبروا ، واشْكُروا اللهَ تَعالى على ما حَباكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمٍ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ قَدْ هَيأَ لكُم سبيلَ الحُصولِ على المَلْبَسِ الّذي تَسترُونَ بِهِ عَوْراتِكُمْ ، وتَتزيَّنونَ بِهِ في حياتِكُمْ ، ولكنَّ لِباسَ الطّاعةِ الّذي يَصونُ النَّفسَ عَنِ الدَّنايا والأَرْجاسِ ، ويَسْتُرُها بالإيمانِ والعملِ الصّالحِ هُوَ خيرٌ مِنْ كلِّ لِباسٍ حَسَنٍ يَتزيَّنُ بِهِ البشرُ ، لأنَّ هذا اللِّباسَ هُوَ الّذي يَقي الإنسانَ مِنْ عذابِ اللهِ تَعالى ، وتلكَ النِّعَمُ مِنَ الآياتِ الدّالَّةِ على قُدْرَةِ اللهِ ورَحْمتِهِ ، لِيتَذَكَّرَ النّاسُ بِها عَظَمتَهُ واسْتِحقاقَهُ الأُلوهيّةَ وَحْدَه سُبْحانَهُ وتَعالى .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

يا بَني آدَمَ : لا تَستَجيبوا للشَّيْطانِ وإضْلالِهِ ، فتَخرُجوا مِنْ هذهِ النِّعَمِ الّتي لا تَدومُ إلاّ بالشُّكرِ والطّاعةِ ، كَما استجابَ آدمُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وحَوّاءُ ، فأَخْرَجَهُما الشَّيْطانُ مِنَ النَّعيمِ والكَرامةِ ، ونَزَعَ عنهُما لِباسَهُما ، وأظهرَ لهُما عوراتِهِما . يا بَني آدَمَ : إنّ الشَّيْطانَ يأتيكُمْ هُوَ وأَعوانُهُ مِنْ حيثُ لا تشعُرونَ بِهِمْ ، ولا تَحُسّونَ بأساليبِهِمْ ومَكْرِهِمْ ، فَهُوَ يراكُم وأنتُم لا تَرَوْنَهُ ، وليسَ للشَّيطانِ سُلطانٌ على المؤمِنينَ ، ولكنَّنا جَعَلْناهُ وأَعْوانَهُ أولياءَ للّذينَ لا يُؤْمِنونَ إيماناً صادِقاً يَسْتَلزِمُ الطّاعةَ التّامَّةَ .

ثُمَّ حَكى القرآنُ الكَريمُ بعدَ ذلكَ بعضَ القبائحِ الّتي كانَ يَفعلُها المشرِكونَ ، وَرَدَّ على أكاذيبِهِمْ بما يُبدِّدُها . وهذه القبائحُ كُلُّها مِنْ تَزيينِ الشَّيطانِ واسْتِسْلامِ الكافِرينَ لإغوائِه ، قالَ تَعالى :

﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

وإذا فَعَلَ المُكذِّبونَ أمْراً بالِغَ النُّكْرِ ، كالشِّرْكِ باللهِ تَعالى والطَّوافِ بالبيتِ عُراةً وغيرِ هذا مِنَ

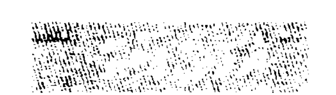
القبائحِ ، اعتذَروا وقالوا : إنّا وَجَدْنا آباءَنا يَسيرونَ على هذا المِنْهاجِ ونحنُ بِهمْ مُقْتَدونَ ، واللهُ تَعالى أمرَنا بِهِ ورضِيَ عنْهُ ، حيثُ أقرَّنا عليْهِ . قلْ لهُم يا أيُّها النَّبيُّ ﷺ مُنْكِراً عَليْهِمُ افْتِراءَهُمْ : إنّ اللهَ تَعالى لا يأمُرُ بهذِهِ الأُمورِ المنْكَرَةِ . أتنسِبونَ إلى اللهِ تَعالى ما لا تجِدونَ لهُ مُسْتَنَداً ، وليسَ عِنْدَكُمْ بهِ دليلٌ على صِحَّةِ النَّسَبِ إليْهِ سُبْحانَهُ ؟

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾

بَيِّنْ لهُم يا مُحمَّدُ ﷺ ما أمرَ اللهُ تَعالى بِهِ ، وقلْ لهمُ : أَمرَ ربِّي بالعَدْلِ ، وَما لا فُحْشَ فيهِ ، وأمَرَكُم كذلِكَ أنْ تَخصُّوهُ وحْدَهُ بالعِبادةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، وأنْ تَكونوا مُخْلِصينَ لَهُ فيها ، وكلُّكُم بعدَ الموتِ راجِعونَ إليْهِ ، وكما بدأَ خَلْقَكُم بِيُسْرٍ ، وكُنْتُمْ لا تمْلِكونَ إذْ ذاكَ شيئاً ، سَتعودونَ إليهِ تارِكينَ ما خَوَّلَكُمْ مِنَ النِّعمِ وراءَ ظُهورِكُمْ . ثُمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى مَصيرَ النّاسِ بَيْنَ يديهِ يومَ القيامةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

وسيكونُ النّاسُ يومَ القيامةِ فَريقَيْنِ : فريقاً هَداهُ اللهُ تَعالى ، لأنَّهُ اختارَ طريقَ الحقِّ فآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صالِحاً ، وفريقاً آخرَ حَكَمَ عليْهِ بالضّلالةِ ، لأنَّهُ اختارَ طريقَ الباطِلِ وهوَ الكُفْرُ والعِصْيانُ ، وهؤلاءِ الضّالُّونَ قدِ اتَّخذوا الشَّياطينَ أولياءَ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى فاتّبعوهُمْ ، وهُمْ يَظُنُّونَ أنَّهم مُوفَّقونَ لاغْتِرارِهِمْ بخداعِ الشَّياطينِ .



تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ مِنْ نِعْمةِ اللهِ تَعالى إكرامُهُ الإنسانَ وَسَتْرُ عَوْرتِهِ .

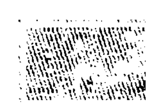
٢ـ التّقوى خيرُ لباسٍ ، لأنَّها تقي شَرَّ الوَسواسِ الخنّاسِ .

٣ـ افتراءُ الكافرينَ على اللهِ تَعالى بِزَعْمِهِمْ أنَّ ما هُم فيهِ مِنَ الشِّركِ قدْ رَضِيَ اللهُ تَعالى بِهِ ، والأصلُ أنْ لا يقولَ الإنسانُ على اللهِ تَعالى غيرَ الحقِّ .

٤ـ اللهُ تَعالى لا يأمُرُ بالفَحْشاءِ ولا يُحِبُّ الفاحِشينَ ، وهُو سُبْحانَهُ لا يَأْمُرُ إلاّ بالطّاعةِ ، والعَدْلِ .

٥ـ ضرورةُ الإخْلاصِ للهِ تَعالى في سائرِ الأعمالِ .

٦ـ النّاسُ فريقانِ : مُهْتَدونَ وضالُّونَ ، وكلٌّ حَسَبَ تَوجُّهِهِ واخْتيارِهِ .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

يُواري سوءاتِكُمْ ، ريشاً ، يَنزِعُ ، قبيلُهُ ، القِسْطِ ، وأَقيموا وُجوهَكُمْ عندَ كلِّ مسجدٍ .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ منَ الآياتِ الكَريمةِ على ما يلي :

ـ لباسُ التّقوى خيرُ لباسٍ .

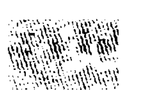
ب ـ المشرِكونَ يُلقونَ تَبِعَةَ ضَلالِهِمْ على آبائِهِمْ .

ج ـ اللهُ تَعالى لا يَأْمُرُ بالفَحْشاءِ .

د ـ النّاسُ فَريقانِ : مُهتدونَ وضالُّونَ .

هـ ـ البعثُ حقٌّ .

٣ـ لِماذا ذَكَرَتِ الآياتُ قصَّةَ إخراجِ آدمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنَ الجنَّةِ ؟



ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ الّتي تدعو النّاسَ لأَخْذِ الزِّينةِ عندَ كلِّ مسجدٍ .

* * *

الدَّرسُ الثامنَ عشرَ

سورةُ الأعرافِ ـ القِسمُ الخامِسُ

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦) ﴾

معاني المفردات :

خُذوا زينتَكُمْ : البَسُوا أفضلَ ثيابِكُم وتزيَّنوا .

الفواحِشَ : كبائرَ المَعاصي .

البَغْيَ : الظُّلْمَ ، والاسْتِطالةَ على النّاسِ .

سُلطاناً : حُجّةً وبُرْهاناً .

التفسير :

تُتابعُ هذه الآياتُ الكَريمةُ بيانَ التَّوجيهاتِ الإلهيَّةِ لِبَني آدمَ . وفي هذا النِّداءِ الأَوَّلِ يأمُرُ اللهُ تَعالى عبادَهُ بالتَّزيُّنِ والتَّمتُّعِ بالحلالِ دونَ إسْرافٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

يا بني آدمَ خُذوا زينتكُمْ مِنَ اللِّباسِ المادِيِّ الّذي يَسترُ العَوْرةَ ، والبَسوا الجميلَ مِنَ الثِّيابِ ، ومِنَ اللِّباسِ الأدبيِّ وهوَ التّقوى ، عندَ كلِّ مكانٍ للصّلاةِ ، وفي كلِّ وقتٍ تُؤَدُّونَ فيهِ العبادةَ ، واستمتِعوا بما أحلَّ اللهُ لكُم مِنَ الأكْلِ والشُّربِ غيرَ مُسرِفينَ في ذلكَ ، فَلا تَتناوَلوا المُحَرَّمَ ، ولا تَتَجاوَزوا الحدَّ المَعقولَ مِنَ المُتعةِ ، إنَّ اللهَ تعالى لا يَرْضى عنِ المُسْرِفينَ .

وهذِهِ الآياتُ الكَريمةُ تَهدي النّاسَ إلى ما يُصْلِحُ معاشَهُمْ ومَعادَهُمْ ، إذْ إنَّها أباحَتْ للمُسلِمِ أَنْ يتمَتَّعَ بالطَّيِّباتِ الّتي أباحَها اللهُ تَعالى ، ولكنْ مِنْ دونِ إسْرافٍ أوْ بَطَرٍ ، ولِذا جاءَ الرَّدُّ على المُتَنطّعينَ ، الّذينَ يُضيِّقونَ على أنفُسِهمْ ما وسَّعهُ الله عليْهِمْ وعلى النّاسِ ، فقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

قلْ لهُم يا محمَّدُ ﷺ مُنْكِراً عليْهِمُ افْتراءَ التّحليلِ والتَّحريمِ على اللهِ تَعالى : مَنِ الّذي حرَّمَ زينةَ اللهِ الّتي خَلَقَها لِعبادِهِ ؟ ومَنِ الّذينَ حَرَّموا الحلالَ الطَّيِّبَ مِنَ الرّزقِ ؟ قلْ لهُم : إنّ هذهِ الطَّيِّباتِ نِعمةٌ مِنَ اللهِ تَعالى ، أباحَ أنْ يَتمتَّعَ بِها الّذينَ آمنُوا في الدُّنيا ، لأنَّهم يُؤدُّونَ حقَّها بالشُّكْرِ والطّاعةِ ، ولكنَّ رحمةَ اللهِ تَعالى الواسِعةَ شمِلَتِ الكافِرينَ ، فهُم كذلكَ يَتمتَّعونَ بهذِهِ النِّعمِ في الدُّنيا ، وسَتكونُ النِّعَمُ خالِصةً يومَ القيامةِ للمؤمِنينَ لا يُشارِكُهُمْ فيها غيرُهُمْ ، ونحنُ نُفَصِّلُ الآياتِ الدّالّةَ على الأحكامِ على هذا المِنوالِ الواضِحِ ، لِقَوْمٍ يُدرِكونَ أَنَّ اللهَ وحْدَهُ مالِكُ المُلْكِ ، بيدِهِ التَّحليلُ والتَّحريمُ .

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

قلْ يا مُحمَّدُ ﷺ لهؤلاءِ الّذينَ ضيّقوا على أنْفُسِهمْ ما وسَّعهُ اللهُ تَعالى عليهِم : إنَّما حرَّمَ ربِّي الأُمورَ الفواحِشَ ، وهي الّتي تناهَتْ في القُبْحِ ، سواءٌ منها ما يُرْتَكَبُ سِرّاً وما يُرْتَكَبُ علانيةً ، والمَعصيةَ أيّاً كانَ نَوْعُها ، والظُّلْمَ الّذي ليسَ لهُ وَجْهُ حقٍّ ، وحَرَّمَ أنْ تُشْرِكوا بهِ دونَ حُجَّةٍ صحيحةٍ أوْ دليلٍ قاطعٍ ، وأنْ تفْتَروا عليْهِ سُبْحانَهُ بالكَذِبِ في التَّحليلِ والتَّحريمِ وغيرِها .

ومَنْ تأمَّلَ هذهِ الآيةَ الكَريمةَ فإنَّه يَجْتَنِبُ أنْ يُحرِّمَ على عبادِ اللهِ تَعالى شيئاً ، أوْ يوجبَ عليْهِمْ شيئاً في دينِهم بغيرِ نصٍّ صريحٍ عنِ اللهِ تَعالى أوْ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ ، بلْ يَجْتَنِبُ أيضاً أنْ يقولَ هذا

مندوبٌ أوْ مَكْروهٌ في الدّينِ بغيرِ دليلٍ واضحٍ مِنَ النُّصوصِ ، وما أكثرَ الغافِلينَ عنْ هذا ، المُجْتَرِئينَ على التَّشريعِ .

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾

لكلِّ أُمَّةٍ مِنَ الأُممِ ولكلِّ جيلٍ مِنَ الأجيالِ مُدّةٌ مِنَ العُمْرِ مَحدودةٌ في عِلْمِ اللهِ تَعالى ، فإذا ما انْتَهَتْ هذِه المُدَّةُ انقطعَتْ حياتُهُمْ ، وفارقوا هذِهِ الدُّنيا مِنْ دونِ أيِّ تقديمٍ أو تأخيرٍ .

وليسَ المُرادُ بالسّاعةِ هُنا ما اصْطَلَحَ عليْهِ النّاسُ مِنْ كَوْنِها سِتّينَ دقيقةً ، وإنّما المُرادُ بِها الوقتُ الّذي هُوَ في غايةِ القِلَّةِ .

ثُمَّ أَوْرَدَ القرآنُ الكَريمُ بعدَ ذلكَ النِّداءَ الرّابعَ والأخيرَ لِبَني آدمَ ، وحَضَّهُمْ فيهِ على اتّباعِ الرُّسلِ ـ عليْهِم السَّلامُ ـ والسّيْرِ على الطّريقِ المُسْتَقيمِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ .

يا بَني آدمَ إنْ يأتِكُمْ رُسلٌ مِنْ أبناءِ جِنْسِكُمْ ، تَعرفونَهُمْ وتَعرفونَ نَسَبَهُمْ ، يَتلونَ عليكُم آياتِي الّتي أنزلتُها عليكُم لِهدايَتِكُم ، فآمِنُوا بِهم وعزِّروهُم وانْصُروهُمْ ، فإنَّ مَنْ آمنَ بِهِمْ واتَّقَى ما نهاهُ عنْه ربُّه سُبْحانَهُ وتَعالى ، وأَصْلَحَ نَفْسَهُ وعَمَلَه ، فأُولئِكَ لا خَوْفٌ عليْهِم يومَ القيامةِ ، ولا هُم يَحزنونَ لِمُفارقةِ الدُّنيا وزينَتِها .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

والّذينَ كذّبوا بالآياتِ الّتي أنْزَلْتُها على الرُّسلِ لِهدايتِهِمْ ويَستكبرونَ عَنِ اتِّباعِها والاهْتداءِ بها ، فأولئِكَ هُمْ أهلُ النّارِ ، هُمْ فيها مُعَذَّبونَ خالِدونَ أبداً في ذلكَ العذابِ الّذي هُوَ الجزاءُ المُقرَّرُ لهُم إزاءَ كَذِبِهِمْ واسْتِكبارِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ وُجوبُ أخذِ الزّينةِ عندَ مواضعِ الصَّلاةِ وعندَ أدائِها .

٢ـ تحريمُ القَوْلِ على اللهِ تَعالى بغيرِ عِلْمٍ ولا هُدىً .

٣ـ تحريمُ الفواحشِ وكُلِّ ما يقودُ إلى المَعْصِيَةِ . والشِّرْكُ باللهِ مِنْ أعْظَمِ المحرَّماتِ .

٤ـ الآجالُ والأعمارُ مُحدَّدةٌ عندَ اللهِ تَعالى .

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

خُذوا زينتَكُمْ ، الإِثْمَ ، البَغيَ .

٢ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ خمسةَ أشياءَ مُحرَّمةٍ . وضِّحْها .

٣ـ ما واجبُ الإنسانِ نحوَ الرُّسلِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ ؟

٤ـ بيِّنْ جزاءَ المُخالِفينَ لِما أمرَ اللهُ تَعالى .



١ـ اكْتُبْ آيةَ سورةِ الفرقانِ الّتي تُبيّنُ صِفةَ عبادِ الرَّحمنِ في الإنفاقِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سببَ عدَمِ تمتُّعِ الكافِرينَ بِنِعَمِ اللهِ يومَ القيامةِ .

* * *

الدَّرْسُ التاسِعَ عَشَرَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ السّادِسُ

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

مَعاني المُفرَداتِ :

ضَلّوا عنا : غابوا عنّا ولا نَجدُهُمْ .

ادّارَكوا فِيها : تلاحَقوا في النّارِ واجتمَعوا فيها .

أُخْراهُمْ : أتباعُهُمُ الّذينَ ضلّوا باتّباعِهِمْ .

أُولاهُمْ : القادةُ والرُّؤساءُ الّذينَ أضلُّوا غيرَهُمْ .

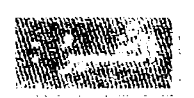
عذاباً ضِعْفاً : مُضاعَفاً .

يَلِجَ الجَمَلُ : يَدْخُلَ الجَمَلُ .

سَمِّ الخِياطِ : ثُقبِ الإبرةِ .

مِهادُ : فِراشٌ ، أيْ مُسْتَقَرٌّ .

غَواشٍ : أَغطيةٌ كاللُّحُفِ .



بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى ما يجبُ على المسلمِ فِعْلُهُ تِجاهَ ما أحلَّ اللهُ وحرَّمَ ، أَخَذَتِ الآياتُ الكَريمةُ فِي بيانِ عاقبةِ المُكذِّبينَ بآياتِ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾

فليسَ هناكَ أظْلَمُ مِنَ الّذينَ يَفْتَرونَ الكَذِبَ على اللهِ تَعالى بِنِسْبَةِ الشَّريكِ والوَلَدِ إليهِ ، وادّعاءِ التَّحليلِ والتَّحريمِ وغيرِهما مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ ، أوْ يُكذِّبونَ بآياتِ اللهِ تَعالى الموحى بِها في كُتبِهِ ، والموجودةِ في كَوْنِهِ ، أُولئِكَ يَنالونَ في الدُّنيا نَصيبَهُمْ ممّا كتبَ اللهُ تَعالى لهُم مِنَ الرِّزقِ أوِ الحياةِ أوِ العذابِ ، حتّى إذا جاءَتْهُم ملائكةُ الموتِ لِيَقْبِضوا أرواحَهُمْ قالَوا لهُم مُوَبِّخينَ : أينَ الآلِهةُ الّتي كنتُمْ تَعْبدونَها مِنْ دونِ اللهِ تَعالى لِتَدْرَأَ عنكُمُ الموتَ ؟ فَيُجيبونَ : تَبَرَّأوا مِنّا ، وتَرَكونا وغابوا عنّا ، وشَهِدَ هؤلاءِ المُكَذِّبونَ على أنفُسِهِمْ مُقرِّينَ بأنَّهم كانوا كافِرينَ .

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾

يقولُ اللهُ تَعالى يومَ القيامةِ لهؤلاءِ الكافِرينَ : ادْخُلوا النّارَ معَ أُممٍ مِنْ كُفّارِ الجنِّ والإِنسِ قدْ مَضَتْ مِنْ قَبْلكُمْ ، كُلَّما دخلَتْ أُمَّةٌ النّارَ ، لَعنتِ الأُمةَ الّتي كَفرَتْ مِثلَها والّتي اتّخذَتْها قُدْوَةً . حتّى إذا تَتابَعوا فيها مُجْتَمِعينَ قالَ التّابعونَ يَذُمّونَ المَتْبوعينَ : ربَّنا هؤلاءِ أضَلّونا ، فقلّدْناهُم واتَّبعْناهُم بِحُكْمِ تَقدُّمِهِمْ عَلَيْنا ، أوْ بِحُكْمِ سُلطانِهِمْ فَصرفونا عنْ طريقِ الحقِّ ، فعاقبْهُمْ يا ربَّنا عِقاباً مُضاعَفاً يَحمِلونَ فيهِ جزاءَ عِصْيانِهِمْ وعِصيانِنا فَيردُّ اللهُ تَعالى عليْهِم : لكلٍّ منكُم عذابٌ مُضاعَفٌ لا يَنْجو منهُ أحدُ الفَريقَيْنِ ، يُضاعَفُ عذابُ التّابِعينَ لِكُفْرِهِمْ وضَلالِهِمْ ، ولاقْتِدائِهِم بغيرِهِمْ دونَ تدبُّرٍ وتفكُّرٍ ، ويُضاعَفُ عقابُ المَتْبوعِينَ لِكُفْرِهِمْ وضَلالِهِم ، وتَكفيرِهِمْ وإضْلالِهِمْ ، ولكنْ لا تعلَمونَ مَدى ما لكلٍّ منكُم مِنَ العذابِ .

وهُنا تَنتصِرُ الطّائفةُ المُضِلَّةُ لنفسِها مُعلِنةً براءتَها مِنَ التّابِعينَ ، قالَ تَعالى مُبيِّناً ذلكَ :

﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ .

قالَ الزُّعماءُ لأتباعِهِمْ بعدَ أنْ سَمِعوا ردَّ اللهِ تَعالى عَليْهِمْ : إنّا وإيّاكُمْ مُتساوونَ في اسْتِحقاقِ العذابِ ، وكلُّنا فيهِ سواءٌ ، لأنّا لم نُجبِرْكُمْ على الكفرِ ، ولكنَّكم أنتمُ الّذينَ كفرتُمْ باختيارِكُمْ وضَللتُمْ بِسببِ جَهْلِكُمْ ، فذوقوا العَذابَ المُضاعَفَ مِثلَنا بسببِ ما اكْتَسبْتُموهُ في الدُّنيا مِنْ قبائحَ ومُنْكَراتٍ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

إنَّ الّذينَ كذَّبوا بآياتِنا المُنَزَّلةِ في الكُتُبِ ، الموجودةِ في الكونِ ، وكذَّبوا بآياتِنا المَبْثوثةِ في الأنْفُسِ والآفاقِ ، واسْتكبَروا عَنِ الاهتداءِ بِها ، ولَم يتوبوا ويَرْجِعوا إلى اللهِ فهُم ميئوسٌ مِنْ قَبولِ أعمالِهِمْ ، ورحمةِ اللهِ تَعالى بِهِمْ ومِنْ دُخولِهِمُ الجنةَ ، كما أنَّ دُخولَ الجَمَلِ في ثُقبِ الإبرةِ ميئوسٌ منهُ ، وعلى هذا النَّحوِ مِنَ العقابِ يُعاقِبُ اللهُ المُكذِّبين المُستَكْبرينَ مِنْ كلِّ أُمّةٍ .

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ .

إنَّ هؤلاءِ المكذِّبينَ لهُم نارُ جهنَّمَ تُحيطُ بهِم مِنْ فوقِهِمْ ومِنْ تحتِهِمْ ، فهيَ من تحتِهِمْ بمنزلةِ الفِراشِ ، ومِنْ فَوْقِهِمْ كالغِطاءِ ، وبمثلِ هذا الجزاءِ نَجْزي كُلَّ ظالِمٍ ومُشْرِكٍ لأنَّهُمْ أجْرَموا بحقِّ أنفُسِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ المُفْتَرونَ على اللهِ الكَذِبَ والمُكذِّبونَ بآياتِ اللهِ هُمْ أَظْلَمُ النّاسِ .

٢ـ براءةُ المشرِكينَ مِنْ شُرَكائِهِمْ يومَ القيامةِ ، ومَصيرُهُمْ جميعاً إلى النّارِ ، وسَيَنالونَ جزاءَهُمُ العادلَ .

٣ـ خُروجُ الكفّارِ مِنْ نارِ جهنَّمَ أمرٌ مَيئوسٌ مِنهُ ولا رجاءَ فيهِ .

٤ـ الكفرُ والطُّغيانُ والفَسادُ سببُ إدخالِ النّاسِ نارَ جهنَّمَ .

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

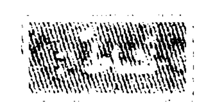
ادّاركوا فيها ، أُخْراهُم لأُولاهُم ، يَلِجَ الجَمَلُ ، سَمِّ الخِياطِ ، مِهادٌ ، غواشٍ .

٢ـ ما موقفُ المُشْرِكينَ مِنْ شُرَكائِهِمْ يومَ القيامةِ ؟

٣ـ بيَّنَتِ الآياتُ أصنافَ المُشْرِكينَ اذْكُرْها .

٤ـ أشارتِ الآياتُ إلى الحوارِ الدَّائرِ بينَ المشرِكينَ في النّارِ ، لخّصْ هذا الحوارَ .

٥ـ بيِّنْ جزاءَ المُكذِّبينَ والمُسْتَكْبِرينَ .



ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ البقرةِ الّتي تُبيِّنُ تبرُّؤَ المَتبوعينَ مِنَ التّابِعينَ .

* * *

الدرس العشرون

سورةُ الأعرافِ ـ القسمُ السابعُ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

معاني المُفرداتِ :

وُسْعَها	: طاقَتَها ، وما تَقْدِرُ عليْهِ .
نَزَعْنا	: أَزَلْنا .
غِلٍّ	: حِقْدٍ وضَغينةٍ وعَداوةٍ .
أُورِثْتُموها	: صارَتْ إليكُم كَما يصيرُ الميراثُ إلى أصحابِهِ .
أَذَّنَ مُؤذِّنٌ	: أَعْلَمَ مُعْلِمٌ ونادَى منادٍ .
يَبغونَها عِوجاً	: يَطلُبونَها مُعْوَجَّةً ، أَوْ ذاتَ اعْوِجاجٍ .
حجابٌ	: حاجزٌ ، وهوَ سورٌ بَيْنَ الجنَّةِ والنّارِ .
الأعرافِ	: الأماكنِ البارزةِ في أعالي السُّورِ .
سيماهُمْ	: علاماتُهُمْ المُمَيِّزةُ لهُم .



بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى عاقِبَةَ المُكَذِّبينَ شَرَعَ في بيانِ ما أعدَّهُ للمُؤْمِنينَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

والّذينَ آمنوا باللهِ وملائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسلِهِ واليوم الآخِرِ ، وعَمِلوا الأعمالَ الصّالِحةَ الّتي لا عُسْرَ فِيها ولا مَشَقّةَ ، إذْ لا يُكلِّفُ اللهُ تَعالى نَفْساً إلاّ وُسْعَها ، أولئِكَ الجامِعونَ بَيْنَ الإيمانِ والعملِ الصّالحِ هُمْ أصحابُ الجنَّةِ خالِدونَ فيها .

﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾

وأخْرَجْنا مِنْ قُلوبِهمْ ما كانَ فيها مِنْ غِلٍّ ، فهُم في الجَنَّةِ إخوانٌ مُتَحابُّونَ بِقُلوبٍ سَليمةٍ مَليئةٍ بالتَّوادِّ والتَّعاطُفِ ، تَجْري مِنْ تَحتِهِمُ الأنهارُ بمائِها العَذْبِ ، ويَقولونَ سُروراً بما نالوا مِنَ النَّعيمِ شاكِرينَ اللهَ تَعالى على نِعَمِهِ وفَضْلِهِ : الحمدُ للهِ الّذي دَلَّنا على طريقِ هذا النَّعيمِ ، وَوَفَّقَنا إلى سُلوكِهِ ، ولَوْلا أنْ هَدانا اللهُ تَعالى إليهِ بإرسالِ الرُّسلِ وتوفيقِهِ لنا ، ما كانَ في استِطاعَتِنا أنْ نُوَفَّقَ إلى الهِدايةِ ، لقدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بالوَحْيِ الحقِّ . وهُنا يَقولُ اللهُ تَعالى لهُم : إنّ هذهِ الجنَّةَ هِبَةٌ مِنَ اللهِ تَعالى أُعْطيتُموها فَضْلاً مْنْهُ سُبْحانَهُ دونَ عِوَضٍ منْكُم كالميراثِ ، وهذا التّكريمُ بسببِ أَعْمالِكُمُ الصّالِحَةِ في الدُّنيا .

وبعدَ هذا البيانِ لِجزاءِ المُؤْمنينَ تُبيِّنُ الآياتُ الحوارَ بينَ أصحابِ الجنَّةِ وأَصْحابِ النّارِ ، كما صَوَّرَتْهُ لَنا هذهِ السّورةُ الكَريمةُ في بَلاغةٍ مُؤثِّرةٍ وإعْجازٍ ، قالَ سُبْحانَهُ يَحْكي لنا ذلكَ :

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

ونادى أصحابُ الجنَّةِ أصْحابَ النّارِ في سُؤالِ تعييرٍ وتوبيخٍ قائِلينَ لهُم : لقدْ وَجَدْنا نحنُ المؤمِنينَ ما وَعَدَنا ربُّنا حقّاً مِنَ الثّوابِ ومِنَ الجزاءِ والنَّعيمِ ، فهلْ وَجَدْتُمْ أنتُمْ ما وعدَكُمْ ربُّكمْ حقّاً مِنَ العِقابِ وسوءِ المصيرِ ؟ فَرَدَّ الكافِرونَ : نَعمْ ، وَجَدْنا ما وَعَدَ ربُّنا وما بيَّنَتْهُ لَنا رُسُلُنا .

وهذا النِّداءُ إنَّما يكونُ بعدَ استقرارِ أهلِ الجنَّةِ في الجنَّةِ ، وأهلِ النّارِ في النّارِ ، وبعدَ أنْ قامَتِ الحُجَّةُ على الكافِرينَ وثَبَتَ الفَوْزُ للمؤمِنينَ ، نادى مُنادٍ بَيْنَ الفريقَيْنِ : إنّ الحِرْمانَ والطَّرْدَ مِنْ رحمةِ اللهِ تَعالى إنَّما هُوَ جزاءُ الظّالِمينَ لأنْفُسِهِم ، الّذينَ كفَروا وضَلُّوا .

﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾

هؤلاءِ الظّالِمونَ هُمُ الّذينَ يَمْنَعونَ النّاسَ عنِ السَّيْرِ في طريقِ اللهِ المُسْتقيمِ ، وهوَ الإيمانُ والعملُ الصّالحُ . ويَضَعونَ العراقيلَ والشُّكوكَ ، لأنَّهُمْ يُريدونَ أنْ تكونَ الطَّريقُ مُعْوَجَّةً ، توافِقُ أهواءَهُمْ .

وهؤلاءِ الكافِرونَ بالدّارِ الآخرةِ لا يخْشَوْنَ عِقابَ اللهِ تَعالى ، ولِذلكَ اسْتَحقّوا أنْ يُطْرَدوا مِنْ رحمتِهِ سُبْحانَهُ . ثُمَّ يَنتقِلُ الحوارُ إلى مَشْهدٍ آخرَ لِيَدْخُلَ فيهِ طرَفٌ ثالِثٌ هُمْ أصحابُ الأعرافِ ، وهوَ مكانٌ عالٍ بينَ الجنَّةِ والنّارِ ، فيَنْقُلُ لَنا القرآنُ الكَريمُ ما يدورُ بَيْنَ هؤلاءِ وكلٍّ مِنْ أصحابِ الجنَّةِ وأصحابِ النّارِ ، قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾

وبيْنَ أهلِ الجنَّةِ وأهلِ النّارِ حاجزٌ يقفُ على أعلاهُ رجالٌ ، قيلَ : همْ مِنْ خيارِ المؤمِنينَ وأفاضِلِهِمْ ، وقيلَ : هُمْ مَنِ اسْتَوَتْ حَسَناتُهُمْ وسيِّئاتُهُمْ ، فَقعدَتْ بِهم سيئاتُهُمْ عنِ الجَنَّةِ ، وخَلَفَتْ بِهم حَسَناتُهُمْ عنِ النّارِ ، وهؤلاءِ يُشْرِفونَ مِنْ هذا المكانِ العالي على جميعِ الخلائقِ ، ويَعْرِفونَ كُلاًّ مِنَ السُّعداءِ والأشْقِياءِ بعلاماتٍ تَدلُّ عليْهِمْ مِنْ أثَرِ الطّاعةِ والعِصيانِ ، ذلكَ أَنَّ اللهَ تَعالى وصَفَ أهْلَ الجنَّةِ في كتابِهِ بأنَّ وُجوهَهُمْ بَيضاءُ ، ووصفَ أهلَ النّارِ بأنَّ وُجوهَهُمْ كالحةٌ سَوداءُ .

وأهلُ الأعرافِ يُنادونَ السُّعَداءَ قبلَ دُخولِهِمُ الجَنَّةَ ، وهُمْ يَرْجونَ دُخولَها فيُبَشِّرونَهُمْ بالأَمانِ ، والاطْمِئنانِ ودُخولِ الجنَّةِ .

﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

إذا تحوَّلَتْ أبصارُ أَصْحابِ الأعرافِ إلى جهةِ أصْحابِ النّارِ بعدَ ذلكَ النِّداءِ الّذي وَجَّهوهُ لِلمُؤمِنينَ ، قالَوا مِنْ هَوْلِ ما رأوْا مِنْ نيرانٍ : ربَّنا لا تُدْخِلْنا معَ الظّالمينَ ، الّذينَ ظَلَموا أنْفُسَهُمْ وظَلَموا غيرَهُمْ .



تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

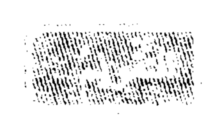
١ـ الشريعةُ مبنيَّةٌ على اليُسْرِ وَرَفْعِ الحرَجِ ، فلا يُكلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها .

٢ـ أهلُ الجنَّةِ يَدخُلونَها بِصَفاءٍ كاملٍ ونَقاءٍ ، لاَ يَعرِفونَ الضَّغينةَ ولا الحِقْدَ ، وذلكَ جزاءُ إيمانِهِمْ وأعمالِهِمُ الصّالِحةِ .

٣ـ الجنَّةُ مَنزِلَةُ المؤمِنينَ العامِلينَ ، ولا يَدْخُلُها سِواهُمْ ، إلاّ بعدَ أنْ يأذنَ اللهُ تَعالى لمنْ يَشاءُ ويَرْضى .

٤ـ الظّالِمونَ يَعترِفونَ بِصِدْقِ الرّسالاتِ والرُّسلِ بعدَ فواتِ الأوانِ .

٥ـ منْ يَصُدُّ عنْ سبيلِ اللهِ ويُريدُها طريقاً مُعْوَجَّةً ويَكْفُرُ بالآخرةِ فَهُوَ مِنَ الظّالِمينَ أهْلِ النّارِ .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

وُسْعَها ، نزَعْنا ، غِلٍّ ، أُورِثْتُموها ، أَذَّنَ مؤذِّنٌ ، حِجابٌ ، الأَعرافِ .

٢ـ بيِّنْ أثرَ الإيمانِ والعملِ الصّالحِ في نَفْسِ صاحبِهِ .

٣ـ هلْ يَعترِفُ الظّالِمونَ بالحقِّ ؟ مَتى ؟ وهلْ ينفعُهُمْ ذلكَ ؟ لِماذا ؟

٤ـ لَخِّصِ الحوارَ بينَ أهلِ الجَنَّةِ وأهلِ النّارِ كما ورَدَ في هذهِ الآياتِ .

٥ـ مَنْ أصحابُ الأعرافِ ؟ وماذا يَقولونَ لكلٍّ مِنْ أهلِ الجنَّةِ وأهلِ النّارِ ؟



ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آخِرَ آيةٍ منْ سورةِ البَقَرةِ ، وتدبَّرْ ما فيها .

* * *

الدرس [illegible] والعشرون

سُورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الثّامِنُ

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

معاني المفردات

بسيماهُمْ : بِعلاماتِهِمْ .

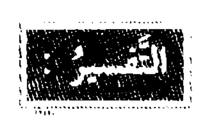
أَفيضوا عَلَيْنا : صُبّوا أوْ ألقوا عَلَيْنا .

غرَّتْهُمُ الحياةُ الدُّنيا : خدعَتْهُمْ بزُخْرُفِها وزينَتِها .

نَنْساهُمْ : نَتْرُكُهُمْ في العَذابِ .

تأوِيلَهُ : عاقبةَ مواعيدِ القرآنِ ومآلَها مِنَ البعثِ والحسابِ والجَزاءِ .

يَفتَرونَ : يَكْذِبونَ .



ما زالَ الحِوارُ بَيْنَ أهلِ الأعرافِ وَأَصْحابِ النَّار يَتوالى ، وهُنا يُبيِّنُ سُبْحانَهُ مَا قالَهُ أهلُ الأعرافِ لِرُؤوسِ الكُفْرِ والطُّغيانِ في هذا اليومِ العَصيبِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

ونادَى أصحابُ الأعْرافِ رجالاً مِنْ أهلِ النَّارِ يَعرفونَهُمْ بعلاماتٍ تُميِّزُهُمْ ، فقدْ كانوا أصحابَ وَجاهةٍ وغِنىً فِي الدُّنيا ، فقالَو لَهُمْ على سَبيلِ التَّوْبيخِ واللَّوْمِ والتَّقريع : ماذا أفادَكُمْ جَمْعُكُمْ وكَثْرَتُكُمْ واسْتِكبارُكُمْ في الأرضِ بغيرِ الحقِّ ، فقدْ صِرْتُمْ في الآخرةِ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ وعِنادِكُمْ إلى هذا الوَضْعِ المُهينِ .

﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

إنَّ أصحابَ الأعرافِ يُشيرونَ إلى أهْلِ الجنَّةِ مِنَ الفُقَراءِ والّذينَ كانوا مُسْتَضعَفينَ في الأرضِ ، ثُمَّ يَقولونَ لِرُؤوسِ الكُفْرِ الّذينَ كانوا يُعذِّبونَهُمْ ويَحتقرونَهُمْ : هؤلاءِ الّذينَ أقْسَمْتُم في الدُّنيا أنَّ اللهَ تَعالى لا يَنالُهُمْ برحمةٍ في الآخِرةِ ، لأنَّهُ لمْ يُعْطِهِمْ في الدُّنيا مِثْلَ ما أعطاكُمْ مِنْ مالٍ وبنينَ وَجاهٍ وسُلْطانٍ ، وهُنا يُنادي مُنادٍ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعالى على الفُقَراءِ فيقولُ لهُمْ : ادخُلوا الجنَّةَ لا خَوْفٌ عليكُم مِمَّا يكونُ في المُستقبَلِ ، ولا أنتُمْ تحزَنونَ على ما خَلَّفتُموهُ في الدُّنيا .

ثُمَّ تسوقُ لنَا السّورَةُ الكَريمةُ بعدَ ذلكَ مَشْهَداً خِتامِياً مِنْ مشاهدِ يومِ القيامةِ ، تدورُ مُحاوراتُهُ بَيْنَ أصحابِ الجنَّةِ وأصحابِ النَّارِ ، فيقولُ سُبْحانَهُ :

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

أخَذَ أهلُ النَّارِ بعدَ أنْ أحاطَ بِهِمُ العذابُ المُهينُ يَسْتَجْدونَ أهْلَ الجنَّةِ بِذلَّةٍ وانْكِسارٍ ، فيقولونَ لهُمْ : أفيضوا عَليْنا مِنَ الماءِ ، مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ تَعالى مِنْ طيِّباتِ المأْكَلِ والمَلْبَسِ وسائرِ مُتَعِ أهلِ الجنَّةِ ، لكيْ نَستعينَ بها على ما نحنُ فيهِ مِنْ سَمومٍ وحَميمٍ ، فيقولونَ لهُم : إنّ اللهَ تَعالى منعَ ذلكَ كُلَّهُ عنِ القَوْمِ الجاحِدينَ ، الّذينَ كفَروا باللهِ تَعالى وبِنِعَمِهِ في الدُّنيا ، فهوَ عَلَيْهِمْ حرامٌ . وبعدَ ذلكَ بيَّنَ القرآنُ الكَريمُ مَنْ همْ هؤلاءِ الكافرونَ الّذينَ حُرِموا فَضْلَ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ .

هؤلاءِ الجاحِدونَ الّذينَ لمْ يَسْعَوْا في طَلَبِ الدِّينِ الحقِّ ، بلْ كانَ دينُهمُ اتِّباعَ الهَوى والشَّهواتِ ، فكانَ لَهْواً يتَلهَّوْنَ بِهِ وعَبَثاً يَعبثونَهُ ، وخَدعَتْهُمُ الحياةُ الدُّنيا بزُخْرُفِها فظنُّوها وَحْدَها الحياةَ ، ونَسوا لِقاءَنا ، فيومَ القيامة نَترُكُهُمْ في النَّارِ تَرْكاً كُلِّياً بِسَبَبِ تَرْكِهِمُ الاسْتِعدادَ لهذا اليومِ ، وبسبَبِ جُحودِهِمْ بالآياتِ الواضِحاتِ المُثبتاتِ للحقِّ ، الّتي جاءَتْهمْ عنْ طريقِ أنبيائِهِمْ .

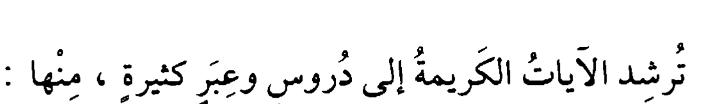
ثُمَّ بيَّنَ سُبْحانَهُ مَنْزِلةَ القرآنِ الكَريمِ في إثباتِهِ للرِّسالةِ المُحمَديَّةِ عنْ طريقِ الإخبارِ بِأَحوالِ الأُمَمِ السَّابقةِ ، وبيانِ سوءِ عاقبةِ مَنْ كذَّبَ بِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

ولقدْ جِئْنا لهؤلاءِ النَّاسِ على لِسانِكَ يا مُحمَّدُ ﷺ بكتابٍ عظيمِ الشَّأْنِ كاملِ البيانِ ، فصَّلْنا آياتِهِ تَفْصيلاً حَكيماً ، وبيَّنَّا فيهِ ما هُم في حاجةٍ إليهِ مِنْ أُمورِ الدُّنيا والآخِرَةِ بياناً شافياً يُؤَدّي إلى سَعادتِهِمْ مَتى اتَّبعوهُ ، واهتَدوْا بِهَدْيِهِ .

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾

إنَّهم لا يُؤْمِنونَ بهِ ، ولا ينتَظِرونَ إلاّ المآلَ الّذي بيَّنَهُ اللهُ تَعالى لِمَنْ يَكْفُرُ بِهِ ، ويومَ يأتِي هذا المآلُ ، وهُوَ يومُ القيامةِ ، حيثُ يقفُ النَّاسُ فيهِ أمامَ خالِقِهِمْ سُبْحانَهُ وتَعالى للحساب ، يقولُ الّذينَ تَركوا أوامِرَهُ وبيِّناتِهِ ، وغَفِلوا عنْ وجوبِ الإيمانِ بِهِ ، مُعْتَرِفينَ بذنوبِهِمْ عندَما تَكشَّفَتْ لهمُ الحقائِقُ : قدْ جاءَتِ الرُّسلُ مِنْ عندِ خالِقنا وربِّنا ، داعينَ إلى الحقِّ الّذي أُرسِلوا بِهِ ، فَكَفَرْنا بِهِ ، ويَسألونَ : هلْ لهُم شفعاءُ يشفَعونَ لهُم ؟ فلا يجِدونَ ، أوْ هَلْ يُرَدُّونَ إلى الدُّنيا ليعمَلوا صالحاً ؟ فَلا يُجابونَ ، ثُمَّ تُبيِّنُ نِهايَتَهُمْ : قَدْ خَسِرَ هؤلاءِ الّذينَ اتَّخذوا دينَهُمْ لَعِباً ولَهْواً ، خَسِروا أنفُسَهُمْ بِسَبَبِ إشْراكِهِمْ باللهِ تَعالى ، وذَهبَ عَنْهُمْ ما كانوا يَفْتَرونَهُ في الدُّنيا مِنْ أنَّ أصْنامَهُم سَتَشْفعُ لهمُ يومَ القيامةِ .



تُرشِد الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الاسْتِكْبارُ في الدُّنيا طريقٌ إلى جَهنَّمَ ، والمُسْتكْبِرونَ لا يَنتَفِعونَ بِما جعلَهُمْ يَسْتكْبِرونَ .

٢ـ المُسْتَضْعَفونَ لا يَضرُّهُمْ ما هُمْ فيهِ ما دامَ مصيرُهُمْ إلى رضوانِ اللهِ تَعالى عَليْهِم .

٣ـ الكفَّارُ يَتمنَوْنَ في النَّارِ أيَّ شيءٍ مِنْ فِضْلِ اللهِ تَعالى على أهلِ الجنَّةِ ، لكنَّهُ مُحرَّمٌ عليْهِم .

٤ـ لا ينتَفِعُ أحدٌ بشيءٍ يومَ القيامةِ إلاَّ إذَا كانَ مِنْ رضوانِ اللهِ تَعالى .

٥ـ الكافرُ يَتمنَّى الرُّجوعَ إلى الدُّنيا ليعملَ صالِحاً ، ولكنْ هيهاتَ .

٦ـ الأصنامُ والآلِهةُ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى لا تزيدُ الكافِرينَ عندَ اللهِ تَعالى إلاّ حَسْرَةً .

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

أَفيضوا عَليْنا ، غرَّتهُمُ الحياةُ ، ننسَاهُم ، تأويلَهُ ، يَفْتَرونَ .

٢ـ بيِّنْ غايةَ نداءِ أهلِ الأعرافِ للمُسْتَكبِرينَ في الدُّنيا .

٣ـ ما الغايةُ مِنْ نِداءِ أهلِ النَّارِ لأهلِ الجنَّةِ ؟

٤ـ ما الهَدَفُ مِنْ نُزولِ القرآنِ الكَريمِ حَسَبَ ما بيَّنتْهُ آياتُ هذا الدّرْسِ ؟

٥ـ بعدَ أنْ يُحِقَّ اللهُ الحقَّ يتمنَّى الكافِرونَ شيئيْنِ اثنينِ ، اذكرْهُما .

٦ـ ما نتيجةُ اتِّخاذِ الآلِهةِ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى ؟

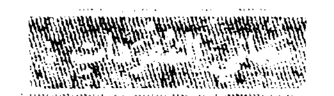
١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ خواتيمَ سورةِ المُطفِّفينَ الّتي تَتحدَّثُ عنِ المجرمينَ وسُخريتِهِمْ مِنَ المؤمنينَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ الإسراءِ الّتي تُبيِّنُ أنَّ في القرآنِ شِفاءً ورحمةً .

الدرسُ الثامنُ والعشرونَ

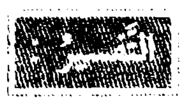
سورةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾



يُغشي اللّيلَ النهارَ	يُغطِّي النّهارَ باللّيلِ فيذهبُ ضوؤُهُ .
يَطلبُهُ حَثيثاً	يَطلُبُ اللّيلُ النّهارَ سَريعاً .
لهُ الخَلْقُ	إيجادُ جميعِ الأشياءِ مِنَ العَدَمِ .
الأمرُ	التّدبيرُ .
حَثيثاً	مِنْ غيرِ فُتورٍ .
تَضَرُّعاً	مُظْهِرينَ الضَّراعةَ والذِّلَّةَ والاسْتكانَةَ والخُشوعَ .
رحمةَ اللهِ	إحسانُهُ وإنعامَهُ أو ثوابَهُ .
بُشْراً	مُبَشِّراتٍ برحمتِه .
أقلَّتْ سحاباً	حملَتْهُ ورفعَتْهُ .
ثِقالاً	مُثْقلةً بِحَمْلِ الماءِ .

لبلدٍ ميِّتٍ	: مُجْدِبٍ لا ماءَ فيهِ ولا نباتَ .
نَكِداً	عَسِراً ، أو قليلاً لا خيرَ فيهِ .
نُصَرِّفُ الآياتِ	: نأتي بِها بأساليبَ مُتنوِّعةٍ .



بَعْدَ أَنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى الحوارَ الّذي دارَ بَيْنَ أهلِ الأعرافِ وأهلِ النَّارِ ، وبيَّنَ سُبْحانَهُ منزلةَ القرآنِ الكَريمِ ، أخذَ سُبْحانَهُ في بيانِ بدائعَ مِنْ صُنْعِهِ وجليلِ قُدرتِهِ ، لبيانِ أنَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالى المعبودُ بحقٍّ ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

إنَّ ربَّكُمْ هوَ اللهُ الّذي يَدعوكُمْ رسلُهُ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ للإيمانِ بِهِ وعبادَتِهِ ، هُوَ سُبْحانَهُ خالقُ الكونِ ومُبدِعُهُ ، خَلقَ السّماواتِ الأرضَ في ستَّةِ أيامٍ ، اللهُ وَحْدَهُ أعلمُ بها ، ثُمَّ استوى على العَرْشِ فظهَرتْ قُدرَتُهُ وسُلطانُهُ الكاملُ وقَهْرُه في مَخلوقاتِهِ ، وهُو سُبْحانَهُ الّذي يجعلُ اللّيلَ يَستُرُ بظلامِهِ النَّهارَ ، ويَعقبُ اللّيلَ النَّهارُ بانتظام وتَعاقُبٍ مُسْتَمِرٍّ كأنَّهُ يَطلبُهُ ، وخَلَقَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى الشّمسَ والقمرَ والنُّجومَ ، وهيَ خاضِعةٌ لَهُ سُبْحانَهُ مُسَيَّراتٌ بأمْرِهِ ، وأنَّه سُبْحانَهُ لهُ وَحْدَهُ الخَلْقُ والأمرُ المُطاعُ فيها ، تعالَتْ بركاتُهُ وكَثُرَ خَيْرُهُ ، وهوَ ربُّ العالَمينَ ورازِقُهُمْ ومُدَبِّرُهُمْ .

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

إذا كانَ اللهُ تَعالى ربُّكُمْ قدْ أنشأَ الكَوْنَ وَحْدَهُ ، فادْعوهُ بالعبادةِ وغيرِها مُعلِنينَ الدُّعاءَ مُتَذلِّلينَ خاضِعينَ وجاهِرينَ أوْ غيرَ جاهِرينَ ، ولا تعتَدوا بإشْراكِ غَيْرِهِ ، أو بِظُلْمِ أحَدٍ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ لا يُحِبُّ المُعتَدينَ .

وإنّما أمرَ اللهُ تَعالى عِبادَهُ بالإكثارِ مِنَ الدُّعاءِ في ضَراعةٍ وإسْرارٍ ، لأنَّ الدُّعاءَ ما هُوَ إلاَّ اتّجاهٌ إلى اللهِ بقلبٍ سليمٍ ، واسْتِعانةٌ بِهِ بإخلاصٍ ويقينٍ ، لكيْ يَدْفَعَ المَكْروهَ ويَجْلِبَ الخَيْرَ ، ويُعينَ على نوائبِ الدَّهرِ ، ولا شَكَّ في أنَّ الإنسانَ في هذهِ الحالةِ يكونُ في أَسْمى الصَّفاءِ الرُّوحيِّ والنَّقاءِ النَّفسيِّ ، ويكونُ كذلكَ مؤدِّياً لأَشْرَفِ ألوانِ العبادةِ والخُضوعِ للهِ تَعالى الواحدِ القهّارِ ، مُعترِفاً لِنَفسِهِ بالعَجْزِ والنَّقصِ ولربِّهِ بالقُدرةِ والكَمالِ .

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

ولاَ تُفسِدوا في الأرضِ الصَّالحةِ بإشاعةِ المعاصي والظُّلمِ والاعتداءِ ، وادْعوهُ سُبْحانَهُ خائِفينَ مِنْ عقابِهِ طائِعينَ لهُ طامِعينَ في ثوابِهِ ، وإنَّ رحمتَهُ سُبْحانَهُ قريبةٌ مِنْ كلِّ مُحسنٍ ، وهِيَ مُحقَّقةٌ .

بعدَ ذلكَ تحدَّثَ الخالقُ سُبْحانَهُ عنْ بعضِ مظاهِرِ رحمتِهِ الّتي تتجَلّى في إرسالِ الرِّياحِ وإنْزالِ المطرِ ، وعنْ بعضِ مَظاهِرِ قُدرتِهِ الّتي تتجلّى في بَعْثِ المَوْتَى لِلحسابِ ، وفي هِدايةِ مَنْ يريدُ هِدايتَه ، وإضْلالِ مَنْ يُريدُ ضَلالتَهُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

واللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى وَحْدَهُ هُوَ الّذي يُطلِقُ الرّياحَ مُبَشِّرةً بِرَحمتِهِ مِنَ الأمطارِ الّتي تُنْبتُ الزَّرْعَ ، وتَسقي الغَرْسَ ، فَتَحملُ هذِهِ الرّياحُ سحاباً مُحمَّلاً بالماءِ ، يَسوقُهُ اللهُ لبلدٍ لا زَرْعَ فيهِ ، فهوَ كالميِّتِ الّذي فقدَ الحياةَ فينزلُ الماءُ ، فيُنبتُ اللهُ بِهِ أنواعاً مِنْ كلِّ الثَّمراتِ ، وبِمِثْلِ ذلكَ الإحياءِ للأرضِ بالإنْباتِ ، يُخرِجُ اللهُ تعالى المَوْتى فيجعَلُهُمْ أحياءً لِيُحاسِبَهُمْ على أعمالِهِمْ ، فيا أيُّها النَّاسُ ، تذكَّرُوا واعْتَبروا بِما بيَّنَ اللهُ تَعالى لكُم ، فتذكَّروا قدرةَ اللهِ على البَعْثِ والحسابِ .

﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ .

إنَّ الأرضَ الكَريمةَ التُّرْبةِ يَخرجُ نباتُها وافياً حَسَناً غزيرَ النَّفع بمشيئةِ اللهِ تَعالى وتَيْسيرِه ، والّذي خَبُثَ مِنَ الأرضِ كالسَّبْخَةِ منها لا يخرجُ نَباتُه إلاّ قليلاً عديمَ الفائِدةِ . وقَدْ ضربَ اللهُ تَعالى مَثَلَيْنِ ؛ واحدٌ للمؤْمِنِ وآخرُ للكافرِ ، فالنّاسُ في الفَهْمِ والإدراكِ كالأرضِ ، مِنها طيبةٌ طاهِرةُ المعدنِ ومِنْها خبيثةُ التُربةِ .

فالأوّلُ : مَثَلٌ ضربَهُ اللهُ تَعالى للمُؤْمِنِ ، حيث يقولُ : هوُ طيِّبٌ وعَملُهُ طيِّبٌ ، والثّاني : مَثَلُ الكافِرِ حيثُ يقولُ : هُوَ خبيثٌ وعَملُهُ خبيثٌ ، وفيهِما بيانُ أنَّ القرآنَ يُثْمِرُ في القلوبِ الّتي تُشبهُ الأرضَ الطَّيِّبَةَ التّربةِ ، ولا يُثْمِرُ في القلوبِ الّتي تُشبهُ الأرضَ الرَّديئةَ السَّبْخةَ . وقريبٌ مِنْ هذا المَعنى ما جاءَ عنِ النَّبيِّ ﷺ : (مَثَلُ ما بَعثَني اللهُ بِهِ مِنَ الهُدى والعلمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكثيرِ أصابَ أرضاً ، فكانَتْ منها نقيّةٌ قبلَتِ الماءَ ، فأنبتَتِ الكلأَ والعُشْبَ الكثيرَ ، وكانتْ مِنها أجادِبُ أمْسَكَنَ الماءَ فنَفَعَ اللهُ بِها النَّاسَ فَشَربوا وسقَوْا وزَرعوا ، وأصابَ مِنْها طائفةً أُخرى ، إنّما هِيَ قيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنبِتُ كلأً ، فذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دينِ اللهِ تَعالى وَنَفعَهُ ما بَعَثني اللهُ بِهِ فَعَلِمَ

وعلَّمَ ، ومَثَلُ مَنْ لمْ يَرْفَعْ بذلكَ رأساً ، ولمْ يَقبَلْ هُدى اللهِ الّذي أُرْسِلْتُ بِهِ)[1] .

وقولُهُ تَعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ .

أي مِثلُ ذلكَ التَّصريفِ البديعِ والتَّنويعِ الحكيمِ تصريفُ الآياتِ الدَّالَّةِ على عِلْمِنا وحِكْمَتِنا ورَحْمَتِنا بالإتيانِ بها بأساليبَ مُتنوِّعةٍ ، وكُلُّها جليَّةٌ واضِحةٌ لقومٍ يشكُرونَ نِعَمَنا ، باسْتِعمالِها فيما خُلِقتْ لَهُ ، فَيستحقُّونَ مزيداً منْها ، ويُجْزَوْنَ خيْرَ الجَزاءِ .

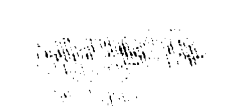


تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ بيانُ نِعَمِ اللهِ تَعالى وفَضْلِهِ على عبادِهِ .

٢ـ المؤمنُ ذو القلبِ الطَّيِّبِ هوُ المُنْتَفِعُ بالقرآنِ الكَريمِ .

٣ـ تنويعُ الآياتِ مِنْ سُنَّةِ اللهِ تَعالى الكونيَّةِ .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

يُغشِي الليلَ النّهارَ ، يَطلبُهُ حثيثاً ، تَضرُّعاً ، نَكِداً ، نُصرِّفُ الآياتِ .

٢ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ شيئاً منْ بدائِعِ اللهِ تَعالى ، هاتِ مِثالَيْنِ على ذلكَ .

٣ـ بيِّنْ آدابَ الدُّعاءِ حسَبَ ما وردَ في الآياتِ الكَريمةِ .

٤ـ بيِّنِ المَثَلَ الّذي ضربَهُ اللهُ تَعالى للمؤمِنِ والكافِرِ .



١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ البَقَرةِ الّتي تُبيِّنُ أنَّ اللهَ يُجيبُ دعاءَ مَنْ دَعاهُ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ الحجِّ الّتي تُبيِّنُ كيفَ يكونُ إحياءُ المَوْتى .

---

(١) رواه البخاري : ١/ ٤٢ حديث رقم (٧٩) ، ورواه مسلم ٤/ ١٧٨٧ حديث رقم ٢٢٨٢ .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

السّادةُ والرُّؤَساءُ .

أتحرَّى ما فيهِ صلاحُكُمْ قَوْلاً وفِعْلاً .

السَّفينةِ .

عُمْيَ القلوبِ عنِ الحقِّ والإيمانِ .

بَعْدَ ذلكَ البيانِ الرَّائعِ لبدائعِ صنعِ اللهِ وقُدْرتِهِ وَوَحْدانيَّتِهِ سُبْحانَهُ أخذتِ السّورةُ الكَريمةُ تقصُّ علينَا قَصصَ الأُممِ الخاليةِ والقُرى المُهْلَكَةِ ، فتبدأُ بقصّةِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قومِهِ ، قالَ تَعالى :

لقَدْ أرسلْنَا نُوحاً إلى قومِهِ الّذينَ بُعِثَ فِيهِمْ ، وقالَ لهُم مُذَكِّراً لهُم بأنَّه منهُم : يا قومِ اعبدوا اللهَ

تَعالى وَحْدَهُ ، فليسَ لَكُمْ إلهٌ غيْرُهُ ، وقالَ لهُم مُشْفِقاً عليْهِم :

إنّي أخافُ عَليكُمْ عذابَ يومِ القيامةِ ، ذلكَ اليوم العظيمِ الّذي تُبْعَثونَ فيهِ وتُحاسَبونَ . بهذا الأُسلوبِ المُقْنِعِ المُهذَّبِ دعا نوحٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قَوْمَهُ إلى عبادَةِ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ ولكنَّ قومَهُ كَغيرِهِمْ مِنَ الكافِرينَ ردّوا عليهِ ردّاً سَيّئاً وقَبيحاً ، قالَ تَعالى :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

قالَ أهلُ الصّدارةِ والزَّعامةِ مِنْهُم مُجيبينَ تلكَ الدَّعوةَ إلى عبادةِ اللهِ وَحْدَهُ والإيمانِ باليومِ الآخرِ : إنَّا لَنراكَ في بُعْدٍ عنِ الحقِّ كبيرٍ . وهكذا حالُ الفُجّارِ ، إنَّما يَروْنَ الأبرارَ في ضَلالةٍ ، كقولِه تَعالى فيهم : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [الأحقاف : ١١] .

ولكنَّ نوحاً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يَردُّ على قومِهِ ، ردّاً مُهَذَّباً عَفّاً بأُسلوبٍ سَهْلٍ ، ويَنْفي عنْ نفسِه مَقالَةَ السُّوءِ الّتي قالوها ، فيقولُ كَما قالَ اللهُ تَعالى عنهُ :

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

قالَ نوحٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ نافياً ما رَمَوْهُ بهِ : يَا قوم لستُ ضالاً ، وليسَ فيَّ شيءٌ مِنَ الضَّلالِ ، ولكنيِّ رسولٌ مِنَ اللهِ خالِقِ العالَمينِ ، ومُنْشِئِهِمْ ، فلا يُمكِنُ أنْ أكونَ بعيداً عنِ الحقِّ .

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

قالَ نوحٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : لقدْ أُرسلْتُ لأُبلِّغَكُمْ ما أرسَلَني اللهُ تَعالى بِهِ مِنَ الأَحْكامِ الإلهيّةِ الّتي يَصْلُحُ بِها الإنسانُ ، وإنّي أُخلِصُ لكُمُ النَّصيحةَ ، وقدْ علَّمني اللهُ تَعالى ما لا تعلَمونَ .

وهَكذا شأنُ الرَّسولِ أنْ يكونَ مُبَلِّغاً ناصِحاً عالِماً باللهِ تَعالى ، لا يُدْرِكُه أحدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَعالى في هذِهِ الصِّفاتِ .

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

أتَرْمونَني بالضَّلالةِ والبُعْدِ عنِ الحقِّ ؟ وتَعجَبونَ أنْ يجيءَ إليْكُمْ تذكيرٌ مِنَ اللهِ تَعالى خالِقِكُمْ على لسانِ رجلٍ مِنْ جِنسِكُمْ تَعرفونَ مَوْلِدَهُ ونشأتَهَ ، جاءَ إليكُم لِيُنذِرَكُمْ مِنَ العقابِ إنْ كذَّبتُم ، وَلِيَدْعوكُمْ إلى الهدايةِ وإصلاحِ القلوبِ وتجنُّبِ غَضَبِ اللهِ تَعالى ، رجاءَ أنْ تكونوا في رحمةِ اللهِ في الدُّنيا والآخرةِ .

هذا هُوَ أُسلوبُ نبيِّ اللهِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في دَعْوتِهِ مَعَ قَوْمِهِ ، ولكنَّهُم كانوا مُجرِمينَ ذوي مَوْقفٍ قبيحٍ ، ولذلكَ عوقِبوا العِقابَ الّذي يَتلاءَمُ معَ جُرْمِهم ، فقالَ تَعالى :

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ .

ولكنَّهُمْ معَ تلكَ البيِّناتِ لمْ يُؤْمِنْ أكْثَرُهُمْ ، بلْ كذَّبوا رَسولَهُمْ ، فأَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ عَذاباً وأغْرَقناهُمْ في الماءِ ، وأنْجَيْنا الّذينَ آمنُوا في الفُلْكِ الّذي صَنعَهُ بهدايةٍ مِنَ اللهِ ، وأَغْرَقْنا الّذينَ كذَّبوا بِما جاءَهُمْ رسولُهُمْ مِنَ الآياتِ الواضِحاتِ ، وكانوا بذلكَ غيرَ مُبصِرينَ الحقَّ عُمْيَ القُلوبِ عنْهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ التَّنبيهُ على أنَّ إعْراضَ النَّاسِ عنْ قَبولِ دلائلِ الحقِّ ليسَ منْ خصائصِ أُمَّةِ النَّبيِّ ﷺ .

٢ـ عاقبةُ المُنْكِرينَ المُكذِّبينَ هِيَ الخُسْرانُ المُبينُ ، وعاقبةُ المؤمنينَ النَّجاةُ في الدُّنيا والفَوْزُ في الآخرةِ .

٣ـ عِلْيَةُ القَوْمِ هُمْ مَنْ يُكذِّبُ الرُّسُلَ ، ويُعارِضونَهُم خَوْفاً على مَصالِحِهمُ الدُّنيويَّةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

المَلأُ ، أَنْصَحُ لكُم ، الفُلْكِ ، عَمينَ .

٢ـ ماذا كانَ عُنوانُ رسالةِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ؟

٣ـ بيِّنْ موقفَ قومِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنْ دعوتِهِ .

٤ـ ماذا نستفيدُ مِنْ قَصصِ السَّابقينَ الّتي ذكرَها القرآنُ الكَريمُ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أوائلَ سورةِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

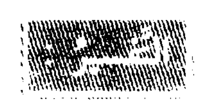
* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والعِشْرونَ

سورةُ الأعرافِ - القِسْمُ الحادي عَشَر

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

...ة	خِفَّةُ عَقْلٍ وضَلالةٍ عنِ الحقِّ .
...ة	قُوَّةً وعِظَمَ أجْسامٍ .
...الله	نِعَمَهُ وفَضْلَهُ الكثيرَ .
...ن	عذابٌ .
...عليكم	حقَّ عليكُمْ ووجَبَ .
...ب	سَخَطٌ وانْتِقامٌ .
...ا دابر	أهْلَكْناهُم .



بَعْدَ أنْ حَكتِ السُّورةُ الكَريمةُ قصّةَ نبيِّ اللهِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أخذَتْ في بيانِ قصّةِ هودٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قومِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ .

وكما أرسلْنا نوحاً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إلى قومِهِ داعياً إلى التّوحيدِ أرْسَلْنا إلى عادٍ واحداً مِنْهم ، علاقتُهُ بهم علاقةُ الأخِ بأخيهِ وهوَ هودٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ فقالَ لهُم : يَا قومِ اعبُدوا اللهَ تَعالى وَحْدَهُ ، ليسَ لكُم إلهٌ غيرُهُ ، وإنَّ ذلكَ سبيلُ الاتّقاءِ مِنَ الشَّرِّ والعذابِ ، وهوَ الطَّريقُ المُستقيمُ ، فهلاَّ سَلَكْتموهُ لِتَتَّقوا الشَّرَّ والفَسادَ ، وكَأنَّما عَظُمَ على هؤلاءِ الطُّغاةِ أنْ يَستنكِرَ عليْهِم هودٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عبادتَهُمْ لغيرِ اللهِ تَعالى ، فردُّوا عليْهِ ردّاً قَبيحاً حكاهُ القرآنُ الكَريمُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ .

قالَ الأغنياءُ الّذينَ كَفروا منْ قوم هودٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ له : إنَّا لَنراكَ فِي خِفَّةِ عَقْلٍ ، راسِخاً فيها حيثُ هجرْتَ دينَ قومِكَ إلى دينٍ آخَرَ ، وإنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكاذِبينَ في دعوى التَّبليغِ عنِ اللهِ تَعالى .

وبعدَ هذا الردِّ القَبيحِ منهُم ، أخذَ هودٌ عليْهِ السَّلامُ ـ يُدافِعُ عنْ نفسِهِ ، ويُبيِّنُ لهُم وظيفتَهُ بأُسلوبٍ حَكيمٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

قالَ يَا قومِ ليسَ فِي هذهِ الدَّعوةِ أيُّ قَدْرٍ منْ خِفَّةِ العَقْلِ ، وليسَ بي سَفاهةٌ أو حماقةٌ ، حيثُ دعوتُكُمْ إلى دينِ التَّوحيدِ الخالِصِ والعبادةِ الصّادقة ، وأنا رسولُ اللهِ تَعالى إليْكُمُ اختارَني لأداءِ هذهِ المُهمّةِ ، وهوَ ربُّ العالَمينَ الّذي خَلقَكُمْ ورزقَكُمْ ودبّرَكُمْ .

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾

إنّي فيما أَفعلُهُ لكُم أُبَلِّغُكُمْ أوامرَ ربِّي ونَواهيهِ ، وهيَ رسالاتُهُ إليْكُم ، وإني أكثرُكُمْ نُصْحاً وإخلاصاً لكُم ، وأنا أمينٌ فيما أُخبرُكُمْ بهِ ، ولستُ مِنَ الكاذِبينَ . ويَظْهرُ منْ خلالِ هذهِ الآياتِ أنَّ قومَ هودٍ عليْهِ السَّلامُ ـ قدْ تعجَّبوا مِنَ اختصاصِ هودٍ عليْهِ السَّلامُ ـ بالرِّسالةِ كمَا تعجَّبَ قومُ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ ذلكَ ، فأخذَ هودٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في إزالةِ هذا العَجَبِ مِنْ نُفوسِهِمْ ، فقالَ كَما حكاهُ القرآنُ الكَريمُ عنْهُ :

﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

ثُمَّ قالَ لهُم هودٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : هلْ أثارَ عَجَبَكُمْ ، واسْتَغْرَبْتُمْ أنْ يجيءَ إليْكُمْ تذكيرٌ بالحقِّ على لسانِ رجلٍ مِنكُم لِيُنْذِرَكُمْ بِسوءِ العُقبى ، فيمَا أنتُم عليْهِ ؟ إنَّهُ لا عَجَبَ في الأمرِ ، بلْ هُوَ عَيْنُ الحِكْمةِ .

فقدِ اقْتَضَتْ رحمةُ اللهِ تَعالى أنْ يُرْسِلَ لِعبادِهِ مِنْ بينِهِمْ مَنْ يُرشِدُهُمْ إلى الطّريقِ القويمِ . ثُمَّ أخذَ نبيُّ اللهِ تَعالى هودٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في تَذكيرِهِمْ بواقِعِهِمُ الّذي يَعيشونَهُ ، لكيْ يَحْمِلَهُمْ على شُكْرِ اللهِ تَعالى ، فقالَ لهُم : اذكُروا بتَأمُّلٍ واعْتبارٍ فَضْلَ اللهِ تَعالى عليْكُم حيثُ جعلَكُم مُسْتَخْلَفينَ في الأرضِ ، وزادَكُمْ في المَخلوقاتِ بَسْطَةً ، وَسعَةً في المُلْكِ والحَضارةِ ، أو زادكُم بَسْطَةً في قُوَّةِ أبدانِكُمْ وَضَخامةِ أجسامِكُمْ ، ومِنْ حقِّ هذا الاسْتِخلافِ وتِلْكَ القوّةِ أنْ يُقابَلا بالشُّكْرِ للهِ تَعالى ربِّ العالَمينَ .

ثُمَّ بيَّنَ لهُم أنَّ الفلاحَ هُوَ في تذكُّرِ نِعَمِ اللهِ تَعالى وشُكْرِها ، قائلاً لهُم : اذكُروا نِعَمَ اللهِ تَعالى واشْكُروها ، لعلَّكُم تفوزُونَ بما أعدَّهُ اللهُ تَعالى للشَّاكِرينَ مِنْ إدامَتِها عَليْهِمْ وزيادتِها ، ولنْ تكونوا كَذلِك إلاّ بعبادَتِكُمْ لَهُ وَحْدَهُ عزَّ وجلَّ .

لقدْ ردَّ هودٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ على قَوْمِهِ ردّاً مُقْنِعاً حَكيماً ، كانَ المتوقَّعَ مِنْ ورائِهِ أنْ يَسْتَجيبوا لَهُ ، وأَنْ يُقْبِلوا على دَعوتِهِ ، ولكنَّهُمْ لِسوءِ تَفكيرِهِمْ وانْطماسِ بَصيرتِهِمْ ، أَخَذَتْهُمُ العِزَّةُ بالإِثْمِ فقالوا لِنبيِّهِمْ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومُرْشِدِهِمْ كما حكاهُ القرآنُ الكَريمُ عنْهم :

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ .

قالوا لهُ على سبيلِ الإنْكارِ والاسْتِهزاءِ ، أجِئْتَنا يا هودُ لأجلِ أنْ نَعبُدَ اللهَ تَعالى وَحْدَهُ ، ونَتْرُكَ ما كانَ يعبدُ آباؤُنا مِنَ الأوثانِ والأصنامِ ، إنّ هذا لنْ يكونَ مِنّا أبداً ، فائْتِنا بما تَعِدُنا مِنَ العذابِ ، إنْ كنتَ مِنَ الصَّادقينَ فيما تُخبِرُ به .

ومُقابلَ هذا التَّحدّي السّافِرِ مِنْ قومِ هودٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لهُ ولِدَعوته ، ما كانَ منْ هودٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إلاّ أنْ أجابَهُمْ بالردِّ الحاسِمِ ، الّذي تتجلّى فيهِ الشَّجاعةُ التّامَّةُ والثِّقةُ الكامِلةُ بأنَّ اللهَ تَعالى سَيَنْصُرُهُ عليْهِمْ ، ويَنتقِمُ منْهُم ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾

إِنَّكُم لِعنادِكُمْ قدْ حقَّ عليْكُمْ عذابُ اللهِ تَعالى ، وسينْزِلُ بِكُمْ لا مَحالةَ ، وسوفَ يَحِلُّ عليْكُم غَضبُهُ ، أَتُجادلونَني في أصنامٍ سَمَّيْتُموها أنتُم وآباؤُكُمْ آلِهةً ، وما هِيَ مِنَ الحقائقِ ، بلْ أسماءٌ لا مُؤَدَّى لَها ، وما جَعَلَ اللهُ تَعالى مِنْ حُجَّةٍ تدلُّ على أُلوهيَّتِها ، فما كانَ لَها منْ قُوَّةٍ خالِقةٍ مُنْشِئَةٍ تُسوِّغُ عِبادَتَكُمْ لها ، وإنْ لَجَجْتُم هذِهِ اللَّجاجةَ ، فانتَظِروا عِقابَ اللهِ تَعالى ، وإنَّا معكُمْ نَنتظِرُ مَا يَنْزِلَ بِكُم بِسَبَبِ شِرْكِكُمْ وتَكذيبِكُمْ .

ولَمْ يَطُلِ انتظارُ نبيِّ اللهِ هودٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، فقدْ حلَّ بِهِمُ العِقابُ الَّذي تَوعَّدَهُمْ بِهِ سَريعاً ، قالَ تَعالى :

﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

عندَما وقعَ بِهمْ عذابُ اللهِ ، أَنْجَيْنا هوداً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ والَّذينَ اتَّبعُوهُ وآمَنوا بِهِ بِرَحمةٍ عَظيمةٍ منَّا ، لا يقدرُ عليْها غيرُنا ، وأنْزَلْنا بالكافِرينَ ما أبادَهُمْ ولمْ يُبْقِ لهمُ مَنْ بَقِيَّةٍ ولا أثرٍ ، وما كانوا داخِلينَ في زُمْرَةِ المؤمنينَ ، فاستحقُّوا بذلكَ العذابَ المُهلِكَ .

وهكذا طُوِيَتْ صفحةٌ أُخرى مِنْ صَحائفِ المُكَذِّبينَ ، وتَحقَّقَ النَّذيرُ في قومِ هودٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ كما تَحقَّقَ قبلَ ذلكَ في قومِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، وكانتِ النَّجاةُ والفَوْزُ للمُؤْمِنينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ دعوةُ الأنبياءِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ واحِدَةٌ .

٢ـ الاسْتِهْزاءُ بالأنبياءِ والرُّسُلِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ عاقبتُهُ وخيمةٌ .

٣ـ الاسْتكبارُ يحولُ بينَ أصحابِهِ ورُؤيةِ الحقِّ .

٤ـ سُنَّةُ اللهِ تَعالى قائمةٌ بهلاكِ المُكذِّبينَ وإنْجاءِ الرُّسُلِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ والمُؤْمِنينَ .

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

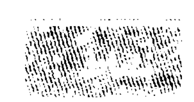
١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

سفاهةٍ ، بسطةً ، آلاءَ اللهِ ، رِجْسٌ ، قَطَعْنا دابرَ .

٢ـ ما الدَّوْرُ الّذي يقومُ بِهِ الملأُ تِجاهَ رِسالاتِ الرُّسلِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ ؟

٣ـ بيِّنِ النِّعمَ الّتي دعا هودٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قومَهُ لِيَذْكُروها حتّى لا يَحِلَّ عَلَيْهِمْ عذابٌ مُقيمٌ .

٤ـ بيِّنْ ما آلَ إليهِ أَمْرُ هودٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وقومِهِ . وما السُنَّةُ الإلهيَّةُ المُستنبَطَةُ في هذا الجانبِ ؟

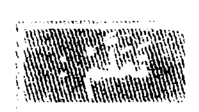


١ـ اكتُبِ الدَّليلَ على أنَّ دعوةَ الأنبياءِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ واحِدةٌ .

٢ـ اكتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةً تدلُّ على أنَّ النِّعَمَ تدومُ بِشُكْرِ اللهِ تَعالى .

٣ـ اكتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ الحاقَّةِ الّتي تُبيِّنُ عذابَ قومِ هودٍ .

٤ـ باستخدامِ المعجمِ المفهرِسِ ابْحَثْ عنْ كلمةٍ في القرآنِ الكَريمِ تُكْتَبُ بالصّادِ وتلفظُ صادُها سيناً ، واكْتُبِ الآيةَ والسورةَ الّتي ورَدَتْ فيها .



تُلْفَظُ كلمةُ (بصطةً) هكذا : (بسْطَةً) بالسّينِ وليسَ بالصَّادِ ، انظرِ المُصحَفَ تجدْ ما يدلُّ على ذلكَ .

* * *

الدرس [illegible] والعشرون

سورةُ الأعرافِ ـ القسمُ الثّاني عشر

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾



- نَاقَةُ اللهِ : ناقةٌ خَلَقَها اللهُ تَعالى مِنْ صَخْرٍ لا منْ أَبَوَيْنِ ، لِتكونَ مُعْجِزةً لسيِّدنا صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .
- آيَةً : مُعْجِزَةً دالّةً على صِدْقِ النَّبيِّ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .
- ذَرُوها : اتْرُكوها وشأْنَها .
- بَوَّأَكُمْ : أَسْكَنَكُمْ وأنزلَكُمْ .
- في الأَرْضِ : هِيَ أرضُ الحِجْرِ بينَ الحجازِ والشَّامِ .
- آلاءَ اللهِ : نِعمَهُ وإحْسانَهُ .
- لا تَعْثَوْا : لا تُفسِدوا .

عَتَوْا : اسْتَكْبَروا .

الرَّجفةُ : الزَّلزلةُ الشَّديدةُ أو الصَّيْحةُ .

جاثِمينَ : هامِدينَ موتَى لا حِراكَ بِهم .

التفسير

ما زالتِ السّورةُ الكَريمةُ تَتْلو عَلَيْنا قَصصَ الأُممِ الغابرةِ المُهْلَكَةِ بِسَببِ تَكْذيبِها لِرُسلِ اللهِ . وهُنا تَقُصُّ عَلَيْنَا السّورةُ الكَريمةُ قِصَّةَ نبيِّ اللهِ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ معَ قومِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

وأرْسَلْنا إلى ثَمودَ أخاهُمْ صالِحاً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الّذي يُشارِكُهُمْ في النَّسَبِ والوطنِ ، وكانَتْ دَعوتُهُ كدَعوةِ الرُّسُلِ قَبْلَهُ وبعدَهُ ، فقالَ لقومِهِ : يَا قوم ، أخْلِصوا العبادَةَ للهِ وَحْدَهُ ، ما لكُمْ مِنْ إلهٍ غيرُهُ ، وقدْ جاءَتْكُمْ حُجَّةٌ ودَليلٌ على رِسالَتي منْ رَبّكمْ هِي ناقةٌ ذاتُ خَلْقٍ اختصَّتْ بِهِ ، فيها الحُجَّةُ ، وهِيَ ناقةُ اللهِ تَعالى ، فاتْرُكوها حُرّةً طَليقةً تأكلُ في أرضِ اللهِ الّتي لا يَمْلِكُها أحدٌ سِواهُ ، ولا تَعْتَدوا عَليْها بأيِّ لَوْنٍ مِنَ الاعتداءِ ، لأَنَّكُم إنْ فَعلتُمْ ذلكَ نالكُمْ عذابٌ شديدٌ .

وبعدَ أنْ بيَّنَ لهُم صالحٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وظيفَتَهُ ، وكَشَفَ لهُم عنْ مُعْجزَتِهِ ، وأنذرَهُمْ بسوءِ العاقبةِ إذا خالَفوا أمْرَهُ ، أخذَ في تذكيرِهم بِنِعَمِ اللهِ تَعالى عَليْهِمْ وبِمَصائِرِ الماضينَ قَبْلَهُمْ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

وتَذَكَّروا أنَّ اللهَ تَعالى جَعَلكُمْ وارِثينَ لأرضِ عادٍ ، أنْزَلَكُمْ في الحِجْرِ ـ المكانِ الّذي سَكنوا فيهِ ـ وجَعلَ لكُمْ مَنازلَ طيِّبةً تتَّخِذونَ مِنَ السُّهولِ قُصوراً فَخْمَةً ، وتَنْحِتونَ الجبالَ فتجْعَلونَ مِنها بُيوتاً ، فاذْكُروا نِعَمَ اللهِ تَعالى إذْ مكَّنَكُمْ مِنَ الأرضِ ذلكَ التَّمكينَ ، ولا تَعْثَوْا في الأرضِ فتكونوا مُفسِدينَ بعدَ هذهِ النِّعمِ والتَّمْكينِ .

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾

قالَ المُتْرَفونَ المُستكبِرونَ مِنْ قَوْمِ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ للمُؤمِنينَ المُسْتَضعَفينَ الّذينَ هَداهُمُ اللهُ تَعالى للحقِّ ، أتعلَمونَ أنَّ صالَحاً مُرْسَلٌ مِنْ ربِّهِ إليْكُمْ لِعبادتِهِ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ ؟ وهذا سؤالٌ قُصِدَ منهُ الاسْتِهزاءُ بالمُؤْمِنينَ ، وتَهديدُهُمْ ، ذلك أنَّهم يَعْلَمونَ أنَّ المُؤْمِنينَ يَعْلَمونَ أنَّ صالِحاً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ رسولُ اللهِ تَعالى إليْهِم جَميعاً ، ولِهذا كانَ جوابُ المؤمِنينَ دالاً على شَجاعتِهِمْ في الحقِّ ، وعلى قُوَّةِ إيمانِهِمْ وسَلامةِ يَقينِهِم إذْ قالوا في مُسارَعةٍ منهُم إلى إحقاقِ الحقِّ وإبطالِ الباطِلِ : إنَّا بما أُرسِلَ بِهِ مُؤْمنونَ ، تَنبيهاً عَلى أنّ أَمْرَ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنَ الوضوحِ بحيثُ لا ينْبغِي لعاقلٍ أنْ يسألَ عَنْهُ ، وإنَّما الجديرُ بالسُّؤالِ عنْهُ هُوَ الإيمانُ بِما جاءَ بِهِ هذا الرَّسولُ الكَريمُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾

قالَ المُسْتَكْبِرونَ ردّاً على الفُقراءِ المُؤْمِنينَ : إنَّا بما آمنتُمْ بِهِ كافِرونَ ، ولمْ يقولوا إنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ كافِرونَ ، إظهاراً لِمُخالَفَتِهِمْ إيَّاهُم ، وردّاً على مقالَتِهِمْ : (إنّا بما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنونَ) ولَمْ يَكْتَفِ هؤلاءِ المُسْتَكْبِرونَ بهذا الردِّ القبيحِ ، وإنَّما أتْبَعوهُ بِفِعْلٍ أقبحَ منهُ ، وذلكَ باسْتهزائِهِمْ واسْتِخْفافِهِمْ بِمُعْجزَةِ هذا النَّبيِّ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ فقالَ سُبْحانَهُ حاكياً عنهُم ما فَعلوهُ :

﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

وَلَجَّ العِنادُ بأُولئِكَ المُسْتَكْبِرينَ ، فتحدَّوا اللهَ تَعالى ورسولَهُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وذَبَحوا النَّاقَةَ ، وتَجاوزوا الحَدَّ في اسْتِكبارِهِمْ ، وأعْرَضوا عنْ أمرِ ربِّهم تَعالى ، وقالوا مُسْتَخفِّينَ ومُتَحدِّينَ : يا صالحُ ، هَكذا باسمِه المُجرَّدِ ، تَهْويناً لِشأنِهِ ، وتَعريضاً بما يظنُّونَ مِنْ عَجْزِهِ ، وقالوا لَهُ على سبيلِ تَعَجُّلِ العذابِ الّذي توعَّدَهُمْ بهِ : ائْتِنا بِما توعَّدْتَنا بِهِ إنْ كنتَ صادِقاً في رسالَتِكَ . ولقدْ كانَ ردُّ اللهِ تَعالى عليْهِم وعلى تبجُّحِهِمْ واسْتِكبارِهِمْ سريعاً ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾

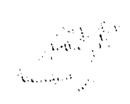
فأخذَتْ أُولئكَ المُسْتَكْبِرينَ الزَّلزلةُ الشَّديدةُ ، فَأَهلكَتْهُمْ ، فأَصْبَحوا في بِلادِهِمْ ومَساكِنِهِمْ باركينَ على الرُّكَبِ ، ساقِطينَ على وُجوهِهِمْ ، هامِدينَ لا يتحرَّكونَ ، وما ظَلَمَهُمُ اللهُ تَعالى ولكنْ كانوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمونَ .

ويَتركُ القرآنُ الكَريمُ هؤلاءِ المُسْتَكْبِرينَ وما حلَّ بِهِمْ ، لِيُحدِّثَنا عنْ نبيِّ اللهِ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الّذي كذَّبوهُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّٰصِحِينَ ﴾

فأعْرَضَ عنهُم نبيُّهُمْ صالحٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وَنَفَضَ يَدَيْهِ منهُم ، وتَرَكَهُمْ لِلمصيرِ الّذي جلَبوهُ على أنْفُسِهِمْ ، وأخذَ يقولُ مُقيماً عَليهِمُ الحُجَّةَ أنَّهُ أبْلَغَهمْ دينَ اللهِ : يَا قوم لقدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالةَ ربِّي كامِلةً غيرَ مَنْقوصةٍ ، ونَصحْتُ لكُم بالتَّرغيبِ تارةً وبالتَّرْهيبِ أُخرَى ، ولكِنْ كانَ شأنُكُمُ الاسْتِمرارَ على بُغْضِ النَّاصِحينَ وعَداوتِهِمْ .

وهَكذا طُوِيَتْ صَفحةٌ أُخرى مِنْ صحائِفِ المُكَذِّبينَ ، وحَلَّتِ العُقوبةُ بمنْ كانوا يتَعجَّلونَها ويَستهزِئونَ بِها .



تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ نبيُّ اللهِ صالحٌ عليْهِ السَّلامُ ، على منهجِ الأَنبياءِ الّذينَ قَبْلَهُ .

٢ـ النَّاقةُ المُخْرَجَةُ مِنَ الصَّخرِ هيَ مُعْجزةُ نبيِّ اللهِ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

٣ـ كلُّ قومٍ جاءَتْهُمْ مُعجزَةُ نبيٍّ طلَبوها ثُمَّ كفَروا بِها عاجَلَهُم اللهُ تَعالى بالعُقوبةِ .

٤ـ عذابُ اللهِ تَعالى إنْ وقعَ كانَ مُؤْلِماً ، واللهُ يُمهِلُ ولا يُهْمِلُ .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

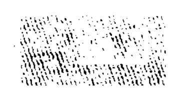
ناقةُ اللهِ ، آيةً ، بوَّأَكُم ، لا تعثَوْا ، الرَّجفةُ ، جاثِمينَ .

٢ـ بيِّنْ مُعجزَةَ نبيِّ اللهِ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

٣ـ وضِّحْ سُنَّةَ اللهِ تَعالى في المُكذِّبينَ بِمُعجزاتِ الأنبياءِ الّتي طلَبوها مِنْهُم دليلاً على صِدْقِهِم .

٤ـ ماذا كانَتْ عاقِبةُ قومِ صالحٍ ؟ ولِماذا ؟

٥ـ كيفَ تُدَلِّلُ على رَحْمَةِ نبيِّ اللهِ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بقومِه ؟



١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِك ما امتازَتْ بهِ النّاقةُ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ خواتيمَ سورةِ الشّمسِ الّتي تُبيِّنُ أمْرَ ثمودَ معَ نبيِّهِمْ ـ عليهِ السَّلامُ ـ .

* * *

الدَّرسُ السَّادِسُ والعِشرونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الفاحِشةَ : اللُّواطَ .

مُسرِفونَ : مُتَجاوِزو الحدِّ الإلهيِّ .

قريَتِكُمْ : هي سَدومُ ، وتقعُ جنوبَ البحرِ الميِّتِ باتِّجاهِ مَعانَ .

يَتطهَّرونَ : يترفَّعونَ عنِ الفاحِشَةِ ، ولا يَفْعَلونَ مِثْلَ قومِهِمْ .

الغَابرِينَ : المُهْلَكينَ .

التَّفسيرُ :

ما زالتِ السُّورَةُ الكَريمةُ توالي ذِكْرَ قَصصِ الأنبياءِ ـ عَلَيهِمُ السَّلامُ ـ . وهنا تُحدِّثُنا السُّورَةُ الكَريمةُ عنْ قِصَّةِ نَبيِّ اللهِ لوطٍ ـ علَيْهِ السَّلامُ ـ فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ .

ولقدْ أَرْسَلْنا لوطاً عليْهِ السَّلامُ إلى قومِهِ ، يَدعوهُمْ إلى التَّوحيدِ ، ويُنبِّهُهُمْ إلى وُجوبِ التَّخلّي عنْ أَقبحِ جريمةٍ يفْعَلونَها قائلاً لهم : أَتأْتونَ تِلكَ الفِعْلَةَ الَّتي بلغَتْ نِهايَتَها في القُبْحِ والفُحْشِ ،

والّتي تجاوزَتِ الحدَّ في الخُروجِ على الفِطْرةِ ، وقدِ ابْتدَعْتُمْ تِلكَ الفاحِشةَ بِشُذوذِكُمْ ، فلَمْ يَسْبِقْكُم بها أحدٌ مِنَ النَّاسِ .

ثُمَّ أضافَ نبيُّ اللهِ تَعالى لوطٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إنْكاراً آخرَ وتَوْبيخاً أشدَّ ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾

إنَّ الفاحِشةَ الّتي تَأْتونَها هِيَ أنَّكمْ أيُّها القومُ المَمْسوخو الطَّبائِعِ تَأْتونَ الرِّجالَ ، ولا حاملَ لكُمْ على ذلكَ إلاّ مُجرَّدُ الشَّهوةِ الخَبيثةِ القَذِرَةِ ، أنتُم شأنُكُمُ الإسْرافُ ، ولذلكَ خرجتُمْ على الفِطْرةِ ، وفعَلْتُمْ ما لمْ يَفْعلْهُ الحيوانُ .

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ .

وما كانَ جوابُ الطُّغاةِ المُسْتَكْبِرينَ على نَصائِح نبيِّهم لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إلاّ أنْ قالَ بعضُهم لبعضٍ أَخْرِجوا لوطاً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ مَعَهُ مِنَ المؤمِنينَ مِنْ قَريتِكُمُ الّتي اسْتَوْطَنْتُموها ، وعِشْتُم فيها ، ثُمَّ قالوا : إنَّ لوطاً وأتْباعَهُ أُناسٌ يتَرفَّعونَ عَنْ إتيانِ الرِّجالِ وعَنْ كلِّ عَمَلٍ مِنْ أعمالِنا ولا يَرَوْنَهُ مُناسِباً لهُم .

وما أعجبَ العُقولَ حينَ تَنْتَكِسُ والأخلاقَ عندَما ترتَكِسُ ، إنَّها تَسْتَنْكِفُ أنْ يَبقى معَها الطَّهورُ المُتعفِّفُ عنْ الفُحْشِ ، وتَعْمَلُ على إخْراجِه لِيَبْقى لها المُلوَّثونَ المَمْسوخونَ ، وإنَّهُ لَمنطِقٌ يتَّفقُ معَ المُنْحَرِفينَ الّذينَ انْحَطَّتْ طباعُهُمْ وانقلبَتْ موازينُهُمْ ، وزَيَّنَ لهمُ الشَّيطانُ سوءَ أعمالِهِمْ فرأَوْها حَسَنةً .

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ .

ولقدْ حَقَّتْ عَليْهِمْ كلمةُ العذابِ ، فأَنْجَيْنا لوطاً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وأَهْلَهُ إلاَّ امرأتَهُ ، فإنَّنا لمْ نُنْجِها لِخُبْثِها وعدمِ إيمانِها ، وبَقِيَتْ معَ الّذينَ وقعَ عليْهِمْ عذابُ اللهِ تَعالى وسَخَطُهُ .

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

وأرسلْنا على قوم لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ نَوْعاً مِنَ المطرِ العَجيبِ . وقدْ بيَّنَه اللهُ تَعالى في آيةٍ أُخرى بقولِه سُبْحانَهُ : ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر : ٧٤] أيْ جازيناهُم بالعُقوبةِ الّتي تُناسِبُ شَناعةَ جُرْمِهِمْ ، فإنَّهم لمَّا قَلبوا الأوْضاعَ فَأَتَوْا الرِّجالَ دونَ النِّساءِ ، أهْلكناهُم بالعُقوبةِ الّتي قَلبَتْ عليهِمْ قريتَهُم فجَعَلَتْ أعلاها أسْفَلَها ، وأَمْطَرنا عليهِمْ حِجارةً مِنْ طينٍ مُتحجِّرٍ .

ثُمَّ اختتمَتِ القِصَّةُ بالدَّعوةِ إلى التَّعقُّلِ والتَّدبُّرِ والاعْتبارِ ، فقالَ تَعالى : ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ .

أي فانْظُرْ أيُّها العاقلُ نَظْرةَ تدبُّرٍ واتِّعاظٍ في مآلِ أُولئكَ الكافِرينَ المُقتَرِفينَ لأشْنَعِ الفواحشِ ، واحْذَرْ أنْ تَعمَلَ أعمالَهُمْ حتّى لا يُصيبَكَ ما أصابَهُمْ ، وسِرْ في الطَّريقِ المُستقيمِ لِتَنالَ السَّعادةَ في الدُّنيا والآخِرَةِ .

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرة ، مِنْها :

١ـ التَّحذيرُ مِنَ ارتكابِ الفواحشِ ، وبخاصّةٍ الّتي تَتنافى والفِطْرةِ الإنسانيّةِ .

٢ـ على الإنسانِ أنْ يُنْكِرَ الفواحِشَ ، لكنْ بالطَّريقةِ الّتي تُبيِّنُ فسادَها .

٣ـ أصحابُ المَعاصي يَقْلِبونَ الحقَّ باطِلاً والباطلَ حقّاً .

٤ـ اللهُ عزَّ وجلَّ إذا أخذَ الظّالِمَ فإنَّ أخْذَهُ أليمٌ شديدٌ .

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

الفاحِشةَ ، مُسْرِفونَ ، قَرْيَتِكُمْ ، يَتطهَّرونَ ، الغابِرينَ .

٢ـ لقدْ أحْدَثَ قومُ لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ حَدَثاً لمْ يسبقْهُمْ إليهِ سابقٌ ، بيِّنْ ذلكَ .

٣ـ بينَّتِ الآياتُ الكَريمةُ طبيعةَ قومِ لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ونفسيَّتَهُمْ ، وضِّحْ ذلكَ .

٤ـ لِماذا لمْ تَنْجُ امرأةُ لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنَ العذابِ ؟ وما الّذي نستفيدُهُ مِنْ هذا الأمْرِ ؟

٥ـ بيِّنْ نَوْعَ العذابِ الّذي لَحِقَ بقومِ لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مَرَضيْنِ مُعْدِيَيْنِ انتشَرا في هذا الزَّمانِ بسببِ الشُّذوذِ الجنسيِّ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سورةِ التَّحريمِ الّتي تُبيِّنُ المَثَلَ الّذي ضَربَهُ اللهُ تَعالى للكافِرينَ .

* * *

الدَّرسُ السَّابعُ والعِشرونَ

سورةُ الأعرافِ ـ القِسمُ الرّابعَ عشر

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

معاني المفردات

مَدْيَنَ : مِنطقةٌ بالقُرْبِ مِنْ معانٍ .

لا تَبْخَسوا : لا تُنْقِصوا .

بَيِّنَةٌ : آيةٌ واضِحةٌ .

صِراطٍ : طريقٍ .

تُوعِدونَ : تُخوِّفونَ وتُهَدِّدونَ .

التفسير

بَعْدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى جزاءَ المُكذِّبينَ نبيَّهُمْ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ انتقلتِ السُّورةُ الكَريمةُ لِتُحدِّثَنا عنْ قومِ شعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وما أحْدَثوهُ مِنَ الجَرائمِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

ولقَدْ أَرسلْنا إلى مَدْيَنَ أخاهُمْ شُعَيْباً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فقالَ مُنادِياً لهُمْ على مَنْهجِ جميع الأنبياءِ الّذينَ سَبَقوهُ في أُمَمِهِمْ : يَا قوم اعْبُدوا اللهَ تَعالى وَحْدَهُ ، فليسَ لكُم ولا لي أيُّ إلهٍ غيرُهُ ، قدْ جاءتْكُمُ الحُجَجُ المُبيِّنَةُ للحقِّ مِنْ ربِّكُمْ ، المُثبتةُ رسالَتي إليْكُم ، وجاءتْكُم رسالةُ ربِّكُمْ بالإصْلاحِ بَيْنَكُمْ والمُعاملةِ العادلةِ ، فَأَوْفوا الكَيْلَ والميزانَ في بَيْعِكُمْ وشرائِكُمْ ولا تُنقِصوا حُقوقَ النَّاسِ ، ولا تُفسِدوا في الأرضِ الّتي جَعَلَها اللهُ صالِحةً لكُمْ لِتَعيشوا عليْهَا بِأَمانٍ ، ذلكَ خيرٌ لكُم إنْ كنتُمْ تُؤْمِنونَ باللهِ تَعالى وبالحقِّ الواضحِ البيِّنِ .

ثُمَّ انْتَقَلَ نبيُّ اللهِ شُعيبٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إلى نَهْيِهِمْ عنْ رَذائلَ أُخرَى كانوا مُتَلبِّسينَ بِها ، فقالَ كما حكَاهُ القرآنُ الكَريمُ عنهُ :

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

ولا تَقْعُدوا بِكُلِّ طريقٍ منَ الطُّرُقِ المَسلوكةِ تُهدِّدونَ مَنْ آمنَ بي بالقَتْلِ ، وتُخيفونَهُ بأنواعِ الأذَى وتُلصِقونَ بِي وأنا نبيُّكُمُ التُّهمَ الّتي أنا بريءٌ مِنْها ، بأنْ تَقولوا لِمَنْ يُريدُ الإيمانَ برسالَتي ، إنَّ شُعيباً ـ كذَّابٌ وإنَّهُ يُريدُ أنْ يَفتِنَكُمْ عنْ دينِكُمْ ، وتَصرِفونَ النَّاسَ عَنْ دينِ اللهِ تَعالى وطاعتِهِ ، وتَطْلُبونَ لِطريقهِ العِوَجَ بإلقاءِ الشُّبَهِ أو بِوَصْفِها بما يُنْقِصُها ، معَ أنَّها هِيَ الطريقُ المُسْتقيمُ الّذي هوَ أبعدُ ما يكونُ عنْ شائبةِ الاعْوجاجِ .

ثُمَّ إنَّ شُعيباً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ذكَّرهُمْ بِنِعَمِ اللهِ تَعالى قائِلاً لَهُمْ : اذْكُروا ذلكَ الّذي كُنتُمْ فيهِ قَليلي العَدَدِ ، فكثَّرَكُمُ اللهُ تَعالى بأنْ جَعَلَكُمْ موفوري العَددِ ، وأنْ تُفردوهُ وحْدَهُ بالعِبادةِ والطَّاعةِ .

ثُمَّ خوَّفَهُمْ شُعَيبٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عَواقِبَ الإفْسادِ قائِلاً لهُم : انظُروا نَظَرَ تأمُّلٍ واعْتبارٍ كيفَ كانَتْ عاقِبةُ المُفْسِدينَ مِنَ الأُممِ الخاليةِ والقُرونِ الماضيةِ ، كقومِ لوطٍ وقومِ صالحٍ وغَيْرِهِمْ ، فَسَتَرَوْنَ أنَّهم قدْ دُمِّروا تَدميراً بِسَببِ إفْسادِهِمْ في الأرضِ وتَكذيبِهِمْ لِرُسلِهِمْ ، فاتَّقوا اللهَ تَعالى ولا تُطيعوا أَمْرَ المُفْسِدينَ ، لأنَّ سَيْرَكُمْ على طريقِهِمْ سيُؤدّي بِكُم إلى الدّمارِ . ثُمَّ نصحَ نبيُّ اللهِ شُعيبٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قومَهُ بأنْ يَأْخُذوا أنفُسَهُمْ بشيءٍ مِنَ العَدْلِ وَسَعَةِ الصَّدرِ ، وأنْ يَتْرُكوا أَتباعَهُ

أحْراراً في عَقيدتِهِمْ ، حتّى يَحْكُمَ اللهُ تَعالى بينَ الفريقَينِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

وإنْ كانَ بعضُكُمْ قدْ آمنَ بما أرسَلَني اللهُ تَعالى بِهِ إليكُمْ مِنَ التَّوحيدِ وحُسْنِ الأخلاقِ ، وبعضُكُمْ لمْ يُؤْمِنْ بما أُرْسِلْتُ بِه ، بلْ أصرَّ على شِرْكِهِ وعِنادِهِ ، فتربَّصوا وانتَظِروا حتّى يَحْكُمَ اللهُ تَعالى بيننا وبَيْنَكُمْ بِحُكْمِهِ العادِلِ الّذي يَتجلّى في نُصْرَةِ المؤمنينَ وإهْلاكِ الظّالمينَ ، وهُوَ سُبْحانَهُ خيرُ الحاكِمينَ .

وإلى هُنا تكونُ السُّورةُ الكَريمةُ قدْ حكَتْ لنا جانِباً مِنَ الحُجَجِ النّاصعةِ ، والنّصائحِ الحكيمةِ والتَّوجيهاتِ الرّشيدةِ الّتي وجّهَها شعيبٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إلى قومِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ نبيُّ اللهِ تَعالى شُعيبٌ عليْهِ السَّلامُ ـ يسيرُ على مَنْهَجِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ قَبْلَهُ .

٢ـ النَّقْصُ في الميزانِ وبَخْسُ النّاسِ أشياءَهُمْ ، مِنَ الجرائمِ الاجتماعيَّةِ الخطيرةِ على أخلاقِ المُجْتَمعِ واقتصادِهِ .

٣ـ الفسادُ في الأَرْضِ بَعْدَ إصْلاحِها مِنْ أَشَدِّ أَنواعِ الفَسادِ .

٤ـ تخويفُ النّاسِ وتهديدُهُمْ جريمةٌ يَجِبُ أنْ يُحارِبَها الدُّعاةُ إلى اللهِ تَعالى .

٥ـ تذكيرُ النَّاسِ بماضيهِمْ مِنَ الأُمورِ الّتي تُعينُ على تَهذيبِ سُلوكِهِمْ .

٦ـ ضَرورةُ تذكيرِ النّاسِ لأَخْذِ العِبْرةِ مِنَ الماضينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

لا تَبْخَسوا ، بيِّنةٌ ، صِراطٍ ، توعِدونَ .

٢ـ أينَ تقعُ مَدْينُ ؟

٣ـ بيّنِ الأشياءَ الّتي نهى شُعيبٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قَوْمَهُ عنْها .

٤ـ بِماذا ذَكَّرَ شعيبٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قومَهُ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أوائلَ سورةِ المُطفِّفينَ .

* * *

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾

لتعودُنَّ في مِلّتنا	لَتصيرُنَّ إليها مُرْغَمينَ .
ربّنا افتحْ	احْكُمْ واقْضِ وافْصِلْ .
الرّجفةُ	: الزَّلزلةُ الشَّديدةُ أوِ الصَّيْحةُ .
جاثمينَ	هامِدينَ ، مَوْتَى لا حَراكَ بِهم .
آسَى	: أَحْزَنُ حُزْناً شَديداً .



المُتدبِّرُ فيما مَضى مِنْ قِصَّةِ شُعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ معَ قومِه ، يرَى شُعيباً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يأمرُ بِتَوْحيدِ اللهِ تَعالى لأنّهُ أساسُ العقيدةِ ، ورُكْنُ الدِّينِ الأعْظَمِ ، ثُمَّ يُتبِعُ ذلكَ بِمُعالَجةِ الجرائمِ الّتي كانَتْ مُتَفَشِّيةً فيهِمْ . ولقدْ كانَ مِنَ المُنتَظَرِ أنْ يَتقبَّلَ قومُ شُعيبٍ هذهِ المَواعِظَ تَقبُّلاً حَسَناً ، وأنْ

يُصَدِّقوهُ فيما يُبلِّغُهُ عنْ ربِّهِ ، ولكنَّ المُسْتَكْبرينَ منهُم عَموا وصَمّوا عنِ الحقِّ ، قالَ تَعالى :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ .

قالَ الأَشرافُ المُسْتَكبِرونَ مِنْ قوم شُعَيْبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ردّاً على مَوْعظتِهِ لهُم : واللهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ أنتَ والّذينَ آمَنوا مَعَكَ مِنْ قريتِنا ، بُغْضاً لكَ ولَهُمْ ، ودَفْعاً لِفتَنِكُمُ المُترتِّبةِ على مُساكَنَتِنا ومُجاوَرَتِنا ، أو لَتصيرُنَّ في مِلَّتِنا ، وما نؤمنُ بهِ منْ تقاليدَ وَرِثْناها عنْ آبائِنا ومِنَ المُستحيلِ علينْا تَرْكُها ، فَعليكَ يا شُعَيْبُ أنتَ ومنْ معَكَ أنْ تَختاروا لأنْفُسِكُمْ أَحدَ أمرَينِ : الإخْراجَ مِنْ قَرْيَتِنا ، أو الصَّيرورةَ إلى مِلَّتِنا والانْضِواءَ تَحْتَها . هَكذا قالَ المُتْرَفونَ المَغْرورونَ لِشعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وأتباعِهِ باسْتِعلاءٍ وغِلْظةٍ وغَضَبٍ ، ولكنَّ شُعيباً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قالَ مُعلِناً عَدَمَ قَبولِهِ لهذا العَرْضِ الآثِمِ : أتُجْبِرونَنا على الصَّيرورةِ في مِلَّتِكُمْ حتّى ولَوْ كُنّا كارهينَ لها ، لاعتِقادِنا أنَّها باطِلةٌ وقَبيحةٌ ومُنافيةٌ للعُقولِ السَّليمةِ والأخْلاقِ المُسْتقيمةِ ؟ لا ، لنْ نصيرَ إليها بأيِّ حالٍ مِنَ الأحوالِ .

﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾

وبالَغَ شُعيبٌ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ في قَطْعِ طَمَعِهِمْ مِنَ الصَّيرورةِ إلى مِلَّتِهِمْ كما يَطلُبونَ فقالَ : نكونُ قدِ اختلَقنا على اللهِ تَعالى أشْنَعَ أَنواعِ الكَذِبِ إنْ صِرْنا في مِلَّتِكُمُ الباطِلةِ ، بعدَ إذْ أنْجانا اللهُ تَعالى مِنها بهدايَتِنا إلى الصِّراطِ المُستقيمِ ، ولا يَنْبَغي لنا أنْ نَصيرَ في مِلَّتِكُمُ الباطلةِ بِمَحْضِ اخْتيارنا ورغْبَتِنا إلاّ أنْ يشاءَ اللهُ تعالى صَيْرورتَنا إلى مِلَّتِكُمْ ، وهَيهاتَ ذلكَ ، لأنَّه ربُّنا العليمُ بِنا ، فَلا يشاءُ رُجوعَنا إلى باطِلِكُمْ . فهوَ ـ جلَّ شأنُهُ ـ وَسِعَ كلَّ شيءٍ عِلْماً ، يَهدينا بِلُطْفهِ وحِكْمتِهِ إلى ما يَحْفَظُ عَلَيْنا إيمانَنا ، إليهِ وَحْدَه سَلَّمْنا أمْرَنا معَ قِيامِنا بما أوجبَهُ عَليْنا . وبعدَ هذا الإصرارِ على التَّمسُّكِ بالحقِّ ، يَتوجَّهُ إلى اللهِ تَعالى بالدُّعاءِ أنْ يُظهِرَ الحقَّ فيقولُ : ربَّنا افْصِلْ بينَنا وبينَ قومِنا بالحقِّ الّذي مضَتْ بهِ سُنَّتُكَ في هذا الفصلِ بينَ المُحقِّينَ المُصْلِحينَ وبينَ المُبْطِلينَ ، وأنتَ يا ربَّنا لإحاطةِ عِلْمِكَ أعدلُ الحاكِمينَ وأَقْدَرُهُمْ .

ويَظْهَرُ أنَّ الملأَ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قدْ يَئِسوا مِنَ اسْتِحالةِ شُعَيْبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وأتباعِهِ إلى مِلَّتِهِمْ ، فأخَذوا النَّاسَ مِنَ السَّيْرِ في طريقهِ . ويَحكي القرآنُ ذلكَ بأُسلوبٍ حكيمٍ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ .

قالَ الأشرافُ الكافِرونُ مِنْ قومِ شُعَيْبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لِغَيْرِهِمْ : إنَّكم إذا اتَّبعتُمْ شُعَيباً ـ عَليْهِ

السَّلامُ ـ وصِرتُمْ على مِلَّتِهِ ، أنتُم في هذهِ الحالةِ خاسِرونَ لِشَرَفِكُمْ ومَجْدِكُمْ ، بِسَبَبِ إيثارِكُمْ مِلَّتَهُ على مِلَّةِ آبائِكمْ وأجدادِكُمْ ، وخاسِرونَ لِثَرْوَتِكُمْ ورِبْحِكُمُ الماديِّ ، لأنَّ اتِّباعَكُمْ لهُ سَيحولُ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ التَّطفيفِ في الكَيْلِ والميزانِ ، وهُوَ مَدارُ غِناكُمْ واتِّساعِ أَموالِكُمْ .

وبعدَ هذهِ المُحاوراتِ والمُجادَلاتِ الّتي دارَتْ بينَ شُعَيْبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وقومِهِ ، جاءَتِ الخاتِمةُ الّتي حكاها القرآنُ الكَريمُ ، قالَ تعالى :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ .

حقَّتْ عليْهِمْ كَلِمةُ العذابِ ، فأصابَهُمُ اللهُ تَعالى بِزَلْزَلَةٍ اضْطربَتْ لها قلوبُهُمْ ، فَصاروا في دارِهِمْ مُنْكَبِّينَ على وُجوهِهِم لا حياةَ فِيهِم .

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ .

هذا شأنُ اللهِ تَعالى معَ الّذينَ كذّبوا شُعَيْباً وهَدَّدوهُ ، وأنذَروهُ بالإخراجِ مِنْ قريتِهِمْ ، وعَمِلوا على ردِّ دَعوتهِ . فقدْ هَلَكوا وهَلَكَتْ قَريتُهُمْ كأنَّهُمْ لمْ يَعيشوا فيها ، وزَعَموا أنَّ مَنْ يَتَّبِعُهُ يكونُ خاسِراً ، وأكَّدوا هذا الزَّعْمَ ، ولكنْ كانوا همُ الخاسِرونَ لِسعادتِهِمْ في الدُّنيا والآخرةِ .

وأخيراً تَطوي هذهِ السّورةُ صَفْحَتَهُمْ مُشَيِّعةً إيّاهُمْ بالتَّبْكيتِ والإهْمالِ مِنْ رسولِهِمْ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وأخيهِمْ في النَّسَبِ ، قالَ تعالى :

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾

فلمَّا رأَى شُعَيْبٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ما نَزَلَ بقومِهِ مِنَ الهلاكِ المُدمِّرِ ، أعْرَضَ عنْهُم وقالَ مبرِّئاً نفسَه مِنَ التَّقصيرِ معهُم : لقدْ أبْلَغتُكُمْ رِسالاتِ ربِّكُمُ المُفْضِيةِ إلى الإحْسانِ إليكُمْ لَوْ عَمِلتُمْ بِها ، وبالَغْتُ في إسْداءِ النُّصحِ لكُم ، والعِظَةِ بما بهِ تَنْجَوْنَ مِنْ عُقوبةِ اللهِ تَعالى ، فكيفَ أحْزَنُ الحُزْنَ الشَّديدَ على قوم كافِرينَ ؟ لا يكونُ ذلكَ بعدَما أَعْذَرْتُ إِليْهِم ، وبَذَلْتُ جُهدي في سبيلِ هِدايَتِهِمْ ونَجاتِهِم ، فَاخْتاروا ما فيهِ هلاكُهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

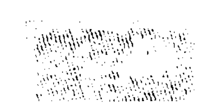
تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ المُؤْمِنونَ المُسْتَضعَفونَ مُهدَّدونَ بالإخْراجِ مِنْ ديارِهِمْ ، أوِ القَهْرِ على الكُفرِ ، ولكنَّهُمْ ثابِتونَ على دينِهِم .

٢ـ المؤمنُ دائماً يَكِلُ أمْرَهُ إلى اللهِ تَعالى في كلِّ حالٍ .

٣ـ الملأُ يُحاوِلونَ إفسادَ النَّاسِ وصَدَّهُمْ .

٤ـ نِقْمَةُ اللهِ تَعالى وعذابُهُ يَحِلُّ بالمُكذِّبينَ ولوْ بعدَ حينٍ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

الرَّجْفَةُ ، جاثِمينَ ، لمْ يَغنَوْا فيْها ، آسَى .

٢ـ بيِّنْ موقفَ الملأِ مِنْ شُعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومَا أرادوهُ مِنْه ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومِنَ المُؤْمِنينَ مَعَهُ .

٣ـ بيِّنْ موقفَ شُعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ والمُؤْمِنينَ مَعَهُ مِنْ دعوةِ الملأِ .

٤ـ ما السِّلاحُ الأخيرُ الّذي استخدَمَهُ الملأُ بعدَ أنْ يئِسوا مِنْ شُعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومِمَّنْ آمنَ مَعَهُ ؟

٥ـ بِماذا عاقبَ اللهُ تَعالى قومَ شُعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ؟

٦ـ ماذا كانَ موقفُ شُعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بعدَ أنْ حلَّ العذابُ بقومِهِ ؟



١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ الإسراءِ الّتي تُبَيِّنُ متى يتّخِذُ الكافِرونَ المؤمِنينَ أصدقاءَ .

٢ـ صَمِّمْ جدولاً تُبَيِّنُ فيهِ أسماءَ الأنبياءِ ـ عليْهِمُ السّلامُ ـ الّذينَ ذُكِروا في السُّورَةِ ومقابلَ كلٍّ منهمُ ما يَلي :

أـ اسمُ القومِ الّذي بُعِثَ إليْهِمْ .

ب ـ دعوتُهُ إليْهِمْ .

ج ـ الفاحشةُ الّتي كانَ يفعلُها قومُهُ .

دـ العذابُ الّذي أصابَهُمْ .

* * *

الدَّرسُ التَّاسِعُ والعِشْرونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ السّادِسَ عَشَرَ

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾

معاني المفردات

الضَّرَاءِ : المَرَضِ والآلام .

يضَّرَّعونَ : يَتذلَّلونَ ويَخضَعونَ .

عَفَوْا : كثُروا ونموْا عَدَداً ومالاً .

بَغتةً : فَجأةً .

لَفتَحْنا عَليْهِمْ : لَيَسَّرْنا عليْهِم ولَوَسَّعْنا عَلَيْهِمْ .

يأْتيَهُمْ بأْسُنا : يَنزِلَ بِهم عذابُنا .

بَياتاً : وقتَ المبيتِ : أي ليلاً .

مَكْرَ اللهِ : عُقوبَتَهُ أو اسْتِدراجَه إيَّاهُم .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بيَّنتِ السُّورةُ الكَريمةُ قَصصَ بعضِ الأنبياءِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ لِيعتبرَ النَّاسُ بأحْوالِهِمْ

وأحوالِ أُمَمِهِمْ ، أَخَذتِ السُّورةُ الكَريمةُ في بيانِ جانبٍ مِنْ سُنَنِ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾

ذلكَ الّذي قَصصْناهُ عليكَ يا محمَّدُ ﷺ شَأْنُ الرُّسلِ السَّابقينَ ـ عَليْهِمُ السَّلامُ ـ ، معَ أقوامِهِمُ الهالِكينَ ، وقدْ جرَتْ سُنَّتُنا أنّنا ما أرْسَلْنا في قريةٍ مِنْ نبيٍّ كذَّبَهُ أهلُها إلاّ أخَذْناهُمْ ، وأنزَلْنا بِهم قبلَ إهْلاكِهِمْ ألواناً مِنَ الشَّدائدِ والمصائِبِ ، كالفقرِ والمرضِ ، لعلَّهم يَنْقادونَ لأمرِ اللهِ تَعالى ويَتوبونَ إلى رُشْدِهِمْ ، ويُكثِرونَ مِنَ التَّضرُّعِ إليهِ والاسْتجابةِ لِهَدْيِهِ .

وفي هذهِ الآيةِ إشارةٌ إجماليّةٌ إلى بيانِ أحوالِ سائرِ الأُممِ ، بعدَ بيانِ أحوالِ الأُممِ الّتي سبقَ الحديثُ عنها في هذهِ السُّورةِ الكَريمةِ ، والمَقصودُ مِنْ هذهِ الآيةِ تحذيرُ كُفّارِ قريشٍ وغَيْرِهِمْ لِيَنْزَجروا عنِ الضَّلالِ والعِنادِ ، ويَسْتَجيبوا للهِ تَعالى ولِرسوله ﷺ .

﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

ثُمَّ بعدَ أنِ ابتلَيْنا هؤلاءِ الغافِلينَ بالبَأْساءِ والضَّراءِ ، رَفَعْنا ذلكَ عنْهُم وابتلَيْناهُمْ بِضدِّهِ ، بأنْ أعْطَيناهُمْ بَدَلَ المصائبِ نِعَماً ، فإذا الرَّخاءُ يَنْزِلُ بهم مكانَ الشِّدَّةِ ، واليُسْرُ مكانَ الحَرَجِ ، والعافيةُ بدلَ الضُّرِّ ، والكثرةُ بدلَ القِلَّةِ ، والأمْنُ مَحَلَّ الخَوْفِ ، ولمْ يكنْ مَوْقِفُ هؤلاءِ مِنَ ابتلاءِ اللهِ تَعالى إيَّاهُم بالشَّدائدِ تارةً وبالنِّعَمِ تارةً أُخرى مَوْقِفَ المُعتَبِرِ بالأحداثِ ، المُتيقِّظِ بلْ كانَ مَوْقِفُهُمْ يدلُّ على فسادِ فِطْرَتِهِمْ ، وانْحِطاطِ نفوسِهِمْ وعدمِ اتِّعاظِهِمْ بما تَجري بهِ الأقدارُ ، وبما بينَ أيديهِمْ مِنْ سرَّاءَ وضرَّاءَ ، تَحْمِلُ كلَّ عاقلٍ على التَّفكيرِ والاعتبارِ ، بلْ حينَما رأَوا الخَيْراتِ بيْنَ أيديهِمْ ، بعدَ أنْ كانوا في بأساءَ وضَرَّاءَ ، لمْ يَشْكُروا نِعمةَ اللهِ تَعالى ولمْ يَعْتَبِروا ، بلْ قالوا في عِنادٍ وجَهْلٍ : قدْ مسَّ آباءَنا مِنْ قَبْلِنا ما يسوءُ وما يَسُرُّ ، وتَناوبَهُمْ ما يَنْفعُ وما يَضرُّ ، ونحنُ مثلُهُمْ يُصيبُنا ما أصابَهُمْ ، وقدْ أخذنَا دَوْرَنا مِنَ الضَّراءِ كما أخَذوا ، وجاءَ دورُنا في السَّرَّاءِ فَلْنَغْتَنِمْها في إرواءِ شَهواتِنا ، وإشباعِ مُتَعِنا ، فتلكَ عادةُ الزَّمانِ في أبنائِهِ ، ولا داعِيَ لأنْ نَنْظُرَ إلى السَّرَّاءِ والضَّراءِ على أنَّهما نوعٌ مِنَ الابتلاءِ والاختبارِ ، وهذا شأنُ الغافِلينَ الجاهِلينَ ، في كلِّ زمانٍ ومَكانٍ ، ولمْ يُتْرَكْ أُولئكَ الغافِلونَ مِنْ دونِ قِصاصٍ وإنَّما فاجأَتْهُمُ العُقوبةُ الّتي تُناسِبُهُمْ ، فكانَ عاقبةُ بَطَرِهِمْ وأشَرِهِمْ وغَفْلَتِهِمْ أنْ أخذَهُمْ عذابُ اللهِ تَعالى ، فَجأةً مِنْ غيرِ شُعورٍ مِنْهُمْ ، ولا خُطورِ شيءٍ مِنَ المكارِهِ ببالِهِمْ ، لأنَّهُمْ ظنُّوا أنَّهم سَيَعيشونَ حياتَهُمْ في نعيمِ الحياةِ ورَغَدِها مِنْ دونِ مُحاسبةٍ على أعمالِهِمُ القَبيحةِ وأقوالِهِمُ الذَّميمةِ .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ .

ولوَ أنَّ أهلَ تلكَ القُرى آمَنوا بِما جاءَ بهِ ـ عَليْهِمُ السَّلامُ ـ ، وعَمِلوا بِوَصاياهُمْ وابتَعدوا عمَّا حرَّمَهُ اللهُ ، لأعطيناهُمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ والأرضِ ، كالمَطَرِ والنَّباتِ والثَّمَرِ والأَمْنِ والسَّلامةِ مِنَ الآفاتِ ، ولكنْ جَحَدوا وكذَّبوا الرُّسلَ ـ عَليْهِمُ السَّلامُ ـ فأصَبْناهُم بالعذابِ والهلاكِ ، بِسَبَبِ ما كانوا يَقترِفونَ مِنَ الشِّركِ والمعاصي ، فأخْذُهُمْ بالعُقوبةِ أثرٌ لازمٌ لِكَسْبِهمُ القبيحِ ، وعِبْرةٌ لأمثالِهِمْ إنْ كانوا يَعْقِلونَ .

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾

أَغَفِلَ أهلُ القُرى الّذينَ بلغَتْهُمْ دعوةُ أنبيائِهِمْ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ ولمْ يُؤْمِنوا ، وأَمِنوا أنْ يَأْتِيَهُمْ عذابُنا وقتَ بياتِهِمْ وهمْ غارقونَ في نَوْمِهمْ ؟!

﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾

أَغَفِلَ هؤلاءِ وأمِنوا أنْ يأتِيَهُمُ العَذابُ في ضُحى النَّهارِ وانبِساطِ الشَّمسِ وهُمْ مُنْهَمِكُون فيما لا نَفْعَ فيهِ لهمُ منْ لَعِبٍ ولَهْوٍ وغَفلةٍ .

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

أَغفِلَ هؤلاءِ فَجَهلوا سُنَّةَ اللهِ تَعالى في المُكَذِّبينَ ، فأمِنوا عذابَه ليلاً أوْ نهاراً ؟ يَسوقُهُ اللهُ سُبْحانَهُ بِتَدبيرِهِ الّذي لا يَخْفى على النَّاسِ أمْرُهُ ، وأنَّه لا يَجْهَلُ تدبيرَ اللهِ تَعالى وسُنَّتَهُ في عُقوبةِ المُكَذِّبينَ إلاَّ الّذينَ خَسِروا أنْفُسَهُمْ بعدمِ اليَقَظةِ إلى ما فيهِ سعادتُهُمْ .

دروس وعبر

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ النَّتيجةُ الحتميّةُ لِتكذيبِ الرُّسلِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ الوقوعُ في العذابِ الدُّنيويِّ ، والأُخْرَويِّ .

٢ـ نزولُ العذابِ بالنَّاسِ بِصُوَرٍ مُتنوِّعةٍ لأجْلِ أنْ تتهذَّبَ نُفوسُهُمْ ويَرتدِعوا عَنْ كُفْرِهِمْ وضَلالِهِمْ .

٣ـ اللهُ تَعالى يَبتلي بالحَسَناتِ كما يَبتلي بالسَّيئاتِ .

٤ـ يَنبغي للإنسانِ أنْ لا يكونَ آمِناً عذابَ اللهِ تَعالى ، والعاقلُ هو الّذي يكونُ بينَ الخَوْفِ والرَّجاءِ .

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

يضَّرَّعونَ ، عَفَوْا ، بَغتةً ، فَتَحْنا عَليْهِمْ ، بَياتاً ، مَكْرَ اللهِ .

٢ـ بيِّنْ عاقبةَ تكذيبِ الرُّسُلِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ .

٣ـ ذَكَرتِ الآياتُ الكَريمةُ سُنَّةً منْ سُنَنِ اللهِ تَعالى في تَنويعِ العذابِ ، بيّنْ ذلكَ .

٤ـ ما العاقِبةُ الحميدةُ للإيمانِ في الدُّنيا ؟

٥ـ ما الحالةُ الّتي يَنبغي أنْ يكونَ عَليْها المؤمنُ فيما يَخصُّ ابتلاءَ اللهِ تَعالى ؟

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ الّتي تُبيّنُ أنَّ اللهَ تَعالى يَبتلي بالشَّرِّ والخيرِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ السَّجدةِ الّتي تُبيِّنُ أنَّ نزولَ العذابِ لِيرْجعَ النَّاسُ عنْ غِيِّهِم .

* * *

الدرس الثلاثون

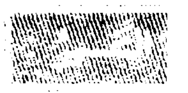
سورة الأعراف ـ القسم السابع عشر

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) ﴾

نطبعُ : نَختِمُ .

مِنْ عَهد : مِنْ وفاءٍ بما أوصيْناهُم .

فظلَموا بها : فكفَروا بالآياتِ .



ما تزالُ الآياتُ الكَريمةُ تَتوالى في بيانِ سُنَّةِ اللهِ تَعالى مع المُكَذِّبينَ . وهُنا بدأَتْ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ في بيانِ أنَّ على الأحياءِ الّذينَ يَرِثونَ الأرضَ مِنْ بعدِ أهْلِها ، أنْ يعتَبروا ويتَّعِظوا ويُحسِنوا القَوْلَ والعملَ ، حتّى يَنْجوا مِنَ العُقوباتِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾

أَغابَ عنِ الّذينَ يَخْلُفونَ مَنْ قَبْلَهُم مِنَ الأُممِ ، ولمْ تَتَبَيَّنْ لهمُ سُنَّةُ اللهِ تَعالى فيمَنْ قبلَهُمْ ، وأنَّ

شَأْنَنا فيهم كشأنِنا فيمَنْ سَبَقوهُمْ ؟ وهوَ أنَّهم خاضِعونَ لِمشيئتِنا ، لَوْ نشاءُ أنْ نُعذِّبَهُمْ بسببِ ذنوبِهم أصَبْنَاهُم كَما أصَبْنا أمثالَهُم ، ونحنُ نختِمُ على قلوبِهِمْ لِفَرْطِ فسادِها حتّى وصلتْ إلى حالةٍ لا تَقْبَلُ معَها شيئاً مِنَ الهُدى ، فهُمْ بِهذا الطَّبْعِ والخَتْمِ لا يَسْمعونَ الحِكَمَ والنَّصائحَ سماعَ تفقُّهٍ واتِّعاظٍ .

ثُمَّ توجَّهتِ السُّورةُ الكَريمةُ بالخِطابِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ لِتُطلِعَهُ على النَّتيجةِ الأخيرةِ لابتلاءِ تلكَ القُرى ، وما تَكشِفُ عنْهُ مِنْ حقائقَ تتعلَّقُ بطبيعةِ الكفرِ وطبيعةِ الإيمانِ ، فقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى :

﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

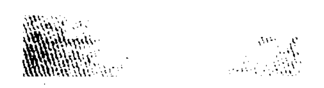
تلكَ القُرى الّتي بَعُدَ عَهْدُها ، وطالَ الأمَدُ على تاريخِها ، وجَهِلَ قومُكَ أيُّها الرَّسولُ ﷺ أحوالَها وهيَ قُرى قومِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وعادٍ وثَمودَ وقوم شُعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ نَقصُّ عليكَ الآنَ بعضَ أخبارِها ممَّا فيهِ عِبْرَةٌ ، ولقدْ جاءَ أهلَ تلكَ القُرى رسلُهُمْ بالبَيِّناتِ الدّالَّةِ على صِدْقِ دَعوتِهِمْ ، فلَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِهمْ أنْ يُؤمِنوا بعدَ مجيءِ البيِّناتِ لِتَمَرُّسِهِمْ بالتَّكذيبِ للصَّادِقينَ ، فكذَّبوا رُسَلَهُمْ ، ولم يهتَدوا ، وهَكذا يجعلُ اللهُ تَعالى حِجاباً على قلوبِ الكافِرينَ وعُقولِهِمْ ، فَيَخْفى عليْهِمْ طريقُ الحقِّ ويَبتعِدونَ عنْهُ .

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾

وما وَجَدْنا لأكثرِ أُولئكَ الأقوامِ وفاءً بمثياقٍ ممَّا أوْصيناهُمْ بهِ مِنَ الإيمانِ على لسانِ الرُّسلِ ـ عَليْهِمُ السَّلامُ ـ وعلى ما يَقضي بهِ العَقْلُ والنَّظرُ السَّليمُ ، وإنَّ الشَّأْنَ المُطَّرِدَ فيهم تمكُّنُ أكْثرِهِمْ مِنَ الفسوقِ والخُروجِ عنْ كلِّ عهدٍ .

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

ثُمَّ بَعَثْنا منْ بعدِ أولئكَ الرُّسُلِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ ، موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، ومَعهُ دلائِلُنا الّتي تدلُّ على صِدْقِهِ فيما يُبَلِّغُ عنَّا إلى فِرعونَ وقومِهِ ، فبلَّغَهُم موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ دعوةَ ربِّهِ سُبْحانَهُ وتَعالى ، وأراهُمْ آياتِ اللهِ سُبْحانَهُ الدَّالَّةَ على صدْقِهِ ، فَظَلموا أنْفُسَهُمْ وقَوْمَهُمْ بالكُفْرِ بها ، كِبْراً وجُحوداً ، فاسْتَحقّوا مِنَ اللهِ تَعالى عُقوبةً صارمةً كانَتْ بِها نِهايةُ أمْرِهِمْ . فانْظُرْ أيُّها النَّبيُّ ﷺ إلى نهايةِ المُفْسدِينَ في الأرضِ ، وكيفَ كانَ اللهُ تَعالى لهُم بالمِرْصادِ .



تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ على العُقلاءِ أنْ يأخُذوا عِبَراً مِمّنْ مضَوْا قَبْلَهُمْ .

٢ـ فسادُ المُفْسِدينَ حالَ بينَهُمْ وبَيْنَ تدبُّرِ آياتِ اللهِ تَعالى .

٣ـ منْ رَحْمةِ اللهِ تَعالى بالنَّاسِ أنّهُ لا يُهلِكُ قوماً إلاّ بَعْدَ أنْ يُعْذِرَ إليْهِمْ بالرِّسالاتِ والبيِّناتِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرداتِ ، والتَّراكيبِ التّاليةِ :

نَطْبَعُ ، مِنْ عَهْدٍ ، ظَلَموا بِها .

٢ـ ماذا طلبَ اللهُ تَعالى مِنَ الّذينَ خلَفوا الأُمَمَ الماضِيَةَ ؟

٣ـ لِماذا قَصَّ اللهُ تَعالى على رسولِهِ ﷺ أنْباءَ المُهلَكينَ ؟

٤ـ ماذا كانتْ أحوالُ الأُممِ الماضِيةِ الّذينَ أهلَكَهُم اللهُ تَعالى .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةً تُبيّنُ أنَّ الكافِرينَ لا يُحسِنونَ استخدامَ حواسِّهِمْ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ دَليلَيْنِ مُعْجِزَيْنِ جاءَ بِهما موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لقومِهِ كيْ يُؤْمِنوا ويُصدِّقوا رِسالَتَهُ .

* * *

وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٍ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾

حقيق : حَريصٌ .

مبين : ظاهِرٌ واضِحٌ .

نزع يده : أخْرَجَها .

الملأ : أهلُ المشورَةِ والرُّؤساءُ .

حاشرين : جامِعينَ السَّحرةَ ومَنْ يلوذُ بِهم .

استرهبوهم : خوَّفوهُمْ تَخويفاً شَديداً .

بَعْدَ أنْ بيَّنَ تَعالى سُنَّتَهُ في الأُممِ الّذينَ أُرسِلَ إِلَيْهِمُ ، وأخْبَرَنا ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ بَعَثَ مِنْ بعدِ أولئكَ

الرُّسلِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ ، موسى ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ إلى فِرعونَ ، بعدَ ذلِكَ شَرَعتِ الآياتُ الكَريمةُ في بيانِ شيءٍ مِنَ التَّفصيلِ لِما حَصَلَ معَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وفرِعونَ ومَلَئِه ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .

وقالَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لِفرعونَ : إنّي مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ تَعالى ربِّ العالَمينَ ، ومالكِ أمْرِكُمْ ، لأُبَلِّغَكُمْ دَعْوَتَهُ ، وأدْعوكُمْ إلى شريعَتِه .

﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾

وإنّي حريصٌ بِمُقْتضى هذهِ الرِّسالةِ أنْ أقولَ الحقَّ على اللهِ تَعالى ، ولا أقولَ سِواهُ ، وقدْ جِئْتُكُمْ بآيةٍ عَظيمةِ الشّأنِ ظاهِرَةِ الحُجّةِ في بيانِ الحقِّ الّذي جِئْتُ بهِ ، فأَطْلِقْ معيَ بَني إسرائيلَ وأخْرِجْهُمْ مِنْ عُبودِيَّتِكَ وقَهْرِكَ ، ليذْهَبوا معيَ إلى دارٍ غيرِ دارِكَ يَعبُدونَ فيها ربَّهُمْ وربَّكَ . وبعدَ أنْ بيَّنَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لِفِرْعونَ طبيعةَ رسالَتِه ، طالَبَهُ برفعِ الظُّلمِ عنِ المَظْلومينَ مِنْ بَني إسرائيلَ .

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ .

قالَ فِرعونُ لموسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : إنْ كنتَ مُؤَيَّداً بآيةٍ مِنْ عندِ مَنْ أرسلَكَ فَأَظْهِرْها ، إنْ كُنتَ مِنْ أهلِ الصِّدقِ المُلتَزمينَ لقولِ الحقِّ .

﴿ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴾ .

فلَمْ يلبَثْ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أنْ ألقى عصاهُ الّتي كانتْ بِيَمينِه أمامَ فِرْعونَ وقومِهِ ، فإذا هذهِ العَصا تُصبِحُ ثُعباناً ظاهِراً بيِّناً ، يَسْعى مِنْ مكانٍ إلى آخَر في قُوَّةٍ تَدُلُّ على تَمامِ حياتِهِ .

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ .

وأَخرجَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يدَهُ ، فإذا هِيَ بيضاءُ بياضاً ناصِعاً عَجيباً مُتَلَئْلِئاً خارِقاً للعادةِ ، مِنْ غيرِ أنْ يكونَ بِها عِلَّةٌ مِنْ مَرَضٍ أوْ غيرِهِ . وبهذا يكونُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قدْ أتى بالبَيِّنَةِ الّتي تدعو فِرْعونَ وملأَهُ إلى الإيمانِ به ، ولكنَّهُمْ لمْ يُؤمِنوا بلِ اسْتَمرّوا في ضَلالِهِمْ ، وحَكى لَنا القرآنُ الكَريمُ أنَّ حاشيةَ فِرعونَ السَّيئةَ ، وأصحابَ الجاهِ ، والغِنى في دَولتِه ، غاظَهُمْ ما جاءَ بِه موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، فقالَ تَعالى :

﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴾ .

فلمّا أظهرَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ آيةَ اللهِ تَعالى ، ثارتْ نفوسُ بطانَةِ فِرعونَ وعُظماءُ قَوْمِه ، فقالَوا تَزَلُّفاً ومُشايَعةً لِفرْعَونَ : إنَّ هذا لَمُخْتَصٌّ في عِلْمِ السِّحْرِ ، وليسَ ذلِكَ بآيةٍ مِنْ آياتِ اللهِ

تَعالى ، ولم يَكْتَفوا بِهذا القَوْلِ الباطِلِ ، بلْ أخَذوا يُثيرونَ النّاسَ على موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، ويُهوِّلونَ لهمُ الأمْرَ لِيَقِفوا في وَجْهِه ، فقالَ تَعالى مُبيِّناً ذلِكَ الأَمْرَ :

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾

قالَ الملأُ والأشرافُ مِنْ قوم فِرْعونَ يُخاطِبُ بَعْضَهم بعضاً ويُخاطِبونَ مَنْ حَوْلَهُمْ : إنَّ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قدْ وجَّهَ إرادَتَهَ لِسَلْبِ مُلْكِكُمْ ، وإخْراجِكُمْ منْ أرضِكُمْ بِسِحْرِهِ ، وما ينشأُ عنْهُ مِنَ استحالةِ أفرادِ الشَّعبِ لِيَتَّبعوهُ ، وانْظُروا ماذا تأمُرونَ بِما يكونُ سبيلاً لِلتَّخَلُّصِ منْهُ .

﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾

قالَ الملأُ مِنْ قوم فِرْعونَ حينَ استشارَهُمْ ، أوْ هُم بادَروا بهذِهِ المَشورةِ أوَّلاً ، مُخاطِبينَ فِرْعونَ : أخِّرِ الفَصْلَ في أمْرِهِ وأمْرِ أخيهِ ، ولا تَعجَّلْ بالقَضاءِ في شأنِهِما ، وأَرْسِلْ في مَدائِنِ مُلْكِكَ رِجالاً أوْ جماعاتٍ مِنْ جُنْدِكَ وعُيونِكَ يَجْمَعونَ إِليكَ النّاسَ أُولي العِلْمِ بالسِّحرِ ومَنْ يَلوذُ بِهم .

﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾

يأتي هؤلاءِ الّذينَ أَرْسَلْتَهُمْ إلى المدائنِ بكلِّ عليمٍ بفُنونِ السِّحْرِ ، وهُمْ يَكْشِفونَ لكَ حقيقةَ ما جاءَ بِه موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ فلا يُفتَتَنُ بِهِ أَحَدٌ .

﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾

وأقبلَ السَّحَرةُ سَريعاً على فِرعونَ بعدَ أنْ أرسَلَ إليهِم ، فقالوا لَهُ بِلُغَةِ المُحترِفِ الّذي مَقْصِدُهُ الأوّلُ ممّا يَعمَلُهُ الأجرُ والعَطاءُ : إنّ لَنا لأَجراً عظيماً يُكافِىءُ ما نقومُ بِهِ مِنْ عَمَلٍ عظيمٍ يَتِمُّ به الغَلَبُ على هذا السّاحرِ العليمِ . فهُم كما يَظهرُ يَسْتَوثِقونَ أوَّلاً منْ جزالةِ الأَجْرِ وضَخامتِه بِما يَتناسبُ معَ ما سَيَعْمَلونَ .

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾

قالَ فِرعونُ مُجيباً لهُم إلى ما طَلَبوا : نَعَمْ لكُمْ أجْرٌ ماديٌّ جزيلٌ إذا انْتَصرْتُم عليْهِ ، وفَضْلاً عنْ ذلِكَ فأنْتُم سَتكونونَ بهذا الانْتِصارِ مِنَ الظّافِرينَ بقُربي وجواري . وهُنا نَرى فِرعونَ يُغريهم بالأَجْرِ الماديِّ ، ويَعِدُهُمْ بالقُرْبِ المَعنويِّ منْ قِبَلِهِ تَشجيعاً لَهُمْ على الإجادةِ ، وهُمْ جميعاً لا يَعْلَمونَ أنَّ المَوْقِفَ ليسَ مَوْقِفَ الاحْتِرافِ والمَهارةِ والتَّضليلِ ، وإِنَّما هوَ موقفُ المُعجزةِ والرِّسالةِ ، والاتِّصالِ بالقُوَّةِ الغالبةِ الّتي لا يستطيعُ الوُقوفَ في وَجْهِها السّاحرونَ ولا المُتَجبِّرونَ وغيرُهُمْ .

وبعدَ أنِ اطْمأنَّ السَّحَرةُ على الأجْرِ ، وتطلَّعَتْ نُفوسُهُمْ إِليه ، يَحكي لنا القرآنُ الكَريمُ أَنَّهم

تَوجَّهوا إلى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يُخاطبونَهُ بِلُغةِ الواثقِ مِنْ قولِهِ ، المُتَحدّي لِخَصْمِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ .

قالَ السَّحَرَةُ لموسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : أنتَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ أنْ تُلقِيَ عصاكَ أوَّلاً ، وأنْ نُلْقِيَ نحنُ أوّلاً ، وكأنَّهم يَقولونَ لَهُ : وفي كِلتا الحالَتَيْنِ فنحنُ على ثِقَةٍ مِنَ الفَوْزِ والنَّصرِ .

ثمَّ حكَى القرآنُ بعدَ ذلِكَ أنَّ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قدْ طلبَ منهُم أنْ يُلقوا أوَّلاً مُسْتَهيناً بتَحدِّيهِمْ لهُ ، غيرَ مُبالٍ بِهِمْ ، ولا بِمنْ جَمَعَهُمْ ، لأنَّهُ قدِ اعتمدَ على خالِقهِ ـ سُبْحانَهُ ـ فقالَ تَعالى مُبَيِّناً ذلِكَ :

﴿ قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ .

فأجابَهُمْ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إجابةَ الواثِقِ بالغَلَبةِ والظَفَرِ ، مُظْهِراً عدمَ مُبالاتِهِ بِهِمْ : أَلقوا ما أنتُمْ مُلْقونَ أوّلاً ، فلمّا ألقَى كلُّ واحدٍ منهُم ما كانَ مَعَهُ منْ حبالٍ وعِصيٍّ ، خَيَّلوا إلى أبصارِ النّاسِ ، ومَوَّهوا عَليْهِمْ أنَّ ما فَعلوهُ هوَ حقيقةٌ ، وما هوَ خيالٌ ، فهالَ الأمرُ النّاسَ ، وأوْقَعَ في قلوبِهمُ الرَّهَبَ والرُّعْبَ ، وقدْ جاءَ السَّحَرَةُ النّاسَ بِسِحْرٍ مَظْهَرُهُ كبيرٌ ، وتَأْثيرُهُ في أعيُنِهِمْ عَظيمٌ .

دروس وعبر :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرة ، مِنْها :

١ـ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ كانَ مؤيَّداً مِنَ اللهِ تَعالى بما يُقوِّي شأنَهُ ويُوضِّحُ رِسالَتَهُ .

٢ـ كان بَنو إسرائيلَ في زمانِ فِرعونَ في حالٍ لا يُحسَدونَ عليْها ، وجاءَهم موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مُنقِذاً .

٣ـ الملأُ العُصاةُ شِرارُ النّاسِ ، الّذينَ يُزيِّنونَ للظَّلَمَةِ الأُمورَ ، ويُدبِّرونَ لهُم ما يَضُرُّ الدُّعاةَ إلى اللهِ تَعالى .

٤ـ أهلُ الباطلِ يُحاوِلونَ دائِماً الاسْتِنْصارَ على باطِلِهِمْ بكلِّ ما يَقْدِرونَ علَيْهِ .

٥ـ كانَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ واثِقاً مِنْ وَعْدِ اللهِ تَعالى ، وهَكذا يَنْبَغي أنْ يكونَ الدُّعاةُ .

التَّقْوِيمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

حَقيقٌ ، نَزَعَ يَدَهُ ، ارْجِهْ ، حاشِرينَ ، اسْتَرْهَبوهُم .

٢ـ بيِّنْ كيفَ بدأَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ دَعوتَهُ إلى فِرعونَ .

٣ـ بيِّنْ موقفَ الملأِ مِنْ دعوةِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

٤ـ ما موقفُ السَّحَرةِ حينَ جاءوا فِرعونَ ، وماذا كانَ مَطلبُهُمُ الرَّئيسُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آياتِ سورةِ طَه الّتي تُبيِّنُ ما دارَ بينَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ والسَّحَرةِ عندَ مَجيئِهِمْ .

٢ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آيةً منْ سورةِ طَه تبيِّنُ شعورَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَما ألقَى السَّحَرَةُ حِبالَهُمْ وعِصِيَّهُمْ .

* * *

الدَّرسُ الثّاني والثلاثونَ

سورةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ التّاسعَ عشَرَ

۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾

تلقَفُ	: تَبتلِعُ بسرعةٍ .
ما يأفِكونَ	: ما يُكْذِبونَه ويُموِّهونَه على النّاسِ .
فوقَعَ الحقُّ	: ظَهَرَ وتبيَّنَ أمرُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .
ما تنقِمُ منّا	: ما تَكْرَهُ وما تَعيبُ مِنّا .
أفرِغْ علَينا	: صُبَّ علَيْنا .
قاهِرونَ	: غالِبونَ ومُتَسلِّطونَ .



بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ السّابقةُ ما كانَ مِنَ السَّحَرةِ وتَمويهِهِمْ على النّاسِ ، وهُنا جاءَ دَوْرُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لِيَتهاوَى سِحْرُ السَّحَرةِ في لَحْظةٍ بِأمْرِ اللهِ ، قالَ تَعالى في هذا الشَّأنِ :

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ .

وأصْدَرَ اللهُ تَعالى أمْرَهُ إلى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : أنْ ألْقِ عَصاكَ ، فقدْ جاءَ الآنَ وَقْتُها . فألْقاها كما أمرَهُ اللهُ تَعالى . وفَوْرَ أنْ ألْقاها فإذا هِيَ تَبْتَلِعُ بِسُرعةٍ ما يَكْذِبونَ ويُمَوِّهونَ مِنْ عِصيٍّ وحبالٍ .

﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .

فَثَبتَ الحقُّ وظَهَرَ في جانبِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وبَطَلَ سِحْرُ السَّحَرةِ ، وذهبَتْ رَهْبَةُ النّاسِ ، وَرأَوْا كُلَّ شيءٍ على حَقيقَتِهِ دونَ عناءٍ .

﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾ .

وترتَّبَ على ذلِكَ أنْ أصابَتِ الهَزيمةُ المُنْكَرةُ فِرْعوْنَ وملأَهُ وسَحَرتَهُ في ذلِكَ المَجْمَعِ العظيمِ ، الّذي حَشَرَ لهُ النّاسَ في يوم عيدِهِمْ وزينتِهِمْ ، وانْقَلَبَ الجميعُ إلى بُيوتِهِمْ صاغِرينَ أذِلّاءَ ، بعدَ أنْ أنْزَلَ بِهم موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الخِذلانَ والخَيْبَةَ بِأَمْرِ اللهِ تَعالى . وفي هذهِ الآياتِ الكَريمةِ يُصوِّرُ لَنا كيفَ أنَّ الباطلَ قدْ يَسْحَرُ عُيونَ النّاسِ بِبَريقِهِ ولَمَعانِهِ لِفترةٍ مِنَ الوقتِ . وقَدْ يَسترْهِبُ قلوبَ النّاسِ لِساعةٍ مِنَ الزَّمانِ حتّى لَيُخَيَّلُ إلى الكَثيرينَ مِنَ الغافِلينَ أنَّه غالِبٌ وجارِفٌ ، ولكنْ ما أنْ يُواجِهَهُ الحقُّ الهادِئُ الثّابِتُ المُسْتَقِرُّ بقوَّتِهِ الّتي لا تُغالَبُ ، حتّى يَزْهَقَ ويَزولَ ، ويَنْطفِيَ كَشُعْلةِ الهَشيمِ ، وإذا بأتْباعِ هذا الباطلِ يُصيبُهُم الذُّلُّ والصَّغارُ ، وهُمْ يَرَوْنَ عُروشَهُمْ تَتهاوى وآمالَهُمْ تَتداعَى أمامَ نورِ الحقِّ المُبينِ ، وتَحدِّيهمُ الصَّريحَ وتَطاوُلَهُم الأَحْمقَ يتحوَّلُ إلى اسْتِسلامٍ مُهينٍ وذُلٍّ مُشينٍ .

ثُمَّ يَحكي لنا القرآنُ الكَريمُ بعدَ ذلِكَ مَوْقِفَ السَّحَرةِ بعدَ أنْ رأَوْا بأعيُنِهِمْ أنَّ ما فعلَهُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ليسَ منْ قبيلِ السِّحرِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ .

ذلِكَ ما كانَ مِنْ أمرِ فِرْعَوْنَ وَملَئِهِ ، وأمّا السَّحَرةُ فقدْ بَهرَهُمُ الحقُّ ، فاندَفَعوا ساجدينَ للهِ تَعالى مُذعِنينَ للحقِّ ، بعدَ أنْ رَأَوْهُ بأُمِّ أعيُنِهِمْ ، وهُمْ أعرفُ النّاسِ بالسِّحْرِ ، فَميَّزوا بينَهُ وبينَ الحقِّ والصَّوابِ .

﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ .

خرُّوا سُجَّداً قائِلينَ : آمنّا بخالِقِ العالَمينَ ، ومالكِ أمْرِهِمُ المُتصرِّفِ فِيهمْ سُبْحانَهُ ، هذا الرَّبُّ الّذي آمنّا بهِ هُوَ الإِلهُ الّذي يُؤْمِنُ بِهِ موسى وهارونُ ـ عليْهِما السَّلامُ ـ . ويَظْهَرُ أنّهم أرادوا إغاظَةَ فِرْعَونَ بذكرِ اسمِ النَّبِيَّينِ ـ عليهِما السَّلامُ ـ .

ولكنَّ فِرعونَ ومَلأَهُ لمْ يَرُقْ لهمُ ما شاهَدوا مِنْ إيمانِ السَّحرَةِ ، ولمْ يُدْركوا ـ لانْطِماسِ بَصيرَتِهِمْ ـ فِعْلَ الإيمانِ في القُلوبِ ، فأخذَ يَتوعَّدُهُمْ بالموتِ الأليمِ ، قالَ تَعالى :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ١٢٣ ﴾

فهالَ الأمرُ فِرْعونَ وأثارَ حَميَّتَهُ ، فقالَ : هلْ آمَنتُمْ وصَدَّقتُمْ بربِّ موسى وهارونَ ـ عليْهِما السَّلامُ ـ قبلَ أنْ آذنَ لكُم ؟ إنَّ هذا الصَّنيعَ الّذي صَنعتُموهُ أنتُم وموسى وهارونُ ـ عليْهِما السَّلامُ ـ كانَ بالاتِّفاقِ ، وليسَ إلاّ مَكْراً مَكَرْتُموهُ في المدينةِ (مِصرَ) لأجْلِ أنْ تُخرِجوا مِنْها أهْلَها بِمَكْرِكُمْ ، فسوفَ ترَوْنَ ما يَحِلُّ بكُم مِنَ العذابِ الأليمِ جزاءَ اتِّباعِكُمْ لِموسى وهارونَ ـ عليْهِما السَّلامُ ـ وعِقاباً على هذا المكْرِ الخادِعِ .

ثمَّ فصَّلَ القرآنُ الكَريمُ هذا الوعيدَ الّذي تَوعَّدَهُمْ بِهِ فِرعونُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ١٢٤ ﴾

وأُقْسِمُ لأُنَكِّلَنَّ بِكُمْ ، وأُقطِّعنَّ أيديَكُمْ وأرجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ، فأَقْطعُ اليدَ مِنْ جانبٍ والرِّجْلَ مِنْ جانبٍ آخَرَ ، ثمَّ لأُصَلِبَنَّ كُلَّ واحدٍ منكُم وهوَ على هذهِ الحالةِ المُشوَّهةِ ، لِتكونوا عِبْرَةً لمنْ تُحدِّثُهُ نفسُهُ بالكَيْدِ لَنا ، أوْ بالخُروجِ على سُلْطانِنا .

﴿ قَالُوٓا إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥ ﴾

فلمْ يَأْبَهوا لقولِهِ ولِتَهْديداتِهِ ، لِتَمَكُّنِ الإيمانِ مِنْ شِغافِ قُلوبِهِمْ ، فقالوا : إنّا إلى ربِّنا راجِعونَ ، فَنَتَقَلَّبُ في رحمتِهِ ونَعيمِهِ وجَزائِهِ .

﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ١٢٦ ﴾ .

وما تُنْكِرُ مِنّا وتُعاقِبُنا عليهِ إلاّ أنْ صَدَّقْنا موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وأذْعَنّا لآياتِ ربِّنا تباركَ وتَعالى الواضِحَةِ ، الدّالَّةِ على الحقِّ لمّا جاءتْنا . ثمَّ توجَّهوا إلى اللهِ تَعالى ضارِعينَ إليهِ قائِلينَ : يا ربَّنا ، أَفِضْ علينا صَبْراً عَظيماً نَقْوى معَه على احْتِمالِ الشَّدائدِ ، وتَوفَّنا على الإسْلامِ غيرَ مَفْتونينَ مِنْ وعيدِ فِرْعَوْنَ .

وبذلِكَ يكونُ السَّحَرةُ قدْ ضَرَبوا للنّاسِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ أرْوَعَ الأَمثلةِ في التَّضحِيةِ مِنْ أجلِ العَقيدةِ ، وَمَثلاً في الوقوفِ أمامَ الطُّغيانِ بثباتٍ وعِزَّةٍ ، وفي الصَّبرِ على المَكارِهِ والآلامِ ، وفي المُسارَعةِ إلى الدُّخولِ في الطَّريقِ الحقِّ بعدَ أنْ تَبيَّنَ لهُم ، وفي التَّعالي عنْ كلِّ مُغْرياتِ الحياةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ السِّحْرُ لا يَصْمُدُ أمامَ الحقِّ ، وسُرعانَ ما يَظهرُ زيفُهُ لأنَّه كَذِبٌ وزورٌ .

٢ـ الإيمانُ الحقُّ لا يَتزلزلُ أمامَ التَّهديدِ ، ويُسْبِغُ على أهْلِهِ لِباسَ العِزَّةِ والثَّباتِ .

٣ـ لا يَتوانى أهلُ الباطلِ في تَهديدِ أهلِ الحقِّ بوسائلَ مُختلفةٍ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

تَلْقَفُ ، يأفِكونَ ، وقعَ الحقُّ ، ما تنقِمُ منّا ، أفْرِغْ عَلَيْنا .

٢ـ ماذا جَرى لِفرعونَ وحِزْبِهِ بعدَ أنْ ألقَى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عصاهُ ؟

٣ـ ما موقفُ السَّحَرةِ بعْدَ أنْ شاهَدوا الحقَّ ؟

٤ـ ما موقفُ فِرْعَوْنَ مِنَ السَّحَرةِ بعدَ أنْ آمنوا ؟

٥ـ بيِّنْ أثرَ الإيمانِ الحقِّ في نَفْسِ صاحِبهِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْترِكَ آياتِ سورةِ طَه الّتي تُبيِّنُ ما قالَه السّحَرةُ لِفرعونَ بعدَ أنْ آمنوا .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ العِشْرونَ

وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾

معاني المفردات

وَيَذَرَكَ : يَتْرُكَكَ .

نَسْتَحْيي نساءَهُمْ : نَسْتَبْقي بناتِهِمْ أحياءً لأَجْلِ خِدْمَتِنا .

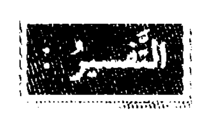
بالسِّنينَ : بالجَدْبِ والقَحْطِ .

يطَّيَّروا : يَتشاءَموا .

طائِرُهُم عندَ اللهِ : شُؤْمُهُمْ عندَ اللهِ بِأَمْرِهِ .

الطُّوفانَ : الماءَ الكثيرَ الّذي يُغطِّي وَجْهَ الأرضِ .

القُمَّلَ : القَمْلَ المَعروفَ .



ما تزالُ قِصَّةُ موسى ـ عليْهَ السَّلامُ ـ تَتوالى في عِبَرِها وعِظاتِها ، فَبَعْدَ أنْ بيَّنتِ الآياتُ الماضيةُ إيمانَ السَّحَرَةِ وثَباتَهُمْ على اليَقينِ ، بدأَتْ هذهِ الآياتُ تتحدَّثُ عنِ الملأِ ومَوْقِفِهِمْ مِنَ الأشياءِ الّتي شاهَدوها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ .

وبعدَ أنْ شاهدَ فِرعونُ وقومُهُ ما شاهَدوا مِنْ ظُهورِ أمْرِ موسى ـ عليْهَ السَّلامُ ـ وغَلَبَتِهِ وإيمانِ السَّحَرةِ بهِ ، قالَ الكُبَراءُ مِنْ قومِ فِرْعونَ مُوَجِّهينَ خِطابَهُمْ لَهُ : أَتَذَرُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وقَوْمَهُ أحْراراً آمِنينَ ، لِيكونَ ما لهمُ مِنْ فسادِ قومِكَ عليْكَ في أرضِ مِصْرَ بإدْخالِهِمْ في دينِهِمْ ، ويَتْرُكَكَ مَعَ آلهتِكَ في غيرِ مُبالاةٍ ، فيُظْهِرَ للمِصْريّينَ عَجْزَكَ وعَجْزَهُمْ ؟ قالَ فِرْعونُ عندئذٍ مُجيباً لهم : سَنُقَتِّلُ أبناءَهُمْ ، ونَسْتَبقي نِساءَهُمْ أحياءً ، حتّى لا يكونَ لهمُ قُوّةٌ كَما فعلْنا مِنْ قَبْلُ ، وإنّا مُسْتَعلونَ عليْهِمْ بالغَلَبةِ والسُّلطانِ ، قاهِرونَ لهُم .

ولم يَرْهَبْ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ منْ هذا التَّهديدِ بلْ أَوصَى قومَهُ بالصَّبرِ ، وطَمأَنَهُمْ بالنَّصْرِ ، فقالَ سُبْحانَهُ مبيِّناً ذلِكَ :

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

وهُنا رأَى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أثَرَ الجَزَعِ في نُفوسِ قَوْمِه ، فَشَدَّ مِنْ عَزْمِهِمْ ، وقالَ لهُم : اطلُبوا مَعونةَ اللهِ تَعالى وتأييدَهُ واثبُتوا ولا تجزَعوا ، إنَّ الأرضَ في قُدْرَةِ اللهِ تَعالى ومُلْكِهِ ، يَجْعَلُها ميراثاً لِمَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ، والعاقِبَةُ الحَسَنةُ لِلّذينَ يتّقونَ اللهَ تَعالى بالاعْتِصامِ بهِ والاسْتِمساكِ بأحكامِهِ ، فتلكَ سُنَّةُ اللهِ تَعالى .

بهذا الأسلوبِ المُؤَثِّرِ البليغِ ، وبهذهِ الوصايا الحَكيمةِ ، وصّى موسى ـ عليْهَ السَّلامُ ـ قَوْمَهُ بَني إسرائيلَ ، فماذا كانَ ردُّهُمْ عليهِ ؟ قالَ اللهُ تَعالى مُبيِّناً ذلِكَ :

﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ .

قالَ بنو إسْرائيلَ لِموسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ردّاً على نَصيحتِهِ لَهُمْ : لَقَدْ أصابَنا الأذى مِنْ فِرْعَوْنَ قَبْلَ

أنْ تأتِيَنا يا موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بالرِّسالةِ ، فقدْ قَتَلَ مِنّا ذلِكَ الجبّارُ كثيراً مِنْ أبنائِنا ، وأنْزلَ بنا ألواناً مِنَ الظُّلْمِ والاضْطِهادِ وأصابَنا الأذى بعدَ أنْ جِئتَنا بالرِّسالةِ ، فإلى مَتى نَسْمَعُ مِنكُم تلكَ النْصائحَ الّتي لا جَدْوى مِنْ ورائِها ؟

ومعَ هذا الردِّ السَّفيهِ ، إلاَّ أنَّ نَبيَّ اللهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ كانَ حكيماً رابطَ الجأْشِ ، يقولُ لهُم : إنّ المَرْجُوَّ مِنْ فَضْلِ ربِّكم تبارَكَ وتَعالى أنْ يُهْلِكَ عدوَّكُمُ الّذي سخَّرَكُمْ وآذاكُمْ بِظُلْمِهِ ، ويَجعلَكُم خُلفاءَ الأرضِ الّتي وعَدَكُمْ إيّاها ، فيعلمُ ما أنتُم عامِلونَ بعدَ هذا التَّمكينِ ، أتشكُرونَ النِّعْمَةَ أمْ تَكْفُرونَ ، وتُصْلِحونَ في الأرضِ أمْ تُفسدونَ ؟ لِيَجْزِيَكُمْ في الدُّنيا والآخرةِ بِما تعمَلونَ .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾

ولقدْ عاقَبْنا فِرعونَ وقومَهُ بالجَدْبِ والقَحْطِ وضيقِ المَعيشةِ ، وبنَقْصِ ثَمراتِ الزُّروعِ والأشْجارِ ، رَجاءَ أنْ يَتَنَبَّهوا إلى ضَعْفِهِمْ ، وعَجْزِ مُلْكِهِمُ الجبّارِ أمامَ قوَّةِ اللهِ تَعالى فيتَّعِظوا ويَرْجعوا عنْ ظُلْمِهِمْ لِبَني إسرائيلَ ، ويَسْتجيبوا لِدَعوةِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، فإنَّ شأنَ الشَّدائِدِ أنْ تَمْنَعَ الغُرورَ ، وتُهذِّبَ الطِّباعَ ، وتُوجِّهَ الأنْفُسَ إلى قَبولِ الحَقِّ ، وإرضاءِ ربِّ العالَمينَ ، والتَّضرُّعِ إليهِ دونَ غيرِهِ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى أنَّ آلَ فِرعونَ لمْ يَعتبِروا بِهذا العذابِ وهذا الامتحانِ ، وإنَّما ازْدادوا تمرُّداً وكُفْراً ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

ولكنَّ دَأَبَ فِرْعونَ وأعوانِهِ عَدَمُ الثَّباتِ على الحقِّ ، فسُرْعانَ ما يعودونَ إلى العذابِ والمعصيةِ ، فهُمْ مُتَقَلِّبونَ . وتُصوِّرُ الآيةُ الكَريمةُ حالَهُمْ ، فهُم إذا جاءَهُمُ الخِصْبُ والرَّخاءُ قالوا : نحنُ المُسْتَحقّونَ لهُ لِما لنا مِنَ الامتيازِ على النّاسِ ، وإنْ أصابَهُمْ ما يَسوءُهُمْ ، كَجَدْبٍ أو قَحْطٍ أو جائِحَةٍ أو مُصيبةٍ في الأبدانِ والأَرْزاقِ ، يَرَوْنَ أنَّهم أُصيبوا بِشُؤْمِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ مَعَه ، ويَغفَلونَ عنْ أنَّ ظُلْمَهُمْ وفُجورَهُمْ هُوَ الّذي أدَّى بِهم إلى ما نالَهُمْ . فَلْيَعلَموا أنَّ عِلْمَ شُؤْمِهِمْ عندَ اللهِ تَعالى ، فهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ الّذي أصابَهُمْ بِسَبَبِ أعمالِهِمُ القَبيحةِ ، وهِيَ الّتي ساقَتْ إليهِمْ ما يَسوؤُهُمْ ، وليسَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ معه ، ولكنَّ أكثرَهُمْ لا يَدْري هذهِ الحقيقةَ الّتي لا شكَّ فيها .

﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

وقالَوا عندَ رُؤْيَتِهِمْ لآياتِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إنَّكَ مَهْما جِئْتَنا بكلِّ أنواعِ الآياتِ الّتي تَسْتَدِلُّ

بِها على حقيقةِ دعوتِكَ ، لأجلِ أنْ تصرِفَنا بها عمّا نحنُ عليهِ مِنَ دينِنا ومِنْ اسْتِعبادِ قومِكَ ، فما نحنُ لكَ بِمُصدِّقينَ ولا مُذْعِنينَ .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ مَزيداً مِنَ النَّكَباتِ والمَصائبِ ، ومِنْ ذلِكَ : الطّوفانُ الّذي يَغْشى أماكِنَهُمْ ، والجرادُ الّذي يَأْكُلُ ما بَقِيَ مِنْ نباتٍ أو شَجرٍ ، والقُمَّلُ الّذي يُؤْذي أجْسامَهُم ويَحولُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ الرّاحةِ والهُدوءِ ، والضَّفادعُ الّتي تَنتشرُ فَتُنَغِّصُ عليْهِم حياتَهم وتَذهبُ بصَفائِها ، والدّمُ الّذي يُسبِّبُ الأمراضَ الكثيرةَ كالنَّزيفِ مِنْ أيِّ جسمٍ ، والدَّمُ الّذي يَنْحَبِسُ فيُسبِّبُ ضَغْطاً أو يَنْفَجِرُ فَيُسبِّبُ شَللاً ، ويشملُ كذلِكَ البَوْلَ الدَّمويَّ ، الّذي يُسبِّبُ الأمراضَ كالبلهارسِيا وغيرِها ، أوِ الّذي تَحوَّلَ إليهِ ماؤُهُمُ الّذي يَستخدِمونَهُ في حاجاتِ معاشِهِمْ . أصابهمُ اللهُ تَعالى بهذهِ الآياتِ المُمَيَّزاتِ والواضِحاتِ ، فَلَمْ يتأثّروا بِها ، وتجمَّدَتْ مَشاعرُهُمْ ، وفسدَتْ ضَمائرُهُمْ ، فعتَوْا عنِ الإيمانِ والرُّجوعِ إلى الحقِّ مِنْ حيثُ هوَ حقٌّ ، وكانوا قَوْماً موغِلينَ في الإجْرامِ كما هُو شَأْنُهُمْ .



تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ بيانُ دَوْرِ الملأِ في تَشْجيعِ الظَّلَمَةِ على الظُّلمِ والفَسادِ .

٢ـ ثقةُ نَبيِّ اللهِ موسى ـ علَيْهِ السَّلامُ ـ بربِّهِ ، ورَباطةُ جأشِهِ ، وهكذا يكونُ المؤمنُ باللهِ ربِّ العالَمينَ .

٣ـ تنوُّعُ الآياتِ الباهراتِ الّتي أصابَتْ فِرْعونَ وقومَهُ على مرأىً مِنْ بَني إسرائيلَ .

٤ـ عُتُوُّ آلِ فِرْعونَ وعدمُ إيمانهِمْ بالرَّغمِ مِنْ وُضوحِ دلائلِهِ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

ونَسْتَحْيي نساءَهُمْ ، السِّنينَ ، يطَّيّروا ، الطُّوفانَ ، القُمَّلَ .

٢ـ بيِّنْ دورَ الملأِ في طُغيانِ فِرْعونَ .
٣ـ بيِّنْ مَوْقَفَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ منْ تَهديداتِ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ .
٤ـ ماذا كانَ موقفُ بَني إسرائيلَ بعدَما سمِعوا تَهديداتِ فِرْعونَ ؟ وعلامَ يدلُّ ذلِكَ ؟
٥ـ ما موقفُ آلِ فِرْعونَ ممّا أصابَهُمْ مِنَ البلاءِ ؟
٦ـ ما الآياتُ الّتي كانتْ مُعجِزَةً لنبيِّ اللهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ؟



١ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ البقرةِ الّتي تَحُثُّ المؤمِنينَ على الصَّبْرِ .
٢ـ اكْتُبْ في دَفْترِكَ آيتَي سورةِ « يَس » الّتي تُبيِّنُ المَعْنى الواردَ في الآيةِ « ١٣١ » .
٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ الّتي جاءَ بِها موسى ـ عليْهِ السّلامُ ـ كما ذُكِرَتْ في الآياتِ (١١٧ـ١٣٢) .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الحادي والعِشْرونَ

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الرِّجْزُ : العذابُ .

يَنْكُثونَ : يَنقُضونَ عَهْدَهُمُ الّذي أبْرَموهُ .

دمَّرنا : أهْلَكْنا وخرَّبْنا .

يَعْرِشونَ : يَصْنَعونَ عُرُشاً مِنَ الأشجارِ أو الأبنيةِ .

التَّفسيرُ :

بيَّنَتِ الآياتُ السّابقةُ أنَّ آلَ فِرْعونَ قدْ أُخِذوا بالعذابِ لعلَّهُمْ يَرْجِعونَ إلى ربِّهِمْ ، ولكنَّهم أصرُّوا على ما هُمْ فيهِ مِنَ الطُّغيانِ . وتُبيِّنُ هذهِ الآياتُ لُجوءَهُمْ إلى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عندَ الشِّدَّةِ ، قالَ تعالى :

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ .

ولِفَرْطِ تَقلُّبِهِمْ حَسَبَ الدَّواعي ، كانوا كلَّما وَقَعَ عَلَيْهِمْ نوعٌ مِنَ العذابِ قالوا لِشدَّةِ تأثيرِه فيهِمْ

وتألُّمِهِمْ بهِ : يا موسى سَلْ ربّك لنا بالّذي عَهِدَ إليْكَ أنْ تَدْعُوَهُ بهِ فيُعطيكَ الآياتِ ويَستجيبَ لكَ الدُّعاءَ ، أنْ تَكْشِفَ عنّا هذا العذابَ ، ونحنُ نُقسِمُ لكَ إنْ أَزَلْتَهُ عنّا لَنَخْضَعَنَّ لكَ ، ولَنُطلِقَنَّ معكَ بَني إسرائيلَ كما أردْتَ .

ثمَّ بيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى مَوْقِفَهُمُ الجُحوديَّ ، ونَقْضَهُمْ لِلْعُهودِ الّتي أَخَذوها على أَنْفُسِهِمْ ، فقالَ تَعالى :

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾

فلمّا كَشَفْنا عَنهُمُ العذابَ مرّةً بعدَ أُخرى إلى وقتٍ مُنتَهونَ إليهِ في كلِّ مرَّةٍ ، إذْ هُم ينقُضونَ عَهدَهُمْ ، ويَحْنثونَ في قَسَمِهِمْ ، ويَعودونَ إلى ما كانوا عليْهِ مِنَ الطُّغيانِ والفَسادِ ، ولمْ تُجْدِ فيهِمْ هذِهِ المِحَنُ الزّاجِرةُ .

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾

فانْتقَمْنا مِنْهُم عندَ بُلوغِ الأجَلِ المَضْروبِ لإهْلاكِهِمْ ، بأَنْ أغرقْناهُمْ في البحرِ ، وذلِكَ بِسَبَبِ تكذيبِهِمْ لآياتِنا الواضحَةِ ، وحُجَجِنا السّاطعةِ ، وكانوا عنها غافِلينَ بحيثُ لا يَتَدبَّرونَها ، ولا يَتَفكَّرونَ فيما تَحمِلُهُ مِنْ عِظاتٍ وعِبَرٍ .

﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾ .

أَعْطَيْنا القومَ الّذينَ كانوا يَستضعِفُهُمْ فِرعونُ وَملَؤُهُ بالاسْتِعبادِ ، وقَتْلِ الأبناءِ وسوءِ العذابِ ، وهُم بَنو إسرائيلَ ؛ أعطيناهُم ، وملَّكناهُمْ مَشارقَ الأرضِ ومغارِبَها ، الّتي حَباها اللهُ تَعالى بالخِصْبِ والخيرِ الكثيرِ ، وَنَفَذَتْ كلمةُ اللهِ الحُسنى تامّةً ووعدُهُ بالنَّصْرِ شامِلاً لبَني إسْرائيلَ ، بسببِ صَبْرِهِمْ على الشَّدائِدِ ، ودمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعونُ وقومُهُ مِنَ الصُّروحِ والقُصورِ المُشَيَّدةِ ، وما كانوا يَعْرِشونَه في البَساتينِ مِنْ عُرُشِ العنبِ وغَيْرِها ، وهذِهِ سُنَّةُ اللهِ تَعالى الثّابتةُ الّتي تَقْضي بهلاكِ الكافِرينَ ونَصْرِ المؤمنينَ .

وهَكذا يَنْتَهي هذا الفَصْلُ مِنْ قصةِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بِذِكْرِ ما أصابَ الظّالِمينَ والغادِرينَ مِنْ دمارٍ وخرابٍ ، وما أكرمَ بهِ المُستَضْعَفينَ الصّابِرينَ مِنْ خَيْرٍ واسْتِخلافٍ في الأرْضِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ شَأنُ الظّالِمينَ الالْتِجاءُ إلى اللهِ تَعالى عندَ الشَّدائِدِ ، ولكنَّهُمْ سُرْعانَ ما يَنقُضونَ العُهودَ والمَواثيقَ .

٢ـ اللهُ تَعالى يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ ، فإذا أَخَذَ الظّالِمَ فإنّ أخْذَهُ شَديدٌ .

٣ـ مَنْ صبَرَ نالَ وظَفِرَ ، ومَنْ تجبَّرَ هَلَكَ وخَسِرَ .

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

الرِّجْزُ ، يَنْكُثونَ ، دمَّرنا ، يَعْرِشونَ .

٢ـ بيِّنْ شأنَ الظّالِمينَ في حالَي السّراءِ والضَّرَاءِ .

٣ـ تحدّثتِ الآياتُ الكَريمةُ عنْ مُسبِّباتِ الهلاكِ ، وضِّحْها .

٤ـ ما جزاءُ الصّابِرينَ المُسْتَضْعَفينَ ؟

ـ البحرُ جنديٌّ مِنْ جنودِ اللهِ ، نجّى اللهُ فيهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ مَعَه ، وأهْلَكَ فِرْعونَ ومَنْ مَعَهُ ، وضِّحْ ذلِكَ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الثّاني والعِشْرونَ

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾

- مُتَبَّرٌ : مُهْلَكٌ مُدمَّرٌ .
- أَبْغيكُم إلهاً : أطلُبُ لكُمْ إلهاً مَعْبوداً .
- يسُومونَكُمْ : يُذيقونَكُمْ .
- بَلاءٌ : امْتِحانٌ وابتلاءٌ .

بَعْدَ أنْ أتمَّ اللهُ تَعالى نِعْمَتَهُ على بَني إسْرائيلَ بإهلاكِ فِرْعونَ ومَنْ مَعَه مِنَ الظّالِمينَ ، بدأتِ السُّورةُ الكَريمةُ بالحديثِ عنِ المُسْتَضعَفينَ في الأرضِ مِنْ بَني إسرائيلَ ، وجُحودِهِمْ لِنِعَمِ اللهِ تَعالى ، ونِسْيانِهِمْ لِما كانوا فيهِ مِنْ ذُلٍّ واسْتِعبادٍ ، وتَفْضيلِهِمْ عبادةَ الأَصْنامِ على عبادةِ الخالِقِ سُبْحانَهُ ، وغيرِ ذلِكَ مِنْ أنواعِ كُفْرِهِمْ ومَعاصيهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى :

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾

هذهِ الآياتُ تحكي لنا قِصَّةً عَجيبةً لِبَنى إسْرائيلَ ، مُلَخَّصُها أنَّهم بعدَ أنْ خَرَجوا مِنْ مِصْرَ بقيادةِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ تَبِعَهُمْ فِرْعونُ وجُنودُهُ ، إلاّ أنَّ اللهَ تَعالى انتقَمَ لهمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وجُنْدِهِ ، فأغْرَقَهُمْ أمامَ أعيُنِهِمْ ، وسارَ بَنو إسْرائيلَ نحوَ المَشْرِقِ مُتَّجهينَ إلى الأرضِ المُقدَّسةِ بعدَ أنْ عبَروا البَحْرَ ، ولكنَّهُم ما أَن جاوَزوا البَحْرَ الّذي غَرِقَ فيهِ عدوُّهُمْ ، والّذي ما زالَتْ رِمالُهُ الرَّطبةُ عالِقةً بِنِعالِهِمْ ، حتّى وَقعَتْ أبصارُهُمْ على قَوْمٍ يَعبدونَ الأصْنامَ ، فماذا كانَ مِنْهُمْ ؟ كانَ مِنْهم أنْ عاوَدَتْهُمْ طَبيعتُهُمْ ، فَطلَبوا مِنْ نبيِّهِمْ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الّذي جاءَ لِهِدايَتِهِمْ وإنقاذِهِمْ ممّا هُمْ فيهِ مِنْ ظُلْمٍ ، أنْ يَصْنَعَ لهمُ إلهاً مِنْ جنسِ الآلِهَةِ الّتي يَعبُدُها أولئكَ القومُ المُشْرِكونَ . وهُنا غَضِبَ عليْهم موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ غَضَباً شديداً ، ووصفَهُمْ بأنَّهُم قومٌ يَجْهَلونَ الحقَّ ، لا يُعْمِلونَ عُقولَهُمْ ولا يَعرِفونَ العِبادةَ الحقَّةَ ، ولا مَنْ هُوَ الإلهُ الّذي يَستحِقُّ العِبادةَ .

ثمَّ بيَّنَ لهمُ نبيُّ اللهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ فسادَ ما عليهِ هؤلاءِ المُشْرِكونَ ، وأنَّ عَمَلَهُمْ باطِلٌ لا خيرَ فيهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ مُبيِّناً ذلِكَ :

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾

إنَّ هؤلاءِ الّذينَ يُريدونَ تَقليدَهُمْ في عِبادةِ الأوثانِ ، مَحكومٌ على ما هُم فيهِ مِنْ كُفْرٍ وضَلالٍ بالدَّمارِ ، ومَقْضِيٌّ على ما يعمَلونَهُ مِنْ عبادةِ الأصْنام بالاضْمِحلالِ والزَّوالِ ، لأنَّ دينَ التَّوحيدِ سَيَظْهَرُ في هذه الدِّيارِ ، وسَتصيرُ العِبادةُ للهِ تَعالى الواحِدِ القَهّارِ . ثمّ يَمْضي نَبيُّ اللهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مُسْتَنْكِراً عَليْهِمْ طَلبَهُمْ ، ومُبيِّناً لهُم أنَّ اللهَ تَعالى وَحْدَه هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبادةِ ، قالَ تَعالى مُبيِّناً ذلِكَ :

﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

قالَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مُذَكِّراً قومَه بِنِعَمِ اللهِ تَعالى عَليْهِم المُوجِبَةِ لإفرادِهِ بالعبادةِ والخُضوعِ : أغَيْرَ اللهِ تَعالى أطْلُبُ لكُم مَعبوداً أحْمِلُكمْ على عِبادَتِهِ ، وهوَ سُبْحانَهُ فضَّلَكُمْ على عالِمي زَمانِكُمْ ، وقدْ كانَ الواجبُ عَليكُمْ أنْ تخصُّوهُ بالعبادةِ كما اخْتَصَّكُمْ هوَ بشتَّى النِّعَمِ الجَليلةِ .

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

واذْكُروا يا بَني إسرائيلَ وَقْتَ أنْ أنْجاكُمُ اللهُ تَعالى بعنايتِهِ مِنْ آلِ فِرعونَ الّذينَ كانوا يُذيقونَكُمْ

أشدَّ العذاب ، ويُسَخِّرونَكُم لِخِدْمتِهِمْ في مَشاقِّ الأعمالِ ، ولا يَرَوْنَ لَكُمْ حُرْمةً ، كالبَهائِمِ فَيَقْتُلونَ أولادَكُمُ الذُّكورَ ويَسْتبقونَ الإناثَ لكُمْ ، فَفيما نَزَلَ بِكُمْ مِنْ تعذيبِ فِرعونَ لكُم وإنجائِكم منه ، اختبارٌ عظيمٌ مِنْ ربِّكُمْ تبارَكَ وتَعالى ، وليسَ وراءَهُ بلاءٌ واختبارٌ لِتَشكُروا اللهَ تَعالى على نِعَمِهِ ، ولِتُقْلِعوا عنِ السَّيئاتِ الّتي تؤدّي بِكُمْ إلى الإذْلالِ في الدُّنيا والعَذابِ في الآخِرَةِ .

﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

وَعَدَ اللهُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بالمُناجاةِ وإعْطاءِ التَّوراةِ عندَ تَمام ثلاثينَ ليلةً يَتَعبَّدُ فِيها ، أتْمَمْناها بِعَشْرِ ليالٍ يَسْتَكمِلُ فيها عبادَتَهُ ، فصارَ الميقاتُ المقصودُ أربعينَ ليلةً .

وقالَ موسى لأخيهِ هارونَ ـ عَليْهِما السَّلامُ ـ حينَ تَوجَّهَ لِيتَفرَّغَ لِمُناجاةِ ربِّهِ تَعالى : يا هارونُ كنْ خليفَتي في قَوْمي وأصْلِحْ ما يحتاجُ إلى إصْلاحٍ مِنْ أُمورِهِمْ ، واحْذَرْ أنْ تتَّبِعَ طريقَ المُفسِدينَ الضّالينَ المُضلِّينَ .

دروس وعِبَر :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ رَغْبَةُ اليهودِ في الارْتِكاسِ إلى الشِّرْكِ كلَّما لاحَ لهمُ ذلِكَ .

٢ـ حَزْمُ نبيِّ اللهِ تَعالى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في مُواجهةِ الانْحطاطِ الفِكْريِّ لِبَني إسْرائيلَ .

٣ـ الشِّرْكُ عَمَلٌ باطِلٌ لا قيمةَ لَهُ ، والمُشْرِكونَ لا يَجْنونَ مِنَ الشِّرْكِ خَيْراً .

٤ـ بَنو إسرائِيلَ كانوا مُفَضَّلينَ على عالِمي زَمانِهِمْ فقط ، لأنَّهم كانوا أحسنَ حالاً مِنْهُم في العبادةِ .

٥ـ نِعْمَةُ اللهِ تَعالى العظيمةُ على نَبيِّهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في اختيارِهِ لِمُناجاتِهِ .

٦ـ لابدَّ للدُّعاةِ مِنْ أنْ يكونَ معَهُمْ مَنْ يُعينُهُمْ على دَعوتِهِمْ ويُقوِّيهِمْ ويُسانِدُهُمْ ويَنوبُ عنهُم حالَ غيابِهِمْ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

مُتبَّرٌ ، أبغيكُمْ إلهاً ، يَسومونَكُمْ ، بلاءٌ .

٢ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ الانْحطاطَ الفِكريَّ الّذي وصَلَ إليهِ بَنو إسْرائيلَ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٣ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ ما كانَ عليْهِ نَبيُّ اللهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنَ الحَزْمِ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٤ـ ما النِّعَمُ الّتي ذُكِّرَ بها بَنو إسرائيلَ في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ ؟

٥ـ بيِّنْ أثَرَ وجودِ الأَعْوانِ في الدَّعوةِ إلى اللهِ تَعالى .



ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ البقرةِ الّتي تُبيِّنُ أنّ اللهَ فَضَّلَ بني إسرائيلَ على العالَمينَ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ والعِشْرونَ

وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تجلَّى ربُّه للجبلِ	: بدا لهُ شيءٌ مِنْه .
دكاً	: مَدكوكاً مُفتَّتاً .
صَعِقاً	: مَغشِياً عليْهِ .
سُبْحانَكَ	: تَنْزيهاً لكَ عَنْ مُشابَهةِ خَلْقِكَ .
الأَلْواحِ	: ألواحِ التَّوراةِ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ حدَّثَتْنا السّورةُ الكَريمةُ عنْ نِعْمَةِ اللهِ تَعالى على موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ باخْتِيارِه لِمُناجاتِه ، بيَّنَتِ السُّورَةُ هُنا ما حَدَثَ في هذهِ المُناجاةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ .

ولمّا جاءَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لِمُناجاتِهِ ، وكلَّمَهُ ربُّه تكليماً يليقُ بجلالِ اللهِ تَعالى ، قالَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وهوَ يسمعُ كلامَ ربِّه تَعالى : ربِّ أرني انظُرْ إليكَ ، وتَجلَّ لِي لأزدادَ شَرَفاً . قالَ اللهُ عندئذٍ : إنَّكَ يا موسى لنْ تُطيقَ رُؤْيَتي . ثمَّ أرادَ سُبْحانَهُ أنْ يُبيِّنَ لِموسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عَدَمَ طاقَتِهِ على هذا الأمرِ الّذي سألَهُ ، فقالَ لهُ : انظُرْ إلى الجَبَلِ الّذي هوَ أقوى مِنْكَ ، فإنْ ثَبَتَ مَكانَهُ عندَ التَّجلّي فَسوفَ تَراني إذا تجلَّيتُ لكَ ، فلَما تجلَّى ربُّهُ تَعالى للجبلِ تجلِّياً يليقُ بهِ سُبْحانَهُ ، جَعَلَهُ مُفتَّتاً مُسْتَوِياً بالأَرْضِ ، وسَقَطَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مَغْشِيّاً عليهِ لِهَوْلِ ما رأى ، فلمّا أفاقَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنْ هذهِ الصَّعْقةِ قالَ : أُنزِّهُكَ يا ربِّ تَنْزيهاً عَظيماً عنْ أنْ تُرى في الدُّنيا ، إنّي تُبْتُ إليكَ مِنَ الإقْدامِ على السُّؤالِ بغيرِ إذْنٍ ، وأنا أَوَّلُ المُؤْمِنينَ في زماني بجلالِكَ وعَظَمتِكَ .

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

لمّا منعَ اللهُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنْ رُؤْيَتِهِ في الدُّنيا ، عَدَّدَ عليْهِ نِعَمَهُ لِيَتسلَّى بها عنِ المنعِ ، فقالَ سُبْحانَهُ لَهُ : يا موسى إنّي فضّلتُكَ واختَرْتُكَ على أهْلِ زَمانِكَ ، بتَبْليغِ أسفارِ التَّوراةِ ، وبتَكْليمي إيّاكَ مِنْ غَيْرِ واسطةٍ ، فخُذْ ما فضّلتُكَ بهِ ، واشكرْ لي كما يفعلُ الشّاكِرونَ المُقدِّرونَ لِلنِّعمِ .

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ .

وبيّنّا لموسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في ألواحِ التَّوراةِ كُلَّ شيءٍ مِنَ المواعِظِ والأحْكامِ المُفَصَّلةِ ، الّتي يَحتاجُ النّاسُ إليها في المَعاشِ والمَعادِ ، والمحاسنِ والقَبائحِ ، وقُلنا لَهُ : خُذِ الألواحَ بِجِدٍّ وحَزْمٍ ، وأْمُرْ قومَكَ أنْ يأخُذوا بأفضلِ ما فيها ، والمَقصودُ : يأخُذوا بها كُلِّها ، كالعفوِ بَدَلَ القِصاصِ ، والإبرارِ بَدلَ الانتظارِ ، واليُسْرِ بَدَلَ العُسْرِ ، سَأُريكُم يا قومَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في أسْفارِكُمْ دارَ الخارجينَ على أوامرِ اللهِ تَعالى ، وما صارَتْ إليهِ مِنَ الخرابِ لِتَعتَبِروا ، فلا تُخالِفوا حتّى لا يُصيبَكُمْ ما أصابَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ اللهُ تَعالى يَصْطَفي مَنْ يشاءُ ويختارُ .

٢ـ اللهُ تَعالى لا يراهُ النّاسُ في الدُّنيا ، فهُوَ سُبْحانَهُ لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ ، وهوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ .

٣ـ التَّوراةُ الّتي أنزَلَها اللهُ على موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ هيَ كتابُ اللهِ تَعالى حقّاً ، وهِيَ مُشْتَمِلَةٌ على الحِكَمِ والأحْكامِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

تجلّى ربُّه للجبلِ ، دكّاً ، صَعِقاً ، سُبْحانَكَ ، الألواحِ .

٢ـ ما الّذي حصلَ للجبلِ عِنْدما تجلَّى لهُ اللهُ تَعالى ؟

٣ـ ما النِّعمُ الّتي ذَكَرَها اللهُ تَعالى لنبيِّهِ موسى عليْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ ما الّذي تَشْتَمِلُ عليْهِ التَّوراةُ مِنْ خلالِ هذِه الآياتِ الكَريمةِ ؟

٥ـ بماذا أمَرَ اللهُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ فيما يخصُّ التَّوراةَ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آيةً تُبيِّنُ أنَّ اللهَ تَعالى لا تُدْرِكُهُ أبصارُ خَلْقِهِ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الرّابعُ والعِشْرونَ

سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

معاني المفردات

سبيلَ الرُّشْدِ	طريقَ الهُدى والسَّدادِ .
سبيلَ الغَيِّ	طريقَ الضَّلالِ والفَسادِ .
حَبِطَتْ أعمالُهُمْ	بَطُلَتْ بِسَبَبِ الكُفْرِ .
عِجْلاً جَسَداً	مُجسَّداً على هَيْئَةِ عِجْلٍ .
لهُ خُوارٌ	صوتٌ كَصَوْتِ البَقَرِ .
اتَّخذوهُ	صيَّروهُ إلهاً وعَبدوهُ .
سُقِطَ في أيْديهِم	نَدِموا أشدَّ النَّدمِ .

الشَّرحُ

بَعْدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى نِعَمَهُ على نبيِّهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، أتبعَ ذلِكَ ببيانِ عاقبةِ المُكذِّبينَ الّذينَ لاحظَّ لهُم عندَ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ .

سَأُبْعِدُ عَنْ دلائلِ قُدْرَتي القائمةِ في الأنْفُسِ والآفاقِ ، أولئكَ الّذينَ يتكبَّرونَ عنْ قَبولِ الصَّوابِ غيرَ مُحقِّينَ ، وإنْ يرَوْا كلَّ آيةٍ تَدلُّ على صِدْقِ رُسُلِنا لا يُصدِّقوها ، وإنْ يُشاهِدوا طريقَ الهُدى لا يَسْلُكوهُ ، وإنْ يُشاهِدوا طريقَ الضَّلالِ يَسْلُكوهُ ، يَحدثُ ذلِكَ منهُم بِسَبَبِ أنَّهم كذَّبوا بآياتِنا المُنَزَّلَةِ ، وغَفلوا عَنِ الاهْتداءِ بِها .

وهذا يدلُّ على أنَّ اللهَ تَعالى لم يَخلقْهُمْ مَطْبوعينَ على شيءٍ ممّا ذُكِرَ طَبْعاً ، ولمْ يُجْبِرْهُمْ ويُكْرِهْهُمْ عليْهِ إكْراهاً ، بلْ كانَ ذلِكَ بِكَسْبِهِمْ واخْتيارِهِمْ للتَّكذيبِ بآياتِ اللهِ سُبْحانَهُ الدالَّةِ على الحقِّ .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

والّذينَ كذّبوا بآياتِنا المُنزَّلَةِ على رُسُلِنا ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ للهدايةِ ، وكذَّبوا بلقاءِ اللهِ تَعالى يومَ القيامةِ ، فأنْكَروا البَعْثَ والجزاءَ ، هؤلاءِ بَطَلَتْ أعْمالُهُمُ الّتي كانوا يَرْجونَ نَفْعَها ، فلا يَلْقَوْنَ إلاّ جَزاءَ ما اسْتَمَرّوا عليْهِ منَ الكُفْرِ والمَعاصي .

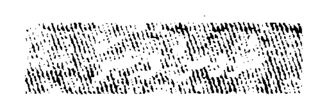
وبعدَ هذا قَصَّ القرآنُ الكَريمُ عليْنا قِصَّةً تُبيِّنُ رَذيلةً مِنْ رذائلِ بَنِي إسرائيلَ المُتعدِّدةِ ، وذلِكَ أنَّهم بعدَ أنْ تركَهُمْ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وذهبَ لِمُناجاةِ ربِّهِ مُسْتَخْلِفاً عليْهم أَخاهُ هارونَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، انتَهَزوا لينَ جانبِ هارونَ معَهُم ، فعبَدوا عِجْلاً صَنَعَهُ لهمُ السّامريُّ مِنَ الحَلْيِ الّتي أخَذَتْها نِساؤُهُمْ مِنْ نساءِ القِبْطِ في مِصْرَ ، وقَدْ حاولَ هارونُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ما استطاعَ أنْ يَحولَ بينَهُمْ وبينَ الكُفرِ ، ولكنَّهُ لمْ يُفلِحْ فيما أرادَهُ منهُم ولهُم . فقالَ سُبْحانَهُ مبيِّناً ذلِكَ :

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ .

وبعدَ أنْ ذهبَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لِمُناجاةِ ربِّهِ تَبارَكَ وتَعالى اتَّخَذَ قومُهُ مِنْ حُلِيِّهِمُ المُخَصَّصةِ للزِّينةِ جِسْماً على صورةِ العِجْلِ ، وكانَ له صوتٌ يُشْبِهُ صَوْتَ البَقَرِ ، وقدْ صنَعَهُ لَهُمُ السّامريُّ وأمرَهُمْ بِعبادتِهِ . ألمْ يَرَوْا حينَ اتَّخذُوهُ إلهاً وعَبَدوهُ ، أنَّه لا يُكلِّمُهُمْ ، ولا يَقدِرُ على هِدايتِهِمْ إلى طريقِ الصَّوابِ ؟ إنَّهم ظَلَموا أنْفُسَهُمْ بِهذا العَمَلِ الشَّنيعِ .

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . ﴾

ولمّا شَعَروا بِزَلَّتِهِمْ وخَطئِهِمْ ، تحيَّروا ونَدِموا أشدَّ النَّدمِ على اتِّخاذِ العِجْلِ إلهاً ، وتبيَّنوا ضَلالَهُمْ تَبيُّناً ظاهِراً ، وقالوا : واللهِ لئنْ لمْ يتُبْ عَلَيْنا ربُّنا ويَتجاوزْ عنّا لَنكونَنَّ مِنَ الّذينَ خَسِروا خُسْراناً بَيِّناً ، وذلِكَ بِوَضْعِهِمُ العبادةَ في غيرِ مَوْضِعِها ، وعِبادَتِهِمْ شَيْئاً مَخْلوقاً ، وتخلِّيهِمْ عنِ عِبادةِ الخالِقِ .



تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الّذينَ يتكبَّرونَ في الأرضِ لا يَمْلِكونَ التَّدبُّرَ والتأمُّلَ في آياتِ اللهِ تَعالى .

٢ـ الكُفْرُ يُحبِطُ العَمَلَ ، ويَمْنَعُ الإنْسانَ مِنَ الإفادةِ مِنْ عَمَلِهِ .

٣ـ النَّدمُ بعدَ فواتِ الأوانِ لا ينفعُ .

٤ـ أعظمُ الخاسِرينَ مَنْ لمْ يَنلْ رحمةَ اللهِ تَعالى .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

سبيلَ الرُّشْدِ ، سَبيلَ الغَيِّ ، خُوارٌ ، سُقِطَ في أَيْديهِمْ .

٢ـ مَنِ المَحْجوبونَ عَنْ تدبُّرِ آياتِ اللهِ تَعالى ؟ وما سَبيلُهُمْ ؟

٣ـ ما قيمةُ أعمالِ الكافِرينَ يومَ القيامةِ ؟

٤ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ سُرعةَ فسادِ بَني إسرائيلَ في أفكارِهِمْ ومُعْتَقداتِهِمْ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٥ـ ماذا كانَ مِنْ بَني إسرائيلَ حينَ عَرَفوا خطأَ ما هُمْ فيهِ ؟

* * *

الدَّرسُ الثَّامِنُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الخامِسُ والعِشْرونَ

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾

معاني المفردات

أَسِفاً : حَزيناً .

أَعَجِلْتُم : أَسْتَبَقْتُمْ .

فَلا تُشْمِتْ : فَلا تُسِرَّهُمْ بِما تنالُ مِنّي مِنَ المَكْروهِ .

المُفْتَرِينَ : الكذّابينَ .

التمهيد

بيَّنتِ الآياتُ السّابقةُ أنَّ بَني إسرائيلَ اتَّخذوا العِجْلَ إلهاً ، ثمَّ تَبيَّنَ لهُم بعدَ رُجوعِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أنَّهم على خطأٍ وضلالٍ ، وأعْلَمَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بقصَّتِهِمْ ، فَرَجَعَ إليهم غاضِباً حَزيناً ، قالَ تَعالى مبيِّناً هذا الشّأْنَ :

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

ولمّا رجعَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنْ مُناجاةِ ربِّهِ تَبارَكَ وتَعالى إلى قَوْمِهِ غَضْبانَ عليْهِمْ لِعبادَتِهِمُ العِجْلَ حزيناً ، وكانَ اللهُ تَعالى قدْ أخبَرَهُ بذلِكَ قَبْلَ رجوعِه ، قالَ لهُم : ما أقبَحَ ما فعلْتُمْ بعدَ غَيْبَتي ! ! أسَبَقْتُمْ بعبادةِ العِجْلِ ما أمرَكُمْ بِهِ ربُّكمْ مِنَ انْتِظاري ، وحِفْظِ عَهْدي حتّى آتيكُمْ بالتَّوراةِ ؟ وألقى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الألواحَ جانباً ، واتَّجهَ إلى أخيهِ لِشدَّةِ حُزْنِه حينَ رأى ما رأى مِنْ قومِهِ ، وأخذَ يشدُّ أخاهُ مِنْ رأسِهِ ، ويَجرُّهُ نحوَهُ مِنْ شِدّةِ الغَضَبِ ، فقالَ هارونُ لِموسى ـ عَليْهما السَّلامُ ـ : يا ابنَ أُمِّي ، إنَّ القومَ حينَ فَعَلوا ما فَعَلوا قدِ اسْتَضْعَفوني وقَهَروني ، وأرادوا قَتْلي لَمّا نَهيتُهُمْ عنْ عِبادةِ العِجْلِ ، فلا تُسِرَّ الأعداءَ بإيذائِكَ لي ، ولا تَعتقِدْ أنّي واحِدٌ مِنَ الظّالِمينَ معَ براءَتي منهُم ومِنْ ظُلْمِهِمْ .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾

قالَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لِيُرْضِيَ أَخاهُ ، ولِيُظْهِرَ لأهلِ الشَّماتةِ رضاهُ عنْهُ بعدَ أنْ ثبتَتْ براءَتُهُ : ربِّ اغْفِرْ لي ما فَرَطَ مِنّي مِنْ قَوْلٍ أوْ فعلٍ فيهِ غِلْظةٌ على أخي ، واغْفِرْ لَهُ كذلِكَ ما عسَى أنْ يكونَ قدْ قصَّرَ فيهِ ممّا أنتَ أعلمُ بِهِ مِنّى ، وأدْخِلْنا في رحمتِكَ الّتي وسِعَتْ كلَّ شيءٍ ، فأنتَ أَرحمُ بعبادِكَ مِنْ كلِّ راحمٍ .

وبعدَ هذا صدَرَ في القرآنِ الكَريمِ الحُكْمُ الإلهيُّ الفاصِلُ بِشأْنِ عَبَدةِ العِجْلِ ، فقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى مُبيِّناً ذلِكَ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾

إنّ الّذينَ اتَّخذوا العِجْلَ وعبَدوهُ مِنْ دونِ اللهِ ، واسْتَمرُّوا على ضَلالِهِمْ ، سَيُحيقُ بِهِمْ سَخَطٌ شديدٌ مِنْ ربِّهِم ، ولا تُقْبَلُ توبتُهُمْ إلاّ إذا قتَلوا أنْفُسَهُمْ ، وذلِكَ تَصْديقاً لقولِه تَعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ٥٤] وسَيُصيبُهُمْ كذلِكَ هوانٌ وصَغارٌ في الحياةِ الدُّنيا ، وبمثلِ هذا الجزاءِ يُجازي اللهُ المُفْتَرينَ جميعاً في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، لِخُروجِهِم عنْ طاعتِهِ وتَجاوُزِهِمْ لِحدودِهِ ، فهُوَ جزاءٌ مُتكرِّرٌ كُلَّما تكرَّرتِ الجريمةُ مِنْ بَني إسْرائيلَ وغيرِهِمْ . ثمَّ فتَحَ اللهُ تَعالى بابَ توبتِهِ لكلِّ تائبٍ صادِقٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

والّذينَ عَمِلوا الأَعْمالَ القَبيحةَ مِنَ الكُفْرِ وعِبادةِ العِجْلِ وسائرِ المعاصِي ، ثُمَّ تابوا مِنْ بعدِ فِعْلِهِمْ لها توبةً صادِقةً نَصوحاً ، ورَجَعوا إلى اللهِ تَعالى مُعتَذِرينَ نادِمينَ مُخْلِصينَ لَه الدّينَ ، فإنَّ اللهَ تَعالى مِنْ بعدِ الكبائِرِ الّتي أَقْلَعوا عَنْها والمَعاصي الّتي اقْتَرَفوها ثمَّ تَرَكوها ، وتابوا إلى اللهِ ، أنّ اللهَ تَعالى بعدَ ذلِكَ لَساتِرٌ عليْهِمْ أعمالَهُمُ السَّيِّئةَ ، وغيرَ فاضِحِهِمْ بِها ، رحيمٌ بِهِمْ ، وبكلِّ مَنْ كانَ مثلَهُمْ مِنَ التّائِبينَ .

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ المُؤْمِنُ الصّادِقُ يَغْضَبُ بِسَبَبِ المَعاصِي ويُقاوِمُها بشدَّةٍ ، ولا تَأْخُذُهُ في ذلِكَ لَومةُ لائِمٍ .

٢ـ المَصيرُ السَّيِّءُ لِعبَدَةِ العِجْلِ في الدُّنيا والآخِرةِ ، وكذلِكَ لكلِّ مَنْ عَبَدَ غيرَ اللهِ .

٣ـ بابُ التَّوبةِ مفتوحٌ لكلِّ تائبٍ صادقٍ ، واللهُ تَعالى يَغْفِرُ الذُّنوبَ ، ويَسْتُرُ العُيوبَ .

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

أَسِفاً ، أَعَجِلْتُمْ ، فَلا تُشْمِتْ ، المُفْتَرينَ .

٢ـ بيِّنِ الحالةَ الّتي رجَعَ بِها موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ . وما سببُ ذلِكَ ؟

٣ـ ذكرتِ الآياتُ أنَّ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ سريعُ الرُّجوعِ إلى الحقِّ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٤ـ بيّنِ الجزاءَ الّذي يَنتظِرُ عَبَدةَ العِجْلِ .

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سورةِ طَه الّتي تُبيِّنُ الحِوارَ الّذي دارَ بينَ موسى وهارونَ ـ عَليْهِما السَّلامُ ـ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ النّساءِ الّتي تُبيِّنُ متى تُقْبَلُ التَّوْبةُ .

سورة الأعراف – النص الثامن والعشرون

وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

سكت: سَكَنَ .

الرجفة: الزَّلزلَةُ الشَّديدةُ أوِ الصّاعِقةُ .

فتنتك: مِحنتُكَ وابْتلاؤُكَ .

هدنا إليك: تُبْنا ورَجَعْنا إليْكَ .

بيّنتِ الآياتُ السّابقةُ ما جرى مِنْ قومِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بعدَ ما عَبَدوا العِجْلَ وحالةَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، واستيلاءَ الغضبِ عَليْهِ ، وبيّنَتْ هذه الآياتُ الحالةَ الّتي صارَ عَليْها موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بعدَ أنْ بانَتْ لهُ الحقيقةُ ، فقالَ ـ سُبْحانَهُ ـ في هذا الشّأْنِ :

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ .

ولمّا سكنَ عنْ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الغَضَبُ ، عادَ إلى الألواحِ الّتي ألْقاها وأخَذَها ، وفي هذِهِ الألواحِ هُدىً وإرشادٌ وأسْبابُ رَحْمةٍ للّذينَ يَخافونَ غضَبَ ربِّهِمْ .

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴾

ثمَّ أمَرَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَأْتيَهُ في جَماعةٍ مِنْ قومِهِ يَعتذِرونَ عمَّنْ عبَدوا العِجْلَ ، ووَعَدَهُمْ مَوْعِداً ، فاخْتارَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ سَبعينَ رَجُلاً مِمَّنْ لمْ يَعبُدوا العِجْلَ ، وهُمْ خُلاصةُ بَني إسرائيلَ وصُلَحاؤُهُمْ ، اختارَهُمْ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ليُمَثِّلوا قومَهُمْ ، وذَهَبَ بِهم إلى الطُّورِ ، فأخذتْهُمْ في ذلِكَ المكانِ زَلزلةٌ شديدةٌ غُشِيَ عليْهِم بِسَببها .

فلمّا رأَى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ذلِكَ الّذي حصلَ لهمُ قالَ : يا ربِّ لوْ شِئتَ إهلاكَهُمْ أهلكتَهُمْ مِنْ قَبْلِ خُروجِهِمْ إلى الميقاتِ ، وأهْلَكْتَني معَهَم ، ليرَى ذلِكَ بَنو إسْرائيلَ فَلا يَتَّهِموني بِقَتْلِهِمْ ، فلا تُهْلِكْنا يا ربِّ بِما فَعَلَ الجُهّالُ منّا ، فما مِحْنَةُ عبادةِ العِجْلِ إلاّ فتنةٌ مِنْكَ ، وامتحانٌ أضلَلْتَ بها مَنْ شئتَ إضْلالَهُ مِمَّنْ سَلَكوا سبيلَ الشَّرِّ ، وهديْتَ بِها مَنْ شئتَ هدايتَهُ ، أنتَ يا ربِّ القائِمُ بأُمورنا كلِّها ، لا أحدَ غيرُكَ ، فاغْفِرْ ما فَرَط منّا ، وارْحَمْنا بِرَحْمَتِكَ الّتي وَسِعتْ كلَّ شيءٍ ، وأنتَ خيرُ الغافِرينَ ، إذْ كلُّ غافرٍ سِواكَ إنَّما يَغفِرُ لِغَرَضٍ نفسانيٍّ ، كحُبِّ الثَّناءِ ، واجتذابِ المنافعِ ، أمّا أنْتَ يا إلهَنا فَمَغفِرتُكَ لا لِطَلَبِ عِوَضٍ أو غَرَضٍ ، وإنَّما هيَ لِمَحْضِ الفَضْلِ .

ثمَّ أضافَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إلى هذهِ الدَّعَواتِ الطَّيباتِ دَعواتٍ أُخرىَ ، فقالَ كما حكَى القرآنُ الكريمُ عنْهُ :

﴿ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

قالَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ داعياً ربَّه تَعالى : وقَدِّرْ لنا في هذهِ الدُّنيا حياةً وتوفيقاً للطّاعةِ ، وفي الآخِرةِ مَثوبةً حَسَنةً ورَحْمةً ، لأنَّنا رجعْنا إليْكَ وتُبْنا إليكَ . فقالَ اللهُ تَعالى ردّاً على نبيِّهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : يا موسى ، إنَّ عذابي الّذي تَخشَى أنْ يُصيبَ قومَكَ أُصيبُ بهِ مَنْ أشاءُ تَعذيبَهُ مِنَ العُصاةِ ، فقدِ اقتضتْ حِكْمَتي أنْ أجازِيَ الّذينَ أساءوا بما عَمِلوا ، وأُجازيَ الّذينَ أحْسَنوا

بالحُسْنى ، وسأكْتُبُ رحمَتي للّذينَ يَصونونَ أنْفُسَهُمْ عنْ كُلِّ ما يُغْضِبُ اللهَ تَعالى ، ويؤدّونَ الزَّكاةَ المَفروضةَ عَليْهِمْ في أَمْوالِهِمْ ، وسَأَكْتُبُها كذلِكَ للّذينَ هُم بآياتِنا يُؤْمِنونَ إيماناً تامّاً خالِصاً لا رياءَ فيهِ ولا نَقْصَ مَعَهُ .

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرة ، مِنْها :

١ـ التَّوراةُ كتابُ اللهِ تَعالى ، فيهِ الهدايةُ للنّاسِ الّذينَ نَزَلَ فيهِمْ .

٢ـ عظيمُ أدبِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ معَ ربِّهِ تَبارَكَ وتَعالى .

٣ـ وِلايةُ المؤمِنينَ إنّما هيَ لِرَبِّهِمْ سُبْحانَهُ ، والمؤمنُ حَريصٌ على أنْ يَرْجِعَ إلى اللهِ ويَستَغْفِرَهُ مِنْ كلِّ الذُّنوبِ .

٤ـ الإيمانُ وأداءُ الزَّكاةِ مِنْ أخْلاقِ الصّالِحينَ الّذينَ يَنالونَ رحمةَ اللهِ تَعالى بإيمانِهِمْ وحُسْنِ أَعمالِهِمْ .

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

سَكَتَ ، أخذَتْهُمُ الرَّجفةُ ، فِتنَتُكَ ، هُدْنا إليكَ .

٢ـ بيِّنْ ما الّذي جرى لِموسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بعدَ أنْ سَكَتَ غَضَبُهُ .

٣ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ مَنزلةَ كتاب التَّوراةِ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٤ـ لماذا أخَذَتِ الرَّجفةُ القومَ المُختارينَ مِنْ قومِ موسى عليْهِ السَّلامُ ؟

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ طَه الّتي تُبيِّنُ ما فعلَهُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بالسّامِريِّ الّذي صَنعَ العِجْلَ .

* * *

الدرس الأربعون

سورةُ الأعرافِ ـ القِسمُ السّابعُ والعِشْرونَ

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

الأُمِّيَّ : الّذي لا يقرأُ ولا يكتبُ .

إصْرَهُمْ : أثقالَهُمْ .

الأَغْلالَ : أصْلُ الغِلِّ : القَيْدُ الّذي يَحُدُّ مِنَ الحَرَكَةِ ، والمرادُ : التّكاليفُ الشّاقَّةُ .

عزَّرُوهُ : وقّروهُ وعَظّموهُ .



بَعْدَ أنْ بيّنَتِ الآياتُ ما جَرى لموسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ والسّبعينَ الّذينَ اختارَهُمْ ، بيّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ صِفاتِ أهْلِ رحمةِ اللهِ تَعالى ورسولِهِمْ ﷺ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

إنَّ الّذينَ يَنالونَ رحمةَ اللهِ تَعالى الّتي وَسِعتْ كُلَّ شيءٍ هُمُ الّذينَ يَتَّبعونَ النَّبيَّ ﷺ الّذي وردَ اسمُهُ مَكْتوباً عِنْدَهم في التَّوراةِ والإنْجيلِ ، والمَوصوفَ بِصِفاتٍ مُتعدِّدةٍ ذَكَرَها اللهُ تَعالى في هذهِ الآيةِ الكَريمةِ وهِيَ :

أولاً : أنّه ﷺ جُمعَ لهُ بينَ وَصْفِ النُّبوَّةِ والرِّسالةِ على حَدٍّ سواءٍ ، ليجمعَ بَيْنَ الخَيْرَيْنِ .

ثانياً : أنّه أُمِّيٌّ ما قَرأَ ولا كَتَبَ ، ولا جَلَسَ إلى مُعلِّمٍ ، ولا أخذَ عِلْمَهُ عنْ أحدٍ ، ولكنّ اللهَ تَعالى أوحى إليهِ بالقُرآنِ الكَريمِ عنْ طريقِ جبريلَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، وأفاضَ عليْهِ عُلوماً نافِعةً تُوَضِّحُ ما أنزلَهُ عليْهِ مِنَ القرآنِ الكَريمِ .

ثالثاً : أنَّه ﷺ مذكورٌ اسمُهُ ونَعْتُه في التَّوراةِ والإنجيلِ ، وهذا مِنْ أكْبرِ الدَّواعي لهُم إلى الإيمانِ بهِ والتَّصديقِ برسالَتِهِ ، ولكنَّهُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لمَّا بُعِثَ حَسَدَهُ أهْلُ الكتابِ ، بخاصةِ اليهودُ ، وعادَوْهُ أشدَّ العَداءِ ، فاسْتَحقُّوا لعنَةَ اللهِ تَعالى وغَضَبَهُ .

رابعاً : أنَّ هذا النَّبيَّ الكَريمَ يَأْمُرُ بالمعروفِ ، الّذي يَتناولُ الإيمانَ باللهِ تَعالى وملائِكتِهِ وكُتبهِ واليوم الآخرِ ، كما يتناولُ أيضاً مكارِمَ الأخلاقِ ومحاسِنَ الشِّيَمِ والصِّفاتِ ، وغيرَ ذلِكَ ممّا جاءَ به الشَّرْعُ الحنيفُ مِنْ أُمورٍ ارْتاحَتْ لَها العقولُ السَّليمةُ والقلوبُ الطّاهِرةُ ، وكذلِكَ هذا النَّبيُّ ﷺ يَنْهى عنِ المُنْكَرِ الّذي يَتناولُ الكُفْرَ والمَعاصي ومساوِىءَ الأخلاقِ .

خامساً : أنَّ النَّبيَّ ﷺ يُحِلُّ لِمَنْ آمنَ بهِ الطَّيباتِ ، ويُحرِّمُ عليهِمُ الخَبائِثَ ، يُحِلُّ لهمُ ما حرَّمَهُ اللهُ تَعالى مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الطّيباتِ ، وكانَ تحريمُها عليْهِم بِسَببِ ظُلْمِهِمْ وفِسْقِهِمْ عُقوبةً مِنَ اللهِ تَعالى لهُم ، ويُحِلُّ كذلِكَ ما كانوا حَرَّمُوهُ على أنْفُسِهم ممّا لَمْ يأذنْ به اللهُ تَعالى بهِ كلحومِ الإبلِ وألبانِها ، ويُحرِّمُ عليْهِم ما هُوَ خبيثٌ كالدَّمِ ولَحْمِ المَيْتَةِ والخِنزيرِ ، وكَأكْلِ الرِّبا وأكْلِ أموالِ النّاسِ بالباطِلِ وغيرِ ذلِكَ .

سادساً : أَنّه ﷺ يَضَعُ عمَّنْ آمنَ بهِ مِنْ أهلِ الكِتابِ إصْرَهُم والأَغْلالَ الّتي كانَتْ عَلَيْهِمْ ، أيْ يرفعُ عَنْهُم ما ثَقُلَ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّكاليفِ الّتي كلّفَهُمْ إيّاها ربُّ العالَمينَ بسببِ ظُلْمِهِمْ . وقدْ كانَ بَنو إسرائيلَ قدْ كُلِّفوا بأنَّ الرجلَ منهُم إذا أصابَ ثوبَهُ بولٌ قطعَ ذلِكَ الجُزْءَ مِنَ الثَّوبِ ، وإذا جَمَعوا الغنائمَ نزلَتْ نارٌ مِنَ السَّماءِ فَأَحْرَقتْها ، وقدْ رفعَ اللهُ تَعالى ذلِكَ كُلَّهُ عنهُمْ إذا آمنوا بالنَّبيِّ ﷺ .

وقَدْ كانَ مِنَ الواجبِ على أهلِ الكتابِ أنْ يَتَّبعوا النَّبيَّ ﷺ الّذي هذهِ صِفاتُهُ والّذي في اتِّباعهِ سَعادتُهُمْ في دُنياهُمْ وآخرتِهِمْ ، ولهذا جاءَ خَتْمُ هذهِ الآيةِ الكَريمةِ مُبيِّناً حالَ المُصدِّقينَ لِنبيّهِ عليْهِ السَّلامُ : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أيْ فالّذينَ آمَنوا بهذا الرَّسولِ ﷺ مِنْ بَني إسرائيلَ وغيرِهِمْ وعَزَّروهُ بأنْ مَنعوهُ وحَمَوْهُ مِنْ كلِّ مَنْ يُعاديهِ ، ونَصروُه بكلِّ وسائلِ النَّصْرِ ، واتَّبَعوا القرآنَ والوَحْيَ الّذي جاءَ بِهِ ، ودَعا النّاسَ إليهِ ، أولئكَ همُ الفائزونَ الظّافِرونَ برحمةِ اللهِ تَعالى ورِضوانِهِ .

وبذلِكَ تكونُ هذهِ الآيةُ الكَريمةُ قَدْ وصفَتِ النَّبيَّ ﷺ بأحسنِ الصِّفاتِ ، وأقامتِ الحُجَّةَ على أهلِ الكتابِ بِما يَجدونهُ في كُتُبِهِمْ وعلى ألسنةِ رُسُلِهِمْ بأنَّهُ ﷺ ما جاءَ إلاَّ لهدايَتِهِم وسَعادَتِهِم ، وأنَّهُمْ إنْ آمنوا بهِ وصَدَّقوهُ كانوا مِنَ الفائِزينَ .

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ للنّاسِ : إنّي مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ تَعالى إليكُم جميعاً ، لا فَرْقَ بينَ عربيٍّ وعَجَميٍّ ، ولا أبيضَ ولا أسودَ ، ولا وثنيٍّ ولا كِتابيٍّ ، واللهُ تَعالى الّذي أرْسَلَني لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ والأرضِ ، لا مَعبودَ بحقٍّ إلاّ هُوَ ، وهُو سُبْحانَهُ الّذي يَقْدِرُ على الإحْياءِ والإماتةِ دونَ غيرِهِ ، فآمِنوا أيُّها النّاسُ بِهِ وبِرَسولِهِ النَّبيِّ الّذي لا يَقرأُ ولا يَكتبُ ، وهُوَ يُؤْمِنُ باللهِ تَعالى ويَدْعوكُمْ إلى الإيمانِ بهِ ، ويُؤْمِنُ بكُتبِهِ المُنَزَّلَةِ ، واتَّبعوهُ في كلِّ ما يفعلُ ويقولُ لِتهتَدوا وتَرْشُدوا . وبهذا تكونُ هذه الآيةُ وصَفَتِ النَّبيَّ ﷺ وصْفاً جَديداً يُضافُ إلى الأوصافِ السِّتةِ السّابقةِ في الآيةِ الأُولى (١٥٧) ، وهذه الصِّفةُ هِيَ عمومُ رسالتِهِ ﷺ جميعاً .

دروس وعبر

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ البشارةُ بالنَّبيِّ ﷺ في التَّوراةِ والإنجيلِ .

٢ـ الأَمْرُ بالمَعْروفِ والنَّهْيُ عنِ المُنْكَرِ مِنْ خصائِصِ الرِّسالةِ المُحمَّديّةِ .

٣ـ التّيسيرُ على النّاسِ ورَفْعُ الحَرَجِ عنْهُم مِنْ خصائِصِ هذهِ الشَّريعةِ المُباركَةِ .

٤ـ شَرْطُ الفلاحِ الإيمانُ بنُبوّةِ النَّبيِّ ﷺ ومُناصَرَتُهُ ، فَهُوَ مَبعوثٌ إلى النّاسِ جَميعاً .

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

إِصْرَهُم ، الأَغلالَ ، عزَّروهُ ، الأُمِّيَّ .

٢ـ وصَفَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ بأَوْصافٍ مُتعدِّدةٍ ، اذْكُرْ هذهِ الأوصافَ مرتَّبةً كما جاءتْ في الآياتِ الكَريمةِ .

٣ـ ماذا يَلزمُ مَنْ سَمِعَ بالنَّبيِّ ﷺ ورسالَتِهِ ؟

٤ـ في الآياتِ الكَريمةِ حُجَّةٌ على أهلِ الكتابِ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٥ـ ما موقفُ أهلِ الكتابِ منْ رسالةِ النَّبيِّ ﷺ ؟

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما يُبيِّنُ أُمِّيَّةَ الرَّسولِ ﷺ مِنْ حادثةِ نُزولِ المَلَكِ في غارِ حراءٍ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آخِرَ آيةٍ مِنْ سورةِ البقرةِ ، وتَبيَّنْ ما فِيها منْ رحمةِ اللهِ بالمؤمِنينَ وتيسيرِهِ عليْهِم .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حديثاً شريفاً يَدُلُّ على عُمومِ رِسالةِ سيِّدِنا محمّدٍ ﷺ .

* * *

وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

يهدون : يُرْشِدونَ ويَدلّونَ .

به يعدلون : بالحقِّ يَحْكُمونَ في الخُصوماتِ بَيْنَهُم .

قطّعناهم : صيَّرناهُم وفرَّقْناهُم .

أسباطا : جماعاتٍ وقبائلَ .

انبجست : خرَجَتْ مِنْ مكانٍ ضيّقٍ .

مشربهم : العينَ الخاصّةَ بِهم .

الغمام : السَّحابَ الأبيضَ الرَّقيقَ .

المنّ : مادةً صِمْغيّةً حُلْوةً كالعَسَلِ .

السلوى : الطّائرَ المعروفَ بالسُّمّانيِّ .

حطّة : حُطَّ عنّا ذنوبَنا واغْفِرْها لنا .

رجزا : عَذاباً .

بَعْدَ أنْ بيَّنَتِ الآياتُ السَّابقةُ أحوالَ النَّبيِّ ﷺ ، وما يَنْبَغي على أهلِ الكتابِ وغيرِهِمْ تِجاهَ دَعْوَتِهِ ، بدأَتِ الآياتُ تُحدِّثُنا عنْ بَني إسْرائيلَ ، وعنْ بعضِ نِعَمِ اللهِ ـ تعالى ـ عَلَيْهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ .

ومِنْ قومِ موسَى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ جماعةٌ بَقوا على الدِّينِ الصَّحيحِ ، يَهدونَ النَّاسَ بالحقِّ الّذي جاءَهُم بِهِ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى ، وبالحقِّ أيضاً يَسيرونَ في أحكامِهِمْ فلا يَجورونَ ، وإنّما يَعْدِلُونَ في كلِّ أحْوالِهِمْ وشُؤونِهِمْ ، وهذا القولُ يُمثّلُ عدالةَ القُرْآنِ معَ بَني إسرائيلَ ، إذْ أنصفَهُم وتَحدَّثَ عنِ المُخلِصينَ مِنهُم .

ثُمَ ذكرَ القرآنُ الكَريمُ بَعْضَ النِّعمِ الّتي أنعمَ اللهُ تعالى بها على بَني إسرائيلَ ، وكيفَ كانَ مَوْقِفُ هؤلاءِ الجاحِدينَ لها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

بيَّنَ اللهُ تعالى نِعمَهُ على قومِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، فَقَدْ صَيَّرَهُمْ اثْنَتَي عَشْرةَ فِرْقةً وجعَلَهُمْ جَماعاتٍ ، وميَّزَ كلَّ فِرْقةٍ بِنظامِها ، مَنْعاً للتَّحاسُدِ والخِلافِ ، وأوحَى إلى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ حينَ طلبَ منْهُ قومُهُ الماءَ في التِّيهِ ، بأنْ يَضْرِبَ الحَجَرَ بعصاهُ ، فخرجَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرةَ عيناً بعددِ الأسْباطِ ، وقدْ عَرَفَ كُلُّ جماعةٍ منهُم مكانَ شُرْبِهِمُ الخاصَّ بهم ، فلا يُزاحِمُهُمْ فيهِ غيرُهُمْ ، وجَعَلَ لَهُمْ السَّحابَ يُلْقي عليْهِم ظِلَّهُ في التِّيهِ لِيَقيَهُمْ حرَّ الشَّمسِ ، وأَنزلَ عليْهِمُ المَنَّ والسَّلوى ، وقالَ لهُم : كُلوا مِنْ مُسْتَلذَّاتِ ما رزقْناكُم ممّا أنْزَلْنا عليْكُم ، فَظلمو أنفُسَهُم وكفَروا بتلكَ النِّعمِ ، وطَلَبوا غيرَها ، وما رجعَ إلى اللهِ تعالى ضَرَرُ ظُلْمِهِمْ ، ولكنَّهُ كانَ مَقصوراً عليْهِم .

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

واذْكُرْ أيُّها النَّبيُّ ﷺ لِمنْ وُجِدَ مِنْ بَني إسرئيلَ في زَمانِكَ تَقْريعاً لهُم بِما فَعَلَ أسْلافُهُم ؛ اذكرْ

لهُم قَوْلَنا لأسْلافِهِمْ على لسانِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : اسْكُنوا بعدَ الخروجِ مِنَ التِّيهِ ، وكُلوا منْ خيراتِها الّتي في أيّةِ ناحيةٍ منْ نَواحيها كمَا تَشاءُونَ ، وقولوا نَسْأَلُكَ يا ربَّنا أَنْ تَحُطَّ عنَّا خَطايانا ، وادْخُلوا بابَ القريةِ خافِضي الرُّؤوسِ ، كهيئةِ الرُّكوعِ تَواضُعاً للهِ تعالى ، إنَّكُمْ إذا فَعَلْتُم ذلكَ تجاوَزْنا عنْ ذُنوبِكُمْ ، وسَنزيدُ ثوابَ مَنْ أحسَنوا الأَعْمالَ الصّالِحةَ .

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

إنَّ بَني إسرائيلَ بدَّلوا أَمْرَ اللهِ تعالى لَهُمْ مِنَ الخُضوعِ بالفِعْلِ والقَوْلِ ، فقدْ أُمِروا أنْ يَدْخلوا البابَ سُجَّداً ، فدخَلوا يَزحَفونَ على أستاهِهِمْ رافِعي رُؤوسِهِم ، وأُمِروا أنْ يَقولوا حِطَّةٌ ؛ أيْ : احْطُطْ عنَّا ذُنوبَنا ، فاسْتَهزَءُوا وبدَّلوا ، وقالوا : حبَّةٌ في شعيرةٍ ، وهذا غايةُ ما يكونُ منَ المُخالفاتِ والمُعانَدةِ ، فأَنْزَلَ اللهُ تعالى بِهِمْ بأسَهُ وعَذابَه بِفِسْقِهِمْ وخُروجِهِمْ عنْ طاعتِهِ .

أخرجَ البُخاريُّ في مَعنى هذهِ الآيةِ قولَ النَّبيِّ ﷺ : (قيلَ لِبَني إسرائيلَ ادخُلوا البابَ سُجَّداً وقُولوا حِطّةٌ ، فبدَّلوا ، فدخَلوا يزحَفونَ على أستاهِهِمْ ، وقالوا : حبَّةٌ في شَعيرةٍ)[1] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

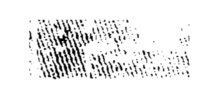
تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ عدالةُ القرآنِ الكَريمِ في الحديثِ عنْ بَني إسْرائيلَ بحيثُ أنْصَفَهُمْ ذاكِراً سَيِّئاتِهِمْ وحَسَناتِهِمْ .

٢ـ إنَّ الصِّفةَ الّتي اتَّصفَ بها بَنو إسرائيلَ أنَّهم على غيرِ وِفاقٍ .

٣ـ بَنو إسرائيلَ كانوا كَثيري الاسْتِهزاءِ بما طَلَبَهُ اللهُ تعالى مِنْهُم ، فاستَحقُّوا العذابَ والغَضَبَ الإلهيَّ نتيجةً لذلكَ .

(١) رواه البخاري : ٣/ ١٢٤٨ حديث رقم (٣٢٢٢) ، ورواه مسلم : ٤/ ٢٣١٢ حديث رقم (٣٠١٥) .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرداتِ التّاليةِ :

وبِهِ يعدِلونَ ، أَسْباطاً ، انْبَجَستْ ، حِطةٌ ، رِجْزاً .

٢ـ كانَ القرآنُ الكَريمُ عَدْلاً في الإِخبارِ عنْ بَني إِسْرائيلَ ، وضِّحْ ذلكَ .

٣ـ كيفَ تَستنبطُ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ أنّ أسباطَ بني إسرائيلَ كانوا على غيرِ وِفاقٍ ؟

٤ـ كَمْ عددُ أسباطِ بني إسرائيلَ ؟

٥ـ عدّدتِ الآياتُ الكَريمةُ مَجْموعةً مِنْ نِعَمِ اللهِ ـ تعالى ـ على بَني إسرائيلَ ، اذكرْ ثلاثاً مِنْها .

٦ـ بيّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ اسْتِهزاءَ بَني إسرائيلَ بأوامرِ اللهِ تَعالى ، وضِّحْ ذلكَ .

نشاط

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةً منْ سورةِ البَقرةِ تُبيِّنُ ما طلبَهُ بَنو إسرائيلَ مِنَ الطَّعامِ غيرِ المنِّ والسَّلوى .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ وَصْفَ رسولِ اللهِ ﷺ حينَما دخلَ مكَّةَ فاتِحاً .

* * *

الدَّرسُ الثاني والأربعونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ التاسعُ والعِشْرونَ

وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾

التفسير :

حَاضِرةَ البَحرِ : قريبةً مِنَ البحر .

يَعدونَ في السَّبتِ : يعتَدونَ بالصَّيدِ فيهِ وهوَ مُحرَّمٌ عَليْهِم .

يومَ سَبْتِهِم : يومَ تَعظيمِهِمْ أمْرَ السَّبتِ .

شُرَّعاً : ظاهِرةً على وجهِ الماءِ وبِكَثْرةٍ .

لا يَسبِتونَ : لا يُراعونَ حُرْمَةَ يومِ السَّبتِ .

نَبلوهُم : نَمتحِنُهُم ونَختبِرُهُمْ .

مَعذرةً إلى رَبِّكُم : نَعِظُهُمُ اعتِذاراً إليهِ تعالى .

بعذابٍ بَئيسٍ : شديدٍ موجِعٍ .

عَتَوْا : اسْتَكْبَروا واسْتَعْصَوْا .

قِرَدةً خاسِئينَ : مَسَخَهُمُ اللهُ تَعالى في هيئةِ القِرَدةِ ، وجعلَهُم أذلاَّءَ مُبْعَدينَ مِنْ رَحْمته .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بيَّنتِ الآياتُ السَّابقةُ عُتُوَّ بني إسرائيلَ ، واسْتِكبارَهُمْ على أوامرِ اللهِ ـ تَعالى ، بَيَّنَتْ هذهِ الآياتُ نموذجاً آخرَ مِنْ نماذجِ اسْتِهْزائِهِمْ واسْتِكبارِهِمْ وعِنادِهِمْ ، فقالَ سبحانَه مُبَيِّناً ذلكَ :

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ .

تتحدَّثُ الآيةُ الكَريمةُ عنْ رَذيلةٍ منْ رذائلِ بَني إسرائيلَ الكثيرةِ ، وهيَ تحايلُهُم على اسْتِحلالِ ما حَرَّمَ اللهُ تعالى بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ وجَشَعِهِمْ وضَعْفِ إرادَتِهِمْ . وذلكَ أنَّ اللهَ تعالى أخَذَ على اليهودِ عَهْداً أنْ يَتفرَّغوا لعبادتهِ يومَ السَّبْتِ ، وحرَّمَ عليهِمُ الاصْطيادَ فيهِ دونَ سائرِ الأيَّامِ ، واختباراً منْهُ سبحانَه لإيمانهِمْ ووَفائِهِمْ لِعُهودِهِمْ ، أرْسَلَ اللهُ سبحانَه إليهِمُ الحيتانَ يومَ السَّبْتِ دونَ غيرِهِ ، فكانَتْ تَتراءَى لهُم على السَّاحلِ في ذلكَ اليومِ قريبةَ المَأْخذِ سهلةَ الاصْطيادِ .

وهُنا طغَتْ عليهِمْ شَهَواتُهمْ ومَطامِعُهُمْ ، وفكَّروا في حيلةٍ لاصْطيادِ هَذهِ الحيتانِ في يومِ السَّبْتِ ، قالوا : لا مانعَ منْ أنْ نَحْفُرَ إلى جانبِ ذلكَ البحرِ الَّذي يَزْخَرُ بالأسماكِ في يومِ السَّبْتِ أحواضاً تَنْسابُ إليها المياهُ ومَعَها الأسماكُ ، ثُمَّ نَتركُ هذهِ الأسماكَ مَحبوسةً في الأحواضِ في يومِ السَّبْتِ ، لأنَّها لاَ تستطيعُ الرُّجوعَ إلى الماءِ بِسَبَبِ هذهِ الأحواضِ وقِلَّةِ الماءِ فيها ، ثمَّ نَصْطادُها بعدَ ذلكَ في غيرِ يومِ السَّبْتِ ، وبذلكَ نَجْمَعُ بينَ احترامِ ما عُهِدَ إليْنا في يومِ السَّبتِ ومَا تَشْتَهيهِ أنفُسُنا مِنَ الحصولِ على تلْكَ الأسْماكِ .

واسأَلْ يا مُحمَّدُ اليهودَ اسْتِنكاراً لِما فعلَ أسلافُهُمْ ، وتَقريعاً لهُم على عِصْيانِهِمْ ، لعلَّهمْ يَتوبوا ويَرجِعوا إلى الحقِّ ، ولا يُعَرِّضوا أنفسَهُمْ لِعقوباتٍ كالَّتي نَزلَتْ في أسلافِهِمْ ، اسأَلْهُمْ عنْ خَبَرِ القريةِ الَّتي كانَتْ قريبةً مِنَ البحرِ ، حينَ كانوا يَتجاوَزونَ حُدودَ اللهِ تَعالى في يومِ السَّبتِ ، وحينَ كانَتْ تأْتيهمْ حيتانُ الأسماكِ ظاهِرةً على وجهِ الماءِ يومَ السَّبتِ ، وفي غيره لا تأتِيهمُ ، ابتلاءً مِنَ اللهِ تَعالى ، وَبِمِثْلِ ذلكَ البلاءِ المَذكورِ نَبلوهُمْ بلاءً آخَرَ بسببِ فِسْقِهِمُ المُستَمرِّ ، لِيَظْهرَ منهُم المُحسِنُ مِنَ المُسيءِ .

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ .

تَتحدّثُ هذه الآيةُ عنْ أهلِ القريةِ مِنْ بَني إسرائيلَ ، فقَدْ كانوا ثلاثَ فِرَقٍ :

الفِرْقةُ الأُولى : فرقةُ المُعتَدينَ في السَّبتِ المُتجاوِزينَ حدودَ اللهِ تعالى عَمْداً وإصْراراً .

الفِرْقةُ الثّانيةُ : فرقةُ الّلائِمينَ للنّاصِحينَ لِيَأْسِهِمْ مِنْ صلاحِ المُعتَدينَ .

الفِرْقةُ الثّالثةُ : فرقةُ النَّاصِحينَ الواعِظينَ .

والحديثُ في هذهِ الآيةِ عنِ الفِرْقةِ الثّانيةِ ، حيثُ قالتْ فرقةٌ مِنْ أهلِ هذهِ القريةِ لإخوانِهِمُ الّذينَ لَمْ يألوا جُهْداً في نَصيحةِ المُعتَدينَ في السَّبتِ : لِمَ تَعِظونَ قَوْماً لا فائدةَ مِنْ وعْظِهِمْ ولا جَدوى مِنْ تَحْذيرِهِمْ ، لأنَّ اللهَ تعالى قدْ قَضى باسْتِئصالِهِمْ وتَطهيرِ الأرضِ مِنْهمُ ، أوْ بِتَعْذيبِهِمْ عذاباً شَديداً جزاءَ تَماديهِمْ في الشَّرِّ ، وصَمَمِهِمْ عنْ سماعِ المَوْعظةِ . فكانَ ردُّ النَّاصِحينَ عَلَيْهِمْ : إنّ ذلكَ النُّصْحَ لِسَببينِ اثْنَيْنِ :

الأولُ : الاعْتِذارُ إلى اللهِ تعالى مِنْ مَغبَّةِ التَّقصيرِ في واجبِ الأمرِ بالمعروفِ والنّهي عنِ المُنكَرِ .

الثّاني : الأَمَلُ في صَلاحِهِمْ وانْتفاعِهِمْ بالمَوْعِظةِ ، حتَّى يَنجوا مِنَ العقوبةِ ويَسيروا في طريقِ المُهتَدينَ .

ثُمَّ يُبيّنُ اللهُ تعالى هنا عاقبةَ كُلٍّ مِنَ الفِرْقَة النّاهيةِ والعاصِيَةِ ، فيقولُ تَعالى :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ .

فلمّا تَركوا ما وُعِظوا بهِ ، وازْدادوا طُغياناً ، أَنْجَيْنا الّذينَ يَنهَوْنَ عنِ العملِ السَّيءِ مِنَ العذابِ ، وأخَذْنا الّذينِ ظَلَموا واعتَدَوْا وخالَفوا بعذابٍ شديدٍ مُوجِعٍ ، بسببِ اسْتِمرارِهِمْ على الخُروجِ عَنْ طاعةِ ربِّهِمْ تَبارَكَ وتعالى .

﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ .

إنّ اللهَ تعالى عذّبَ هؤلاءِ بالبؤسِ والشَّقاءِ والعَذابِ الموجِعِ الأليمِ فلَمْ يَرتَدِعوا ، فلمَّا قَسوا واستمرُّوا على ما هُمْ عليْهِ مِنَ المعصيةِ ، ولم يرْتَدِعوا وَيَتوبوا إلى رُشْدِهِمْ ، مَسَخَهُم اللهُ تعالى مَسْخاً خُلُقيًا وجِسْمِيّاً ، فكانوا قِرَدةً على الحقيقةِ ، ولكنَّها قِرَدَةٌ خاسِئَةٌ ذليلةٌ .

وتلكَ العقوبةُ كانَتْ جزاءَ إمْعانِهِمْ في المَعاصي ، وتأبِّيهِمْ على قَبولِ النَّصيحةِ ، وضَعْفِ إرادَتِهِمْ أمامَ مُقاومةِ أطْماعِهِمْ ، وانْتِكاسِهِمْ إلى عالَمِ الحيوانِ ، ولِتَخلِّيهِم عنْ خَصائصِ الإنسانِ ، فكانوا حيثُ أرادوا لأنفسِهِمْ مِنَ الصَّغارِ والهَوانِ .

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ للهِ تعالى أنْ يبتَلِيَ عبادَهُ بما شاءَ ، فعلى المُؤمِنِ أنْ يَلتزِمَ ، ولا يَتحايلَ على شَرْعِ اللهِ .

٢ـ لا يتوقّفُ الرَّجلُ الصّالحُ عنِ الأمرِ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ عنِ المُنْكَرِ ، إذا زادَ الكافِرونَ والعُصاةُ في طُغيانِهِمْ .

٣ـ ينبَغي عدمُ اليأسِ منْ كَثْرةِ المَعاصي ، فَقدْ يتوبُ أهْلُها إلى اللهِ تَعالى .

٤ـ العاقبةُ الحَميدةُ للآمِرينَ بالمعروفِ والنّاهينَ عنِ المُنْكَرِ .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

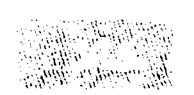
١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :
حاضِرةَ البحرِ ، يَعْدونَ في السّبتِ ، شُرَّعاً ، عَتَوْا .

٢ـ ما العِبْرَةُ مِنْ سؤالِ اليهودِ المُعاصِرينَ للنَّبيِّ ﷺ عنْ ماضي أسْلافِهِمْ ؟

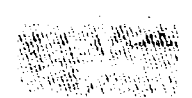
٣ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّ أَهلَ القريةِ كانوا ثلاثَ فِرَقٍ ، وضِّحْ ذلكَ .

٤ـ لِماذا كان النّاصِحونَ يَنْصَحونَ العُصاةَ ؟

٥ـ ذكرَتِ الآياتُ الكَريمةُ عاقِبَةَ أمْرِ المُعْتَدي ، بيِّنْ ذلكَ .



ـ اكْتُبْ في دَفْترِكَ آياتِ سورةِ البقرةِ الّتي تحدّثتْ عنِ المُعْتَدينَ يومَ السَّبتِ وما حَصَلَ لهمُ نتيجةً لذلكَ .



اعْلَمْ أنَّ القومَ الّذينَ مَسَخَهُمُ اللهُ تعالى قِردةً وخَنازيرَ مِنْ بَني إسرائيلَ ماتوا دونَ أنْ يكونَ لهُمْ نَسْلٌ أوْ ذُرِّيَّةٌ ، واللهُ تعالى أعْلَمُ .

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾

أعْلَمَ .

يُذيقُهُمْ ويُكلِّفُهُمْ .

امْتحنّاهُم واختَبرْناهُمْ .

بَدَلُ سَوْءٍ .

ما يَعْرِضُ لهُم مِنْ حُطامِ الدُّنيا .

قَرأوا وعَلِموا ما في التَّوراةِ .

رَفعْناهُ .

غَمامةٌ أو سَقيفةٌ تُظِلُّ مَنْ تحتَها .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى ما تَجرّأَ عليهِ اليهودُ مِنَ الاعْتِداءِ على أوامِرِ اللهِ تَعالى وحُرُماتِهِ ، وأنَّه سُبْحانَهُ عاجَلَهُمْ في الدُّنيا بالعُقوبَةِ المُخزيَةِ ، بيَّنَ سُبْحانَهُ في هذهِ الآياتِ ما توَّعدَ بِهِ بني إسرائيلَ عامّةً مِنْ عُقوباتٍ ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وقَسْوَتِهِمْ وإفْسادِهِمْ في الأرضِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ .

واذْكُرْ يا مُحمَّدُ ﷺ وقْتَ أنْ أعْلَمَ اللهُ تَعالى هؤلاءِ اليهودَ وأسْلافَهُمْ ، بأنَّهُمْ إنْ غيَّروا وبدَّلوا ولَمْ يُؤْمنوا بأنبيائِهِمْ ، لَيُسَلِّطَنَّ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ إلى يوم القيامةِ مَنْ يُذيقُهُمْ سوءَ العذابِ ، كالإذْلالِ وغيرِهِ مِنْ صُنوفِ العذابِ ، إنَّ ربَّكَ سُبْحانَهُ لَسَريعُ العِقابِ لِمنْ أقامَ على الكُفْرِ وجانبَ طريقَ الحقِّ ، وإنّهُ لَغفورٌ رحيمٌ لِمَنْ تابَ وآمنَ وعَمِلَ صالِحاً .

وقدْ يبدو للبعضِ أَنَّ هذا الوعيدَ قدْ توقَّفَ ، بِسَبَبِ ما نَرى لليهودِ الآنَ مِنْ دَوْلةٍ وصَوْلةٍ ، وهذا ليسَ صواباً ، إذْ إنَّ هذا الوعيدَ لمْ يتوقَفْ معَ ما لهُمُ مِنْ دولةٍ ، فإنَّهم ما زالوا مَحَلَّ احْتقارِ النّاسِ وبُغضِهِمْ ، حَسْبُكَ مِنْ ذلكَ ما ينالونَهُ على أيْدي الفئةِ المؤمنةِ المُجاهِدَةِ في فِلَسطينَ نَصَرَهُمُ اللهُ تَعالى . وما قامَتْ لليهودِ تلكَ الدَّوْلةُ في فِلَسطينَ ، إلاّ لأنَّ المُسلمِينَ قدْ فرَّطوا في حقِّ خالِقِهِمْ وفي حقِّ أنفُسِهِمْ ، ولمْ يأخُذوا بالأسْبابِ الّتي شرَعَها اللهُ تَعالى لِلْحَرْب ، فكانتِ النّتيجةُ أنْ أقامَ اليهودُ دَوْلَتَهُمْ في قَلْبِ البلادِ الإسلاميّةِ : فلسطينَ ، وعندْما يعودُ المُسْلمونَ إلى الأخْذِ التّامِّ الكامِلِ بتعاليمِ دينِهِمْ ، وإلى مُباشَرةِ الأسْبابِ الّتي شَرَعَها اللهُ تَعالى مُباشرةً سَليمةً ؛ عندما يفْعَلونَ ذلكَ تعودُ لَهُم عِزَّتُهُمُ المَسْلوبةُ وكرامتُهُمُ المَغْصوبةُ .

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ .

إنّ هؤلاءِ اليهودَ قدْ مزَّقْناهُم في الأرضِ شَرَّ مُمَزَّقٍ ، بِسَبَبِ عِصيانِهِمْ وفُسوقِهِمْ ، وصيَّرناهُم فِرَقاً مُتقطِّعةَ الأوصالِ مُشَتَّتَةَ الأهواءِ ، ومِنْ هؤلاءِ اليهودِ قِلّةٌ آمنَتْ باللهِ تَعالى وملائكتِهِ وكُتبِهِ ورُسلِهِ واليوم الآخرِ ، فَصلَحَ حالُها وحَسُنَتْ عاقبَتُها ، ومِنْهُمْ كَثْرَةٌ مُنْحَطَّةٌ عنْ رُتْبَةِ أولئكَ المؤمنينَ الصّالِحينَ ، بِسَبَبِ فُسوقِهِمْ عنْ أمرِ اللهِ تَعالى وانْتِهاكِهِمْ لِحُرُماتِهِ سُبْحانَهُ . ثمّ أخْبَرَ سُبْحانَهُ أَنّهُ عامَلَهُمْ مُعاملةَ المُبتَلى المُمتَحَنِ تارةً بالنِّعمِ الكَثيرةِ ، كالصِّحةِ والخِصْبِ وسَعَةِ الأرزاقِ ، وتارةً

بالنِّقَمِ المُتنوِّعةِ ، كالجَدْبِ والأمراضِ والشَّدائدِ ، لعلَّهم يَرْجِعونَ إلى طاعةِ ربِّهِمْ ويَترْكونَ ما نُهوا عنْهُ مِنَ المعاصي والسَّيئاتِ .

ويُستفادُ مِنْ هذهِ الآيةِ الكَريمةِ أنَّ القرآنَ الكَريمَ يَستعملُ العَدْلَ والإنْصافَ لِتقريرِ الحقائقِ مَعَ أعدائِهِ وأتباعِه على السَّواءِ ، فهوَ يمدحُ مَنْ يَسْتَحقُّ المديحَ ، ويَذمُّ مَنْ هوَ أَهْلٌ للذَّمِّ .

ثمَّ بيّنتِ السّورةُ الكَريمةُ بعدَ ذلكَ بعضاً مِنْ دعاوى اليهودِ الباطِلَةِ لِغُفرانِ ذُنوبِهِمْ ، مَهْما عَمِلوا مِنَ الآثامِ والمَعاصي ، فقالَ سُبْحانَهُ مُبيِّناً ذلكَ :

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ .

فجاءَ مِنْ بعدِ الّذينَ ذَكَرْناهُمْ ، خَلْفُ سَوْءٍ ورثوا التَّوراةَ عنْ أسْلافِهِمْ ، ولكنَّهُم لم يَعْمَلوا بها ، لأنَّهم آثَروا أَخْذَ مَتاعِ الدُّنيا عِوَضاً عنْ قَوْلِ الحقِّ ، ويَقولونَ في أنْفُسِهِمْ سِرّاً وعَلانيةً : سَيغفِرُ اللهُ تَعالى لنا ما فَعَلْناهُ ، يَرْجونَ المَغفِرَةَ . والحالُ أنّهم إنْ يأتِهِمْ شيءٌ مِثْلُ الّذي أخَذوهُ ، فهُم مُصِرُّونَ على الذَّنْبِ مَعَ طَلَبِ المغفِرةِ ، ثمَّ وبَّخَهُمُ اللهُ تَعالى على طَلَبِهِمُ المغْفِرةَ معَ إصْرارِهِمْ على ما هُمْ فيهِ ، فقالَ : إنّا أخَذْنا عليْهِمُ العَهْدَ في التّوراةِ وقدْ درَسوا ما فيها ، وأُمِروا أنْ لا يَقولوا إلاّ الحقَّ ، فقالوا الباطلَ ، وإنَّ نعيمَ الدّارِ الآخرةِ للّذينَ يتَّقونَ المَعاصي خيرٌ مِنْ متاعِ الدُّنيا ، أتَسْتَمِرُّونَ على عِصْيانِكُمْ فلا تَعقِلونَ أنَّ ذلكَ النَّعيمَ خيرٌ لكُم ، وتُؤثِرونَ عليْهِ متاعَ الدُّنيا . ثمَّ أثنى اللهُ تَعالى على مَنْ تمسَّكَ بكتابِهِ ، فأحَلَّ حلالَهُ وحرَّمَ حرامَهُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾ .

والّذينَ يَسْتَمْسِكونَ بأوامرِ الكتابِ الّذي أنْزلَهُ اللهُ تَعالى ، ويَعتصِمونَ بِحَبْلِهِ في جميعِ شُؤونِهِمْ ، ويَلتزِمونَ بإقامةِ الصَّلاةِ المفروضةِ عَليْهِم ، لأنَّها عُنوانُ الطّاعةِ ؛ إنا لا نُضيعُ أجْرَهُمْ ، لأنَّهم أصْلَحوا دينَهُمْ ودُنْياهُم ، واللهُ تَعالى لا يُضيعُ أجْرَ مَنْ أحسنَ عَمَلاً .

ثمّ خَتمتِ السُّورةُ الكَريمةُ حديثَها الطَّويلَ عنْ بَني إسرائيلَ بتذكيرِهِمْ بالعَهْدِ الّذي أخذَهُ اللهُ تَعالى عليْهِمْ ، وهُوَ يأمُرُهُمْ بالإيمانِ والعَمَلِ الصّالحِ ، فقالَ سُبْحانَهُ مُبيِّناً ذلكَ :

﴿ ۞ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ .

ردَّ اللهُ تَعالى على اليهودِ في قولِهِمْ : إنَّ بَني إسرائيلَ لم تَصْدُرْ منهُم مُخالَفَةٌ في الحقِّ ، فقالَ سُبْحانَهُ : واذكرْ لهُم أيُّها النَّبيُّ ﷺ حينَ رَفَعْنا الجَبَلَ فوقَ رُؤوسِ بَني إسرائيلَ كأنَّهُ غَمامةٌ ، وفزِعوا

لِظنِّهِمْ أنَّهُ واقعٌ عَليْهِم ، وقُلنا لهُم وهُم في هذهِ الحالةِ المُرْعِبَةِ المُخيفةِ : خُذوا ما أَعْطيْناكُمْ مِنْ هُدىً في التَّوراةِ وعَزْمٍ على الطّاعةِ ، وتَذكَّروا ما فيهِ لَعلَّكُمْ تَعتبِرونَ وتَتهذَّبُ نفوسُكُم بالتَّقوى .

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ قَضى اللهُ تَعالى على اليهودِ أنْ لا يَجِدوا راحَتَهُمْ في الدُّنيا بِسَبَبِ فَسادِهِمْ .

٢ـ اللهُ تَعالى سريعُ العِقابِ وهُوَ غَفورٌ رحيمٌ .

٣ـ عَدالةُ القرآنِ في التَّعامُلِ معَ أعداءِ اللهِ تَعالى وأعداءِ الدِّينِ .

٤ـ تحريمُ القولِ على اللهِ تَعالى بغيرِ عِلْمٍ .

٥ـ كلُّ مَنْ سَلَكَ سبيلَ اليهودِ مُعاقَبٌ عندَ اللهِ تَعالى كعِقابِهِمْ .

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يسومُهمُ ، عَرَضَ هذا الأدنَى ، نتَقْنا الجبلَ ، كأنَّهُ ظُلَّةٌ .

٢ـ بيِّنِ القَضاءَ الّذي قضاهُ اللهُ تَعالى على بَني إسْرائيلَ .

٣ـ كيفَ تتبيَّنُ عدالةَ القرآنِ في الحديثِ عنِ اليهودِ منْ خلالِ الآياتِ ؟

٤ـ هاتِ الدّليلَ منَ الآياتِ الكَريمةِ على ما يلي :

أـ تَنوُّعُ البلاءِ في بَني إسرائيلَ .

ب ـ العاجِزُ مَنْ أتْبَعَ نفسَهُ هواها ، وتمنّى على اللهِ تَعالى الأمانِيَّ .

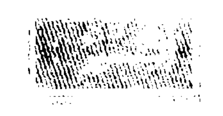
ج ـ مُعاينةُ بَني إسرائيلَ للعذابِ .

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أنَّ بقاءَ اليهودِ يكونُ إمّا بِحَبْلٍ منَ اللهِ أوْ بِحَبْلٍ مِنَ النّاسِ .

سورة الأعراف - المقطع الحادي [illegible]

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

انسلخ منها	: خرجَ مِنها بِكُفْرِه بِها .
أتبعَهُ الشيطانُ	: لَحِقَهُ وأَدْرَكَهُ وصارَ قرينَهُ .
الغاوينَ	الضّالّينَ الهالِكينَ .
أَخْلَدَ إلى الأرضِ	. رَكَنَ إلى الدُّنيا ورضِيَ بِها .
تحمِلْ عليهِ	: تُشَدِّدْ عليهِ وتَزْجُرْهُ .
يلهثْ	: يُخْرِجْ لِسانَهُ بالنَّفَسِ الشَّديدِ .



بَعْدَ أنْ بيَّنتِ الآياتُ السّابقةُ أنَّ بَني إسرائيلَ قدْ نقَضوا عَهدهُم معَ اللهِ تَعالى وطَغَوْا وفَسَدْوا ، أخذتِ السّورةُ في الحديثِ عنْ قضيةِ التَّوحيدِ ، وهيَ فِطْرَةُ اللهِ الّتي فَطَرَ النّاسَ علَيْها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ .

بيّنَ اللهُ تَعالى هُنا هدايةَ بَني آدمَ بِنَصْبِ الأدلّةِ في الكائناتِ بعدَ أنْ بيّنَها عنْ طريقِ الرُّسلِ والكُتُبِ ، فقالَ سُبْحانَهُ : واذكُرْ أيُّها النَّبيُّ ﷺ للنّاسِ حينَ أخرجَ ربُّكَ منْ أصلابِ بَني آدمَ ونَسْلِهِمْ وما يتوالَدونَ قَرْناً بعدَ قَرْنٍ ، ثمَّ نَصَبَ لهُمْ دلائلَ رُبوبيّتِهِ في المَوْجوداتِ ، ورَكَزَ فيهِم عُقولاً وبصائرَ يتمكَّنونَ بِها مِنْ مَعرفةِ اللهِ ، والاسْتدِلالِ بِها على التَّوحيدِ والرُّبوبيّةِ قائلاً لهُم : ألستُ بربِّكمُ ؟ قالوا : بلى أنتَ ربُّنا ، شَهِدْنا بذلكَ على أنْفُسِنا . ثمَّ بَيّنَ اللهُ تَعالى أنَّه فعلَ بِهم هذا الفِعْلَ لِئلاّ يَقولوا يومَ القيامةِ : إنّا كُنّا عنْ هذا التَّوحيدِ غافِلينَ لا نعرفُهُ .

والمقصودُ مِنَ الآيةِ الاحْتِجاجُ على المُشركينَ ، لِمَعرِفَتِهِمْ ربَّهُمُ اللهَ تعالى معرفةً فِطْريَّةً لازمةً لهُم لُزومَ الإقرارِ منهُم والشَّهادةِ . وفي بيانِ أنَّ الإنسانَ يُولَدُ على الفِطْرةِ الّتي هِيَ بيانُ الّدينِ الحقِّ قولُه ﷺ : (ما مِنْ مولودٍ إلاّ يولَدُ على الفِطْرةِ ، فأبَواهُ يُهَوِّدانِهِ أوْ يُنَصِّرانِهِ أوْ يُمجِّسانِهِ)[1] .

﴿ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ .

وفَعْلنا ذلكَ أَيْضاً مَنْعاً لَكُمْ مِنْ أنْ تقولوا يَوْمَ الحساب إنَّ آباءَنا هُمُ الّذينَ سنُّوا هذا الإشْراكَ وساروا عليهِ ، فنحنُ قدَ اتَّبَعناهُم في ذلكَ بِمُقتَضى أَنَّنا أبناؤُهُمْ ، ونَنهجُ نَهْجَهُمْ مِنْ بَعدِهم ، وأنتَ يا ربَّنا حكيمٌ عادلٌ ، فهلْ تؤاخِذُنا بِما فَعلَ آباؤُنا مِنَ الشّركِ وأسَّسوا منَ الباطِلِ ، أو بِفِعْلِ آبائِنا الّذينَ أبْطلوا تأثيرَ العُقولِ وأقوالَ الرُّسلِ . يا ربَّنا قدْ وعدتَ أنّكَ لا تأخذُ الأبناءَ بِفعلِ الآباءِ ، ونحنُ قدْ سَلَكْنا طريقَهُمْ ، والحُجَّةُ عَليْهِمْ بما شَرَعوا للنّاسِ مِنَ الباطِلِ فكيفَ تُؤاخِذُنا ؟

والجوابُ عنْ هذا الباطِلِ الّذي قالوهُ ، أنَّ الإقرارَ بالرُّبوبيّةِ والتَّوحيدِ هُوَ في أَصْلِ فِطْرَتِكُمْ ، فَلِمَ لَمْ تَرجِعوا إليهِ عندَما دَعاكُمْ رسولُنا الكريمُ ﷺ إلى وحدانيةِ اللهِ تَعالى ونَبْذِ الشُّركاءِ ، وإنَّ انقيادَكُمْ

---

(١) رواه البخاري ١/ ٤٥٦ حديث رقم : (١٢٩٣) ، ورواه مسلم ٤/ ٢٠٤٧ حديث رقم : (٢٦٥٨) .

للآباءِ بعدَ أنْ وهبَكُمُ اللهُ تَعالى العُقولَ المُفكِّرةَ ، وأَرسلَ إليكُمُ الرُّسُلَ مُبَشِّرينَ ومُنْذِرينَ لنْ يُعفيَكُمْ مِنَ المَسؤوليةِ ، ولَنْ يُنْقِذَكُمْ مِنَ العذابِ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾ .

ومِثْلُ هذا التّفصيلِ البليغِ نُفصِّلُ لبَني آدمَ الآياتِ والدّلائلَ لِيَسْتَعْمِلوا عُقولَهُمْ ، ولعلَّهم يَرْجِعونَ إلى فِطْرَتِهِمْ ، وما اسْتَكَنَّ فيها مِنْ ميثاقٍ ، وإلى خِلْقَتِهِمْ وما كَمَنَ فيها منْ ناموسٍ ، فالرُّجوعُ إلى الفِطْرةِ القَويمةِ كفيلٌ بغَرْسِ عَقيدةِ التَّوحيدِ في القُلوبِ ، وردِّها إلى بارئِها الواحدِ القهّارِ ، الّذي فَطَرَها على الحقِّ ، وصَرَفَها عنِ الجَهْلِ والتَّقْليدِ .

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ .

ضَرَبَ اللهُ تَعالى مَثَلاً للمُكَذِّبينَ بآياتِهِ المُنزَّلةِ على رسولِهِ ﷺ فقالَ : أقرأْ أيُّها النَّبيُّ ﷺ على قومِكَ ، لِيعتَبروا ويَتَّعِظوا خَبَرَ ذلكَ الإنسانِ الّذي آتيناهُ آياتِنا بأنْ علَّمْناهُ إيّاها ، وفَهَّمناهُ مَراميها ، فانسلخَ مِنْ تلكَ الآياتِ انسلاخَ الجِلْدِ عنِ الشّاةِ ، فأَدْرَكَهُ الشَّيْطانُ ، فصارَ في زُمْرَةِ الغاوينَ الضّالِّينَ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى قَضاءَهُ الّذي لا يُرَدُّ في أمْرِ ذلكَ الإنْسانِ الغاوي ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ .

ولوْ شِئْنا رَفْعَهُ إلى منازِلِ الأبرارِ ، لَرَفعناهُ إليها بِتَوْفيقِهِ لِلْعَمَلِ بتلكَ الآياتِ ، ولكنَّهُ تعلَّقَ بالأرضِ ، ولمْ يَرْتَفِعْ إلى سماءِ الهِدايةِ ، واتَّبَعَ هواهُ فصارَ حالُهُ في قَلَقِهِ الدّائمِ ، وانشغالِهِ بالدُّنيا ، وتفكيرِهِ المُتواصلِ في تَحْصيلِها كحالِ الكَلْبِ في أسوأِ أحوالِهِ ، والكلبُ دائماً يَلهَثُ إنْ زَجَرْتَهُ أو تركْتَهُ ، إذْ يَنْدَلِعُ لِسانُهُ مِنَ التنفّسِ الشَّديدِ . كذلكَ طالِبُ الدُّنيا يَلْهَثُ وراءَ مُتَعِهِ وشَهَواتِهِ دائماً ، إنَّ ذلكَ الوَصْفَ الّذي اتَّصفَ بهِ المُنْسَلِخُ مِنْ آياتِنا ، هوَ وصْفُ جميعِ الّذينَ كذَّبوا بآياتِنا المُنَزَّلَةِ ، فاقْصُصْ على المُشْرِكينَ مِنْ قومِكَ هذا القَصَصَ لِيَتفكَّروا فيُؤْمِنوا .

﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ .

ساءَ مَثَلاً مَثَلُ أولئكَ الّذينَ كذَّبوا بآياتِنا حيثُ شُبِّهوا بالكلابِ ، إمّا في استواءِ الحالَتينِ فهُم ضالُّون ، وُعِظُوا أمْ لم يوعَظوا ، وإمّا في الخِسّةِ ، فإنَّ الكلابَ لا همَّ لها إلاّ تحصيلُ أَكْلَةٍ أوْ شَهْوةٍ ، فمَنْ خَرَجَ عنْ خيرِ الهُدى والعِلْمِ وأقبلَ على هواهُ ، صارَ شبيهاً بالكَلْبِ ، وبِئسَ المَثَلُ

مَثَلُهُ ، وهؤلاءِ النّاسُ لم يَظلِموا إلاّ أنْفُسَهم بفسادِ صَنيعِهِمْ

ثمَّ بيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ الهِدايةَ والضَّلالَ إنّما هيَ بيدِ اللهِ سُبْحانَهُ فقالَ تَعالى :

مَنْ يُوفِّقْهُ اللهُ تَعالى لِسلوكِ سبيلِ الحقِّ فهوَ المُهتَدي حَقّاً ، الفائِزُ بسعادةِ الدّارَيْنِ ، ومَنْ يُحْرَمْ هذا التوفيقَ بسببِ سيطرةِ هواهُ ، فهذا الفريقُ هُمُ الخاسِرونَ .

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ فسادُ التَّقليدِ في الدِّينِ ولا يُعْذَرُ أحدٌ بِكُفْرِهِ .

٢ـ مَعرفةُ اللهِ تَعالى فِطْرِيَّةٌ ضَروريَّةٌ .

٣ـ حُجَجُ الكافِرينَ على باطِلِهِمْ لا تَنفعُهُمْ عندَ اللهِ تَعالى .

٤ـ اللهُ تَعالى يُنوِّعُ الآياتِ ويُفَصِّلُها لِيَعْقِلَ النّاسُ أمْرَها ويعرِفوا خالِقَها .

٥ـ إنّما يُوفِّقُ اللهُ تَعالى لطاعتِهِ مَنْ سلَكَ سبيلَ الهدايةِ والرَّشادِ ، ومَنْ حُرِمَ التَّوفيقَ خَسِرَ الدُّنيا والآخِرَةَ .

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

انْسَلَخَ منْها ، الغاوينَ ، أَخْلَدَ إلى الأرضِ ، تَحْمِلْ علَيْهِ .

٢ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ عَهْدَ الفِطرةِ ، وضِّحْ هذا العهدَ والغايةَ مِنْهُ .

٣ـ ما الغايةُ مِنْ تفصيلِ الآياتِ الكونيّةِ والآفاقيّةِ والنَّفْسيّةِ ؟

٤ـ بيِّنِ المثَلَ الّذي ضَرَبَهُ اللهُ تَعالى لِتاركِ ما أعطاهُ اللهُ تَعالى مِنَ الآياتِ ، ومَنزلةَ هذا المَثَلِ .

* * *

الدَّرسُ الخامسُ والأربعونَ

سورةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الثّاني والثّلاثون

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

ذَرَأنا : خَلَقْنا وأوجَدْنا .

يُلحِدونَ : يَميلونَ ويَنْحَرِفونَ إلى الباطِلِ .

بهِ يعدِلونَ : بالحقِّ يَحْكُمونَ في الخُصوماتِ بَيْنَهُمْ .

سَنَسْتَدرِجُهُمْ : سنأخُذُهُمْ قليلاً ونُدنيهِم مِنَ الهلاكِ بالإنْعامِ والإمْهالِ .

أُمْلي لهُم : أُمْهِلُهُم في العُقوبةِ .

كَيدي مَتينٌ : أَخْذي شديدٌ قويٌّ .

جِنَّةٍ : جُنونٍ .

مَلكوتِ : المُلْكِ العظيمِ .

طُغْيانِهِمْ : تَجاوُزِهِمُ الحدَّ في الكُفْرِ .

يَعْمَهونَ : يَعمَوْنَ عنِ الرُّشدِ أو يَتحيَّرونَ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ بيانِ سُنّةِ اللهِ تَعالى الّتي مَضَتْ بأَخْذِ العَهْدِ على النّاسِ ، وأنّ الإنسانَ مَفطورٌ على مَعْرِفةِ اللهِ سُبْحانَهُ ، بَعْدَ هذا بيّنَ اللهُ تَعالى مَصيرَ مَنْ كَفَرَ باللهِ تَعالى ، وأغْلَقَ حواسَّهُ دونَ الحقِّ والهِدايةِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) ﴾ .

ولقدْ خَلَقْنا كثيراً مِنَ الجنِّ والإنسِ مآلُهُمُ النّارُ يومَ القيامةِ ، لأنَّ لهُمْ قُلوباً لا يَنفُذونَ بها إلى الحقِّ ، وَلَهُمْ أعينٌ لا يَنظُرونَ بها دلائلَ القُدْرةِ ، ولهمُ آذانٌ لا يَسمعونَ بها الآياتِ والمواعِظَ سماعَ تدبُّرٍ واتِّعاظٍ ، أُولئِكَ كالبَهائِمِ لِعدَمِ انتفاعِهِمْ بما وهبَهُمُ اللهُ تَعالى مِنْ عُقولٍ للتدبُّرِ وحواسَّ للإدراكِ ، بلْ هُمْ أضلُّ مِنَ الأنعامِ ، لأنَّ الأنعامَ تَطلبُ منافِعَها ، وتَهْربُ مِنْ مَضارِّها ، وهؤلاءِ لا يُدْرِكونَ ذلِكَ ، أُولئِكَ هُمُ الّذينَ اسْتَحْكَمَتْ غَفلَتُهُمْ .

وبعدَ أنْ بيّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى حالَ المَخلوقينَ لِجَهنَّمَ ، بِسَبَبِ غَفْلَتِهِمْ وإهْمالِهِمْ لِعقُولِهِم وحواسِّهِم ، أعْقبَهُ سُبْحانَهُ وتَعالى بِبيانِ العلاجِ الّذي يُشْفي مِنْ ذلكَ ، وبالنَّهْيِ عنِ اتِّباعِ المائِلينَ عَنِ الحقِّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾ .

وللهِ تَعالى أشْرَفُ الأسماءِ فَسَمّوهُ بِها أيُّها المُؤْمِنونَ ، واتْرُكوا الّذينَ يُلْحِدونَ في أَسمائِه سُبْحانَهُ ، بالمَيْلِ بألْفاظِها أو مَعانِيها عنِ الحقِّ مِنْ تحريفٍ أو تَشْبيهٍ ، أوْ ما يُنافي وَصْفَها بالحُسْنَى ، اتْرُكوا هؤلاءِ جميعاً ، فإنَّهُم سَيلقَوْنَ جزاءَ عَمَلِهِمْ مِنَ اللهِ تَعالى ربِّ العالَمينَ .

ثمَّ تمضي السُّورةُ الكَريمةُ في هَدْيِها وتَوْجيهِها فَتُفصِّلُ صُنوفَ الخَلْقِ ، وتَمدحُ مَنْ يَستحقُّ المَدْحَ ، وتَذُمُّ مَنْ يستحقُّ الذَّمَّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١) ﴾ .

ومِمَّنْ خَلَقْنا مِنَ النّاسِ طائفةٌ يَدْعونَ غيرَهُم للحقِّ بِسَببِ حُبِّهِمْ لَهُ ، وبالحقِّ وَحْدَهُ يَعْدِلونَ في أحكامِهِم ولا يَحيدونَ عنْهُ .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

والّذينَ كذَّبوا بآياتِنا المُنَزَّلَةِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ونترُكُهُمْ حتّى يَصلوا إلى أقصى غاياتِهِمْ ، وذلكَ بإدْرارِ النِّعمِ عَليْهِمْ معَ انْهِماكِهِمْ في الغِنى ، حتّى يُفاجِئَهُمُ الهلاكُ وهمُ غافِلونَ ، ويأتيَهُم مِنْ حيثُ لا يَعلَمونَ .

ثمَّ بيّنَ اللهُ تَعالى طبيعةَ هذا الاسْتدراجِ ، وأنَّه مِنْ سُنّتِهِ سُبْحانَهُ معَ الظّالِمينَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ .

وسَأَمُدُّ لَهُم في الحياةِ غيرَ مُهْمِلٍ لِسَيّئاتِهِمْ ، وتَدْبيري لَهُمْ شديدٌ عَلَيْهِمْ ، يُكافيءُ سَيّئاتِهِمُ الّتي كثُرَتْ بتماديهِمْ في الباطلِ . جاءَ في الحديثِ الشّريفِ : (إنّ اللهَ تَعالى ليُمْلي للظّالِمِ حتّى إذا أخذَهُ لمْ يُفْلِتْهُ)[1] .

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ .

أكذَّبَ هؤلاءِ الظّالِمونَ رسولَهُمْ ﷺ ، ولمْ يتفكَّروا في أنَّه ليسَ بهِ أيُّ شيءٍ مِنَ الجُنونِ ، بلْ هوَ أكملُ النّاسِ عَقْلاً وأَسدُّهُم رأياً ، وأَتْقاهُم نَفْساً ، وليسَ بمجنونٍ كما زَعمتُم أيُّها المُشْرِكونَ ، وإنّما هوَ مبالِغٌ في الإنذارِ مُظْهِرٌ لهُ غايةَ الإظهارِ ، فهوَ لا يُقصِّرُ في تَخويفِكُمْ مِنْ سوءِ عاقبةِ التّكذيبِ ، ولا يَتهاوَنُ في نَصيحَتِكُمْ وإرْشادِكُمْ إلى ما يُصْلِحُ أحْوالَكُمْ . ثمَّ دعاهُمُ القرآنُ الكَريمُ إلى النَّظَرِ والاسْتِدلالِ العَقليِّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

أكَذَّبوا ولمْ يَتفكَّروا في شَأْنِ رسولِهِمْ ﷺ وما هوَ عليْهِ منْ كمالِ العَقْلِ ، ولمْ يَنْظُروا نَظَرَ تأمُّلٍ واعْتِبارٍ واسْتِدلالٍ في مَلَكوتِ السَّمواتِ مِنَ الشَّمسِ والقَمَرِ والنُّجوم وغَيْرِها ، وفي مَلَكوتِ الأرضِ مِنَ البحارِ ، والجبالِ والدَّوابِّ وغيرِها ، ولم يَنْظُروا كذلكَ فيما خَلَقَ اللهُ تَعالى مِمّا يقعُ عليْهِ اسمُ شيءٍ مِنْ أجناسٍ لا يَحْصُرُها العددُ ، ولا يحيطُ بها الوَصْفُ ، ممّا يشهدُ بأنَّ لِهذا الكونِ خالِقاً قادِراً ، هوَ المُسْتَحقُّ وحْدَهُ للعبادَةِ والخُضوعِ ، وكذلكَ أَلمْ يَنْظُروا في اقترابِ آجالِهِمْ وتَوقُّعِ حُلولِها ، فَيُسارِعوا إلى طَلَبِ الحقِّ والتَّوجُّهِ إلى ما يُنْجيهِمْ قبلَ مُفاجأةِ الموتِ لهُم ، ونُزولِ العَذابِ بهِمْ وهُمْ أَتعسُ حالاً . إنَّهم لوْ تفكَّروا في أمرِ رسولِهِمْ ﷺ ولَو نَظَروا فيما خَلَقَ اللهُ تَعالى مِنْ مخلوقاتٍ بِعَيْني التَّدبُّرِ والاتِّعاظِ ، لآمَنوا وهُدوا إلى الصِّراطِ المُسْتقيمِ ، فإذا لم يُؤْمِنوا بالقُرْآنِ ،

---

(١) رواه البخاري : ٤/ ١٧٢٦ حديث رقم (٤٤٠٩) ، ورواه مسلم : ٤/ ١٩٩٧ حديث رقم (١٣/ ٢٥) .

وهوَ أكْمَلُ كُتُبِ اللهِ تَعالى بَياناً وأقْواها بُرْهاناً ، فبأيِّ كلامٍ بَعْدَه يُؤْمِنونَ ؟

ثمَّ يجيءُ التعقيبُ الإلهيُّ على هذا التَّوبيخِ والتَّهديدِ للمُشْرِكينَ بِبيانِ عاقبةِ المُضلِّينَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

مَنْ يُرِدِ اللهُ تَعالى إضْلالَهُ بِسَبَبِ اختيارِهِ للضَّلالةِ ، وعَدَمِ الاسْتِماعِ للحقِّ ، فلا قُدْرَةَ لأَحَدٍ على هدايتِهِ ، واللهُ سُبْحانَهُ يَتْرُكُ هؤلاءِ الضّالّينَ في طُغْيانِهِمْ ، مُتَحَيِّرِينَ مُتَرَدِّدينَ لا يَهْتَدونَ سَبيلاً .

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

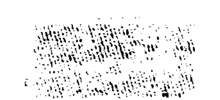
١ـ الكُفّارُ أرْذَلُ حالاً مِنَ الأنعامِ ، لأنَّهم عطَّلوا وسائلَ الإدْراكِ عِنْدَهُمْ .

٢ـ الطَّريقُ إلى اللهِ تَعالى دُعاؤُهُ بأسْمائِهِ الحُسْنَى ، والالتزامُ بِمُقْتَضياتِ مَعانيها .

٣ـ لا يَعْدَمُ الزّمانُ أُمَّةً تهدي بالحقِّ وتَحتكِمُ إليهِ .

٤ـ اللهُ عزَّ وجلَّ يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ .

٥ـ على الإنسانِ أنْ يُعْمِلَ عقلَهُ فيما يخصُّ اللهَ تَعالى تدبُّراً وتفكُّراً واسْتِدْلالاً .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

ذَرَأْنا ، يُلْحِدونَ ، يَعْدِلونَ ، جِنَّةٌ ، مَلَكوتِ ، كَيْدِي متينٌ .

٢ـ لماذا كانَ الكُفّارُ أذلَّ حالاً مِنَ الأَنْعامِ ؟

٣ـ ما الطَّريقُ إلى اللهِ تَعالى ؟

٤ـ ماذا صَنَعَ اللهُ تَعالى للمكذِّبينَ بآياتِهِ ؟

٥ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ ضرورةَ التَّفكُّرِ والتَّدبُّرِ ، وضِّحْ ذلكَ .

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حديثاً يُبيِّنُ عددَ أسماءِ اللهِ الحُسنى وفَضْلَ إحصائِها .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آخِرَ آيةٍ منْ سورةِ المُرْسَلاتِ ، وتَوجيهَ الرّسولِ ﷺ لِمنْ يَقرؤها .

٣ـ اكْتُبْ مَوْضوعاً في حدودِ الصّفحةِ عنْ حواسِّ الإنسانِ الّتي خلَقَها اللهُ ، وكيفَ تكونُ سَبَباً في هِدايتهِ ، واقْرَأ المَوْضوعَ على طلبةِ المدرسةِ في طابورِ الصّباحِ .

* * *

الدَّرسُ السَّادسُ والأربعونَ

سورةُ الأعرافِ - القِسمُ الثّالثُ والثّلاثونَ

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

معاني المفردات :

أيانَ مُرْساها : متى إثباتُها ووُقوعُها .

لا يُجلِّيها : لا يُظْهِرُها ولا يَكْشِفُ عنْها .

حَفِيٌّ عَنْها : كثيرُ السُّؤالِ والاسْتِفْسارِ عنْها .

التفسير :

بَعْدَ أن بيّنَ اللهُ تَعالى أنَّ المشركينَ عَطَّلوا عُقولَهُمْ وحَواسَّهُمْ ، ذَكَرتِ السُّورةُ الكَريمةُ ما يتعلّقُ بِأَمْرِ السّاعةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ .

يسألونَكَ يا مَحمَّدُ ﷺ عنِ السّاعةِ متَى تكونُ ؟ فقُلْ لَهمْ : إنّما عِلْمُها عندَ ربِّي وَحْدَهُ تبارَكَ وتَعالى ، وإليهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كلُّهُ ، لا يُجلِّيها لِوَقْتِها ، ولا يُظْهِرُ أمْرَها ، ولا يَكْشِفُ خَفاءَ عِلْمِها إلاّ هو وَحْدَهُ ، فلا يُطْلِعُ أحداً مِنْ خَلْقِه على وَقْتِها ، ولَوْ كانَ مَلَكاً مُقرَّباً أو نَبيّاً مُرْسَلاً ، عَظُمَ أَمْرُها

عندَ الملائكةِ والثَّقَلَيْنِ في السَّماءِ والأرضِ . والخفاءُ وقتُها وطولُ أَمْرِها ، وشِدَّةُ وقْعِها ، فهُم مُضْطَرِبونَ خائِفونَ ، لا تأتِيكُم أيُّها النّاسُ الساعةُ إلاّ بغتةً ، وأَنتمُ مُنْهَمِكونَ في الدُّنيا وتَعميرِها .

عَجباً للنَّاسِ يَسْأَلونَكَ يا مُحمَّدُ ﷺ كأنَّكَ شديدُ الحِرْصِ لِلْعِلْمِ بِها ، والسُّؤالِ عَنْها ، قلْ لهمْ : إنَّما عِلْمُها عندَ اللهِ تَعالى عالمِ الغيبِ والشّهادةِ ، ولكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يعلَمونَ السِّرَّ في إخْفائِها ، فلوْ عُلِمَ وقْتُها لاضْطَربَ نِظامُ الكَوْنِ واختلَّ العِمْرانُ ، وإنّما أَخفى اللهُ تَعالى عِلْمَها لِحِكَمٍ يَعْلَمُها ، ولِيُنَشِّطَ النّاسَ في الاسْتِعدادِ لها في كلِّ وقتٍ . وللسّاعةِ أشراطٌ وعلاماتٌ ، وردَتْ في القرآنِ الكَريمِ والسُّنَةِ النبويّةِ .

وبعدَ ذلكَ أمَرَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ أنْ يُبيِّنَ للنّاسِ أنَّ كلَّ الأُمورِ بيدِ اللهِ تَعالى ، وأنّ عِلْمَ الغَيْبِ كُلِّهِ مَرْجِعُهُ إلى اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ .

قلْ يا مُحمَّدُ ﷺ : أنا بَشَرٌ شَرُفْتُ بالرِّسالةِ ، وحَملْتُ تلكَ الأمانةَ ، فَلا أملِكُ لِنَفْسي أيَّ نَفْعٍ كانَ ، ولا أدفعُ عَنْ نفسِي أيَّ ضَرَرٍ كانَ ، إلاّ ما شاءَ اللهُ تَعالى ، وأنا بشيرٌ لا أعلمُ الغيبَ ، إنَّما الغَيْبُ عندَ اللهِ تَعالى وحْدَهُ ، فكيفَ تسألوني عنِ السّاعةِ كأنّي حَفِيٌّ عنها ؟ أما لوْ كنتُ أعلَمُ الغَيْبَ حَقيقةً لاسْتَكْثَرْتُ مِنْ كلِّ خيرٍ لِعِلْمي بِأَسْبابِهِ ، ولَدَفَعْتُ عَنْ نَفْسي كلَّ سوءٍ باجْتِنابِ أسْبابِهِ وموجِباتِهِ ، ما أنا إلاّ نذيرٌ بالعَذابِ ومُبَشِّرٌ بالثَّوابِ لقومٍ يؤمنونَ بالحقِّ ويُذْعِنونَ لَهُ .

وبِهذا الإعلانِ مِنْ جانبِ الرَّسولِ ﷺ للنّاسِ عنْ وظيفَتِهِ ، تَتِمُّ لعقيدةِ التَّوحيدِ الإسلاميَّةِ كلُّ خصائصِ التَّجريدِ المُطْلَقِ مِنَ الشِّركِ في أيَةِ صورةٍ مِنْ صُوَرِهِ ، وتَنْفَرِدُ الذّاتُ الإلهيّةُ بِخصائِصَ لا يُشارِكُها فيها بَشَرٌ ، ولوْ كانَ هذا البَشَرُ مُحمَّداً ﷺ ، فعندَ عَتَبةِ الغَيْبِ تَقِفُ الطّاقةُ البَشريَّةُ ، ويَقِفُ العِلْمُ البَشريُّ وتَقِفُ القُدْرةُ البشريَّةُ ؛ إذْ إنَّ عِلْمَ الغيبِ إنَّما هُو للهِ تَعالى الّذي لا يَخْفى عليْهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ لا يَعْلَمُ وقْتَ السّاعةِ إلاّ اللهُ تَعالى ، فهي لا تَأْتي إلاّ بَغْتَةً .

٢ـ لا أحَدَ يَمْلِكُ لِنفسِهِ نَفْعاً أو ضَرّاً ، إنّما مردُّ ذلكَ للهِ تَعالى وحْدَهُ .

٣ـ وظيفةُ الرُّسلِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ التَّبشيرُ والإنذارُ .

التَّقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

أيّانَ مُرْساها ، لا يُجَلِّيها ، ثَقُلَتْ ، حَفِيٌّ عنْها .

٢ـ لِماذا يُكْثِرُ النّاسُ السُّؤالَ عنِ السّاعةِ ؟

٣ـ لِماذا أخْفى اللهُ تَعالى أمْرَ السّاعةِ عنِ النّاسِ ؟

٤ـ إذا كانَ الغيبُ للهِ ، فماذا على الإنسانِ أنْ يَفْعَلَ ؟

٥ـ بيِّنْ وظيفةَ الرَّسولِ الكَريمِ ﷺ كما ذَكَرتِ الآياتُ الكَريمةُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ يس الّتي تُبيِّنُ المَعنى الواردَ في الآيةِ (١٨٧) .

٢ـ ارْجِعْ إلى كتابِ : « رياضِ الصّالِحينَ » واسْتَخْرِجْ منهُ بعضاً مِنْ أشراطِ السّاعةِ ، ودوِّنْ ذلكَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ السَّابعُ والأربعونَ

سورةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الرّابعُ والثّلاثونَ

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾

معاني المفرداتِ :

تَغشَاها : أتاها وعاشَرها مُعاشرةَ الزَّوْجِ لِزَوجِهِ .

فمَرَّتْ بِهِ : اسْتَمَرَّتْ بِهِ بغيرِ مَشقّةٍ .

أَثقَلتْ : صارَتْ ذاتَ ثِقْلٍ بكِبَرِ الحَمْلِ .

صالحاً : نَسْلاً صالِحاً في الفِطْرَةِ والجسمِ .

جَعَلا لهُ شُركاءَ : اسْدَوْا نعمةَ اللهِ تَعالى لِمنْ لا يَستحقُّها ، سواءٌ مِنَ الشَّيْطانِ أمْ مِنَ الأوثانِ .

التّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ تحدَّثتِ السُّورَةُ الكَريمةُ عنْ أمْرِ السّاعةِ وبيانِ وَظيفةِ الرُّسلِ ، تَبِعَ ذلكَ حديثٌ عنْ بعضِ مظاهِرِ قُدْرةِ اللهِ ، وأدلَّةِ وَحْدانيّتِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ مُبيِّناً ذلكَ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ .

إنّ الّذي يَستَحِقُّ العِبادةَ والخُضوعَ ، والّذي عندَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ هوَ اللهُ تَعالى ، الّذي خَلَقَكُمْ مِنْ

نَفْسٍ واحدةٍ هيَ نفسُ أبيكُمْ آدمَ ، وَجَعَلَ مِنْ نوعِ هذهِ النَّفْسِ وَجِنْسِها زَوْجَها حواءَ ، لِيَطْمَئِنَّ إليْها ، ويَميلَ إليْها ولا يَنْفِرُ ، لأنَّ الجِنْسَ إلى جنسِهِ أمْيَلُ وبهِ آنَسُ . وإذا كانتْ هذهِ النَّفْسُ جُزْءاً منهُ ، كانَ السُّكونُ والمَحبّةُ أبلغَ ، كما يَسْكُنُ الإنسانُ إلى ولدِهِ ويُحبُّهُ مَحبَّةَ نفسِهِ لكونِهِ بِضْعَةً مِنْهُ .

فالأصلُ في الحياةِ الزوجيّةِ هُوَ السَّكَنُ والاطْمِئْنانُ والأُنْسُ والاسْتِقرارُ ، وهذهِ نَظرةُ الإسلامِ إلى تلكَ الحياةِ .

فلمّا تغشَّى الزَّوجُ الّذي هُوَ الذَّكرُ ، حَمَلَتِ الزَّوجةُ مَحمولاً خَفيفاً هُوَ الجنينُ عندَ كونِهِ عَلَقةً ومُضْغَةً ، وحينَ صارتِ الأمُّ ذاتَ حَمْلٍ ثقيلٍ ، تَوجَّها إلى اللهِ بالدُّعاءِ يَدعوانِهِ بِضَراعةٍ وَطَمعٍ بقولِهِما : لئنْ رَزَقْتَنا يا ربُّ نَسْلاً سَوِيّاً تامَّ الخِلْقَةِ يَصْلُحُ للأعمالِ الإنسانيّةِ النَّافعةِ لَنكونَنَّ مِنَ الشّاكِرينَ لكَ على نَعمائِكَ الّتي مِنْ أَجَلِّها هذهِ النِّعمةُ .

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

واسْتَجابَ اللهُ تَعالى للزَّوجيْنِ ورزَقَهُما الولدَ الصّالحَ ، فماذا كانتِ النَّتيجةُ ؟ لَقدْ كانتِ النَّتيجةُ عدَمَ الوفاءِ بالعَهْدِ للهِ تَعالى ، ذلكَ أنّهُ حينَ رزَقَهُما اللهُ تَعالى الولَدَ الصّالِحَ الّذي كانا يَتَمَنَّيانِ ، جعلا للهِ سُبْحانَهُ وتَعالى شُركاء في هذا العَطاءِ وهذا الرّزقِ وأخلاّ بالشُّكْرِ في مقابِلِ النّعمَةِ أسْوأَ إخْلالٍ ، حيث نَسَبا هذا العطاءَ إلى الأصنامِ والأَوثانِ ، أو إلى كلِّ ما يتنافي معَ وحدانية اللهِ تَعالى . وهذا الشرّكُ كان من ذريّةِ آدمَ ، فقد أشْرَكوا باللهِ وعبدوا الأوثانَ . تنزّه اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى عَنْ شِرْكِ هؤلاء الجاحِدينَ الأغبياء الّذينَ يُقابِلون نِعَمَ اللهِ بالإشْراكِ والكُفْرانِ . ثمَّ أخذتِ السُّورَةُ بعدَ ذلكَ في تَوْبيخِ هؤلاءِ المُشْرِكينَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾

أيشرِكونَ باللهِ تَعالى ما لا يَخلُقُ شيئاً مِنَ الأشياءِ مَهْما يَكُنْ حَقيراً ، بلْ إنَّ هذهِ الأصنامَ الّتي تُعْبَدُ منْ دونِ اللهِ تَعالى مَخلوقةٌ ومَصنوعةٌ ، فكيفَ يَليقُ بسليمِ العَقْلِ أنْ يَجْعَلَ المَخلوقَ العاجِزَ شَريكاً للخالِقِ القادرِ الّذي خَلَقَ كُلَّ شيءٍ ؟

إنَّ هؤلاءِ الشُّرَكاءَ : الأصنامَ وأمثالَها ، فَضْلاً عنْ كَوْنِها مَخلوقةً ، فإنَّها لا تَجْلِبُ لعابِدِها نَصْراً على أعدائِهِ ، بلْ إنّها لا تَستطيعُ أنْ تَدْفَعَ عَنْ نَفْسِها شَرّاً ، ومَنْ كانَتْ هذهِ صِفَتُهُ ، كيفَ يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى ؟ قالَ تَعالى :

﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾

ثمَّ بيّنَ سُبْحانَهُ عَجْزَ الأَصْنام عمّا هو أدنَى مِنَ النَّصْرِ المَنْفِيِّ عنهُم وأيْسَرُ ، وهوَ مُجرَّدُ الدّلالةِ على المَطلوبِ مِنْ غيرِ تَحصيلٍ للطّالب ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ .

وإنْ تَدْعوا أيُّها العابِدونَ الأصنامَ لِيُرْشِدوكُمْ إلى ما تُحبُّونَ ، لا يُجيبونكُم إلى مُرادِكُمْ ، فَمُسْتَوٍ عِنْدَكُم في عَدَمِ الفائدةِ دُعاؤكُمْ إيّاهُمْ ، وسُكوتُكُمْ ، فإنَّهُ لا يَتغيَّرُ حالُهُمْ في الحالَتيْنِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ خَلَقَ اللهُ الإنسانَ مِنْ نَفْسٍ واحدةٍ وخَلَقَ زوجَهُ مِنْهُ .

٢ـ سُرْعةُ نَقْضِ الإنسانِ عَهْدَهُ معَ اللهِ تَعالى بسببِ اسْتيلاءِ الشَّهَواتِ على نفسِهِ .

٣ـ تَنبيهُ العقولِ السَّليمةِ إلى عَجْزِ الأصْنامِ التّامِّ عنْ فِعْلِ أيِّ شيءٍ مَهما كانَ صَغيراً .

٤ـ حِلْمُ اللهِ تَعالى على المشرِكينَ ، فلَمْ يُعاجِلْهُمْ بالعُقوبةِ ، ولكنَّ اللهَ يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ .

التَّقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

تَغشّاها ، مرَّتْ بِهِ ، أَثقلَتْ .

٢ـ بيِّنْ طبيعةَ الإنسانِ كما ذكرتِ الآياتُ الكَريمةُ .

٣ـ بيِّنْ حقيقةَ الشُّركاءِ كما وردَ في الآياتِ الكَريمةِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آيةً تدلُّ على أنَّ الزَّواجَ سَكَنٌ ومودةٌ ورَحْمَةٌ .

٢ـ ارْجِعْ إلى كُتبِ السِّيرةِ النَّبويَّةِ ، وتدبَّرْ كيفَ أسلَم عمرُو بنُ الجموحِ ، واكتبْ ذلكَ على ورقةٍ وضَعْها في مجلةِ المدرسةِ .

* * *

الدَّرسُ الثامنُ والأربعونَ

سورةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الخامسُ والثّلاثونَ

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾

معاني المفردات :

فَلا تُنْظِرونِ : فلا تُمهلونِ .

لاَ يُبصِرونَ : لَيْسَ عِنْدَهم قُدْرَةٌ على الإبْصارِ لِعَمى قلوبِهِمْ .

خُذِ العَفْوَ : خُذِ اليسيرَ السَّهْلَ في مُعاملةِ النّاسِ .

بالعُرْفِ : المَعروفِ شَرْعاً .

التّفسيرُ :

بيّنَ اللهُ تَعالى في الآياتِ السّابقةِ عَجْزَ الأصنام عنْ إفادةِ شُرَكائِهِمْ . والآياتُ الكَريمةُ هُنا تُبيّنُ حقيقةَ الأصنامِ تبياناً شافياً لِذي العَيْنَيْنِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ .

إنّ هذهِ الأصنامَ الّتي تَعبدونَها مِنْ دونِ اللهِ تَعالى أو تُنادونَها لِدَفْعِ الضُّرِ أوْ جَلْبِ النَّفعِ ، ما هُمْ

إلاّ عبادٌ أمثالُكُم ، في كَوْنِها مَخلوقةً ومَمْلوكةً للهِ ، مُسخَّرةً مُذلّلةً لِقُدْرتِهِ ، كَما أنَّكُم أنتُم كذلكَ ، فكيفَ تَعبدونَها أو تُنادونَها ؟ فإنْ كُنْتُمْ صادِقينَ في زَعْمِكُمْ أنَّهُمْ يَقدِرونَ على شيءٍ ، فاطْلبُوهُ منهُم فَلْيُحقِّقوهُ لكُمْ ، وهذا مُحالٌ ، لأنَّها لا تَستطيعُ ذلكَ .

﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾

بلْ إنَّ هذهِ الأصنامَ أقلُّ مِنْكُمْ في الخَلْقِ والتّكوينِ ، انظُروا إليْها وتَدبّروا ، أَلَهُمْ أرْجُلٌ يَمشونَ بِها ؟ أو أيدٍ يَدْفعونَ بِها الضُّرَ عنكُمْ وعنهُم ؟ أوْ أعينٌ يُبصِرونَ بها ؟ أوْ آذانٌ يَسمعونَ بِها ما تَطلبونَ فَيُحقِّقونَهُ لكُم ؟ ليسَ لهُم شيءٌ منْ ذلكَ ، فيكفَ تُشْرِكونَهُمْ معَ اللهِ تَعالى ، وإذا كُنتُمْ تَتوهَّمونَ أنَّها تُنْزِلُ الضُّرَّ بي أوْ بأحدٍ غَيْرِي ، فَنادوها ودبِّروا لي معَها ما تشاءونَ مِنْ غيرِ إمْهالٍ وانتِظارٍ ، فإنَّها لنْ تَستطيعَ شيئاً ، فلا تُمْهِلونِ فإنِّي لا أُبالي بها .

ثمَّ بَيَّنَ الرَّسولُ ﷺ الأسبابَ الّتي دعَتْهُ إلى تَحدِّي المشرِكينَ بِفَضْحِ أصنامِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى :

﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾

قلْ يا مُحمَّدُ ﷺ لِهؤلاءِ الضّالينَ : إنَّني ما تَحدَّيتُكمْ وطَلَبْتُ كَيْدَكُم وكَيْدَ أصنامِكُمْ إنْ كنتُم أنتُم وهُم تَقْدِرونَ على ذلكَ ـ على سبيلِ الفَرَضِ ـ إلاّ لأنّي مُعتَزٌّ باللهِ تَعالى وحْدَهُ ، فهُوَ ناصِري ومُتولّي أمْري ، وهوَ سُبْحانَهُ الّذي نَزّلَ هذا القرآنَ لأُخْرِجَكُمْ بِهِ مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ ، وقدْ جَرَتْ سُنَّتُهُ سُبْحانَهُ أنْ يتولّى الصّالِحينَ ، وأنْ يجعلَ العاقِبَةَ لهُم .

﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾

والّذينَ تَعبدونَهُمْ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى ، أوْ تُنادونَهُمْ لِدَفْعِ الضُّرِّ أو جَلْبِ النَّفْعِ ، لا يَسْتَطيعونَ نَصْرَكُمْ في أيِّ أمرٍ مِنَ الأُمورِ ، وفَضْلاً عنْ ذلكَ فَهُمْ لا يَستطيعونَ رَفْعَ الأذى عنْ أنفسِهِمْ إذا ما اعْتَدى عليْهِم مُعْتَدٍ .

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

وإنْ تَسْأَلوا هذهِ الأَصْنامَ الهِدايةَ إلى ما فيهِ خَيْرُكُمْ ، لا يسْمَعوا سُؤالَكُمْ ، فَضْلاً عَنْ إرشادِكُمْ ، وإنَّكَ لَتراهُمْ في مُقابلِكَ كأنَّما يَنظُرونَ إليكَ ، وهُم في الحَقيقةِ لا يُبْصِرونَ شيئاً .

وبذلك تكونُ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ قدْ وبَّختِ المُشركينَ وآلهتَهُمْ أعظَمَ تَوْبيخٍ ، وأثْبَتَتْ بالأدلَّةِ المَنطقيَّةِ الحَكيمةِ وبوسائلِ الحِسِّ والمُشاهدةِ ، أنَّ هذهِ الأَصْنامَ لا تملِكُ لِنَفْسِها نَفْعاً ولا ضرّاً ، وأنَّ الّذينَ قالَوا في شأنِها : (ما نَعبُدُهُمْ إلاّ لِيُقرِّبونا إلى اللهِ زُلْفى) هُمْ قومٌ غافِلونَ جاهِلونَ قدْ

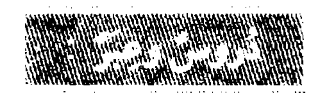
هَبَطوا بِعُقولِهِمْ إلى أحطِّ الدَّرَجاتِ ، لأنَّهُم يَتقرَّبونَ إلى اللهِ زُلْفى عنْ طريقِ ما لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ، ولا يُغني عنهُم شيئاً ، بلْ لا يستطيعُ أنْ يدفعَ الأذى عنْ نفسِهِ .

وفي الوقتِ نفسِه ، فإنَّ هذهِ الآياتِ الكَريمةَ دعوةٌ قويَّةٌ لكلِّ عاقِلٍ إلى أنْ يَجْعَلَ عِبادَتَهُ وخُضوعَهُ للهِ تَعالى الواحدِ القهّار . ثمَّ تتَّجهُ السُّورَةُ الكَريمةُ بعدَ ذلكَ إلى شَخْصِ الرَّسولِ ﷺ ، فتَرْسُمُ لهُ ولكلِّ عاقلٍ مُعامَلَتَهُ للخَلْقِ على وجْهٍ يَقيهِ شرَّ الحَرَجِ والضِّيقِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ .

خُذْ ما عفَى وسَهُلَ وتَيسَّرَ مِنَ الأخلاقِ في مُعاملةِ النّاس ، وأرْضَ منهُم بما تَيسَّرَ مِنْ أعْمالِهِمْ ، وتَسهَّلْ مِنْ غيرِ كُلْفةٍ ، ولا تطلبْ منهُم ما يَشقُّ عليْهِم ويُرْهِقُهُمْ حتّى لا ينفِروا ، وكنْ ليّناً رَفيقاً في مُعامَلةِ أَتباعِكَ ، فإنَّكَ لَوْ كُنتَ فظّاً غليظَ القلبِ لانْفَضّوا مِنْ حَوْلِكَ وترَكوكَ ، وأْمُرْ غيرَكَ بالمعروفِ المُسْتَحْسَنِ مِنَ الأفعالِ ، وهوَ كلُّ ما عُرِفَ حُسْنُهُ في الشّرْعِ ، فإنَّ ذلكَ أجْدَرُ بالقَبولِ مِنْ غيرِ نَكيرٍ ، فإنَّ النُّفوسَ حينَ تتعوَّدُ الخَيْرَ الواضِحَ الّذي لا يحتاجُ إلى مُناقشةٍ وجدالٍ ، يَسْهُلُ قيادُها وتَوْجيهُها ، وأمَرَهُ أنْ يُعْرِضَ عنِ الجاهِلينَ الّذينَ لا يُدْركونَ قِيَمَ الأشياءِ والأشخاصِ والكَلماتِ فيما يَبْدُرُ منهُم مِنْ أنواعِ السَّفاهةِ الإيذاءِ ، لأنَّ الرَّدَّ على أمثالِ هؤلاءِ ومُناقَشَتَهُمْ لا يُؤدّي إلى خَيْرٍ ولا ينتَهي إلى نَتيجةٍ ، والسُّكوتُ عنهُم احترامٌ للنَّفسِ الإنسانيَّةِ واحترامٌ للعُقولِ ، وقدْ يُؤدّي الإعْراضُ عَنْهُمْ إلى تَذليلِ نُفوسِهِمْ وتَرْويضِها .

وهذهِ الآيةُ الكَريمةُ على قِصَرِها تَشْتَمِلُ على مَكارِمِ الأخلاقِ فيما يتعلَّقُ بِمُعاملةِ الإنسانِ لأخيهِ الإنسانِ ، وهي طريقٌ قويمٌ لكلِّ ما تطلبُهُ الإنسانيَّةُ الفاضِلةُ لأبنائِها الأبرارِ .



تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الاسْتِدلالُ بالمَحْسوسِ المَلْموسِ الواضحِ المُشاهَدِ ، أقصرُ الطُّرُقِ للوُصولِ للنَّتيجَةِ .

٢ـ بيانُ عجزِ المَعبوداتِ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى وقُصورِها الواضحِ .

٣ـ ولايةُ المؤمنينَ الصّالِحينَ للهِ تَعالى فَقط .

٤ـ الإسلامُ دعوةٌ إلى مكارِمِ الأخلاقِ .

٥ـ الإعْراضُ عنِ الجاهِلينَ مَسْلَكُ الصّالحينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

فلا تُنْظِرونِ ، لا يُبْصِرونَ ، خُذِ العَفْوَ ، العُرْفِ .

٢ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ لِذَوي العقولِ السَّليمةِ فسادَ معبوداتِ المُشْرِكين ، وضِّحْ ذلكَ .

٣ـ ما الّذي دعا الرَّسولَ ﷺ إلى تحدِّي المُشْرِكينَ وفَضْحِ مَعبوداتِهِمْ ؟

٤ـ الإسلامُ دعوةٌ إلى مكارِمِ الأخلاقِ ، وضِّحْ ذلكَ .

٥ـ أمَرَ اللهُ تَعالى رسولَهُ ﷺ في الآيةِ الأخيرةِ (١٩٩) بثلاثةِ أشياءَ ، اذْكُرْها وبيِّنْ مَعناها ومُؤَدّاها .

نَشاطٌ :

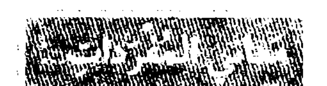
ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سورةِ « يس » الّتي تُبيِّنُ عَجْزَ آلهةِ المُشْرِكينَ ودفاعَهُمْ عنْها .

* * *

الدرس الثاني والأربعون

سورةُ الأعرافِ - القِسمُ السّادسُ والثّلاثونَ

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾



يَنزَغَنَّكَ : يُصيبَنَّكَ .

نَزْغٌ : وَسْوَسةٌ .

مَسَّهُم طائفٌ : أصابَتْهُمْ وَسْوَسَةٌ .

تذكَّروا : فَطِنوا بِسُرْعةٍ إلى أمْرِ اللهِ تَعالى ونَهيهِ وعَداوةِ الشَّيطانِ .

يَمُدُّونَهُمْ في الغَيِّ : تُعاوِنُهمُ الشَّياطينُ في الضَّلالِ .

لا يُقْصِرونَ : لا يَكفُّونَ عنْ إغوائِهِمْ .

اجْتَبَيْتَها : اخْتَلَقْتَها واخْتَرَعْتَها منْ عندِكَ .

هذا بَصائرُ : القرآنُ حُججٌ بيِّنةٌ وبراهينُ منيرةٌ .

تَضَرُّعاً : مُظْهِراً الضَّراعةَ والذِّلَّةَ .

خيفَةً : خائِفاً مِنْ عقابِ اللهِ تَعالى .

بالغُدوِّ والآصالِ : أوائلِ النَّهارِ وأواخِرِهِ ، أيْ في كلِّ وقتٍ .



بَعْدَ أنْ بينتِ الآياتُ السّابقةُ أنَّ دينَ الإسلامِ هوَ خيرُ الأدْيانِ ، وذلكَ بفضحِ شِرْكِ المُشْرِكينَ وتَزييفِ عِبادَتِهِمْ ، وحَضَّتِ الآياتُ على مَكارِمِ الأخْلاقِ ، بدأَتِ الآياتُ هُنا بالتَّحذيرِ مِنْ مَسالِكِ الشَّيطانِ وطُرُقِه ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

وإنْ تَعْرِضْ لكَ منَ الشَّيطانِ وَسْوَسةٌ تُثيرُ غَضَبَكَ ، وتَحْمِلُكَ على خِلافِ ما أُمِرْتَ بهِ منْ أخذِ العَفْوِ والأَمْرِ بالمَعْروفِ ، والإعْراضِ عنِ الجاهِلينَ ، فالْتَجِىءْ إلى اللهِ تَعالى ، واسْتَعِذْ بحِماهُ ، فإنَّه سُبْحانَهُ سميعٌ لِدُعائِكَ ، عليمٌ بكلِّ أحْوالِكَ ، وهَوَ وحدَهُ الكَفيلُ بِصَرْفِ وَسْوسَةِ الشَّياطينِ عنْكَ ، وحِفْظِكَ منْ هَمَزاتِه ونزَغاتِهِ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ حالَ المُتَّقينَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ .

إنَّ الّذينَ اتَّقَوا اللهَ تَعالى وصانوا أنْفُسَهُمْ عنْ كلِّ ما يُغْضِبُهُ ، إذا مَسَّهُم شيءٌ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيطانِ ونزَغاتِهِ الّتي تُلهيهِمْ عنْ طاعةِ اللهِ تَعالى ومُراقَبَتِه ، تَذكَّروا وفَطِنوا إلى أنَّ المَسَّ إنَّما هُوَ مِنْ عِنْدِ عَدُوِّهِمُ الشّيطانِ الرَّجيمِ ، فَعادوا سَريعاً إلى طاعةِ اللهِ تَعالى ، والخوفِ مِنْ مَقامِهِ ، ونَهْيِ أنْفُسِهِمْ عنِ اتِّباعِ هَمَزاتِ الشَّياطينِ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ ما يَدُلُّ على أنَّ مَسَّ الشَّيطانِ قدْ يُغْلِقُ بصيرةَ الإنسانِ عنْ كلِّ خيرٍ ، ولكنَّ التَّقوى هي الّتي تَفتحُ هذهِ البَصيرةَ ، وهيَ الّتي تَجْعَلُ الإنسانَ دائِماً يَقِظاً مُتَذَكِّراً لِما أَمَرَهُ اللهُ تَعالى بهِ ، أو نَهاهُ عنْهُ ، فَينتَصِرُ بذلكَ على وَساوسِ الشَّيطانِ وهَمَزاتِهِ ، وتَبقَى بَصيرتُهُ على أحْسَنِ ما تكونُ صَفاءً ونقاءً وكَشْفاً .

ثمّ بيَّنَ اللهُ تَعالى أحوالَ الّذينَ لمْ يَتَّقوا اللهَ تَعالى ، ولَم يَلْجَأوا إلى حِماهُ ، ولَمْ يَخافوهُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ .

وإخوانُ الشَّياطينِ مِنَ المشركينَ والغافِلينَ تَزيدُهُمُ الشَّياطينُ مِنَ الضَّلالِ ، عَنْ طريقِ الوَسْوَسةِ والإغراءِ بارْتِكابِ المعاصي والموبِقاتِ ، ثمَّ لا يَكُفُّ هؤلاءِ الشّياطينُ عنْ إمْدادِ أوليائِهِمْ مِنَ الإنْسِ بأَلوانِ الشُّرورِ والآثامِ حتّى يُهْلِكوهُمْ .

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

وإذا لَمْ تأتِ أيُّها الرّسولُ ﷺ هؤلاءِ المشركينَ بآيةٍ مِنَ القرآنِ ، أوْ بآيةٍ مِمّا اقْتَرحوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآياتِ الكَوْنيّةِ ؛ إذا لمْ تَفْعَلْ ذلكَ ، قالوا لكَ بجهالةٍ وسَفاهةٍ : هلا جَمَعْتَها مِنْ عِنْدِ نَفْسِكَ واخْتَرَعْتَها اخْتِراعاً بعَقْلِكَ ؟ أوْ هلاّ ألْحَحْتَ بالطَّلبِ على ربِّكَ لِيُعْطِيَكَ إيّاها ويَجْمَعَها لكَ .

قلْ لهُم يا مُحمَّدُ ﷺ على سبيلِ التَّبكيتِ ردّاً على تَهكُّمِهِمْ بكَ : إنّما أنا مُتَّبعٌ لا مُبْتَدِعٌ ، أتَّبعُ ما يوحيهِ اللهُ تَعالى إليَّ مِنَ الآياتِ ، وأنا أُبلِّغُهُ إليكُمْ مِنْ دونِ تغييرٍ أوْ تَبديلٍ ، ولِهذا ، فالقرآنُ الكَريمُ حُجَجٌ مِنْ ربّكُم تُبَصِّرُكُمْ وجوهَ الحقِّ ، وهوَ ذو هِدايةٍ للمُؤْمنينَ ، لأنَّهُمُ العامِلونَ بِهِ ، وهُوَ كذلكَ رحمةٌ لهُم يَرْحَمُهمْ بهِ اللهُ ربُّهُمْ . وكما بدأتِ السُّورةُ بالثَّناءِ على القرآنِ الكَريم : ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٢] فقدِ اتَّجهتْ في أواخرِها إلى أمْرِ النّاسِ بِحُسنِ الاسْتِماعِ إلى هذا القرآنِ ، وإلى تدبُّرِهِ والعَمَلِ بهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

وإذا قُرِىءَ القرآنُ الّذي ذَكرْتُ خَصائِصَهُ ومَزاياهُ عَلَيْكُم فاسْتَمِعوا لَه بتدبُّرٍ وخُشوعٍ ، واصْغوا إليهِ بأسْماعِكُمْ وكلِّ جوارِحِكُمْ ، لِتَفْهَموا مَعانِيَهُ وتَفْقَهوا تَوْجيهاتِهِ ، وأنْصِتوا لِقراءَتِه حتّى تَنْقضِيَ تعظيماً لهُ وإكباراً لِشَأْنِه ، لكَيْ تَفوزوا برحمةِ اللهِ تَعالى ورِضاهُ .

ثمَّ خُتِمَتِ السُّورةُ الكَريمةُ بالحديثِ عنْ ذِكْرِ اللهِ تَعالى ، الّذي هوَ طِبُّ القُلوبِ ودواؤُها ، وعافيةُ الأبدانِ وشِفاؤُها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ .

واذْكُرْ ربَّكَ ذِكْراً نَفْسياً ، تَحُسُّ فيهِ بالتَّقرُّبِ إلى اللهِ تَعالى والخُضوعِ لَهُ ، والخوفِ مِنْهُ مِنَ غيرِ صياحٍ ، بلْ فوقَ السِّرِّ ودونَ الجَهْرِ مِنَ القولِ ، ولْيَكُنْ ذِكْرُكَ في طرفي النَّهارِ ، لِتَفتَتِحَ نَهاركَ بالذِّكرِ لِربّكَ وتَختمَهُ بهِ ، ولا تَكُنْ في عامّةِ أوقاتِكَ مِنَ الغافِلينَ عنْ ذِكْرِ اللهِ تَعالى ، وَلْتُشْغِلْ وقتَكَ بالذِّكرِ والدُّعاءِ والتَّسبيحِ وقِراءةِ القُرآنِ الكَريمِ ، حتّى تكونَ عندَ اللهِ تَعالى مِنَ الفائِزينَ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾

إنَّ الّذينَ هُمْ قَريبونَ مِنْ ربِّكَ بالتَّشريفِ والتَّكريمِ ، وهُمُ المَلائِكةُ في الملأِ الأعلى ، لا يَستكبِرونَ عَنْ عِبادتِهِ سُبْحانَهُ ، ويُنَزِّهونَهُ عمّا لا يَليقُ بِهِ ، ولَهُ وَحْدَهُ يَخْضَعونَ ويَسْجُدونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ ضرورةُ الالتجاءِ إلى اللهِ تَعالى في كلِّ حينٍ ، ومِنْ بابٍ أوْلَى عندَ نَزْغِ الشَّيطانِ .

٢ـ المؤمنُ إذا أوْقَعَهُ الشَّيْطانُ في وَسْوَسَةٍ فإنَّهُ سريعُ الرُّجوعِ إلى اللهِ تَعالى .

٣ـ الحثُّ على عدمِ الإيذاءِ في الذِّكْرِ بالرَّفْعِ المَذْمومِ للصَّوْتِ فيهِ وجَعْلِهِ في النَّفْسِ .

٤ـ ضَرورةُ أنْ يكونَ ذِكْرُ اللهِ تَعالى باللِّسانِ والقَلْبِ معاً .

٥ـ للملائِكةِ مَنْزِلةٌ عُليا مِنَ الخيرِ والفَضْلِ عندَ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يَنزَغَنَّكَ ، مسَّهُمْ طائِفٌ ، يمدُّونَهُمْ في الغَيِّ ، اجْتَبَيْتَها ، بصائرُ .

٢ـ بيِّنْ سُبُلَ محاربةِ الشَّيطانِ ونوازِغَهُ الّتي ذَكَرَتْها الآياتُ الكَريمةُ .

٣ـ ما موقفُ المُتّقينَ مِنْ نَزَغاتِ الشَّياطينِ ؟

٤ـ ذَكَرَتِ الآياتُ بعضَ مطالبِ الغاوينَ ، بيّنْ ذلكَ .

٥ـ ما منزلةُ المَلائكَةِ الكَرامِ ؟ وما هِيَ أخصُّ صفاتِهِمْ كما ذَكَرَتْها الآياتُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آياتِ سورةِ النَّحلِ الّتي تُبيِّنُ ما يقولُهُ المسلمُ عندَ قراءةِ القرآنِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حديثاً يُبيِّنُ كيفَ يغوي الشَّيطانُ الإنسانَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حديثاً يُبيِّنُ فضلَ الذِّكْرِ والذّاكِرينَ .

٤ـ اكْتُبْ على لوحةٍ كرتونيَّةٍ بخطٍ واضحٍ وجميلٍ الآياتِ القرآنيَّةَ الّتي فيها سجودٌ للهِ تَعالى ، وبيِّنْ أرقامَها ، واسمَ السَّورةِ الّتي تَرِدُ فِيها كلٌّ مِنها ، وعَلِّقِ اللّوحةَ في غُرْفَةِ الصَّفِ .

مراجِعُ الكِتابِ

١ـ القرآن الكَريمُ .

٢ـ تفسيرُ التحريرِ والتنويرِ ، لمحمّد الطّاهر بن عاشور .

٣ـ تفسيرُ القرآنِ كلماتٌ وبيانٌ ، لمحمد حسنين مخلوف .

٤ـ تفسيرُ المنارِ ، لمحمد رشيد رضا .

٥ـ التفسيرُ الوسيطُ ، لمحمد سيّد طنطاوي .

٦ـ التفسيرُ الوسيطُ ، للجنةٍ منْ علماءِ الأزهرِ .

٧ـ في ظلالِ القرآنِ ، لسيّد قطب .

٨ـ تفسيرُ الطَّبريِّ .

٩ـ سننُ أبِي داودَ .

١٠ـ سننُ ابن ماجة .

١١ـ سننُ التِّرمذيِّ .

١٢ـ صحيحُ البخاريِّ .

١٣ـ صحيحُ مُسلمٍ .

١٤ـ مسندُ أحمدَ .

* * *